المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
وكالة الآثار والمتاحف

وادي بيدة

دراسة أثرية معمارية

تاليف
عبد الله بن علي عبادي الزهراني

الرياض
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

ⓒ وكالة الآثار والمتاحف ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني ، عبدالله بن علي

وادي بيدة : دراسة اثرية معمارية / عبدالله بن علي الزهراني

الرياض ، ١٤٢٨هـ

٣٤٦ ص ، ٢٨×٢١ سم

ردمك : ٣-٦-٩٨٩٧-٩٩٦٠

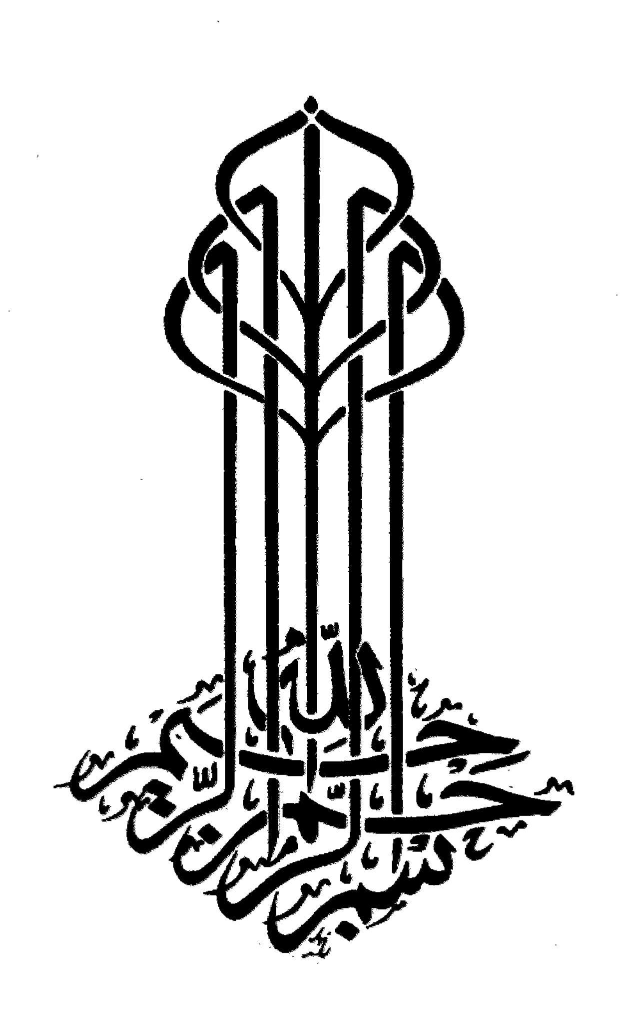
١- وادي بيدة (السعودية) - آثار ٢- العمارة - الباحة (السعودية)

أ. العنوان

ديوي ٩١٥,٣١٥٦٩٩٠٣ ١٤٢٨/٣٣٩٩

رقم الإيـــداع : ١٤٢٨/٣٣٩٩

ردمك : ٣-٦-٩٨٩٧-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى روح والدتي الطاهرة
المغفور لها بإذن الله عز وجل
"منيرة بنت محمد الزهراني"
مع خالص الدعاء لها
بالرحمة والمغفرة
آمين ..

أصل هذا الكتاب

أطروحة مقدمة لكلية السياحة والآثار
بجامعة الملك سعود للحصول على درجة الماجستير

وقد تم إجازتها
في يوم الأربعاء ٢٥ شوال ١٤٢٥ هـ الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٠٤م

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المحتويات ٧

شكر وتقدير ١٣

المقدمة ١٥

الفصل الأول: الخلفية الجغرافية والتاريخية ....

أولاً- الخلفية الجغرافية ٢٣

١ - وادي بيدة الموقع والتسمية ٢٥

٢-وادي بيدة في المصادر القديمة ٢٥

٣- التضاريس ٢٧

٤-المناخ ٣٠

٥- الغطاء النباتي ٣١

٦- مصادر المياه ٣١

٧-السكان ٣٣

٨- النشاط الزراعي ٣٣

٩-النشاط الاقتصادي ٣٥

ثانياً- الخلفية التاريخية ٣٨

١- العصر الجاهلي ٣٩

٢- العصر الإسلامي ٤٤

الفصل الثاني: المسح الميداني والمنشآت المعمارية ....

(أ) - المسح الميداني ٥٩

أولاً- بيدة ٥٩

ثانياَ- معشوقة.. ٧٢

(ب) - المنشآت المعمارية.. ٨٤

١- عمارة المنازل.. ٨٤

أولاً: مكونات المنزل من الداخل.. ٨٥

(أ) - الطابق الأرضي.. ٨٦

(ب)- الطابق العلوي.. ٨٨

ثانياً- مكونات المنزل من الخارج.. ٩٣

(ا)- المداخل.. ٩٣

(ب) - النوافذ.. ٩٧

(ج)- الرعش.. ٩٨

(د)- السلالم.. ٩٩

(هـ)-الجون.. ١٠٠

(و)- السرب.. ١٠١

أولاً - منازل قرية الجدلان.. ١٠٢

(أ) - الواجهات الخارجية لمنازل قرية الجدلان.. ١٠٣

(ب)- التخطيط الداخلي لمنازل قرية الجدلان.. ١٠٨

ثانياً- منازل قرية الغتامية.. ١١١

(أ) - الواجهات الخارجية لمنازل قرية الغتامية.. ١١١

(ب)- التخطيط الداخلي لمنازل قرية الغتامية.. ١١٦

ثالثاً- معشوقة.. ١٢٤

٢- عمارة المساجد.. ١٢٥

١- مسجد قرية الجدلان.. ١٢٦

٢- مسجد قرية الغتامية.. ١٢٩

٣-عمارة الحصون الحربية ١٣٢
العناصر المعمارية في الحصون الحربية ١٣٢
١- حصن قرية العقاربة ١٣٧
٢- حصن قرية الرقبان ١٤١
٣-حصن قرية مزعر ١٤٤
٤- حصن قرية الوقرة ١٤٧
٤- عمارة المنشآت الزراعية ١٥١
أولاً- الآبار ١٥٢
١- بئر قرية اللغاميس ١٥٣
٢- بئر قرية حلايل ١٥٣
٣- بئر المطاعنة ١٥٤
ثانياً- الجرن ١٥٤
١- جرين العمودي ١٥٥
٢- جرين الغتامية ١٥٥
ثالثاً- الحصون الزراعية ١٥٧
العناصر المعمارية في الحصون الزراعية ١٥٧
١- حصن مشرف ١٦٠
٢- حصن العمودي ١٦٣
الفصل الثالث: العوامل المؤثرة على العمارة وتقنيات البناء ....
أولاً- العوامل المؤثرة على العمارة في وادي بيدة ١٧٠
١- العامل الاجتماعي ١٧١
٢- العامل الديني ١٧٥
٣-العامل الجغرافي ١٧٩
٤-العامل الاقتصادي ١٨٦

٥- العامل السياسي ١٨٧
ثانياً- أدوات البناء ١٩٠
(أ)- أدوات اقتلاع الأحجار ١٩٠
(ب)- أدوات قطع الأخشاب ١٩١
(ج) - أدوات البناء ١٩٢
(د) - أدوات الزخرفة ١٩٣
ثالثاً- مواد البناء ١٩٧
١- الأحجار ١٩٨
٢- الخشب ٢٠٠
٣- الطين ٢٠١
رابعاً- مواقع البناء ٢٠٣
١- البناء على الحافة الجبلية دون تسويتها ٢٠٣
٢- البناء على الأرض الهشة في بطون الأودية ٢٠٣
٣- البناء على قمة جبل أو نتوء صخري ٢٠٥
خامساً- المشاركون في البناء ٢٠٦
سادساً- خطوات البناء ٢٠٨
١- عمارة المنازل ٢٠٨
٢- عمارة الحصون ٢١١
٣- عمارة الآبار ٢١١
٤- عمارة الجُرُن ٢١٢

الفصل الرابع: العناصر الزخرفية والرسوم الصخرية ....

أولاً- العناصر الزخرفية ٢١٧
(أ)- الزخارف الخشبية ٢١٩
١- أسلوب الزخرفة ٢١٩

٢-العناصر الزخرفية الهندسية ٢٢١
٣- العناصر الزخرفية النباتية ٢٢٦
(ب) – الزخارف الحجرية ٢٣١
١ – أسلوب الزخرفة ٢٣١
٢ – العناصر الزخرفية الهندسية ٢٣٢
ثانياً– الرسوم الصخرية ٢٣٨
أ– الرسوم الحية ٢٣٨
ب– الوسوم ٢٤١
ج– النقوش الصخرية ٢٥٠

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية والمقارنة ....

١ – المنشآت المعمارية ٢٥٩
٢ – مواد البناء ٢٧٨
٣– العناصر الزخرفية ٢٧٩
٤ – الرسوم الصخرية ٢٨١
ملحق بالمصطلحات المعمارية المتداولة ٢٩١
الخاتمة ٣٠١
المصادر والمراجع ٣٠٣
الأشكال ٣٢١

شكر وتقدير

اعترافاً بالشكر لأهله أبتهل إلى الله عز وجل بالحمد والشكر الذي أمدني بعونه وتوفيقه على إنجاز هذا العمل.

كما تقضي الأمانة العلمية أن أشيد بالثناء والشكر لكل من ساندني في هذا العمل من العاملين في وكالة الآثار والمتاحف لقاء كل التسهيلات التي قدموها لي، وأخص بالذكر سعادة الأستاذ الدكتور **سعد بن عبدالعزيز الراشد**، وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف سابقاً الذي كان وما يزال يؤازرني ويشجعني منذ بداية هذا العمل حتى خروجه بهذا الشكل، والدكتور **ضيف الله الطلحي** مدير عام مركز الأبحاث والتنقيبات الأثرية على دعمه المتواصل، بالإضافة إلى الزملاء في مركز الأبحاث على مؤازرتهم الصادقة، وإلى الدكتور **فهد بن صالح الحواس**، والدكتور **عوض بن علي الزهراني**، والأستاذ **محمد بن علي السلوك**، الذين تكرموا بقراءة هذه الدراسة وإبداء ملاحظاتهم القيمة رغم مشاغلهم المتعددة. ولا يفوتني شكر الأستاذ **جريد الجريد** والأستاذ **عبدالمحسن الرشيد**، لقاء ما قدماه من مساعدة في هذه الدراسة والأستاذ/ **سعيد القحطاني** لمتابعته المستمرة في طباعة هذا الكتاب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى **جامعة الملك سعود ممثلة في قسم الآثار والمتاحف** الذي أتاح لي فرصة الدراسات العليا في مجال الآثار وإلى الأساتذة في القسم كافة، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور **عبدالله بن إبراهيم العمير**، المشرف على هذه الدراسة على تحمله وصبره وتوجيهاته المستمرة. كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور **عبدالله بن سالم الزهراني** عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا بجامعة الملك سعود، وأحد أبناء وادي بيدة، الذي وجهني ببعض الملاحظات القيمة في هذه الدراسة.

ولن أنسى التسهيلات وكرم الضيافة الذي لقيته من **أبناء وأهالي وادي بيدة**، فلهم جزيل الشكر والامتنان لقاء ماقدموه من تسهيلات مثل الشخوص معي لمعاينة المواقع الأثرية

والسماح بالاطلاع وتصوير ما لديهم من وثائق عن قرى المنطقة، وتسجيل بعض المقابلات الشفهية مع كبار السن والمهتمين بالآثار من أبناء المنطقة لمعرفة مالديهم من معلومات عن تاريخ بعض المعالم والأماكن الجغرافية والتاريخية، وأخص منهم الأستاذ **شايق بن مسفر الغامدي**، الذي رافقني في كثير من زياراتي للمواقع الأثرية في المنطقة.

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى **والدي** الذي غرس فيّ بذور الحب والعطاء، أطال الله بقاءه ومتعه بصحته، وكذلك **إلى إخواني واخواتي** وإلى جميع **أقاربي** الذين كان لهم الفضل والتشجيع على إنهاء هذه الدراسة، وانتظروا طويلاً خروج هذا العمل.

وأخيراً أشكر الجنود المجهولين في هذه الدراسة وهم عائلتي الكريمة **زوجتي أم سامر وولداي سامر وأصيل**، الذين كان لهم الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل لقاء ما وجدته منهم من تشجيع وتوفير جو هادئ مناسب.

لهؤلاء جميعاً **ولكل من فاتني ذكر اسمه** أسجل اعترافي لهم بالفضل والامتنان، ولله الفضل والحمد من قبل ومن بعد.

عبدالله بن علي الزهراني

مقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل أحد الأودية المشهورة في منطقة الباحة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية ذلك هو(**وادي بيْدَة**) الذي يعد من أشهر أودية جزيرة العرب، التي تخترق قسماً من سراة الحجاز، منحدرة صوب نجد مارة بوادي تربة، فالخرمة، ثم تجتمع بالأودية التي تحول دون استمرارها في الصحراء. ويبلغ طول الوادي من أعلى فروعه إلى اجتماعه بوادي عردة ١٥٠ كلم، وإذا اجتمع الواديان (بيدة وعردَة) أطلق عليه وادي تربة. ويقع وادي بيدة في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة الباحة، ويحده من الشمال والشرق ديار غامد التابعة لمحافظة العقيق، ومن الغرب ديار قريش التابعة لمحافظة القرى، ومن الجنوب ديار بني عامر التابعة لمدينة الباحة. ويرتفع الوادي عن سطح البحر ١٦٠٠م. وتنتشر حوله عدة قرى لقبيلة بني بشير من زهران، ويجتمع أكثرهم في مكان يسمى الحازم، بينما يتبع جزءه الأسفل لقبيلة الزُهْرَان الغامدية، ومن قراها الغتامية، ومعشوقة، الواقعتان في جهته الشمالية.

وهذا الوادي له شهرة كبيرة في كتب الأدب والتاريخ، فذكره يرد عند الحموي بقوله "أبيدة – بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة ودال مهملة: منزل من منازل أزد السراة "، وفي وادي بيدة كان مصرع الشاعر المشهور الشَّنْفَرى حسبما وردت قصته في كتب الأدب، وبالرغم من أهمية هذا الوادي على مر العصور إلا أن المصادر التاريخية ليس فيها مايذكر عن الوادي في العصرين الأموي والعباسي، وقد أحترنا عن مغزي هذا الصمت بالنسبة للمصادر التاريخية ليس فقط لعدم ذكرها لوادي بيدة بل لأنه لم يرد فيها مايفيد عن أخبار بلاد غامد و زهران. وقد عرف عنه – وادي بيدة - أنه من أهم المناطق التي تمد غرب الجزيرة بأنواع المنسوجات من العباءات والفرش، والتي كان يسمى بعضها "بيدي" نسبة إلى وادي بيدة. كما أنه واد خصيب تكثر فيه النباتات

والأشجار، وتحيط به الجبال من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية، ومناخه يميل إلى الاعتدال في فصل الشتاء، لتطامن أرضه.

ويعتبر هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة لدارسي الآثار، وذلك بسبب قلة الدراسات عن هذا الجزء من منطقة الباحة (**وادي بيدة**)، وكغيره من بقية أجزاء المنطقة، ولوجود روايات تفيد بأهمية هذا الوادي في الفترات التاريخية المختلفة، خاصة مع تسارع الزحف العمراني والعوامل الطبيعية التي أدت إلى تدهور بعض المباني، مما قد يؤدي إلى ضياع الأدلة التاريخية وفقد الهوية الثقافية للمكان.

وقد أدى موقع الوادي وطبيعة أرضه إلى استيطانه من قبل العديد من القبائل العربية في فترات زمنية ماضية، فقد حظي باهتمام السكان الذين استصلحوا أرضه وزرعوها، وبنوا فيها المباني التي استخدمت لأغراض سكنية، أو زراعية، أو حربية، وهو الأمر الذي أدى إلى انتشار العديد من الحصون الدفاعية حول تلك المزارع، وهذا بدوره خلّف لنا كنزاً من الآثار التي لابد من دراستها، والتعرف على أنماطها. وقد كان لذلك الموقع المتميز على مر التاريخ أهمية اقتصادية من حيث الإنتاج الزراعي، الذي كان يصدر إلى جهات عدة من الجزيرة العربية، وقد لعب طريق التجارة والحج الجنوبي دوراً بارزاً في تشكيل أهمية الوادي، إذ أصبح مستراحاً للقوافل، ومكاناً لتبادل البضائع والسلع التجارية. وتفيد روايات شفهية عن وجود طريق فرعي للحج في منطقة الدراسة، تجعل الأمر يزداد أهمية للبحث عن آثار ذلك الدرب المجهول حتى الآن.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

١- الكشف عن المواقع الأثرية الإسلامية في الوادي.

٢- دراسة الأنماط المعمارية بوادي بيدة .

٣- التعرف بالتاريخ الحضاري لوادي بيدة في ضوء الأدلة الأثرية الباقية.

٤- بيان أثر الأعراف والتقاليد الاجتماعية على أنماط المباني الأثرية بوادي بيدة.

٥- مقارنة الأنماط المعمارية بوادي بيدة مع بعض أنماط العمارة في منطقة الباحة.

أما الدراسات السابقة في هذا الموضوع، فهناك مصادر ومراجع ودراسات محدودة تتحدث عن بعض المواقع في منطقة الدراسة التي لها ارتباط بأحداث تاريخية سياسية قبل الإسلام أو بعده. أما الدراسات الحديثة عن الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه، فهي شحيحة ولا تتناول الجانب الأثري للمنطقة بصورة متعمقة. ومن هذه الدراسات :

كتاب الجاسر (١٣٩١هـ) "في سراة غامد وزهران" وقد تحدث عن وادي أبيدة، وذكر انطباعاته عن الوادي، ووصف بعض الطرق، والمنتجات الزراعية، وذكر كذلك وصفاً للرحلة ومروره بقرية معشوقة، والبحث عن آثار القصر القديم، وتعرض للناحية التاريخية لوادي بيدة، وتحديد سكانه من قبل المؤرخين السابقين.

وفي عام (١٣٩١هـ) تناول السلوك في كتابه " المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران" بعض قرى الوادي وعدد سكانها، وانتماءهم إلى عشائرهم، وقد أورد بعض المعلومات عن قرية معشوقة القديمة، والتي جاءت تحت مسمى خرائب معشوقة، وتحدث عن الحصون الدفاعية، وتخطيط القرية.

وفي عام (١٤٠٢هـ) قدم عبدالله بن سالم الزهراني بحثاً لرسالة الماجستير في قسم الجغرافيا بجامعة الملك سعود، عن "أسواق الباحة دراسة جغرافية " تحدث فيه عن أنماط الأسواق الأسبوعية، ومن جملة حديثه ذكر وادي بيدة، وسوق قرية معشوقة القديمة، إحدى قرى منطقة الدراسة.

وفي عام (١٤٠٦هـ) قدم عبد الله أحمد الغامدي، في قسم الجغرافيا في جامعة القاهرة، رسالته لدرجة الدكتوراه بعنوان "المراكز العمرانية في منطقة الباحة في المملكة العربية السعودية دراسة جغرافية " وتطرق الباحث إلى منطقة الباحة وأحوال السكان والمراكز العمرانية، وتوزيعها في السراة.

وفي عام(١٤٠٨هـ) تحدث محمد بن مسفر الزهراني ضمن سلسلة هذه بلادنا عن " بلاد زهران" ، وتحدث عن نسب أهلها ، وبعض عاداتهم وتقاليدهم، ومشاهيرهم قبل الإسلام وبعده، وذكر فيه قرية بطحان التي تعد من ضمن وادي بيدة حالياً.

وفي عام (١٤١٥هـ) تطرق علي محمد الزهراني إلى الحديث عن تاريخ قبيلة زهران، في كتابه " التبيان في تاريخ أنساب زهران " ومن جملة كلامه حديثه عن بلادهم ووادي أبيدة، وتحدث عن الوادي في كتب الأقدمين وعن قصة الشاعر المعروف الشَّنْفَرى، والقبائل التي سكنت الوادي.

وفي عام (١٤١٥هـ) نوقشت بقسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود رسالة ماجستير قدمها الطالب أحمد العبودي، عن "الأنماط المعمارية التقليدية في تهامة زهران " وقد استعرض فيها الباحث العمارة التقليدية في المنطقة، وفي معرض حديثه عن الحصون الدفاعية تطرق إلى وادي بيدة وعمارة الحصون فيه.

وفي عام (١٤١٨هـ) تحدث إبراهيم الحسيل عن طريق التجارة القديم من شرق السراة إلى الطائف، في كتابه "غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان" وذكر من جملة حديثه وادي بيدة، إضافة إلى ذكر الوادي في معرض حديثه عن الشاعر الشنفرى.

ويتضح من هذه الدراسات السابقة - مع أهميتها- إلا أنها لم تورد معلومات وافية عن وادي بيدة وتاريخه وآثاره ، مما جعل الباحث يركز على الدراسة الميدانية بشكل مكثف وذلك باستخدام الضوابط العلمية المتبعة والوسائل والطرق الحديثة إلتي تفيده وتعينه على الوصول إلى الحقيقة والفائدة المرجوة من البحث. والمناهج تمثلت في المنهج الاستقرائي الذي يتطلب من الباحث قبل الشروع في كتابة البحث جمع معلومات البحث من مصادره المختلفة، وهذه المصادر إما أن تكون مخصصة لمنطقة الباحة وتعرضت لمنطقة الدراسة، أو رسائل علمية محكمة. وفي هذا الجانب قام الباحث بتصميم برنامج قاعدة بيانات على الحاسب الآلي لتوثيق هذه المعلومات، بهدف الحصول على المعلومة المطلوبة وكل عناصر المصدر، وقد أثبت هذا البرنامج نجاحه خلال هذه

الدراسة. كما أستخدم المنهج الوصفي لوصف منطقة الدراسة وتحديد مواقع القرى فيها بالأنظمة الجغرافية الحديثة، وعرض النواحي الحضارية والمعمارية، ووصْف المنشآت المعمارية القائمة. بالإضافة إلى ما سبق، استخدم المنهج التحليلي المقارن، وتم فيه دراسة المادة التاريخية والأثرية المتوافرة في المصادر بالكيفية التي تخدم البحث، وتحليلها ومقارنتها مع القرى الموجودة في منطقة الدراسة وخارجها، من حيث النواحي المعمارية، والإشارة إلى المواقع الهامة التي تنفرد بصفة مغايرة. أما إجراءات المنهج فقد اشتملت على الخطوات التالية:

١- إجراء دراسة مسحية لمنطقة الدراسة للتعرف على المباني الأثرية القائمة.

٢- وضع خرائط تخطيطية لمواقع القرى في الوادي.

٣- إجراء رفع معماري لبعض المباني الأثرية وتوثيقها.

٤- تحليل المادة الأثرية وإجراء الدراسات المقارنة.

ويشتمل هذا الكتاب الذي هو حصيلة هذه الدراسة على خمسة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول : يحتوي على الخلفية الجغرافية والخلفية التاريخية لمنطقة الدراسة.

الفصل الثاني : المسح الميداني لوادي بيدة وتحديد مواقع القرى ووصف الآثار المعمارية الباقية، والتعرف بأبرز المنشآت المعمارية من عمارة المنازل، والمساجد، والحصون الحربية، والمنشآت الزراعية.

الفصل الثالث : يحتوي على أهم العوامل المؤثرة في العمارة التقليدية في منطقة الدراسة، وأدوات البناء، ومواد البناء، والمشاركون في البناء، وأخيراً مراحل البناء.

الفصل الرابع : يحتوي على الرسوم الصخرية والعناصر الزخرفية

الفصل الخامس: يحتوي على الدراسة التحليلية والمقارنة، وقد قام الباحث بدراسة تحليلية مقارنة لأهم المنشآت المعمارية ومواد البناء والرسوم الصخرية والعناصر الزخرفية. ثم ملحق بالمصطلحات المعمارية المتداولة في وادي بيدة.

كما ألحق بالدراسة خاتمة تضمنت خلاصة الدراسة وأهم نتائجها. وقائمة بالمصادر والمراجع. وأخيراً الأشكال التوضيحية.

وأرجو أن أكون قد وفقت في دراستي هذه التي بذلت فيها كل ما بوسعي ، وآمل أن أكون قدمت عملاً نافعاً ومفيداً بإذن الله عز وجل، ليسد ثغرة في المكتبة العربية في مجال الدراسات الأثرية.

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية والتاريخية

- أولاً : الخلفيـــــة الجغرافيـــــة
- ثانيـــاً : الخلفيـــــة التاريخيـــــة



أولاً : الخلفية الجغرافية :

وادي بيدة (أبيدة) - منطقة الدراسة- هو أحد الأودية الكبيرة المشهورة في منطقة الباحة، ولذلك فإن دراسة الخلفية الجغرافية تشمل منطقة الباحة كما تشمل منطقة الدراسة لكونها ضمن النطاق الجغرافي للمنطقة.

تقع منطقة الباحة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية بين خطي الطول ٤١°و٤٢° شرقاً وخطي العرض ١٩° و٢٠° شمالاً. وتتميز المنطقة بجوها الجميل وطبيعتها الخلابة، وانتشار المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والتراثية في أرجائها التي تعود إلى عصور تاريخية متعددة. وتعد الباحة من المناطق السياحية المهمة التي أدرجت ضمن المناطق التي تخضع للعديد من الدراسات التطويرية في المملكة.

وهي تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، إذ ترتبط حدودها مع منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب، ومنطقة عسير من الجنوب والشرق، فمن الشمال محافظة الطائف، ومن الشرق محافظة بيشة، ومن الجنوب محافظة القنفذة، ومن الغرب محافظة الليث [١]. (شكل رقم ١)

أما سطح المنطقة فينقسم إلى خمسة أقسام:

١- المنطقة المرتفعة في السراة: وتقع في آخر الشمال والشمال الغربي وفي الغرب، والجنوب والجنوب الغربي من المنطقة.

٢- المنطقة المتوسطة الارتفاع في السراة: وتقع في الشمال الشرقي والشرق، والجنوب والجنوب الشرقي من المنطقة.

---

(١) الغامدي، صالح عون.الباحة. سلسلة هذه بلادنا. ط١؛ الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ص ١٧.

٣- المنطقة المنخفضة نسبياً (شبه السراة): وهي واقعة في أقصى الشرق والشمال الشرقي والجنوب الشرقي من المنطقة.

٤- منطقة الأصدار: وهي منطقة بين السراة وتهامة من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، وتقع في أواسط الجبال المنحدرة إلى تهامة.

٥- تهامة العُليا: وتقع تحت الانحدار السابق، وقد لعبت عوامل التعرية دوراً في تشكيل تلالها الجبلية وأوديتها الكبيرة التي تتعرض لمياه السيول العنيفة(١).

وتحتل منطقة الباحة مساحة ١١٤٣٣ كلم٢(٢). ويندرج تحتها ضمن النطاق الإداري خمس محافظات هي: محافظة بلجرشي، ومحافظة المخواة، ومحافظة قلوة، ومحافظة المندق، ومحافظة القرى(٣).

ويتميز مناخ المنطقة خاصة السراة الجبلية، بالتفاوت الحراري بسبب الارتفاع عن سطح البحر، فهو في الشتاء شديد البرودة وفي الصيف يميل إلى الاعتدال. وتسقط غالبية الأمطار في أواخر فصل الربيع ومطلع فصل الصيف، كما تسقط أمطار خفيفة نتيجة للكتل الهوائية الدافئة القادمة من البحر الأحمر، ولذلك يتوزع سقوط الأمطار على كل أرجاء المنطقة.

أما سكان منطقة الباحة فهم من قبائل غامد وزهران، وقد بلغ عددهم في الدراسة الإحصائية التي أجريت عام ١٤٢٥هـ قرابة ٤٧٦,٣٨٢ نسمة، وهي تحتل المرتبة العاشرة بين مناطق المملكة(٤).

---

(١) السلوك، علي صالح. المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران. ط٣؛ جدة: دار العلم، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٣.

(٢) القباني، محمد عبدالعزيز. التوزيع المكاني للسكان والتنمية في المملكة العربية السعودية من ١٣٩٤هـ - ١٤١٣هـ. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٠.

(٣) الترميز الموحد للمحافظات الإدارية بالمملكة وفقاً لتعميم صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم ٧١٦١ وتاريخ ١٤١٥/١/٢٥هـ ، ضمن دليل الترميز الموحد للمناطق والمحافظات والمراكز الإدارية، المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، ديوان رئاسة مجلس الوزراء الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) إحصائيات مصلحة الإحصاءات العامة لعام١٤٢٥ هـ، وزارة الإقتصاد والتخطيط، الرياض المملكة العربية السعودية.

١- وادي بيدة الموقع والتسمية:

يقع وادي بيدة (أَبيْدَة) في الجهة الشرقية من محافظة القرى، شرق الطريق من الباحة إلى الطائف بين خطي الطول َ٤١:٢٥° وَ٤١:٢٨° شرقاً وخطي العرض َ٢٠:١٤ ° وَ٢٠:٥٠ ° شمالاً [١].

ويمتد على شكل شريط أرضي مسافة ٩٥كلم من الجنوب إلى الشمال، وقرابة ٢٠ كلم من الشرق إلى الغرب، وهو بذلك محصور بين جبال شاهقة الارتفاع سوى بعض الحرات في شماله، والتي تصله بوادي العقيق من الجهة الشرقية، وتصله بوادي الأطاولة من الجهة الغربية. (شكل رقم ٢).

وقد عرف وادي بيدة بـ (أَبيْدَة) وقد أسقطت الهمزة من أول الكلمة، وذلك أن كثيراً من قبائل العرب يسهلون الهمزة وقد تحذف[٢]، ومن ذلك نشأ اسم بيدة بحذف الهمزة لأجل التسهيل. وهي حالياً مركز إداري من المراكز التابعة لمحافظة القرى بمنطقة الباحة.

٢- وادي بيدة في المصادر القديمة:

أورد عدد من الجغرافيين المسلمين كالهمداني والبكري والحموي وغيرهم وادي بيدة (أبيدة) ضمن الأماكن الهامة في الجزيرة العربية. فالهمداني عند وصفه بلد هلال يذكر: "الواديان رنية وأبيدة" [٣]، وقوله: "بلد عدوان وفهم ونبت بن عكل في صدور أبيدة" [٤]، وقوله أيضاً: "من كرا إلى تربة وهي أبيدة خمسة عشر ميلاً وعرضها تسع عشرة درجة وثلث وثمن الدرجة" [٥].

أما البكري فقد ذكره في معجمه بقوله: "أبيدة بفتح أوله وسكون ثانيه وبالدال المهملة منزل

---

(١) من إعداد الباحث، وانظر: عبده، أسعد سليمان. معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية. ط١؛ جدة: مكتبة المدني للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٠٢.

(٢) الجاسر، حمد. في سراة غامد وزهران نصوص ومشاهدات. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٢٢.

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الأكوع. الرياض: دار اليمامة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٥٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص٣٤٠.

لبني سلامان من الأزد بالسراة"[١].

وقد ذكر عن أبي داود: أن أبيدة أرض خثعم، وأنشد لعامر ابن الطفيل:

ونحـن صـبحنا حـي أسمـاء غـارة أبالـت حبـالى الحـي مـن دمعهـا دمـا

وبـالنقع مـن وادي أبيْـدة جـاهرت أنيـساً وقـد أرديـن سـادت خـثعم[٢]

ويذكر الحموي "أبيدة: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة ودال مهملة: منزل من منازل أزد السراة. وأورد أن ابن موسى قال: أبيدة ديار من ديار اليمانيين بين تهامة واليمن"[٣].

مما سبق يتبين أهمية وادي بيدة وفي هذا يعلق الشيخ حمد الجاسر بقوله: " كل هذه الأقوال صحيحه فأعلاه لعدوان وفهم، وأسفله لبني هلال. وذكر البكري أنه من منازل أزد السراة وهذا صحيح، إذ أن غامد وزهران من هؤلاء(يعني من الأزد) ، أما القول بأنه من بلاد خثعم فهو صحيح أيضاً؛ لأن خثعم كانت بجوار أخواتها من بجيلة، ثم حدثت أمور دفعت بخثعم إلى النزوح من السراة إلى سفوحها، فأقوال المتقدمين ينبغي أن ينظر إليها باعتبار أزمانها"[٤]. وعلى ذلك نؤكد على الدور الحضاري الذي كان يؤديه الوادي خلال الفترات التاريخية المتعاقبة، وما شمل ذلك من أحداث على مستوى المنطقة في ذلك العصر.

---

(١) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز. معجم ما استعجم من البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا. ط٣؛ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ج١، ص ١٠٣.

(٢) أنيساً هو: أنيس بن مدرك الأكلبي الخثعمي أبو سفيان، شاعر وفارس من المعمرين، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها، أدرك الإسلام فأسلم ثم أقام بالكوفة، قيل إنه عاش ١٤٥ سنة. الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط٣؛ بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٣، ص ٢٥.

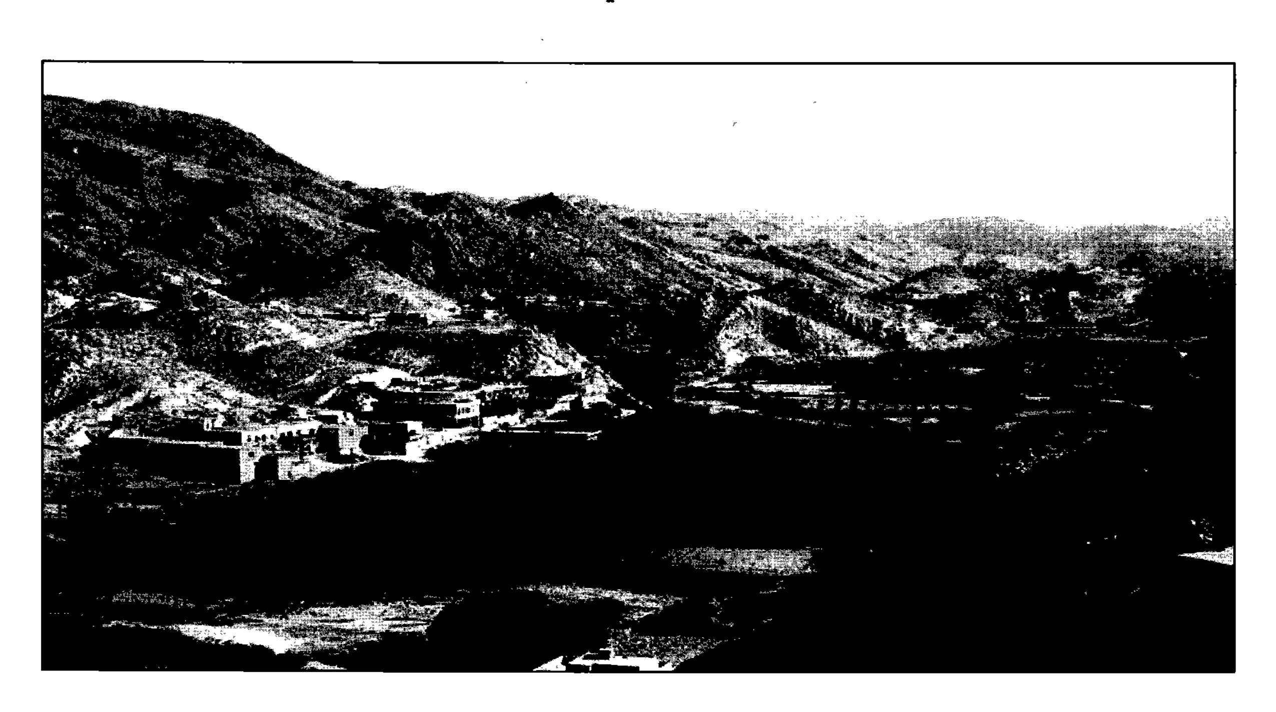
(٣) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج١، ص٨٥.

(٤) الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص٢١. وقد رحلت خثعم من وادي بيدة قبل انتشار الإسلام، فقد روى ابن سعد في الطبقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لخثعم: "هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خبار أو عزاز تسقيه السماء أو يرويه اللثى فزكا عمارة في غير أزمة ولاحطمة فله نشره وأكله وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غرب نصف العشر. شهد جرير بن عبدالله ومن حضر" ابن سعد، محمد. الطبقات. بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ٢٨٦.

وهنا يجب أن نشير إلى أنه يرد ذكر الوادي في بعض المراجع المتأخرة، في إشارة عابرة ضمن أودية أو قرى منتشرة في داخل المنطقة أو خارجها. أما الباحثون المعاصرون فلم نجد حسب علمنا لأي باحث دراسة أثرية متخصصة عن وادي بيدة .

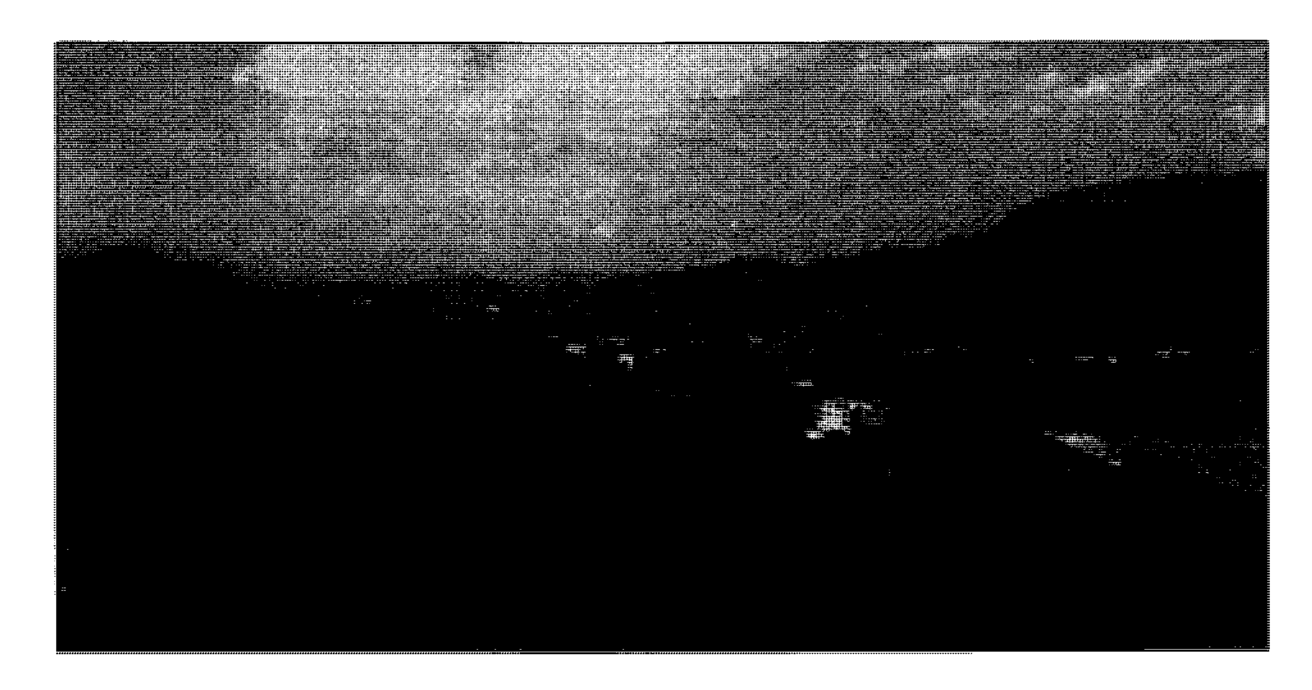
٣- التضاريس:

يشكل هذا الوادي ـ الذي يعتبر من أكبر أودية منطقة الباحة ـ ظاهرة طبوغرافية متميزة واضحة المعالم. وهو يجري موازياً للطريق الذي يصل الباحة بالطائف بطول ٩٥ كلم ثم يلتقي مع وادي تربة في شماله. ويلاحظ على هذا الوادي أن مجراه الجنوبي أقل اتساعاً من مجراه الشمالي، وأن مستوى انحداره في جنوبه أكثر من شماله، وهي ظاهرة طبوغرافية مثيرة [1].



لوحة رقم (١) الجهة الجنوبية من وادي بيدة

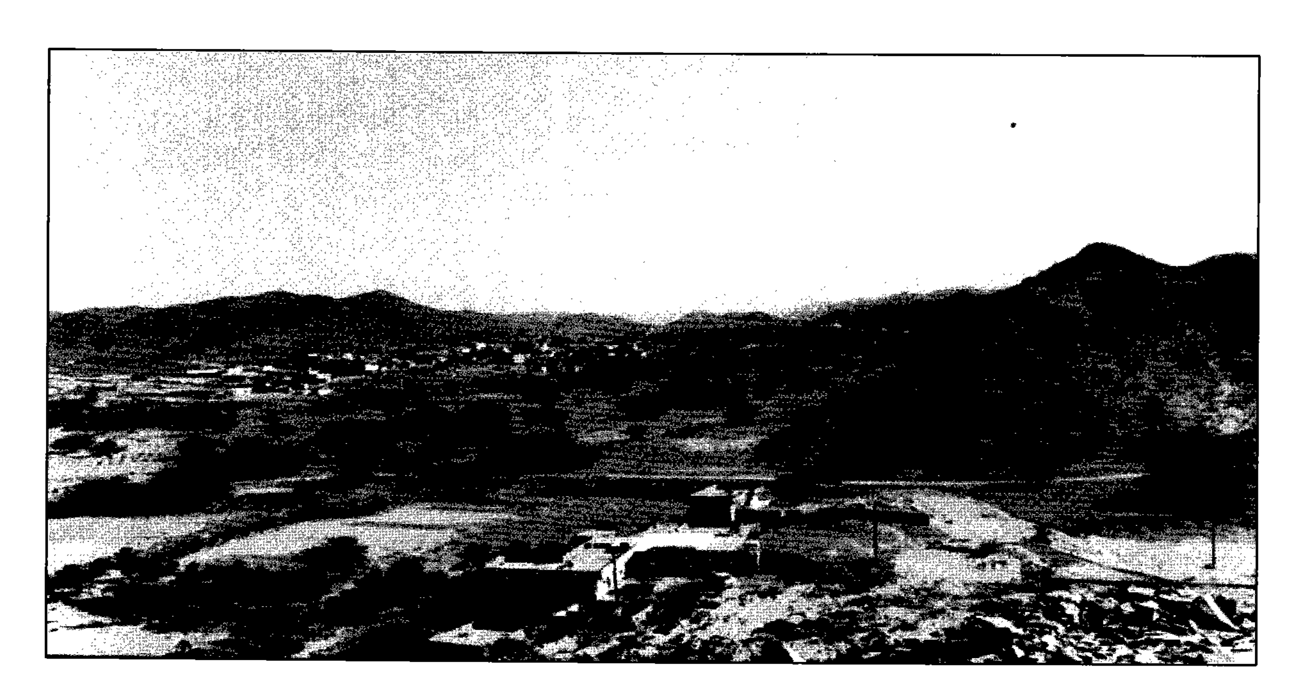
(١) الشريف، عبدالرحمن صادق. جغرافية المملكة العربية السعودية. دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص٤٥٥.



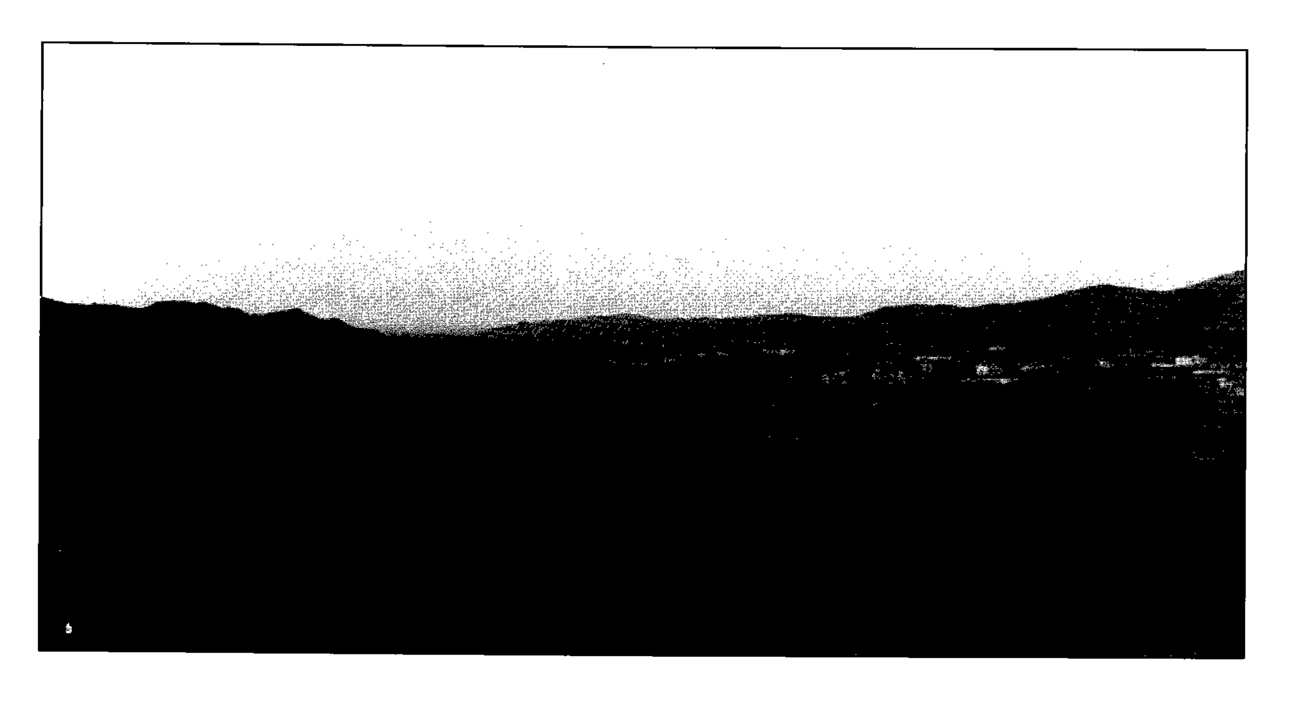
لوحة رقم (٢) الجهة الشمالية من وادي بيدة

ويمتد وادي بيدة شمالاً فيهبط بعمق شديد ضمن صخور الشست والديوريت، فيقسم الكتلة الجبلية إلى قسمين متقابلين. وترتفع سلسلة الجبال التي تحف بالوادي في محافظة القرى بمقدار ٢٣٠٠م، وفي جبال شمرخ ترتفع في وسطها إلى ٢٠٦٠م، وفي جبل معشوقة ترتفع في شمالها إلى ١٨٥٠م. ومن الجانب الشرقي يوجد بمحاذاة وادي بيدة ابتداءً من الجنوب جبل الودان بارتفاع ٢٢٥٥م ، وإلى الشمال منه جبل عيسان الذي يصل ارتفاع بعض قممه الجنوبية إلى ٢٠٠٠م، والقمم الشمالية إلى ١٩٠٠م [١]. وينحدر من كلتا الكتلتين الجبليتين الشرقية والغربية العديد من الشعاب التي تشكل روافد لوادي بيدة تصل إلى أكثر من مائتي شعب يسمى بعضها أودية مجازاً، وقد يكون من أهمها: وادي الحازم ووادي الهضيم، بالإضافة إلى أكثر من مائتي شعب تصب في هذا الوادي، وهذه الشعاب كانت تشكل مناطق رعوية خصبة في منطقة الباحة. (اللوحات ١، ٢، ٣، ٤)

(١) المرجع السابق، ص٤٥٦.



لوحة رقم (٣) الجهة الجنوبية من وادي معشوقة



لوحة رقم (٤) الجهة الشمالية من وادي معشوقة

ويهبط مجرى الوادي بين هذه الكتل من ارتفاع ١٨٠٠م عند أول القطاع الصالح للزراعة في جزءه الجنوبي، أي عند أول شريط القرى الموجودة على مجرى الوادي إلى ارتفاع ١٤٥٠م في معشوقة[١]. ولذلك كان هذا الوادي بمنزلة المنخفض بين الكتل الجبلية، فاستخدم منذ القدم طريقاً للقوافل المتجهة إلى الحجاز شمالاً وعبر الهضبة إلى وادي تربة، ثم عبر وادي بيدة إلى الباحة جنوباً أو غيرها من المناطق الجبلية في الجزء الجنوبي وهو بذلك يعد من طرق التجارة بالسراة.

ويتجه وادي بيدة إلى الشمال ليلتقي مع وادي تربة زهران خارج حدود منطقة الباحة ليكونا وادياً واحداً يعرف بوادي تربة، ويستمر هذا الوادي حتى يخترق تربة البقوم[٢].

ويحيط بالوادي من الجهة الغربية بعض القرى التابعة لمحافظة القرى، أما من الجهة الشرقية فتحيط به بعض القرى التابعة لمحافظة العقيق.

وقد عرفت حدود تلك القرى على أساس سابق، لأن العلاقة بينهم تقوم على أساس قبلي (كل قرية تعرف ديرتها)، أي تعرف مواطن العشب والماء وتستقر حوله، وحدود هذه القرى معروفة منذ سنوات طويلة. ومعنى ذلك أن الأساس السياسي بين القبائل وشيوخها هو الإنسان وليس المكان، كما أن الحدود بين القرى قد استقرت بعد أن كانت تنكمش أو تتسع وفقاً لضعفها أو قوتها. وقد كونت هذه الحدود أهمية بين القرى حتى خضعت لنظام واحد وشامل بين ممتلكات القرية وخصوصيتها لما تحويه تلك البيئة من أشجار وماء ووفرة أماكن صالحة للزراعة والرعي.

٤- المناخ:

كشفت الدراسات المتخصصة أن هناك اختلافاً واضحاً في مناخ وادي بيدة عن منطقة الباحة؛ نتيجة لارتفاع مجرى الوادي وانخفاضه بين تلك الكتل الجبلية، فهو ينخفض بسرعة بسبب الهبوط الشديد خلف الجبال الغربية فترتفع فيه درجات الحرارة وتزداد الفروق الحرارية وتقل

---

(١) المرجع السابق، ص٤٥٦.

(٢) الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص٣٤.

الأمطار، ويجف غطاء التربة عن السفوح الجبلية، ويضعف الغطاء النباتي عليها وينعدم وجود أي زراعة مطرية[1]. وهذا ماجعل جعل الإنسان هنا يسعى لإيجاد طرق مناسبة لتوفير المياه لاستخدامها في الحياة اليومية والزراعية.

٥- الغطاء النباتي:

يمثل الغطاء النباتي مادة مهمة في تشييد المنازل والمساجد والحصون، ولذا فإن ذكر هذه النباتات بشيء من الإيجاز يعد أمراً ضرورياً في مثل هذه الدراسة. ومن أهم هذه النباتات ما يلي :-

أ- السدر: وينتشر في منطقة الدراسة بشكل كبير، وتدخل أخشابه في بناء المنشآت المعمارية، ولا يكاد يخلو منزل أو مسجد أو حصن من وجود أخشاب السدر في البناء. ويتغذى الإنسان على ثماره (النبق)، وأوراقه تتغذى عليها الجمال، وتعد أزهاره غذاء للنحل، ويعتبر عسل السدر من أجود أنواع العسل.

ب- العرعر: وهو من الأشجار المهمة في عمل الأسقف، وكانت أغلب هذه الأشجار متوافرة في المنطقة ولا حاجة إلى استيرادها من خارج المنطقة.

ج- الشجيرات: هي شجيرات الشِيحّ والطُبَاَق والعَرَفَج والضُرُم والسَعُور، وكلها شجيرات ذات أغصان وبعضها ورقة مستطيل كورق الملوخية، تستخدم في تغطية السقوف لحمايتها من تسرب مياه الأمطار، وتوضع فوق الأخشاب العلوية، كما أن لها رائحة زكية وتستخدم في تزيين المنازل وتنظيفها.

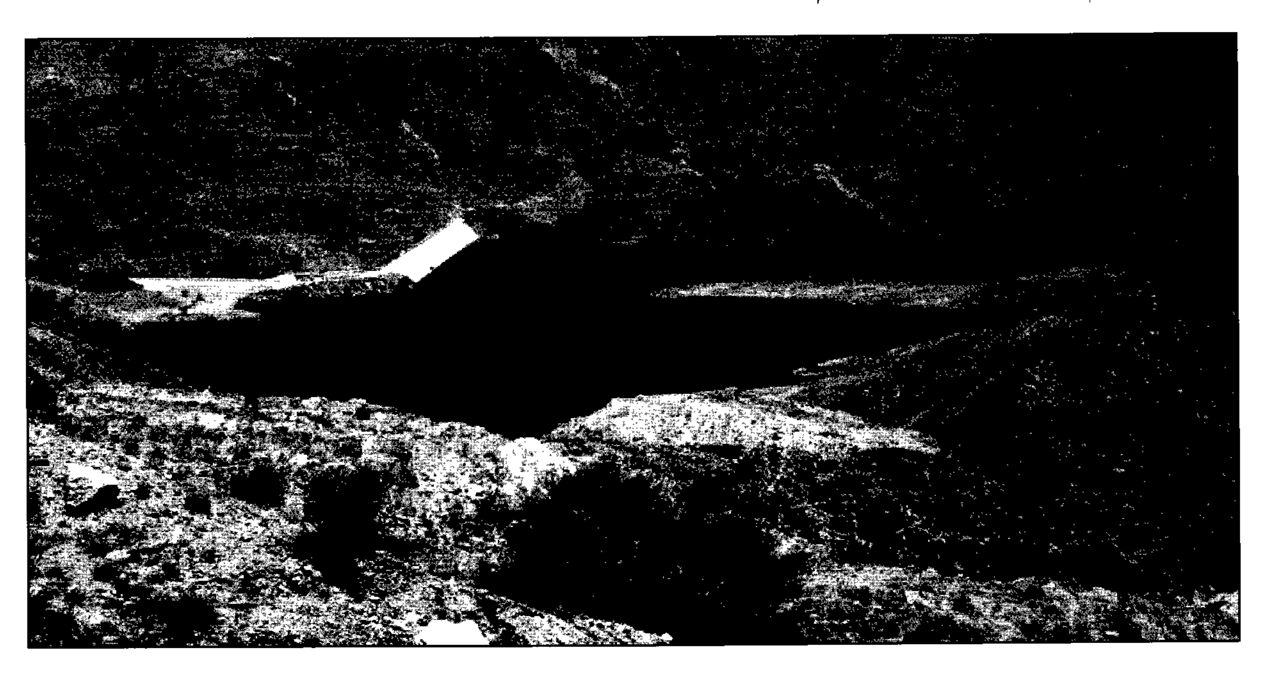
٦- مصادر المياه:

تشكل المصادر المائية في منطقة الدراسة مصدراً أساسياً للحياة في الشرب و مزاولة الأعمال اليومية من زراعية وغيرها. وتعتبر مياه الأمطار من أهم المصادر المائية على رغم قلة الأمطار التي تسقط عليها، وتتصف بالتذبذب وعدم انتظام. ويتفاوت سقوطها خلال السنوات، وأحياناً تسقط

---

(١) الشريف، ص ٤٥٥.

الأمطار بكميات تسبب حدوث الفيضانات، كما حدث في عام ١٤٠٢هـ حيث أدى سقوط الأمطار بكثافة إلى قطع الطرق الرئيسة، ومن ضمنها طريق وادي بيدة، وتهدم بعض المنازل وجرف المزارع. وتهطل الأمطار في فصلين ممطرين، المطر القاري في الشتاء، والمطر الموسمي في الصيف. وقد بلغ المعدل السنوي للأمطار المسجلة في منطقة الباحة بما في ذلك منطقة الدراسة خلال عشر سنوات ٢٤٤ملم. أما في فصل الربيع فيتركز سقوط الأمطار بصفة خاصة على الجزء الجبلي. وقد بلغ متوسطها قرابة ٥٤٧ملم [١]. وحفاظاً على كمية الأمطار التي تسقط على المنطقة للاستفادة منها في الأعمال الزراعية فقد أقامت وزارة الزراعة والمياه سداً في جنوب الوادي، تبلغ سعته التخزينية ١,٠٠٠,٥٠٠,٩٠٩م٣ تقريبا[٢]، (لوحة رقم ٥).



لوحة رقم (٥) سد وادي بيدة

(١) الأحيدب، توزيع الأمطار في المملكة العربية السعودية. معهد البحوث والدراسات العربية، سلسلة الدراسات الخاصة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ص ٧١.

(٢) السلوك، ص١٠١.

أما المصدر الثاني من مصادر المياه فهو الآبار. وتشير الدراسات المتخصصة أن منطقة الدراسة تشكو من قلة المياه الجوفية، وهي مياه موسمية بمعنى أنها تتوافر بعد سقوط الأمطار على أعماق ضحلة في الطبقات الرسوبية، وهي طبقات غير سميكة. ويقوم السكان بحفر آبار قد يصل عمق بعضها إلى ٤٠م، وتتوافر المياه في هذه الآبار بعد سقوط الأمطار الغزيرة وتقل عندما تقل كميات الأمطار، بل إن بعض الآبار يتعرض للجفاف عند تأخر سقوط الأمطار. وخلال المسح الميداني الذي قمنا به في منطقة الدراسة تبين كثرة الآبار المطمورة، وفي المقابل أعيد حفر بعض تلك الآبار في الوقت الحاضر لاستخدامها في الحياة اليومية والأعمال الزراعية.

٧- السكان:

بلغ عدد سكان وادي بيدة حين إجراء التعداد السكاني ٧٣١٩ نسمة[1]. وهم من قبائل غامد وزهران. ويستقر في الجزء الجنوبي منه قبيلة بني بشير من زهران، ويسكنون سبع قرى هي: قرية آل دغمان، وقرية اللغاميس، وقرية الجدلان، وقرية الحازم الأعلى، وقرية الحضيري، وقرية العقاربة، وقرية الرقبان، وقرية الراس. وفي الجزء الشمالي منه قرية الغتامية ثم قرية معشوقة وسكانهما من قبيلة الزُهران من غامد البادية، (شكل رقم ٣).

٨- النشاط الزراعي:

أدى ارتفاع مواقع تغذية الوادي بالمياه وهبوط مجراه في بعض الأجزاء إلى تجمع كميات كبيرة من المياه على شكل فيضانات[2]. وقد استطاعت المياه مع الزمن ترسيب مصاطب طموية

(١) إحصائيات مصلحة الإحصاءات العامة لعام ١٤٢٥هـ وزارة الاقتصاد والتخطيط .

(٢) تعرضت بعض المنازل والمزارع في الوادي إلى التدمير بفعل السيول وقد تلاشت هذه المخاطر بعد إقامة سد وادي بيدة، وذلك عند حدوث سيل خميسان الذي لازال معروفاً عند كبار السن لحدوثه يوم الخميس، وذلك في حدود سنة ١٣٢٢هـ، وقد استمر هذا السيل من بعد العشاء إلى وقت شروق الشمس في اليوم التالي. و أهلك المزارع والمنازل وتسبب في خروج بعض سكان الوادي، (استقيت هذه المعلومات من بعض سكان المنطقة في أثناء الزيارة الميدانية خلال الفترة من ٦/١٢ إلى٢٢/٧/١٤٢٢هـ).

بسمك كبير في مجراه الأوسط، وأدت هذه الطبقة الرسوبية مع الطبقة الشستية المفككة إلى وجود غشاء مائي جيد، بحيث يبتعد مستوى الماء عن سطح الأرض حوالي ١٠م، حسبما أظهرته عمليات حفر الآبار في الوادي[١].

وقد أدرك سكان الوادي - منذ وقت مبكر- طريقة تمكنهم من التخلص من شدة الانحدار في الجبال، فقاموا بإنشاء المدرجات الزراعية التي توجد في مختلف المناطق بصفة عامة، وفي منطقة الدراسة بصفة خاصة. وهي تسهم في تقليل الانحدار وتحويله إلى مدرجات يقل فيها أثر السيول، وهكذا يمكن حفظ التربة والرطوبة وزيادة مساحة المزرعة عن طريق إقامة تلك المدرجات[٢]. وقد ساعدت تلك المدرجات على توفير المياه، والاحتفاظ بالماء أطول فترة ممكنة، فضلاً عن الحفاظ على الرقعة الزراعية.

لقد اغتنى مجرى الوادي بالأشجار مثل السدر والأثل والتين، وزرعت المصاطب المرتفعة عن مجرى الوادي بالقمح والشعير والذرة وبعض الخضروات، بالإضافة إلى بعض الفواكه كالخوخ والعنب والرمان الذي اكتسب شهرة واسعة على مستوى المنطقة وخارجها، وقد اعتمدت هذه الزراعة على مياه الآبار. كما شكلت تلك المناطق الخصبة مصدراً مهماً لتصدير المنتجات الزراعية إلى الأسواق المجاورة، على نطاق المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي.

ولما كانت تلك المنطقة المحصورة بين الكتل الجبلية أكثر أجزاء منطقة الباحة خصوبة فقد استصلحت المزارع التي احتاجت إلى أيد عاملة وإلى استقرار دائم، ولهذا نشأت القرى قرب مصادر المياه والأراضي الزراعية، وهو الأمر الذي دفع إلى الاستقرار على ضفاف وادي بيدة وبناء تلك المنازل والحصون على أماكن مرتفعة نسبياً عن مجرى الوادي لتوفر موقعاً مناسباً لمراقبة المنطقة والدفاع عنها في أثناء الحروب والغارات.

---

(١) الشريف، ص٤٥٧.

(٢) الشمراني، صالح. أشكال المدرجات. مكة المكرمة: معهد إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٢.

٩- النشاط الاقتصادي:

لقد اعتمد النشاط الاقتصادي في منطقة الدراسة على عدة ركائز تأتي في مقدمتها المنتجات الزراعية التي سبق الحديث عنها، ثم تربية الحيوانات كالإبل والأغنام والأبقار والماعز. فقد كانت تلك الحيوانات تمد أصحابها بمنتجاتها من الألبان والأصواف، كما أن وجود المزارع في المنطقة ساعد على الاهتمام بالماشية والمتاجرة بها. ثم تأتي حياكة الملبوسات، فقد كان النساء يصنعن الفرش من الصوف الخالص الملون، وحتى وقت قريب كانت تُصنع فيه أجود أنواع العِبي وتسمى العبي (البيدية) نسبة إلى وادي بيدة. وهو لباس ثقيل يُعمل على حجمين: حجم للرجال وآخر للنساء، ويتكون هذا اللباس من قطعتين تعملهما النساء كل قطعة على حدة، ثم ترسل هاتان القطعتان إلى أناس متخصصين في المنطقة لخياطتهما معاً بخيوط صوفية ملونة مقابل مبالغ معينة. وهناك منسوجات أخرى مصنوعة من شعر الماعز، فسكان البادية بحاجة إلى مثل هذه الأغطية لتقيهم البرد، وكذلك لصناعة بيوت الشعر، وكانت منطقة السراة عامة ومنطقة الدراسة خاصة تمثل مركز تجارة رابحة لشعر الماعز. ومن المنتجات المحلية الأخرى صناعة الأدوات الزراعية التي يحتاج إليها أصحاب المزارع كأدوات الحراثة والسقاية والحصاد[١].

وبطبيعة الحال، دعت الحاجة إلى تسويق تلك المنتجات الزراعية والصناعية للمناطق المجاورة، ولذلك انتشرت الأسواق التجارية الأسبوعية في وادي بيدة مثل: سوق الأبطح ويقع في قرية الجدلان، وسوق شنقل ويقع بين قرية الغتامية ومعشوقة، وسوق معشوقة ويقع وسط قرية معشوقة على بعد ٢٥ كلم من قرية الغتامية[٢]. وكانت تلك الأسواق تشكل أهمية اقتصادية في المنطقة قديماً، نظراً لأنها كانت المراكز الأساسية التي تقصدها قرى المنطقة والقبائل المجاورة[٣]،

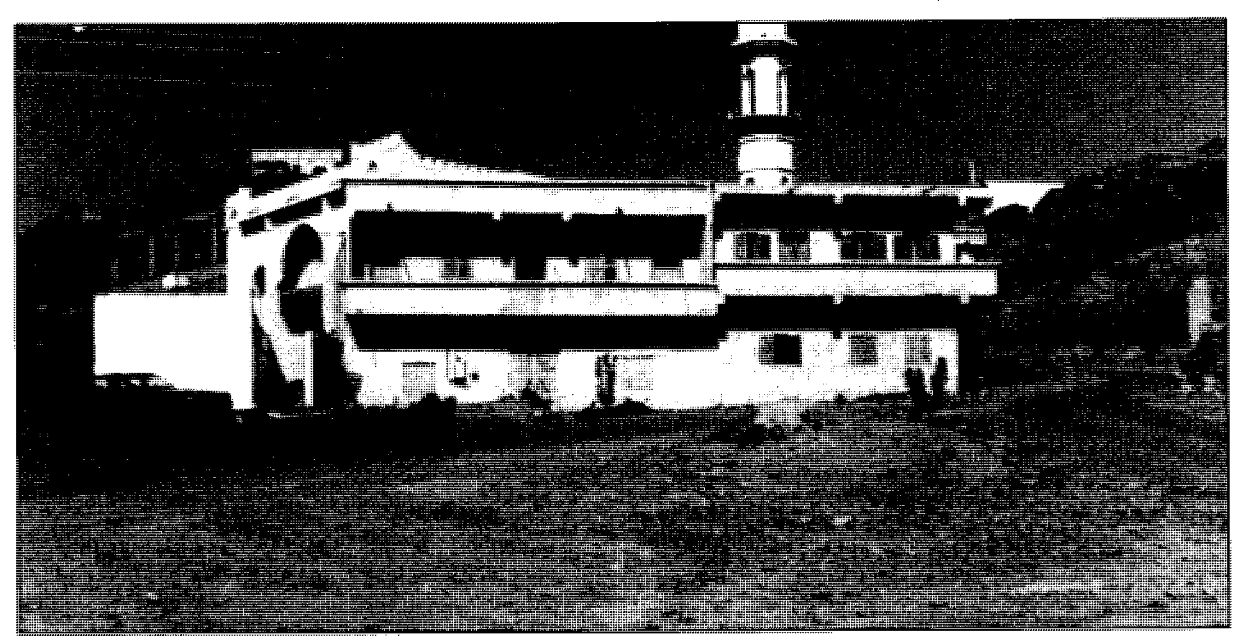
---

(١) وفقاً للمقابلة الشخصية مع الشيخ مسفر الزهراني من قرية اللغاميس خلال الزيارة الميدانية المشار إليها سابقاً.

(٢) وهذا السوق حديث النشأة مقارنة بالسوقين السابقين اللذين اندثرا، وهو سوق خاص ببيع الأغنام.

(٣) عن هذه الأسواق انظر: الزهراني، عبد الله سالم. أسواق الباحة دراسة جغرافية، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

شكل رقم ٤ لوحة رقم ٦، ٧).



لوحة رقم (٦) مقر سوق الأبطح في قرية الجدلان سابقاً

وأمام هذا النشاط السكاني تطورت طرق القوافل ونمت وازدهرت فنشأ طريق القوافل الذي اعتبر جزءاً من الطريق الرئيس الذي يربط الطائف بالأجزاء الجنوبية من المملكة، إذ كانت بلاد غامد وزهران من المناطق التي لايمكن الوصول إليها بالسيارة بسهولة، إلا بعد أن قام أحد أبناء المنطقة بفتح طريق للسيارات من الطائف إلى وادي بيدة، وقد كان صعب المسلك في بداية الأمر، ينتهي عند سوق الأبطح في وادي بيدة، ويتم عنده استقبال وتوديع المسافرين، كما يتم فيه تبادل السلع التجارية القادمة من المناطق المجاورة، وكذلك للوصول إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والعمرة. وقد زيد في هذا الطريق واستصلح لكي يخدم بقية قرى المنطقة ذلك الحين، حين قام بنو عامر من زهران بفتح الطريق من بيدة إلى جبل العرق[١] ثم إلى الظفير[٢]، وقام بنو عدوان وبنو حُرير

---

(١) جبل يقع شمال شرق بني سار، ويعتبر هذا الجبل من سلسلة جبال عيسان لوقوعه في بدايته من جهة الجنوب، فتح هذا الطريق في العام ١٣٧٠هـ. السلوك، ص ٣٠٦.

(٢) الظفير: بلدة كبيرة لقبيلة بني عبدالله بسراة غامد تقع جنوب شرق الباحة، السلوك، ص ٢٩٤.

شمال بلاد زهران بفتح الطريق إلى شُمرخ ثم إلى الطائف.

ولم يغفل سكان وادي بيدة الأوائل الأهمية الاقتصادية للمعادن، فوصلوا إلى مناطق التعدين القديمة واستخرجوا منها المعادن الثمينة، خاصة الجهة الشمالية من وادي بيدة تجاه وادي معشوقة حيث عروق التعدين القديمة[1]، وبعض الأحجار التي تدخل في الحياة الحديثة مثل أحجار الرخام والبلاط. وقد كشفت الدراسات الحديثة أن وادي بيدة من المناطق التي تحتوي على الفلزات غير الحديدية كالنحاس، كما تحتوي على عدد كبير من مواقع التمعدن البركاني الأصل والنشأة في صخور بركانية وبركانية فتاتية متحولة ومهشمة ومطوية. وأهم مواقع وادي بيدة المتمعدنة هي ريذان الشمال وريذان الجنوب وشعب الطير وقهاب وليف والملحة والمهيد وملقطة، بالإضافة إلى المحاوية وأم الحبنث والمنضحة وجبل الأزهر وجبل مريع وخيال المصنعة والصفر. وجميع هذه المواقع مناجم قديمة استغلت في زمن الدولة الأموية والعباسية لاستخراج النحاس والفضة، ولاتزال آثار الأشغال القديمة والنفايات والخبث وبقايا التعدين باقية في محيط هذه المناجم[2].

إلى جانب ذلك أسهمت المناطق الجبلية بتوفير مواد البناء من الأحجار لأن المنطقة تسودها بقعة مكسوة بالحجارة المائلة إلى اللون الأخضر ولاسيما في الأجزاء الشمالية منها. كما تتوافر في المنطقة الأخشاب وتكثر أشجار السدر والأثل في بطن الوادي، واستخدمت لتسقيف المباني و صناعة الأبواب والنوافذ. وهذا مكّن من وجود المواد الخام المستخدمة في البناء، هذا فضلاً عن وجود بنائين ونجارين مهرة، وحرفيين آخرين في منطقة الدراسة بفعل توافر الإمكانيات اللازمة في البناء.

---

(١) الجاسر، المرجع السابق ، ص٣٦٧.

(٢) للزيادة في هذا الموضوع انظر: الشنطي، أحمد محمود. بحث " الثروة المعدنية والتعدين"، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. ط١؛ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م، مج٣، ق٢، ص٤٦٩.

ثانياً : الخلفية التاريخية

ليس من اليسير دراسة تاريخ وادي بيدة (أبيدة) – موضوع الدراسة - منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصور الإسلامية إلى العصر الحالي بمعزل عن منطقة الباحة وبقية المناطق المرتبطة بها جغرافياً. ولا شك أن النظام المعيشي وما تمليه الظروف البيئية من ضرورة التجوال المتواصل للإنسان قد جعلت مناطق تنقله أوسع وغاية نجعاته أبعد، حتى أدى ذلك إلى الاغتراب عن الموطن الأصلي.

إن انتشارالآثار في منطقة الدراسة باختلافها لدليل واضح على أنها كانت تؤدي دوراً أساسياً خلال العصور المختلفة، لاسيما أن المنطقة تشكل معبراً طبيعياً لتحركات نشيطة لأولئك الباحثين عن المعيشة أو التجارة أو لقاصدي الحج. لذلك لابد لنا من دراسة الخلفية التاريخية لوادي بيدة من خلال الخلفية التاريخية لمنطقة الباحة، وذلك لكونها ضمن النطاق المرتبط بها جغرافياً، ولكون أبنائها من أصول القبائل التي سكنت سراة غامد وزهران.

لقد أثبتت المصادر التاريخية أن قبيلتي غامد وزهران[1] من أقسام أزد شنوءة القحطانية سكنتا السراة التي عرفت بسراة غامد وزهران منذ العصور التي سبقت الإسلام، وذلك على إثر هجرة الأزد من اليمن بعد تصدع وخراب سد مأرب، وتفرقهم في أجزاء من السراة وعمان ويثرب[2] .

إن الناظر إلى تاريخ غامد وزهران في المصادر التاريخية لا يجد ذكراً لهما أكثر مما تذكر قبيلة دوس، مع أنها فرع من زهران، فقد طغت شهرتها على القبيلتين. ولعل ذلك يعود إلى عدة

(١) غامد وزهران قبيلتان تسكنان حالياً منطقة الباحة، وقد ظل المؤرخون والباحثون الذين اهتموا بتاريخ هذا الجزء من الجزيرة العربية وتتبع أحداثه يعرفونه ببلاد غامد وزهران، وفي أحيان كثيرة أطلق عليها بلاد دوس لشهرتها وقوتها، ولم تعرف هذه البلاد "منطقة الباحة" بهذا الاسم إلا في عصرنا الحاضر.

(٢) ابن هشام، أبومحمد بن عبد الملك. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٤؛ بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٤. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر. تاريخ اليعقوبي. ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٧٤.

أسباب من أهمها: أنهم انتشروا في الجزيرة العربية شرقها وشمالها وأسسوا إمارتين منذ العصر الجاهلي، إحداهما في عمان حيث كوّنوا لهم إمارة عربية قبل الإسلام، ومنهم من عبر البحر إلى بلاد فارس وهم قسم من قبيلة سليمة من دوس. والأخرى استوطنت الحيرة وضواحيها وكوّنوا لهم إمارة هناك[1]. أما من بقي من دوس فقد سيطروا على جبال السراة الغربية التي كانت قبل الإسلام وبعده منطقة عبور للقوافل التجارية المتجهة إلى اليمن، كما أن القبيلة التي تشتهر بذلك تنسب إليها الفروع الأخرى تعظيماً لشأنها[2]. ونتيجة لذلك استقرت خارج السراة فروع من قبيلتي غامد وزهران، كما انتشرت فروع أخرى من القبيلتين في السراة.

أما من حيث النسب فكلاهما (غامد وزهران) من أبناء كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وزهران بن كعب هو في الأصل عم غامد بن عبدالله بن كعب[3].

العصر الجاهلي

لقد سجلت بلاد غامد وزهران حضوراً مستمراً وسط الأحداث التاريخية على مرّ العصور، ففي العصر الجاهلي كانت تعيش وسط ظلام الوثنية الدامس كعادة عرب الجزيرة قبل الإسلام وما كان سائداً في تلك المناطق من عبادة للأصنام والأوثان. فقد كان في بلادهم، خاصة دوساً،

---

(١) الجاسر، ص ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٦٦.

(٣) ابن حزم، أبو محمد بن أحمد. جمهرة أنساب العرب. ط٤؛ القاهرة: دار المعارف. ص٣٧٧. القلقشندي، أبو العباس علي بن أحمد. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص٣٨٧. وانظر: البغدادي، أبو الفوز محمد أمين. سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. ط٦؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.ص٣٣٥.

بيت ذي الخلصة[١] وصنم ذي الكفين[٢] وصنم ذي الشرى[٣]. وكانت تدور فيها الحروب التي كانت منتشرة في ذلك العصر. وقد شملت منطقة الدراسة هذه الأحداث الساخنة لقربها من المنطقة، واستقرار العديد من القبائل فيها استناداً إلى المصادر التاريخية التي تذكر ذلك[٤].

إذ أن وادي بيدة كان من منازل بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران من أزد السراة[٥]، وكما هو معروف فإن قبيلة سلامان هي القبيلة الوحيدة التي سكنت الوادي في العصر الجاهلي[٦]. وهذه القبيلة كان لها احتكاك مع القبائل المجاورة في المنطقة. إضافة إلى ذلك، كان وادي بيدة من المناطق التي وجد فيها صعاليك العرب[٧] لذة العيش كالشنفرى وحاجز الأزدي وغيرهما. فقد كانوا ينتشرون بالقرب من الطائف ويثرب وأطراف اليمن وحول جبال السراة. ولعل منطقة الدراسة كانت بؤرة أساسية لانطلاق هجماتهم وغاراتهم لكثرة جبالها ووعورة الطرق والمسالك فيها والتي تتناسب مع تطلعاتهم وخططهم.

---

(١) الحموي، ج٢، ص٣٨٣.

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٤٧١.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٣٣٠.

(٤) البكري، ج١، ص١٠٣ .

(٥) المرجع السابق، ج١، ص١٠٣.

(٦) ابن حزم، ص٣٨٦.

(٧) الصعلوك في اللغة: الفقير الذي لا يملك ما يعينه على الحياة. والصعاليك يصنفون إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى: من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم مثل حاجز الأزدي، وقيس بن الحدايدة، وأبى الصمحان والعنبسي. والمجموعة الثانية من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك، وتأبط شراً، والشنفرى، وكانوا يشتركون في سوادهم فسموهم وأضرابهم باسم أغربة العرب. أما المجموعة الثالثة فلم تكن أفرادها من الخلعاء ولا أبناء الإماء الحبشيات غير أنها احترفت الصعلكة احترافاً، وحينئذ قد تكون أفراداً مثل عروة بن الورد والعنبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلة هذيل وفهم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف. شوقي. ضيف، العصر الجاهلي. ط؛٩، دار المعارف، ص٣٧٥.

وقد ارتبطت حياة ومغامرات الشنفرى أو الشنفرة [1] بوادي بيدة بصفة خاصة. ولعل من المناسب أن نورد لمحات مختصرة من تاريخ حياته ومغامراته مما له علاقة بمنطقة الدارسة، وكذلك لارتباطه بقبيلة سلامان التي نشأ بها.

تكاد تتفق الروايات على أن الشنفرى قحطاني النسب، واسمه: عمر بن مالك الأزدي[2]، وفي بعض المصادر: ثابت بن أوس الأزدي، وفي رواية أخرى أن هذا اسمه لا لقبه. وقد اضطربت المصادر في وضع اسمه الحقيقي الذي كان أبوه قد تخيره له وجعله له علماً يعرف به بين الناس[3].

وهناك روايات متعددة عن حياته نورد منها: أن الشنفرى أسرته بنوشبابة ابن فهم، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج رجلاً من بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى. ونشأ الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولداً فقال لها الشنفرى اغسلي رأسي يا أخيه، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته فذهب غاضباً، حتى أتى الذي اشتراه من فَهْمٍ فقال له: اصدقْني ممن أنا؟ قال أنت من الأواس بن الحجر، فقال أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني. ثم لزم دار فهم وكان يغير على بني سلامان على رجليه وفي أحيان أخرى يغير معه جماعة أخرى[4]، وقال الشنفرى في ذلك:

وإني لأهوى أن ألف عجاجتي	**على ذي كساء من سلامان أو بُرد**
وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم	**وأسلك خلا بين أرباع والسرد**[5]

---

(١) الشنفرة نشاط الناقة وجدته، كالشنفارة بالكسر، الرجل السيئ الخلق، والشنفرى الأزدي، شاعر عداء، ومنه: أعدى من الشنفرى. الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط٣؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٥٣٩.

(٢) الزركلي، ص١٧٧.

(٣) الهاشمي، السيد احمد. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. ط٢٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ،ج٣. ص٢٧٩.

(٤) الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني. ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج٢١، ص١٨٥.

(٥) العجاجة: الغبار الذي تثيره الحرب. ألف عجاجتي: أي أغير على عدوي. العضداء وأرباع والسرد: أسماء أمكنة. سراة القوم: أي أشرافهم وسراة كل شيء أعلاه. الأصفهاني، الأغاني، ص ١٨٦.

أما عن وفاته فيرد في كتب الأدب والتاريخ روايات تفيد أن وفاة الشنفرى كانت قتلاً، ومن ذلك أنه قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم، وأرسلوا له كلباً يقال له (حبيش) لكنهم لم يصنعوا له شيئاً، ومر وهو هارب قرب قرية يقال لها دحيس[1] برجلين من بني سلامان فأرادهما إلا أنه خشي الطلب فقال:

قتيلي فجارٍ أنتما إن قتلتما	بجوف دحيس أو تبالة يا اسمعا[2]

ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلامي بالناصف[3] من أبيدة مع رجال له، فأسروه وأدوه إلى أهلهم فقالوا له: أنشدْنا فقال: إنما النشيد على المسَرّة فذهب مثلاً، ثم ضربوا يده فتبعصرت (اضطربت)، فقال الشنفرى في ذلك شعراً. ثم قال له السلامي: أأطرفك؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى: كنا نفعل. وكان الشنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال: أأطرفك؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قبره أين نقبرك فقال:

فلا تقبروني إن قبري محرّم	عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري	وغودر عند الملتقى ثَم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني	سمير الليالي مبسلاً بالجرائر[4]

---

(١) ورد اسم هذا الموضع فيما ذكر صاحب الأغاني عن خبر قتل الشنفرى. ودحيس: وادٍ لا يزال معروفاً بقرب محافظة القرى في بلاد زهران وقال عنه السلوك، دحيس: واد زراعي يبدأ من أعلى القوارير بسراة زهران من الجنوب وينتهي في وادي تربة في الشمال وفيه مياه جارية كظائم. السلوك، ص٢٢٢.

(٢) أي ياهذان(الرجلان) اسمعا. الأصفهاني، ص١٨٦.

(٣) يقول البكري: الناصف بكسر الصاد بعدها فاء: موضع في ديار بني سلامان بن الأزد، ومن أودية أبيدة. انظر: البكري، ج٤، ص٢٨٧. وهذا الموضع يقع أسفل وادي بيدة إلى الشمال من قرية الغتامية، إحدى قرى قبيلة الزهران من غامد.

(٤) أم عامر: كنية الضبع. سائري: ما تبقى منه. سمير الليالي: طول الليالي. مبسلاُ: مرهوناً. الجرائر: جمع جريرة وهو الذنب، أي مرهوناً بذنوبي وجرائمي. الأصفهاني، ص١٨٨.

وقد عُرِف الشنفرى بالصبر عند البأس وشدة المراس والمضاء وسرعة العَدْو، ويضرب به المثل في العَدْو فيقال(أعدى من الشنفرى)، وكان يحسن ركوب الخيل والإغارة عليها، ويقال إن للشنفري فرساً يسمى(الجموم)[1]. وهو صاحب القصيدة المشهورة بلامية العرب، والتي اهتم أهل اللغة بشرحها وبسط القول فيها لما تحويه من معان سامية وما تمثله من نبل الأخلاق وعزة النفس العربية.

وفي وادي بيدة أيضاً دارت حروب بين قبيلة بني سلامان وقبيلة خثعم، ولعل من المناسب أيضاً تناول هذه الأحداث لما لها من علاقة وثيقة بالوادي. فيرد عند الأصفهاني أن حاجز بن عوف بن الحارث بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران كان أحد صعاليك العرب وكان من المشهورين بسرعة العدو، وقد كان يغيرعلى قبيلة خثعم[2]. وكانت قبيلة سلامان تأخذ ديتين في المقتول منهم ويعطون دية واحدة إذا قتلوا أحداً من غيرهم. وقد كثرت غارات حاجز على خثعم فمرة يغزوهم بنفسه ومرة يدل عليهم غيره لغزوهم[3]. ونتيجة لغزواته تلك وتحريض القبائل المجاورة على خثعم، أغارت خثعم على بني سلامان، فقد أورد صاحب الأغاني قال أبو عمرو" أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذه فصاح حاجز يا آل الأزد، فندم عمرو وقال: خرجت غازياً ففجعت أهلي وانصرف .. "[4]

(١) شوقي، ص٣٧٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٢٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٧. وعمرو بن معد يكرب هو: عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة تسع للهجرة فأسلم، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد في اليمن

وهكذا بقيت بينهم حروب وغارات لا تهدأ حتى جاء الإسلام فقضى عليها جميعاً وألف بين قلوبهم وجعلهم إخواناً .

وقد أوردنا هذا الإيجاز البسيط لما له علاقة وثيقة ببعض المواقع الأثرية بمنطقة الدراسة، كالناصف مثلاً الذي يقع بين قرية الغتامية وقرية معشوقة حالياً، ووادي دحيس الذي يعد من روافد وادي بيدة وفيه مزارع وحقول، وتربطهم بوادي بيدة صلة رحم وقرابة إلى الوقت الحاضر، وكذلك لما لها من ارتباط وثيق بوجود قبائل في وادي بيدة قبل الإسلام وهي قبيلة سلامان وخثعم وانتشارها بهذا المكان، هذا فضلاً أن الوادي كان بيئة مناسبة لنشاط صعاليك العرب.

العصر الإسلامي

عندما بعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافةً، وبدأت الدعوة الجهرية في مكة، وقامت دولة الإسلام في المدينة المنورة، دخلت دوس وغيرها من القبائل الإسلام فنالوا مكانةً سامية في صدر الإسلام، وهذا ما زاد في منزلة القبيلة، وتبعتها قبائل غامد بالدخول في هذا الدين الجديد، وتوافدت من المنطقة وفود إلى مكة والمدينة -فيما بعد- وتوالت الارتباطات بين المنطقة وأحداث العهد الإسلامي على مستوى الجزيرة العربية وخارجها.

وقد بدأت تلك الوفود بإسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أمير قبيلة دوس. إذ يذكر ابن سعد في طبقاته: "أنه حينما قدم إلى مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها اعترضه رجال من قريش فقالوا له: ياطفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل(أي الرسول) الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وسرى قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأخيه وبين الرجل وأبيه، وإننا نخشى

ثم رجع إلى الإسلام، بعثه أبو بكر إلى الشام وشهد اليرموك وذهبت إحدى عينيه، وبعثه أبو بكر إلى العراق فشهد القادسية. توفي سنة ٢١هـ. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٦ .

عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً. فقال الطفيل: فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي: واثكل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف الرسول إلى بيته فاتبعته ودخلت عليه وأخبرته بأمر قومه ،فعرض عليّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت: يا نبي الله ، إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم. فقال الرسول: "اللهم اجعل له آية". فنزل قومه ودعا كلاً من أبيه وزوجه إلى الإسلام فأسلما ، وعرضه على قومه فأبطأوا عليه فرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بأمر قومه فقال الرسول" اللهم أهد دوساً" فرجع الطفيل إلى قومه ودعاهم مرة أخرى إلى الإسلام فأسلموا"[١] .

أما قبيلة غامد فقد وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفادتين ، الوفادة الأولى بمكة ، فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي ظبيان الأزدي من غامد يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام فأجابه في نفر من قومه بمكة منهم مخنف وعبدالله وزهير بنو سليم وعبد شمس بن عفيف بن زهير ، وهؤلاء بمكة[٢] . أما الوفادة الثانية فكانت بالمدينة المنورة ، حين قدم وفد غامد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة عشر وهم عشرة ، فنزلوا ببقيع الغرقد ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ثم انطلقوا إلى رسول الله فسلموا عليه وأقروه بالإسلام ، وكتب لهم رسول الله

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ص٢٨٠.

(٢) ابن هشام ، ج١ ، ص٤٢٠.

صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه شرائع الإسلام ثم أجازهم كما يجيز الوفد ثم انصرفوا[(١)].

ولعل من أعظم المواجهات وأقواها ماحدث بعد انتشار الإسلام في القرن الأول الهجري، فقد تفرقت القبائل العربية في مختلف الأقطار التي فتحها المسلمون، وكان لهم أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وكانت لهم مواقف في الحوادث الدامية المحزنة عند استعار نار العصبية في خراسان. وقد انتشرت فروع من دوس في العراق وخاصة البصرة والموصل. أما في مصر فقد كانت دوس من القبائل التي صحبت عمرو بن العاص في فتح البلاد هناك.[(٢)]

وقد برز من القبيلتين مشاهير من الصحابة والتابعين سُطرَت أسماؤهم في كتب المحدثين والمؤرخين. مع العلم أن هناك الكثير من الأحداث التي تزخر بها المصادر التاريخية ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها. ومن المؤكد أن منطقة الدراسة قد شملت أولئك السابقين إلى الإسلام الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية لأن المنطقة تقع بالقرب من طريق التجارة القادم من اليمن إلى مكة المكرمة وإلى أنحاء من الجزيرة العربية وإلى خارجها[(٣)].

وعند انتقال مركز الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ٣٥ هـ، ثم إلى دمشق في عهد الدولة الأموية ٤١ هـ، ثم إلى بغداد في عهد الدولة العباسية ١٣٢ هـ، ثم القاهرة في عهد دولة المماليك ٦٤٨ هـ، وأخيراً إلى إسطنبول في عهد الدولة العثمانية ٧٠٠ هـ، فقدت بعض أجزاء الجزيرة العربية سيطرتها وأهميتها السياسية، واقتصر الاهتمام على الحجاز حيث الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد أدى ذلك إلى صمت طويل عن أخبار المنطقة سوى نزر يسير من

---

(١) ابن سعد، ج١، ص٣٤٥.

(٢) الجاسر، ص٢٦٤ .

(٣) عن أبرز مشاهير القبلتين أنظر: ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتب العالمية، مج٤، ج ٧، ص١٩٩. ج٤، ص٢٨٤. ج٢، ص٢٦٠. ج٢، ص٢٦٢. الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٣٨٣. ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٥٤، وانظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢١٤، ج٧، ص١٩٤.

الأخبار، خصوصاً في العصرين الأموي والعباسي، ولعل سبب ذلك يعود إلى كثرة الأحداث التاريخية في البلاد الإسلامية خلال تلك الحقبة الزمنية، فصرف النظر عن الكتابة عن هذه المنطقة، فضلاً عن أنه لم يبرز مؤرخون من أبناء المنطقة في تلك الفترة. وهذا ليس منحصراً على قبائل غامد وزهران فحسب بل بعض قبائل الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية.

وقد كانت كتب الرحالة خير معين في الاطلاع على أحوال المنطقة في العصور الإسلامية المبكرة وما بعدها بالرغم من محدودية تلك المعلومات. فقد وصف بعضهم منازلهم وقصورهم وتبعيتهم السياسية فضلاً عن جودهم وكرمهم وحالتهم الدينية.

فقد أثنى ابن جبير في رحلته على أهل السراة – والتي تعد منطقة الدراسة ضمن نطاقها الجغرافي- وزراعتهم وقراهم وما كانوا يقدمونه لأهل مكة من ميرة وهدايا، وما اتصفوا به من صفات جعلت ابن حبير من المعجبين بهم فيقول: "يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبيا إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة"[1]. ويذكر ابن جبير أيضاً أنه لولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش، ويقول كذلك: "ومن العجيب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكر بدينار ولا درهم إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل"[2]. وقد وصف طريقة صلواتهم وعبادتهم وأنهم أهل دعاء، وذكر أن عبدالله بن عمر كان يحترم وقت طوافهم ويتحرى الدخول في جماعتهم تبركاً بأدعيتهم، وقد وصف ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء. ويقول ابن جبير أيضاً: "والقوم عرب صرحاء فصحاء جفاة أصحاء، لم تغرهم الرقة الحضرية، ولا هذبتهم السير المدنية، ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات

---

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد. رحلة ابن جبير. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص١١١.

سوى صدق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة.."[1] إضافة الى ما ذكر من بأسهم وشدتهم، فقد كانت تهابهم القبائل التي كانت تقطع طريق القوافل، وقد تستنجد بهم القبائل الأخرى. وذكر فصاحتهم ومعرفتهم بعلوم اللغة والفراسة.

وقد سجل ابن المجاور وهو من الذين عاشوا في القرن السابع الهجري أروع ما سجل في حياتهم، فجمع بين وصف أهل السراة في مكة ثم وصف ديارهم عندما زارها بنفسه، ولذلك يقول: "يقول أهل مكة عنهم (أهل السراة) إن حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمّنا نكسب منه القوت"[2]. ويذكر أنه قد بُني في كل قرية قصر من حجر وجص، وكل واحد من القرية له مخزن في القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه، ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه أحد ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم، ويحكم فيهم وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجاً ولا يسلمون قطيعة، وكل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على بعض"[3].

لقد وصف ابن المجاور في رحلته مناطق السراة وبيوتهم وحصونهم، على قدر كاف من الثقة بهم وحاجة بعضهم إلى الآخر. كذلك يأتي وصفه شاهداً على أنهم لم يتبعوا لسلطة معينة، بل كانت خاصة لزعماء القبيلة التي لها القوة والسيادة، وهنا إشارة إلى معرفة أهل المنطقة بفنون العمارة والبناء وسعة الذهن في تصريف أمورهم. وليس هذا الوصف بعيداً عن التكوين المعماري

---

(١) المرجع السابق، ص١١١.

(٢) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح بن يعقوب. تاريخ المستبصر. تصحيح أو سكر لوفخرين، ليدن، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ج١، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧.

السائد في المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها، إذ تعتبر المواد المذكورة وصفات المنازل والقصور مطابقة للوضع الحالي لوادي بيدة ولاشك أن وقوعها على طريق التجارة والحج كان ضمن النطاق الذي سلكه أولئك الرحالة الذين زاروا تلك المناطق.

وقد استمرت المنطقة كذلك حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري الذي شهد قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية ضد ما كان منتشراً من البدع والخرافات التي أبعدت المسلمين عن أصول الإسلام الصحيح. فبعد خروجه إلى الدرعية وانضمامه إلى الإمام محمد بن سعود الذي كان حاكم الدرعية في عام ١١٥٧هـ رحب بالشيخ ووعد بنصره والدفاع عنه ومساعدته في نشر الدعوة. وهو الأمر الذي جعل العثمانيين يتوافدون إلى الجزيرة العربية خوفاً من نفوذ ذلك التحالف وسيطرته على أرجائها[١].

ولا مراء في أن أبناء منطقة الدراسة قد ساهموا في حملات الجهاد التي قادها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشاركوا بأرواحهم وأرضهم لقمع الفتن والفساد.

ومع ما تزخر به كتب التاريخ فإن مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث لاتزال بحاجة ماسة إلى المزيد من الجهد لإبرازها والاستفادة منها في كتابة جوانب التاريخ، خصوصاً المصادر المحلية والشعر العامي، وروايات المعاصرين الشفهية التي تعد من أهم تلك المصادر التي تتطلب جهداً كبيراً من الباحثين لسد الفراغ الكبير الذي تعانيه معظم الكتابات المتعلقة بتاريخ المملكة الحديث[٢].

لقد ساهمت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وظهور العثمانيين على مسرح الأحداث في

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح. تاريخ المملكة العربية السعودية. ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١.ص١٩١.

(٢) يعد جمع التاريخ الحديث مشافهة عن طريق كبار السن والمعمرين أحد أساليب جمع وتدوين التاريخ، وقد لمست هذا الأمر من كبار السن الذين قابلتهم في أثناء إجراء الدراسة الميدانية المشار إليها سابقاً.

الجزيرة العربية، في إعادة بعض المؤرخين تدوين أخبار القبيلتين في أثناء نفوذ الحكم العثماني على تلك المناطق.

فعند الاحساس بهذا الخطر بدأ توافد العثمانيين إلى الجزيرة العربية واستمرار مسيرتهم في أرجائها، وقرب جيش آل سعود من أطراف الحجاز، سار محمد علي باشا يوم٢٦/١/١٢٣٠هـ من مكة مع جنوده الأتراك والليبيين إلى موقع بسلة قرب الطائف[1]، وهناك يخيم الجيش السعودي بزعامة عبدالله بن سعود وأخيه فيصل، والشيخ طامي بن شعيب أمير قبائل عسير، والشيخ بخروش بن علاس أمير زهران وغامد، وابن مضيان أمير سبيع، وابن دهمان شيخ شمران، وآخرون من أمراء القبائل. وقد تحصن الجيش السعودي في الجبال فلم يستطع محمد علي الوصول إليهم، وهذا أدى إلى هروب بعض الجنود الأتراك إلى مكة ونشر أخبار هزيمة جيش محمد علي، إلا أن محمد علي استطاع إيهام الأمير عبدالله بن سعود بالهزيمة، فنزل الجيش السعودي إلى السفح، واستطاع محمد علي الالتفاف ومواجهة الجيش السعودي وقتل عدد من أفراده وأسر الكثير منهم، وفر من استطاع النجاة بعد هذه المعركة التاريخية[2]. وقد وصفت المعركة بأنها من أعظم معارك محمد علي باشا

---

(١) ذكره ياقوت الحموي بقوله: من أودية الطائف أعلاه لفهم وأسفله لنصر بن معاوية. انظر الحموي، ج١، ص٤٢٣. ويذكر عنه موريس: بسل واد كبير غني بمزارعه الكثيرة ويبعد عن الطائف إلى جهة الجنوب٨٠كلم، اشتهر بسل في تاريخ الجزيرة العربية الحديث لكونه مسرحاً لأهم معركة فاصلة، خاض غمارها جيش الدولة السعودية بجناحيه الشمالي والجنوبي بقيادة الأمير فيصل بن سعود ضد قوات محمد علي. انظر: تاميزيه، موريس. رحلات في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ١٨٣٤. ترجمة محمد عبدالله آل زلفة. ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٦٣.

(٢) عبد الرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن. محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤هـ- ١٢٥٦هـ/١٨١٩م- ١٨٤٠م. ط١؛ القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٥٢.

على حد قول المؤرخين[١].

وفي شوال من نفس العام سار طامي بن شعيب برعاياه من عسير ورجال ألمع وغيرهم بنحو عشرة آلالف مقاتل، وكان الترك قد ساروا من مكة والطائف بعساكر كثيرة بنحو عشرين ألفاً من الأتراك المغاربة فحاصروا بخروش في وادي زهران، واجتمعت طوائف شعلان ومن معه من قبائله ومحمد بن دهمان. وحصل القتال بين الترك والجنود الحجازية قرب حصن بخروش، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم الترك هزيمة شنعاء، فغنم الجنود خيامهم وكل شيء، وقتل من الترك عدد كبير قُدر بأكثر من ألف مقاتل، ولم يسلم منهم إلا من هرب على الخيل[٢].

والحقيقة أن محمد علي كان شديد الحرص على إخضاع بخروش لأنه تحداه في الرسالة التي أرسلها إليه وقد أسره محمد علي وسجنه[٣]. وبعد مقتل بخروش تولى إمارة غامد وزهران الشريف منصور حليف محمد علي المخلص، وقد اعترفت له القبيلتان بالولاء والسمع والطاعة وسنرى لاحقاً مساندة الشريف منصور للقوات التركية في حملتها ضد قوات عسير مروراً بوادي بيدة [٤]، وتجهيز الجيش وتوفير الجمال لنقل المؤن العسكرية، إضافة إلى مشاركة غامد وزهران

(١) العجلاني، منير. تاريخ البلاد العربية السعودية. ط٣، دارالشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣هـ، ج٤، ص٤٠. ويذكر بوركهارت بعضاً من شجاعة تلك القبائل التي شاركت مع فيصل بن سعود في معركة بسلة. بوركهارت، جوهان لودفيج. مواد لتاريخ الوهابيين. ترجمة عبدالله العثيمين. ط٢؛ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ/١٩٩١م. ص١٧٤.

(٢) ابن بشر عثمان بن عبدالله . عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق وزارة المعارف. بيروت: دار صادر، ص١٧٧. وحصن بخروش المشار إليه لازالت آثاره موجودة حتى اليوم، وهو في قرية العدية (بمحافظة القرى) التي ينسب إليها بخروش من قبيلة قريش.

(٣) وقد أخبره فيها أن لديه بالفعل براهين كافية عما يستطيع فعله، و إذا أراد محاربتهم فعليه أن يأتي بجنود أفضل من هؤلاء المحاربين، لكن أعقل له أن يعود إلى مصر ويتمتع بماء النيل. بوركهارت، ص ١٥٥، ص ١٨٣.

(٤) وهو الشريف منصور بن زيد الشنبري، كان من المخلصين لأحمد باشا حاكم الحجاز، وقد ولاه إمارة غامد وزهران قبل استعادة العسيريين لها في بداية حكم الأمير علي بن مجثل عام ١٢٤٢هـ . تاميزية موريس، ص٧٩.

في تلك الحملة.

وواصل الجيش سيره إلى بيشة ثم جبال عسير، ولكن الانتصارات أنهكت الجيش وأفقرته، وذلك لما كان من شظف العيش وقلة الزاد وكثرة المشقات ووعورة الطريق، لكنه استطاع أن يدحر قوات عسير وأقام بها حامية هناك بـ(طبب)، ولم يدم الأمر طويلاً فعاودت قوات عسير طرد تلك الحامية وإعادة السلطة إليها وتوسيع نفوذها على المناطق المجاورة، وذلك بنهاية حكم علي بن مجثل لعسير عام ١٢٤٩هـ[1].

وأصبحت بلاد غامد وزهران بعد ذلك خاضعة لحكم عسير التي كانت تحت حكم عائض بن مرعي، الذي استلم السلطة بعد وفاة علي بن مجثل، فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة لمحاربة قوات عسير بقيادة الشريف محمد ابن عون، وقد استطاع رد بلاد غامد وزهران وبيشة إلى حكم الأتراك في عام ١٢٤٩هـ، وتقدم إلى عسير لردها، ولكن حصل نقص في مؤنة الجيش العسكرية فعاد إلى مكة المكرمة[2].

ونتيجة للضعف الذي بدأ يدب في حكومة الأتراك، أخذت بعض الولايات في الانفصال عنها والعمل على تشكيل حكومات مستقلة، ونتيجة لذلك وقعت بلاد غامد وزهران بين حكومتين متنافرتين، الأشراف في الحجاز من جهة ويساندهم الأتراك بإمدادهم بالسلاح والمال، وهدفها السيطرة على المنطقة الجنوبية وضمها للحجاز، والعسيريين في الجنوب من جهة أخرى تحاول الاستقلال عن تركيا وتحاول صد غارات الأتراك وتوسيع نفوذها. وبدأت رحى المعارك تدور في حلقة مفرغة، ومن يحرز النصر يفز بانضمام تلك القبائل إليه، وليس غريباً أن نجد بلاد غامد وزهران تارة مع الأشراف وتارة أخرى مع العسيريين، إذ عاشت طوال فترة الصراع حالة غير مستقرة كان

---

(١) الريحاني، أمين. تاريخ نجد وملحقاتها. ط٤؛ بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٨٢.

(٢) الجميعي، عبد المنعم إبراهيم الدسوقي.عسير خلال قرنين ١٢١٥- ١٤٠٨/١٨٠٠- ١٩٨٨م. ط١؛ أبها: النادي الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٧٨.

ضحيتها أبناء القبيلتين.

وفي عام ١٢٥٣هـ استولى الأمير عائض بن مرعي على بلاد غامد وزهران وأدخلهم في طاعته وأسر أعيانهم وسار بهم إلى أبها، واتخذ ابن مرعي رغدان مقراً لقيادته وجعل فيها حامية ورجع إلى عاصمته أبها[١]، ولكن أحمد باشا حاكم الحجاز استطاع استردادها في نفس العام حيث لم يدم الأمر طويلاً[٢].

وبعد صدور قرار الانسحاب عام ١٢٥٦هـ من الجزيرة العربية للقوات التركية خاصة في عسير لم يكن الأمر بأحسن حالاً، فقد حدث عشية انسحاب القوات من منطقة عسير والموانئ اليمنية غارات كثيرة من قبل القبائل[٣]. لذا قام أحمد باشا بعقد صلح مع عائض بن مرعي لتفادي الموقف وتأمين خطوط الانسحاب، مقابل تسليم المحتجزين من عسير في سجون جدة. واستمر عائض في حكم عسير إلى أن توفي سنة ١٢٧٣هـ، وخلفه ابنه محمد في حداثة سنه. وقد بلغت قوة آل عائض أوجها أيام محمد، فوسع حكمه على سائر عسير والسراة وقسم من الحجاز وغامد وزهران، وقسم كبير من تهامة عسير واليمن[٤]. وبعد مقتل محمد فر آل عائض جميعاً من أبها وأطرافها في عسير والسراة وظلوا في مكان بعيد، وعينت الدولة سليمان شفيق متصرفاً على أبها وتقرب منها، وعين

---

(١) الشهري، عبدالهادي عبدالله. الحروب التركية في المنطقة الجنوبية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٤٨. الزيد، إبراهيم محمد. تاريخ المنصوري. ط١؛ الطائف: النادي الادبي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٢.

(٢) الشهري، الحروب التركية، ص١٤٨. أما فيما يتعلق بأمراء مكة وصلتهم بغامد وزهران فيقول المنصوري: عام ١٢٤٩هـ أحرق الشريف محمد بن عون مدينة الباحة على أثر حربهم المغاربة، وقتل ثلاثين منهم، مع أخذهم خمسين من الخيل، لكن الخيل أعيدت وتم الصلح مع الشريف بواسطة الشيخ عبدالعزيز الغامدي. انظر: الزيد، تاريخ المنصوري، ص١٥.

(٣) عبدالرحيم، ص٣٩٩.

(٤) الجميعي، ص ٩٥.

حسن بن علي(حفيد الأمير محمد بن عائض)، وكان مستبداً على القبائل خاصة غامد وزهران[1].

وفي سنة ١٣٢١هـ تقابل أبناء غامد وزهران مع الجيش التركي المدرب تدريباً عالياً، وهو في كامل عدده وعدته بوادي(قَوب)، وجرت بينهما معركة كبيرة انتهت بهزيمة الأتراك بعد أن قتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر وفر الباقون إلى تهامة عن طرق عقبة الظفير[2].

وبعد أن نهض محمد بن علي الإدريسي حاكماً لمنطقة جازان، بدأ يستميل القبائل التهامية والمجاورة إليه، وأسس منها جيشاً وحاصر مدينة أبها، وعندما شعر أمير مكة بخطره أرسل إليه جيشاً نظامياً بقيادة حسين بن علي في ١٦/٤/١٣٢٩هـ، وتقابل الطرفان في أكثر من موقعة[3]. وعند قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ اضطر الأتراك إلى تسليم السلطة لحسن بن عائض، واشتد الصراع بين آل عائض الإدريسي، حتى رفع الإدريسي الأمر إلى الملك عبد العزيز لوقف هذا الصراع[4].

وبعد أن تبدد حكم الأمير حسن بن علي بن عائض، استقل بإمارة عسير ففرت منه القبائل وخصوصا قحطان وغامد وزهران، وأرسلت وفودها إلى الملك عبدالعزيز، وبعث إليه من العلماء من ينصحه ويذكره بما كان عليه أجداده، ولكنه لم يأبه لذلك، عندئذ أرسل له الملك عبدالعزيز الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي ومعه ألفان من الجنود، وأمره أن يدعوا ابن عائض للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان معه أجداده الأولون، ووصل ابن مساعد في شعبان ١٣٣٨هـ وخرج له ابن عائض وتقابلا في مكان يدعى (حجلة) بين العصمة وخميس مشيط، فكانت الهزيمة على أهل عسير وأسرعدد من آل عائض وأرسلوا إلى الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز فأكرمهم وأجزل لهم

---

(١) الزركلي، خير الدين. شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز. ط٣؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ٢٤٧.

(٢) الزهراني معيض سدران. التبيان في تاريخ أنساب زهران. ط١؛ الدمام، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٢٦.

(٣) البركاتي، شرف عبدالمحسن. الرحلة اليمانية. ط٢؛ بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م. ص٨٢.

(٤) الريحاني، ص٣٠٢.

بأن أعطاهم ٦٥٠٠ ليرة ذهباً وبعض الهدايا الأخرى، إلا أنه بعد رجوع حسن بن عائض بدأ بتحريض القبائل ضد الملك عبدالعزيز[١].

وبعد وقت قصير من وصولهم إلى مدينة أبها أخذ الأمير حسن بن عائض يستعيد نفوذه مرة أخرى بالتعاون مع الشريف حسين، واضطر الملك عبدالعزيز إلى إرسال حملة تأديبية قوامها عشرة آلاف مقاتل بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وتلاقى الطرفان في موقعة "بيشة" عام ١٣٤٠هـ وهزم آل عائض خلال تلك المعركة. وتقدمت الجيوش السعودية إلى خميس مشيط وأجهزت على ما تبقى من قوات آل عائض، وعين الأمير فيصل بن عبدالعزيز سعد بن عفيصان أميراً على مدينة أبها، وأبقى فيها حامية تقدر بخمسمائة جندي، وعاد الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى الرياض واستطاعت تلك الحامية بسط سيطرتها على القنفذة ومنطقة تهامة[٢].

وبهذا تخرج منطقة بلاد غامد وزهران والمناطق المجاورة لها من الفتن والحروب إلى عهد الأمن والأمان بفضل الله تعالى ثم بقيام الدولة السعودية الثالثة بإعلان تأسيس المملكة العربية السعودية، وترسية قواعد الوحدة بقيادة الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) لتشهد المنطقة عهداً زاهراً ساده الأمن والاستقرار والوحدة وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأخذ وادي بيدة نصيبه من النهضة الحضارية والاستقرار والأمن والخدمات المتميزة في مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٤.

(٢) الجميعي، ص١٢٣.

الفصل الثاني

المسح الميداني والمنشآت المعمارية

- (أ) المسح الميداني
- (ب) المنشآت المعمارية

(أ) المسح الميداني:

تعتمد هذه الدراسة اعتماداً كلياً على العمل الميداني الذي تمثل في القيام بمسح أثري شامل لوادي بيدة، ويشمل القرى المنتشرة على ضفتي الوادي ابتداء من قرية آل دغمان وانتهاء بقرية الغتامية في الجزء الجنوبي من الوادي، وهو المعروف حالياً بـ (بيدة). أما الجزء الشمالي من منطقة الدراسة فيبدأ من الناصف وينتهي بالمطاعنة وهو المعروف حالياً بـ (معشوقة). وقد نفذ هذا المسح على مرحلتين: المرحلة الأولى في الفترة من١/٣ إلى ١٤٢٢/٤/١هـ، والمرحلة الثانية في الفترة من ٦/١٢ إلى١٤٢٢/٧/٢٢هـ. وقد كان الهدف من هذه الدراسة الميدانية ما يلي:

١- الوقوف والتعرف على حجم ونوعية المواقع الأثرية والمنشآت المعمارية في وادي بيدة.

٢- تصوير المنشآت المعمارية الباقية في القرى المنتشرة في الوادي.

٣- رسم مخططات لبعض المنشآت المعمارية من منازل ومساجد وحصون حربية وحصون زراعية.

وقد حاول الباحث جاهداً تحقيق تلك المواقع في المصادر الجغرافية المبكرة ومطابقتها على الواقع، وقد تبين أن معظم المصادر لم تذكر سوى بعض المواقع وبإشارة عابرة من دون الدخول في تفاصيل أكثر. وقد كان الاعتماد الأكبر في تحقيقها على المصادر المحلية المتاحة، بالإضافة إلى ما حققته الزيارات الميدانية المتكررة للقرى من فائدة في الاستماع إلى كبار السن والمثقفين من أبناء وادي بيدة أو المنطقة المحيطة به. وقد كانت الخطوات المتبعة في هذه الدراسة على النحو التالي:

١- تحديد مواقع القرى على ضفاف وادي بيدة والتي تعد في صفاتها مواقع أثرية لاحتوائها على المنشآت المعمارية.

٢- وصف الحالة الراهنة للمواقع الأثرية مع تناول أبرز عناصرها المعمارية.

٣- دراسة عينة من تلك المنشآت المعمارية من منازل ومساجد وحصون حربية ومنشآت زراعية.

وسوف يكون حديثنا عن المواقع الأثرية في منطقة الدراسة على النحو التالي:

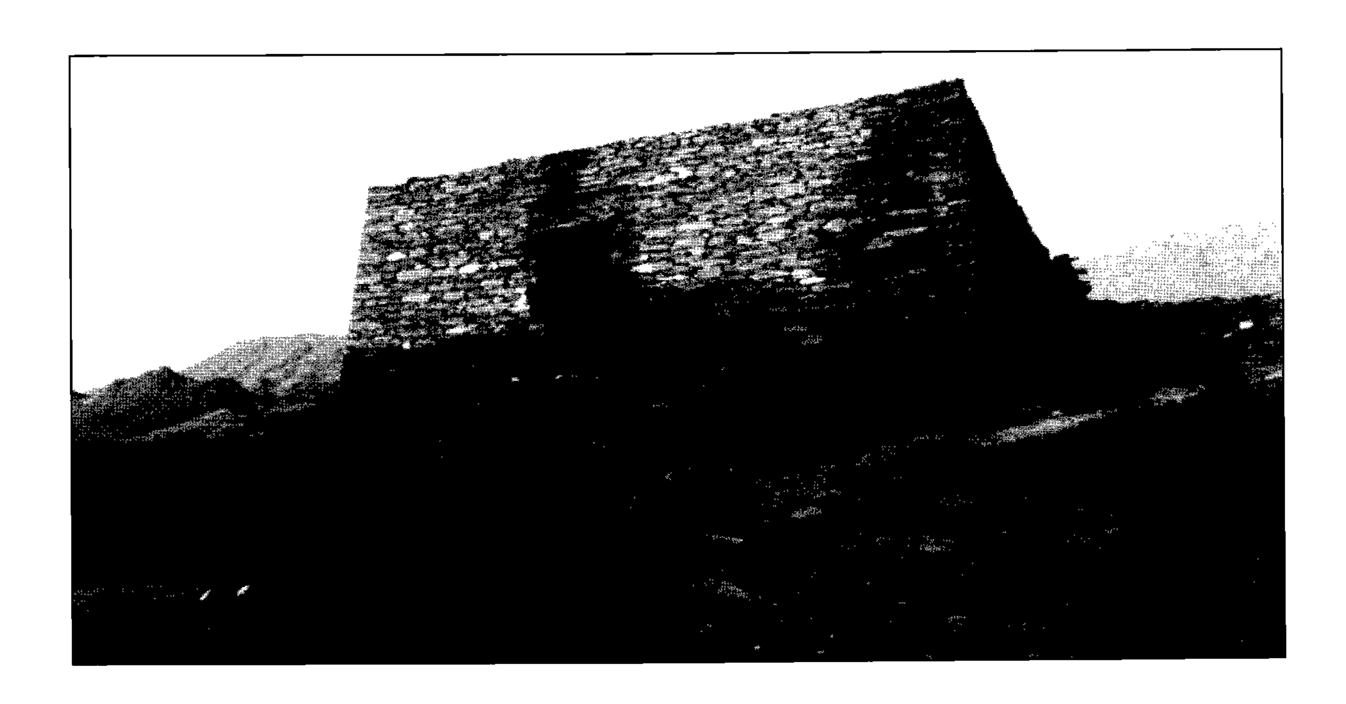
أولاً - بيدة:

وهو الجزء الجنوبي من وادي بيدة الذي يبدأ من قرية آل دغمان وينتهي عند قرية الغتامية (شكل رقم ٣)، وسكان هذه القرى من قبيلة بني بشير من زهران. وتعد منشآتها المعمارية على درجة عالية من فنون العمارة على ضفتي الوادي، وتتألف تلك المنشآت من المنازل المترابطة والحصون

ذات الارتفاعات الشاهقة على رؤوس الجبال وفي بطن الوادي، وبنيت بأحجار كبيرة الحجم، وتميز البناء بالمتانة والتناسق وروعة التصميم. وتنتشر المواقع الأثرية في بيدة على النحو التالي:

١- قرية آل دُغْمَان:

تقع غربي وادي بيدة، عند خط الطول َ٤١:٢٤° شرقاً وخط العرض َ١١ :٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٨٧٤م[1]، وتبعد عن محافظة القرى مسافة ١٥ كيلومتراً. وتحتوي هذه القرية على المنازل التقليدية التي احتفظت بشكلها الطبيعي، وهي تعتبر قرية حديثة مقارنة ببقية القرى الأخرى. وقد استوطنت الوادي منذ فترة قريبة للقرب من مصادر المياه للاستفادة منها في ري الأراضي الزراعية الموجودة في شرق هذه القرية، وتتميز كذلك بتعانق المباني الحديثة مع المباني القديمة، ويغلب على أبنية هذه القرية المنازل ذات الطابقين، (لوحة رقم ٧).



لوحة رقم (٧) قرية ال دغمان

(١) جميع إحداثيات المواقع في هذه الدراسة قام بها الباحث باستخدام جهاز(**GPS**) .

٢- قرية اللغَامِيْس:

وتقع غربي وادي بيدة، عند خط الطول َ٢٤ َ:٤١ ْشرقاً وخط العرضَ١٤ َ:٢٠ ْشمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٨٧١م، وتبعد عن محافظة القرى مسافة ١٦كلم. ويتبع هذه القرية قريتان صغيرتان هما الحمة وابن غانم [١]. وتحتوي قرية اللغاميس على بعض الآثار المعمارية مثل: المنازل والحصون وعلى مسجد واحد بني على أنقاضه المسجد الحديث[٢]. وقد ساهمت طبيعة المنطقة الجبلية لهذه القرية في قلة المساحات المخصصة للبناء، وكانت مساحات المزارع والحقول التي تقع في الجهة الشرقية من القرية أكثر اتساعاً، فحدّت تلك المزارع من البناء في الوادي؛ خوفاً من ضياع المساحة الزراعية من جهة، وحفاظاً على السكان من خطر السيول من جهة أخرى. وقد هاجر أغلب سكان القرية منها في الوقت الحاضر للأسباب ذاتها.

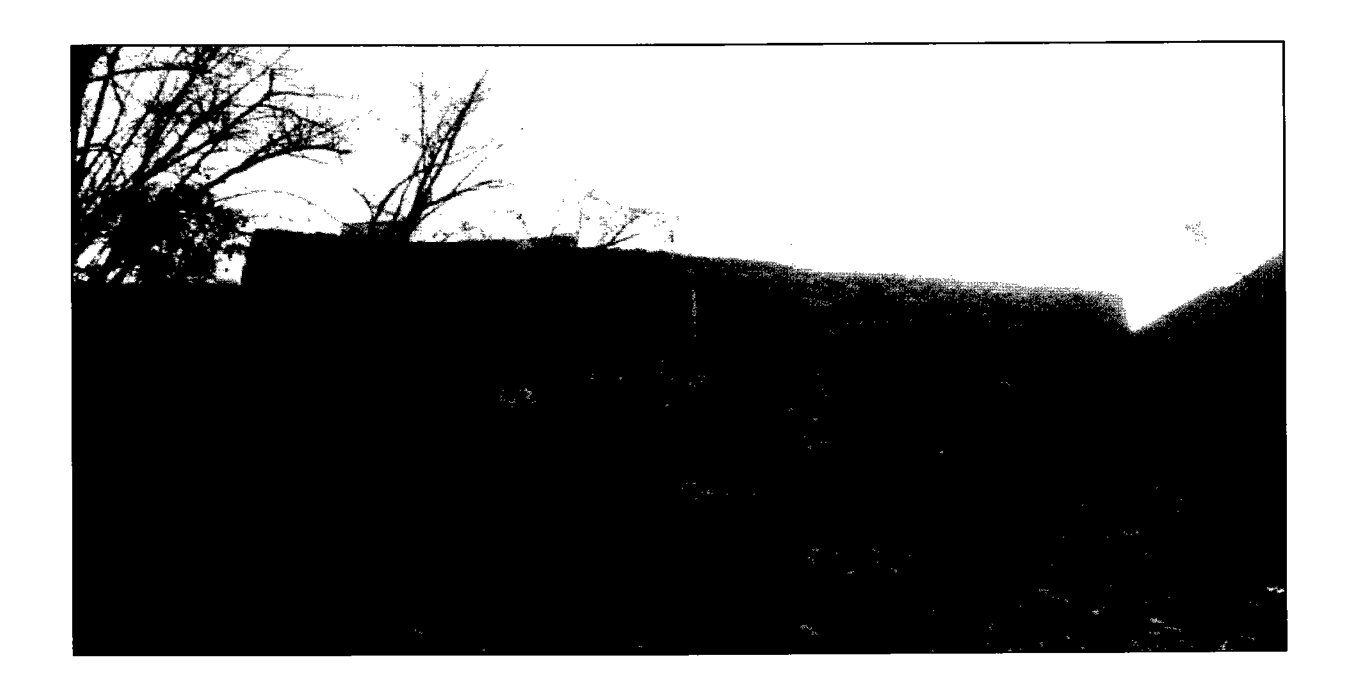
وتكاد تتفق روايات الأهالي، خاصة المعمرين في المنطقة[٣]، على الدور البارز الذي عرفت به هذه القرية قديماً، وسيطرتها على قوافل التجارة القادمة من الجهات الجنوبية مروراً بوادي بيدة، ثم تتجه صوب الطائف ومكة المكرمة. وتذكر الروايات أيضاً وجود حصون متقاربة يصل عدد طوابقها إلى سبعة طوابق، بحيث يوجد في كل حصن مخزن للمحاصيل الزراعية في الطابق الأرضي وفي الطوابق العليا مساحات مخصصة للمراقبة والرماية في حالة الحروب، ويوجد بهذه الطوابق نوافذ ضيقة للرماية ونوافذ واسعة مرتفعة للمراقبة، ولا يبعد كل حصن عن الآخر أكثر من ١.٥م تقريباً، وقد هدمت تلك الحصون وبني بموادها منازل أخرى حديثة، (لوحة رقم ٨).

---

(١) السلوك، ص٢٧٤.

(٢) وقد ذكر الأستاذ أحمد غرم الله الزهراني من أبناء قرية اللغاميس (وهو مدير ابتدائية آل سلمان ببلاد زهران، وقد رافقني في زيارة بعض القرى والتعريف بها، فله مني جزيل الشكر والامتنان) أن القرية القديمة هدمت وبنيت على أنقاضها القرية الحديثة، وذلك لزيادة المساحات المخصصة للبناء الحديث.

(٣) منهم الشيخ: مسفر بن دوالي من قرية آل زياد، والشيخ أحمد بن حسين من قرية الراس، والشيخ على أحمد عبدالله، من قرية آل سلمان. وجميعهم تزيد أعمارهم على ٨٠ سنة.



لوحة رقم (٨) قرية اللغامس

٣- قرية الجُدْلاَن:

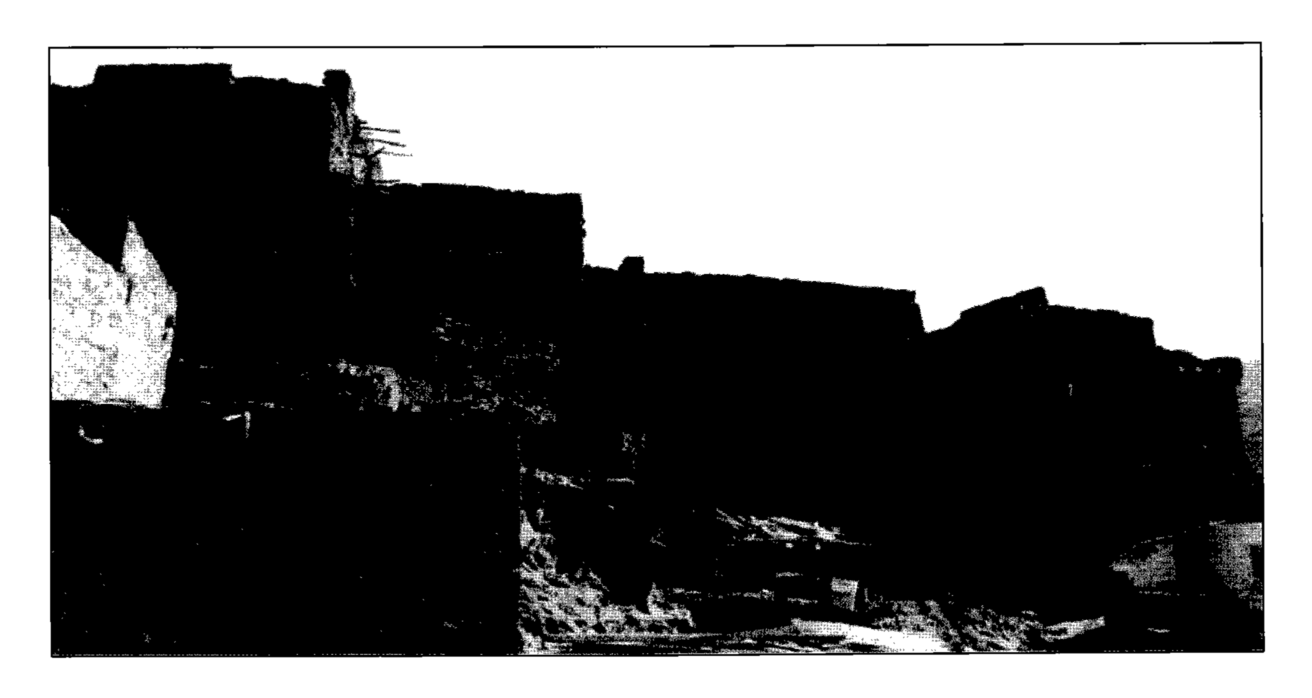
وهي من أكبر قرى الوادي، وتقع في الجهة الغربية من وادي بيدة عند خط الطول ٢٣:٤١° شرقاً وخط العرض ١٥:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٨٠٣م، وتبعد عن محافظة القرى مسافة ١٧,٥كلم. وهي المركز الإداري لقبيلة بني بشير لأن مقر مشيخة القبيلة كان فيها سابقاً. ولازالت بقايا هذه القرية ظاهرة للعيان، إذ تتربع على قمة جبل غربي الوادي وتحتل المزارع الجهة الشرقية من القرية. وتحتوي على عدد كبير من المنازل يصل عددها إلى ٦٠منزلاً تقريباً، إضافة إلى مسجد واحد في الجهة الشرقية من القرية. ويتبع هذه القرية أحد الحصون في بطن الوادي ويعرف بحصن (ابن مسلم)، وقد تهدم جزء كبير منه وكان فيه مقر الإمارة قبل انتقالها إلى القرية القديمة. وفي الجهة الشرقية من الوادي يقع حصن الزربة الذي يحوي العديد من الرسوم الصخرية بأنواع مختلفة من الحيوانات وأشكال هندسية متنوعة. وفي الجهة الشمالية من قرية الجدلان يوجد

حصن آخر لم يبق منه سوى بعض الأحجار المتراكمة المتهدمة. وتتميز آثار هذه القرية بتلاصق مبانيها وتماسكها، مكونة سياجاً معمارياً يصعب اختراقه، كما تتخللها ممرات داخلية تتفرع إلى كل منزل في القرية. وقد بنيت منازلها بالأحجار الكبيرة كما استخدمت الأحجار الصغيرة لتقوية البناء. ويصل ارتفاع جدرانها إلى ٢٠م تقريباً، وتوجد فيها نوافذ ذات فتحات واسعة وأخرى ضيقة، وقد سقفت منازلها بخشب أشجار السدر والعرعر المتوافر في المنطقة، (لوحة رقم ٩).

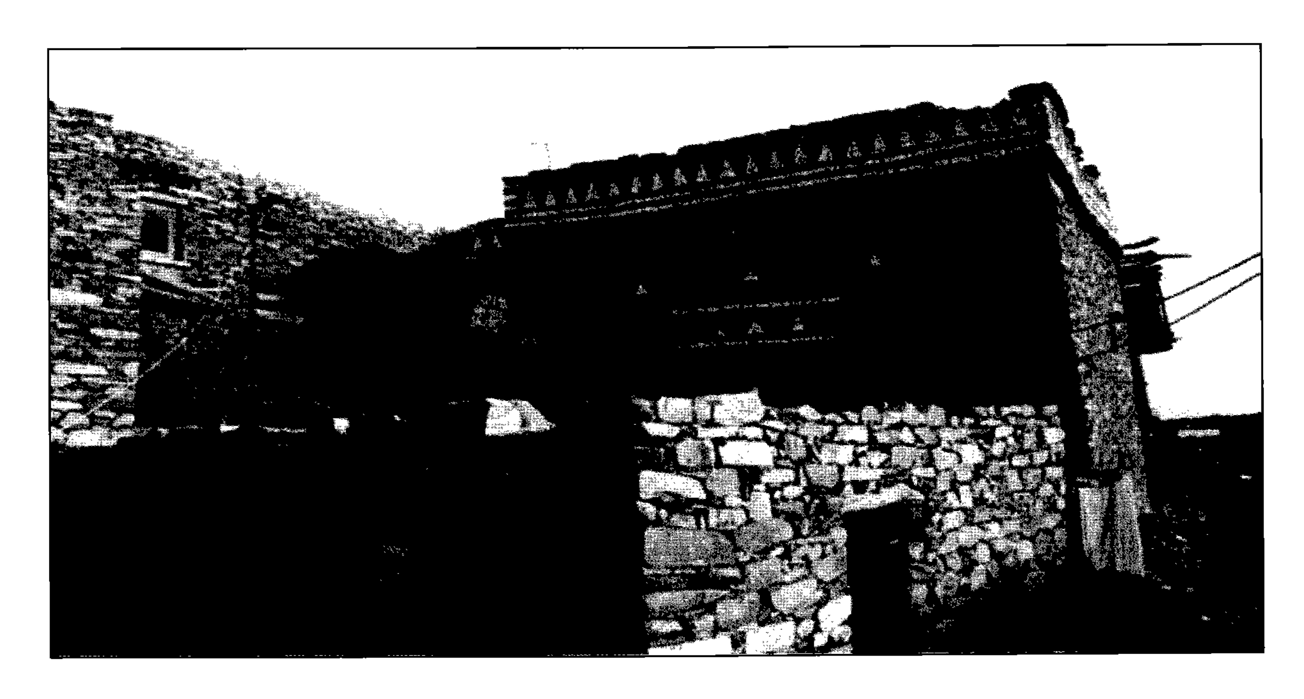
وكان بجانب هذه القرية سوق بطحان القديم المعروف بـ(الأبطح) الذي كانت تفد إليه القوافل التجارية، و يُذكر أنه قامت حرب بين قبيلة بني بشير وقبيلة قريش بسبب هذا السوق، فأدى هذا إلى قيام أسواق أخرى كسوق (شنقل) وسوق(معشوقة) بالقرب من سوق الأبطح، وتغيير يوم انعقاد سوق آخر وهو سوق (قريش) بسبب قيام هذا السوق، وتفيد الروايات أيضاً أنه نشأت حروب بين قبائل المنطقة خلال إقامة هذه الأسواق، ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها.

٤- قرية الحَازِمْ الأعلى:

تقع هذه القرية في الجهة الغربية من وادي بيدة، عند خط الطول ٢١َ:٤١° شرقا وخط العرض ١٥َ:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٨١٦م، وتبعد عن محافظة القرى مسافة١٨كلم، وتسمى حازم بني بشير. وتحتل الحقول الزراعية الجهة الغربية من القرية وتمتد إلى أجزائها الشرقية. وتوجد فيها بعض المنازل القديمة والحصون الدفاعية، مثل حصن الحازم وحصن بُسيس، وتتميز حصون هذه القرية بوجود شرفات مرتفعة ومزخرفة بأحجار المرو الأبيض، وهذه الحصون بحالة جيدة لوقوعها بين المنازل الحديثة، ولازالت تستخدم في الوقت الحاضر لأغراض تخزين الأعلاف وإيواء الماشية، (لوحة رقم ١٠).



لوحة رقم (٩) قرية الجدلان



لوحة رقم (١٠) قرية الحازم الأعلى

٥- القَوَافِل:

وهو في الأصل وادٍ من روافد وادي بيدة يقع في الجهة الشرقية منه، غرب جبال عيسان عند خط الطول ٢٢َ: ٤١° شرقاً وخط العرض َ ١٨ :٢٠ °شمالاً ويرتفع عن سطح البحر بمقدار١٧٥٥م، ويبعد عن محافظة القرى٢١كلم. ويقع على حافته الشرقية ثلاث قرى متفرقة، تحتل سلسلة من الربوات المرتفعة وتبعد كل قرية عن الأخرى مسافة تقدر بـ ١ كلم. ويتسم تصميم مباني هذه القرى بالتناسق فيما بينها وضيق ممراتها الداخلية. وأغلب منازل وحصون هذه القرى متهدم. وقد كان وادي القوافل فيما مضى طريقاً للقوافل التجارية المحملة بالبضائع المختلفة التي كانت تأتي إليه من أنحاء متفرقة قبل فتح الطريق الحديث، ولهذا سمي بهذا الاسم، (القوافل) وهو مليء بأشجار السدر الضخمة التي كانت تشكل استراحات يستظل بها أصحاب القوافل ومراكز لاستقبال وتوديع المسافرين[1]، (لوحة رقم١١).

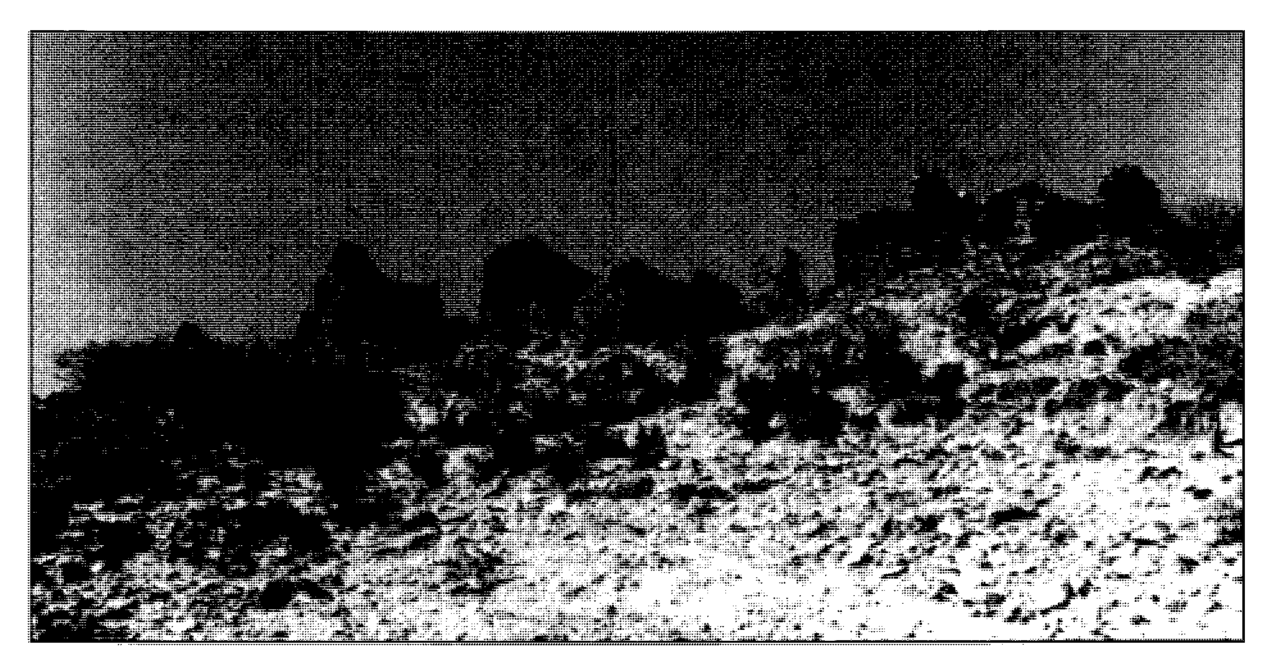
٦- قرية الحُضَيّري:

تقع في الجهة الشرقية من وادي بيدة، عند خط الطول َ٢٤:٤١° شرقاً وخط العرض َ٨١:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٧١٢م، وتبعد عن محافظة القْرىَ٢٣ كلم.

وتتناثر بعض آثارها المعمارية في الجهة الغربية. ولم يبق من مبانيها التقليدية سوى حصن واحد يصل ارتفاعه إلى١٤م وهو حصن (مْسَلَم) على شكل مربع مكون من أربعة طوابق ويحتوي على نوافذ ضيقة في واجهته الغربية، بالإضافة إلى بعض المنازل الأخرى، (لوحة رقم١٢).

---

(١) يذكر كبار السن الذين تمت مقابلتهم خلال الزيارة الميدانية أنه توقف في هذا المكان عام ١٣٧٤ هـ موكب جلالة الملك سعود، وتناول فيه وجبة غداء بعد أن التقى الأهالي والأعيان، وتشرفوا بالسلام عليه، وقدم لهم الهدايا المادية والعينية التي تعينهم على حياتهم المعيشية، وتبادل معهم أطراف الحديث وبعض النصائح التي توفر لهم مكاسب من زراعتهم وتجارتهم.



لوحة رقم (١١) قرية وادي القوافل



لوحة رقم (١٢) قرية الحضيري

٧- قرية العَقَارِيَة:

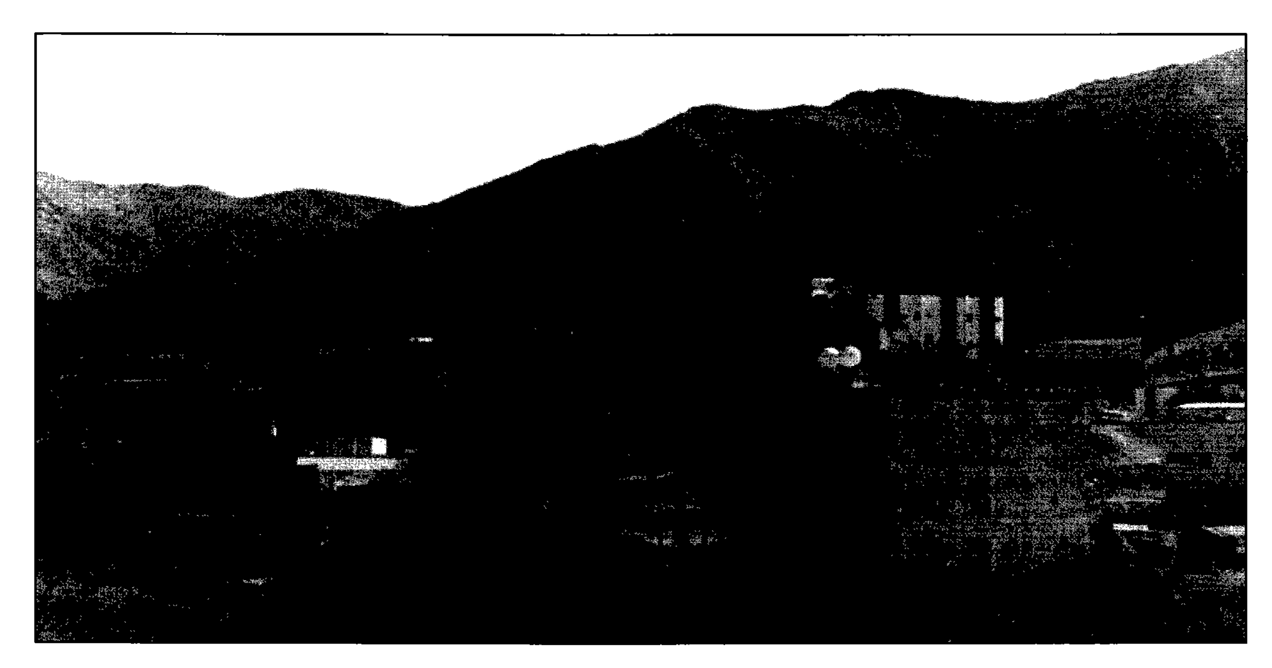
تقع هذه القرية في الجهة الشرقية من وادي بيدة عند خط الطول ٤١َ:٢٤ْ شرقاً وخط العرض ١٩َ:٢٠ْ شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٧٢٢م، وتبعد عن محافظة القرى٢٤كلم. وتتميز بتداخل مساكنها وتلاصقها إضافة إلى وجود ممرات مسقوفة بين المنازل ذات الطابقين. وهي تحتوي على ما يقارب من ٢٧ منزلاً متوسطة الحجم مسقوفة بخشب السدر والأثل، أما الفواصل الداخلية بين الغرف فهي مشيدة بالألواح الخشبية. وتحتوي القرية على حصن ارتفاعه ١٦م يحتوي على خمسة طوابق، ويمتاز بتناسق بنائه ووجود نوافذ المراقبة في الجزء العلوي من الحصن إلى جانب فتحات للرماية. وكان بجانب هذا الحصن حصن آخر في الجهة الجنوبية وقد أزيل من القرية في الفترة الأخيرة[(١)] وبقي الحصن الشمالي فقط، (لوحة رقم ١٣).

٨- قرية الرُقْبَان:

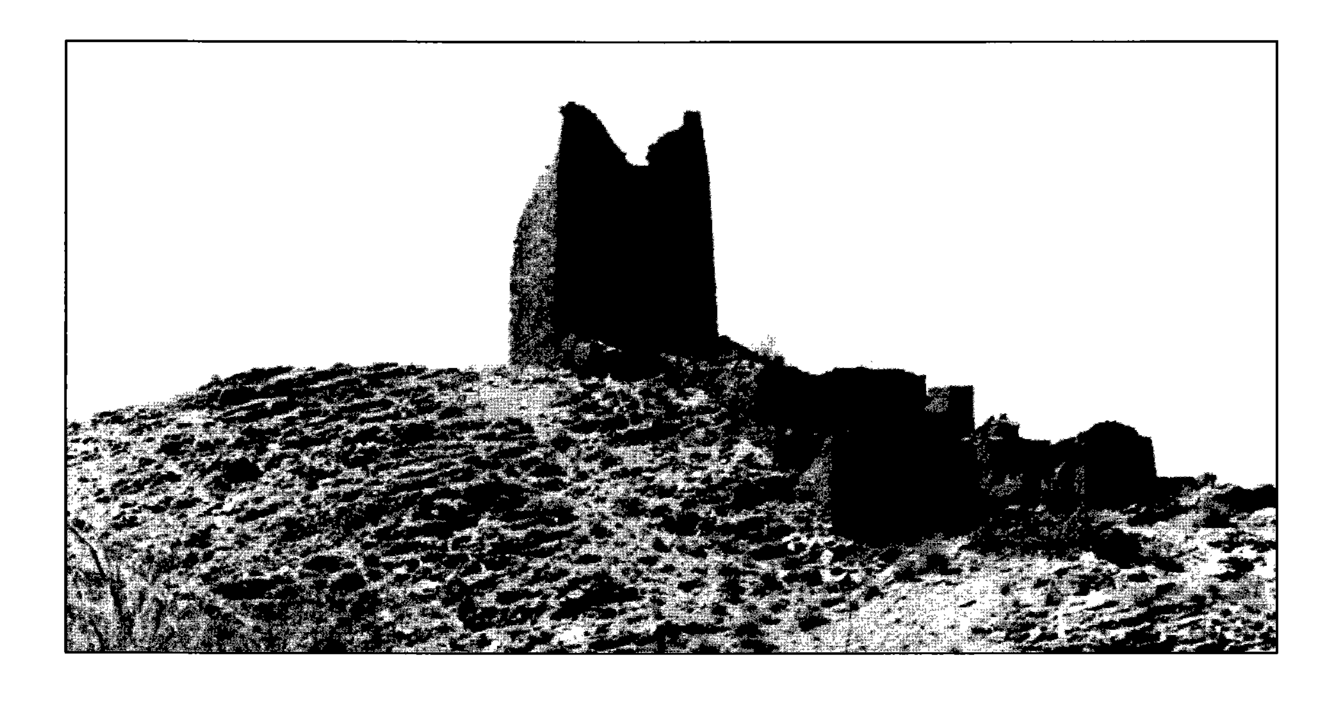
تقع غربي وادي بيدة عند خط الطول ٢٢َ:٤١ْ شرقاً وخط العرض ١٧َ:٢٠ْ شمالاً وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٦٧١م، وتبعد عن محافظة القرى٢٥كلم. ويوجد فيها مجموعة قليلة من المنازل وثلاثة حصون. حصنان منها في القرية بنيا من أجل حمايتها، أما الثالث فبالقرب من مزارع القرية وخصص لتخزين المحاصيل الزراعية. وتحتوي حصون القرية على بعض العناصر المعمارية، مثل النوافذ ذات الفتحات المربعة، والأعتاب العلوية للأبواب بنيت من أحجار مغايرة لأحجار البناء كبيرة الحجم تظهر على بعضها بعض الرسومات الحيوانية والهندسية المختلفة الأشكال، (لوحة رقم ١٤).

---

(١) قام بهدم هذا الحصن أحد السكان خوفاً من سقوطه، كما يذكر ذلك أحد كبار السن في القرية.



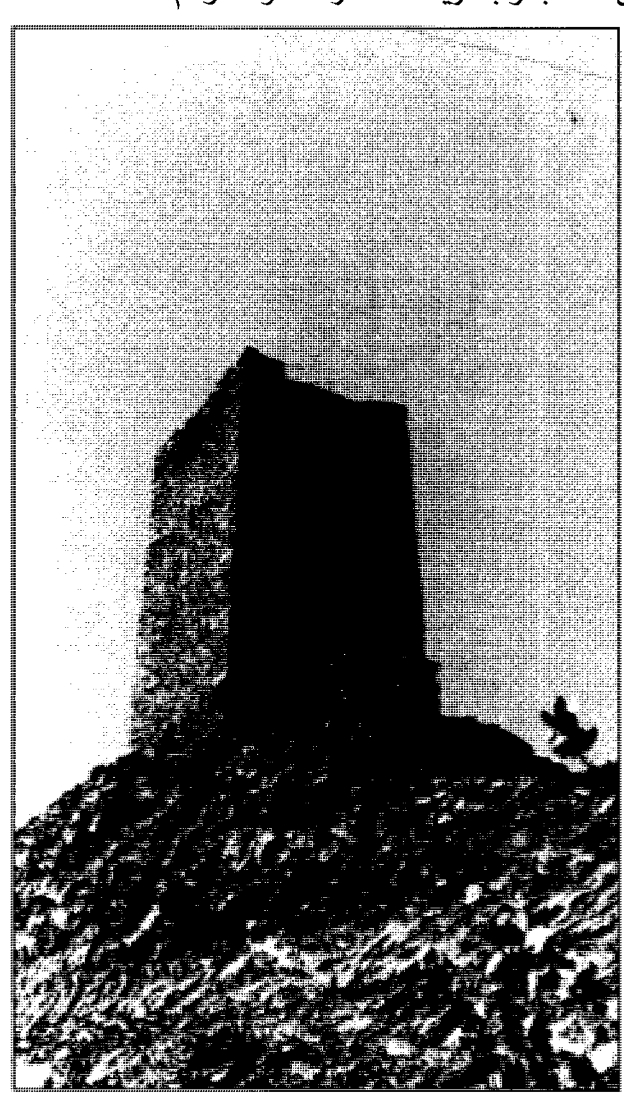
لوحة رقم (١٣) قرية العقاربة



لوحة رقم (١٤) قرية الرقبان

٩- قرية الرّاس:

تقع هذه القرية في الجهة الشرقية من الوادي عند خط الطول ٢٤َ:٤١° شرقاً وخط العرض ١٧َ:٢٠° شمالاً وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٦٩٧م. وتبعد عن محافظة القْرَى٢٦كلم. بقي من آثارها حصن الشهابي الواقع إلى جانب الطريق العام في الجهة الغربية، ويحتوي على نوافذ ضيقة وشرافات علوية محاطة بشريط من أحجار المرو الأبيض، كما يحتوي هذا الحصن على بعض الرسوم الحيوانية والأشكال الهندسية المنفذة على الأحجار بطريقة الحفر، (لوحة رقم ١٥).



لوحة رقم (١٥) منظر من قرية الرأس

وهذه القرى الأربع السابقة (الحضيري، والعقاربة، والرقبان، والراس) يطلق عليها آل زياد لارتباط أهلها بنسب واحد في اللحمة الواحدة[١]. وهي تحتوي على العديد من الآثار المعمارية التي يغلب عليها الحصون وتمثل التراث المعماري التقليدي لمنطقة الباحة، ويمكن أن نذكر منها حصن أبن مسلم وحصن العمودي وحصن العقاربة وحصن مشرف وحصن الشهابي وحصن بادي وحصون الرقبان الثلاثة، وسنفرد لاحقاً دراسة مخصصة لبعض تلك الحصون عند ذكر موضوع المنشآت المعمارية.

(١) السلوك، ص ٢٤٩.

٩- قرية الغَتَامِيَة:

تقع هذه القرية في الجهة الشرقية من وادي بيدة على الطريق العام عند خط الطول ٤١:٢٤َ° شرقاً وخط العرض ١٨َ:٢٠° شمالاً وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٦٩٧م، وتبعد عن محافظة القْرَى مسافة٢٦كلم، وسكانها من قبيلة الزُهرَان الغامدية[١]. تتميز آثار هذه القرية بصلابة بنائها وتماسكها ووجود أبواب داخلية تربط بين المنازل، وتحتوي ثلاث بوابات رئيسية للدخول إليها، كما تتميز بارتفاع جدرانها الخارجية، وبوجود الرعوش العلوية[٢] التي تحيط بالقرية من جميع الجهات للمراقبة والحراسة في أثناء الحروب.

وقد بنيت هذه القرية بمعزل عن القرى الأخرى، وهي في الحقيقة مثال جيد للمساكن المحصنة في المنطقة من حيث التحصينات الدفاعية والمنافذ السرية. ويتبع هذه القرية قرية صغيرة هي قرية الشَمَلّي في الجهة الشرقية من قرية الغتامية[٣]، (لوحة رقم ١٦).

وبصفة عامة فإن المباني الأثرية في وادي بيدة ابتداء من قرية آل دغمان إلى قرية الغتامية تعتبر نمطاً معمارياً موحداً، كما أن بعضها لازال قائماً إلى وقت إعداد هذه الدراسة ، مع وجود بعض السكان فيها من ذوي الدخل المحدود. وتمثل هذه القرى في مجملها نموذجاً للعمارة التقليدية ذات الطرز الفريدة التي تمتاز بها منطقة الباحة بشكل عام.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢٣. و قبيلة غامد البادية كانت تتخذ منطقة العقيق مقراً لها بعد استيطانها كقبيلة رفاعة والهجاهجة والسلم والعبيدات والزوايع . والزهران هي فخذ من غامد البادية اتخذت من معشوقة مقرا لها، وقد كانت قبيلة الزهران تعيش في الجزء الشمالي من الهضبة الشرقية، وفي جبال عيسان إلى الشرق من وادي بيدة، حيث يذكر الشيخ عبدالله بن ساعد الزهيري الغامدي أن آباءه وأجداده كانوا بدواً رحلاً يذهبون ويعودون إلى الوادي، ثم استقروا لاحقاً في معشوقة على أثر تلك الآثار القديمة. (المقابلة الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية المشار إليها سابقاً)

(٢) الرعوش هي مجموعة من الأخشاب تثبت في الجدار الخارجي، مكونة جسراً للتنقل بين جهات المنزل الأربع، وقد تكون في المنزل الواحد بمنزلة الشرفة حالياً، وهو المتعارف عليه في المنطقة، إلا أن قرية الغتامية انفردت بهذا الطراز الفريد في منطقة الدراسة.

(٣) وقد تم شراء مباني قرية الغتامية من أهالي قرية القهاد عند توطن قبيلة الزهران من حياة البادية. وقد أضيفت بعض المباني الحديثة بعد شراء القرية، وأخذت مواد بنائها من المحاجر القريبة منها، واستغلت في الفترة الحالية وأصبحت جزءاً من المباني الأسمنتية.



لوحة رقم (١٦) قرية الغتامية

ثانياً : معشوقة:

وهي في الأصل واد من روافد وادي بيدة، ويبدأ من نهاية حدود قرية الغتامية وينتهي بنهاية وادي السوسية الذي يزيد طوله على ٤٠ كيلومتراً، وقد كان هذا الوادي في السابق مزروعاً، ويتبين ذلك من كثرة الآبار والمزارع المطمورة. وتنتشر على ضفتيه الشرقية والغربية الآثار العمرانية المشتملة على المنازل والحصون، وإن كان عدد الحصون هنا يفوق عدد المنازل كثرة، وهي على شكل قرى صغيرة تزيد على ٢٠ قرية. ومعشوقة اليوم من أهم المناطق الزراعية في منطقة الباحة، وقد أخذ أفراد قبيلة الزهران يحيون أراضي هذا الوادي باستصلاح آباره ومزارعه، إذ لم يستوطنوا الوادي إلا من فترة وجيزة حوالي ١٣٦٠هـ. وقد تمكن الأهالي من استصلاح الأراضي المهجورة في معشوقة وحموها حمى يتوارثه الأجيال، ولا يزال بعضها قائماً حتى اليوم، وهذه المحميات تخضع لأنظمة تعمل على ترشيد الرعي والاحتطاب وحصاد الأعلاف وجني الثمار الطبيعية.

ويذكر كبار السن العديد من الحروب والصراعات بين القبائل قبل توحيد المملكة؛ بسبب التعدي على الحمى[١]. وتعد معشوقة أبرز وأهم المواقع الأثرية في منطقة الباحة، وتنتشر أثارها على ضفتي الوادي، ومبانيها خربة ومشيدة بالحجارة المحلية. كما عثر في الموقع على آبار مطمورة وفتحات لمناجم الذهب ورحى ومساحق وكسر فخارية والقليل من خبث الحديد. كما أن الموقع يشتمل على كتابات إسلامية، إذ كشف عن لوح حجري يؤرخ بعض المباني بسنة ٣٠٤هـ، ولوح آخر

---

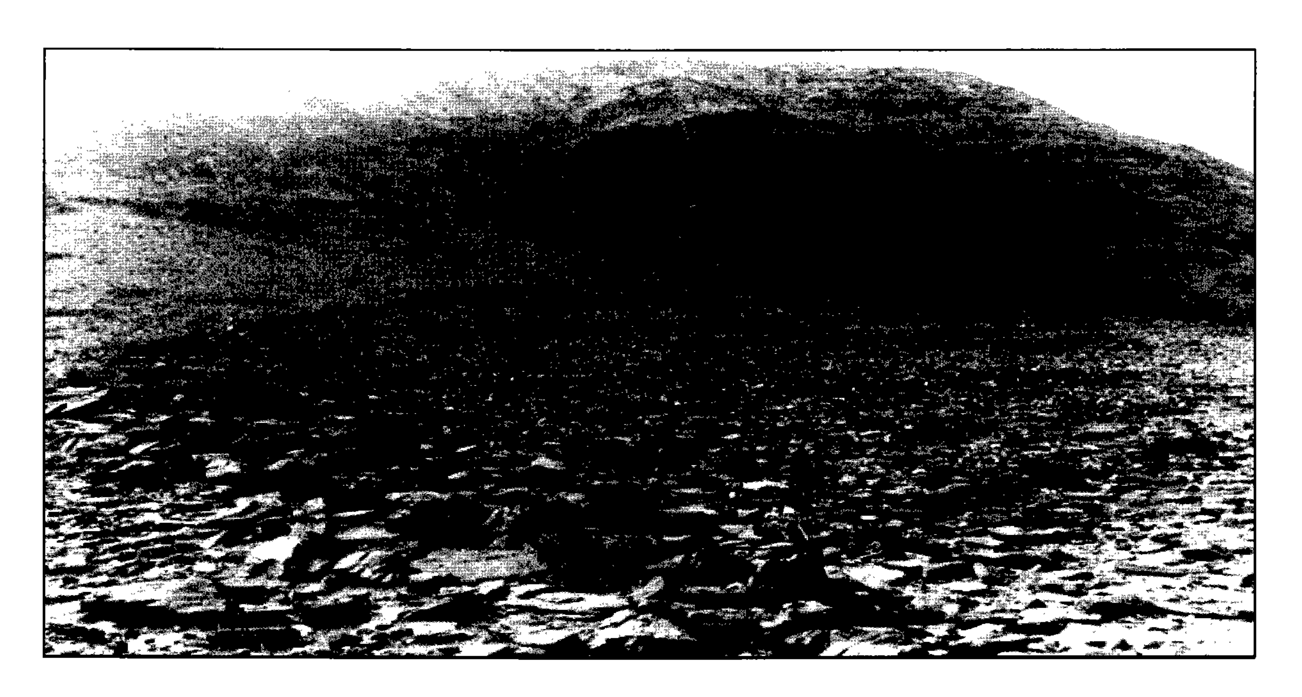
(١) ومنهم عبدالله بن ساعد الزهيري الغامدي، من مواليد عام ١٢٨٢هـ، عاصر الشريف حسين باشا، وسافر إلى جدة لشراء القمح، وذلك عندما كانت هناك ندرة في الحبوب في المنطقة. حارب مع الملك عبد العزيز في جدة والطائف، وهو من مواليد معشوقة، ويذكر أن هناك العديد من المحميات المشهورة في الباحة، مثل حمى عيسان لبني عامر، وحمى النصباء لبني كنانة، وحمى دوس وغيرها، شهدت حروباً استمرت سنين عديدة، ولم تتوقف إلا بعد أن حكم الملك عبد العزيز طيب الله ثراه هذه البلاد ونشر العدل وجعل من المنطقة واحة للعدل والسلام.

منقوش يرجع إلى القرن التاسع للهجرة. ومعشوقة اليوم تضم مجموعة من القرى المنتشرة في الجهتين الشرقية والغربية حسب تقسيمها الإداري الجديد وتتبع لمحافظة القرى. ويمكن تتبع الآثار في معشوقة على النحو التالي:

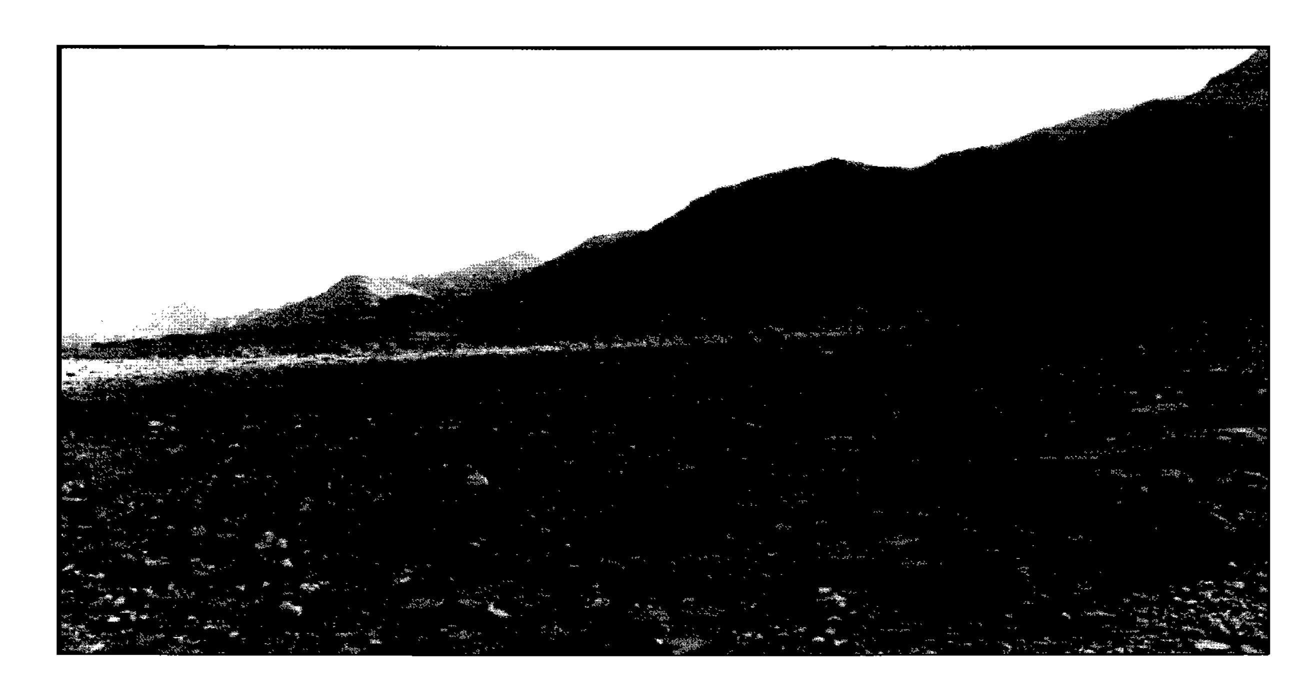
١- النَاصِف:

وهو عبارة عن موقع أثري يقع عند خط الطول ٤١:٢٣َ° شرقاً وخط العرض ٢٠:٢١َ° شمالاً ويرتفع عن سطح البحر بمقدار١٦٧٧م. ويبعد ٣٦كلم عن محافظة القرى. ذُكر الناصف عند البكري بقوله " الناصف بكسر الصاد بعدها فاء: موضع في ديار بني سلامان بن الأسد، ومن أودية أبيدة، وهو الموضع الذي يعتقد أنه قتل فيه الشنفرى الأسدي الشاعر العداء الصعلوك، لأنه كان يتخذ من بطن وادي بيدة طريقاً لغاراته المتعددة على بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران الساكنة بهذا الوادي"(١) . وبه معلم مشهور يطلق عليه زربة الخيل أو ميدان الخيل، يقع في الجهة الغربية من وادي بيدة، وهو عبارة عن بناء دائري بني من الأحجار المحلية المتوسطة الحجم التي وضعت على الأرض من دون حفر للأساس، ويعتقد أنه كان يقام بهذا المكان استعراضات بين فرسان قرى وادي بيدة. ويبلغ قطر هذا الميدان ٢٠٠م وارتفاع الجدران من٣٠- ٦٠سم في بعض أجزائه الباقية وعرض الجدارلايتجاوز٧٠سم تقريباً، ويلاحظ فيه متانة البناء وقد قطع الطريق العام جزأه الشرقي، وجاء موقع هذا الميدان متوافقا تحت أحد الجبال التي ربما كانت على هيئة مدرجات لمتابعة ما يجري في هذا الميدان من استعراضات وعروض شعبية، (لوحة رقم ١٧ ، ١٨).

(١) البكري، ص ١٠٢.



لوحة رقم (١٧) الناصف – زربة الخيل



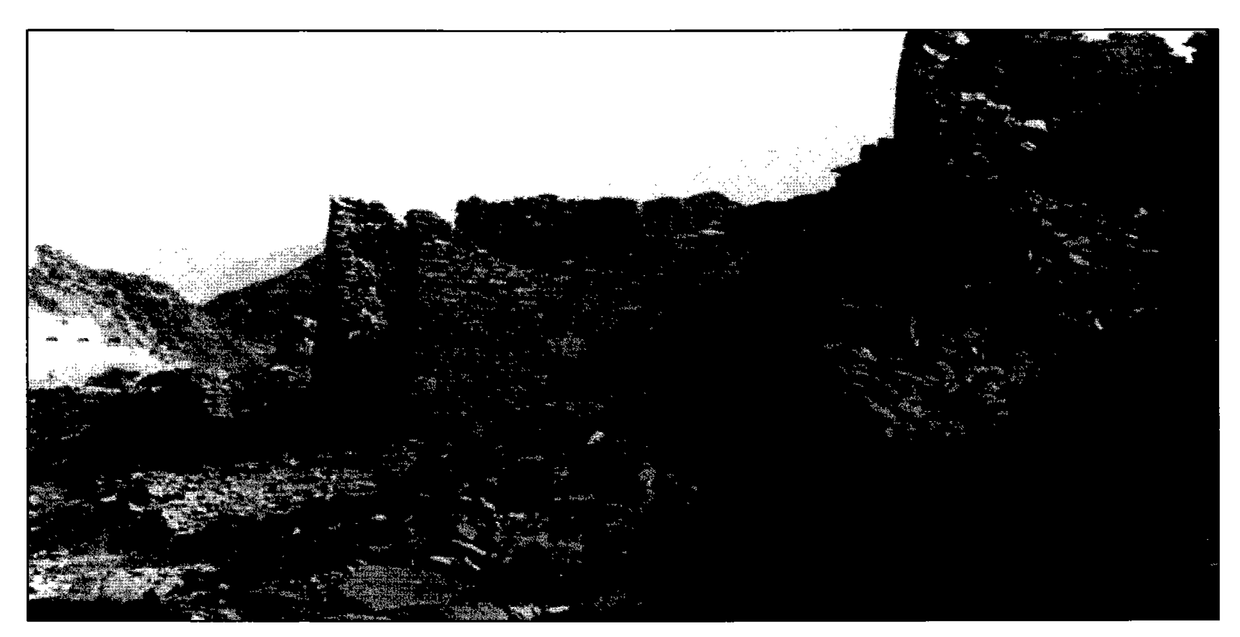
لوحة رقم (١٨) الناصف – زربة الخيل

٢- قرية حَلَايل:

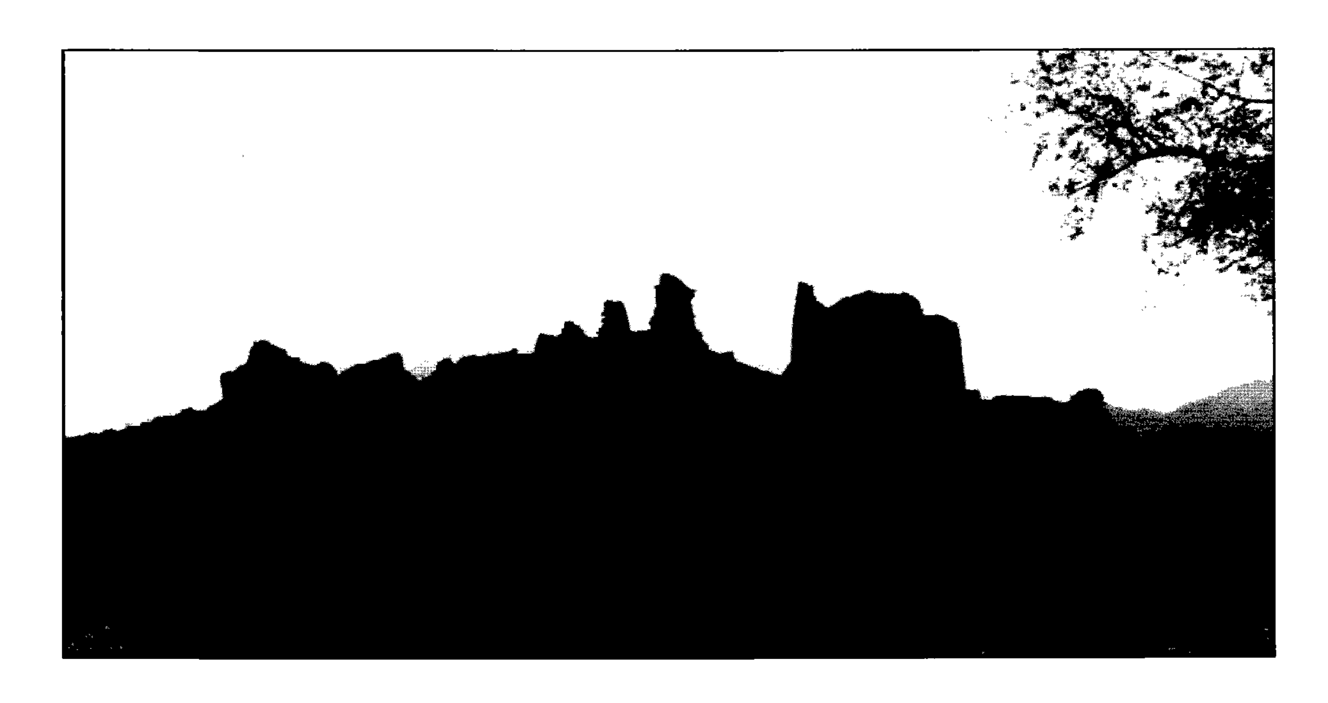
وتقع هذه القرية في الجهة الغربية من وادي بيدة، عند خط الطول ´٥٤١:٢٣ شرقاً وخط العرض ´٥٢٠:٢٣ شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٧٠٦ أمتار. وتبعد ٤٦كلم عن محافظة القرى. وتنتشر آثار هذه القرية على ربوة مرتفعة على امتداد كيلومتر واحدا تقريباً من الشمال إلى الجنوب، وقد بنيت مبانيها من الأحجار الكبيرة الحجم، واستخدمت جذوع السدر الكبيرة لحمل الأسقف، وتحتوي على نوافذ ضيقة في واجهاتها الشرقية على وجه الخصوص، كما تحتوي على ممرات ضيقة بين المنازل. وقد عثر على لوح حجري بين الأحجار المتساقطة نقش عليه (اللهم اغفر لمحمد بن يعقوب)، وتحتوي بعض واجهات أحجار البناء على بعض الرسوم الهندسية والحيوانية، (لوحة رقم ١٩).

٣- قرية نَبْهَان:

تقع شرق وادي بيدة على امتداد وادي نبهان أحد روافد وادي بيدة. عند خط الطول ´٢٥ :٤١° شرقاً وخط العرض´٢٣ :٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٥٩٩م، وتبعد ٤٨كلم عن محافظة القرى. وبنيت منازلها وحصونها من الأحجار المتوافرة في المنطقة، وقد تهدم أغلب تلك المباني ولم يبق سوى منزل واحد في الجهة الشرقية من القرية، وتتميز القرية بوجود الحصون الداخلية بين المنازل. وقد عثر على حجر في أحد المنازل نقش عليه (بسم الله الرحمن الرحيم غفر الله لعبد الله) ، كما تحتوي واجهات الأحجار المستخدمة في البناء على رسوم هندسية وحيوانية، (لوحة رقم ٢٠).



لوحة رقم (١٩) قرية حلايل



لوحة رقم (٢٠) قرية نبهان

٤- قرية مَعْشُوقَة:

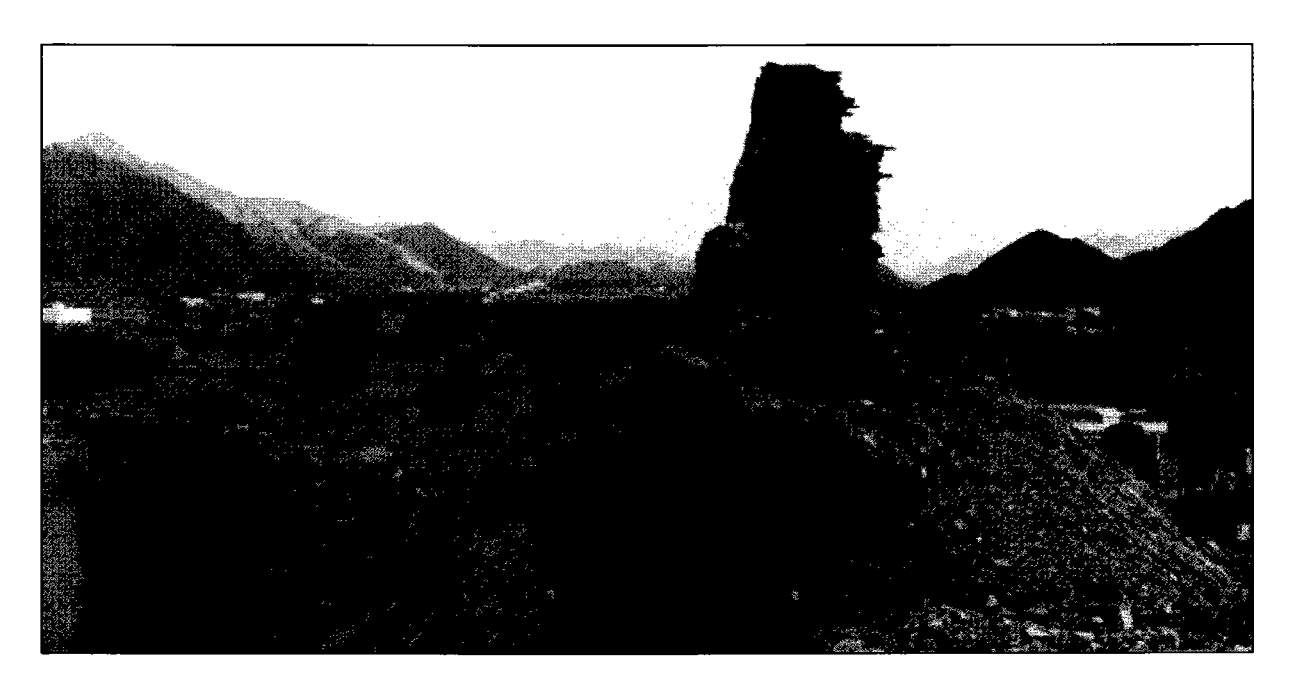
تقع في الجهة الغربية من وادي بيدة عند خط الطول ٤١:٢٤° شرقاً وخط العرض ٢٠:٢٤° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٦٧٧م، وتبعد ٥٠كلم عن محافظة القرى. وتظهر آثارها في صورة مبان متجاورة ومتلاصقة وتتعدد طوابقها وتحتوي واجهاتها على النوافذ الضيقة، كما تتميز بصلابة البناء ودقته واستخدام المواد الطبيعية، وهي حالياً مبان خربة مقارنة ببقية القرى في وادي معشوقة، (لوحة رقم ٢١).

٥- القرية الحَمْرَاء:

قرية كبيرة تتربع على أحد الجبال شرقي وادي معشوقة، عند خط الطول ٤١:٢٥° شرقاً وخط العرض ٢٠:٢٥° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٤٨٦م، وتبعد ٦٠كلم عن محافظة القرى. وتشبه إلى حد ما في شكلها المعماري قرية ذي عين[1]، وتتميز بمبانيها الكبيرة ذات الأحجار المائلة إلى اللون الأحمر. وتتكون القرية من حصون مرتفعة بمقدار١٤م، كما تحتوي على مجموعة من المنازل المتناثرة والمتهدمة بين الحصون. وفي الجهة الجنوبية من القرية يوجد مُصلى صغير مبني من الأحجار المتوسطة الحجم على شكل غير منتظم الأبعاد يبدو أنه أضيف في فترة لاحقة. وفي أسفل هذه القرية توجد المزارع الخاصة بالقرية، وقد طمرت السيول أغلبها في الوقت الحالي. وفي الجهة الشمالية من القرية يوجد مجموعة من المقابر المرتفعة عن سطح الأرض ومجموعة أخرى بمستوى سطح الأرض، كما يوجد في الجهة الشرقية من القرية المحجر(المقلع) الذي بنيت منه مباني هذه القرية. وبصفة عامة فإن القرية تبدو عن بعد محتفظة بشكلها الذي بنيت عليه، ولكن الأمر يختلف عند الاقتراب منها، فتبدو مبانيها متهدمة، (لوحة رقم ٢٢).

---

(١) ذي عين هي قرية تقع في جنوب غرب الباحة على بعد ٢٤ كم عبر عقبة الباحة على يسار المتجه إلى المخواة التي تبتعد عنها بنحو ٢٠ كم وقد بنيت على قمة جبل وتضم ٣١ منزلاً ومسجداً صغيراً، وتتكون بيوتها من طابقين إلى سبعة طوابق، وهي مسقوفة بالأخشاب وتكاد تكون متشابهة من حيث التخطيط المعماري. العبودي، أحمد صالح . الأنماط المعمارية التقليدية في تهامة زهران. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٩٢.



لوحة رقم (٢١) قرية معشوقة



لوحة رقم (٢٢) القرية الحمراء

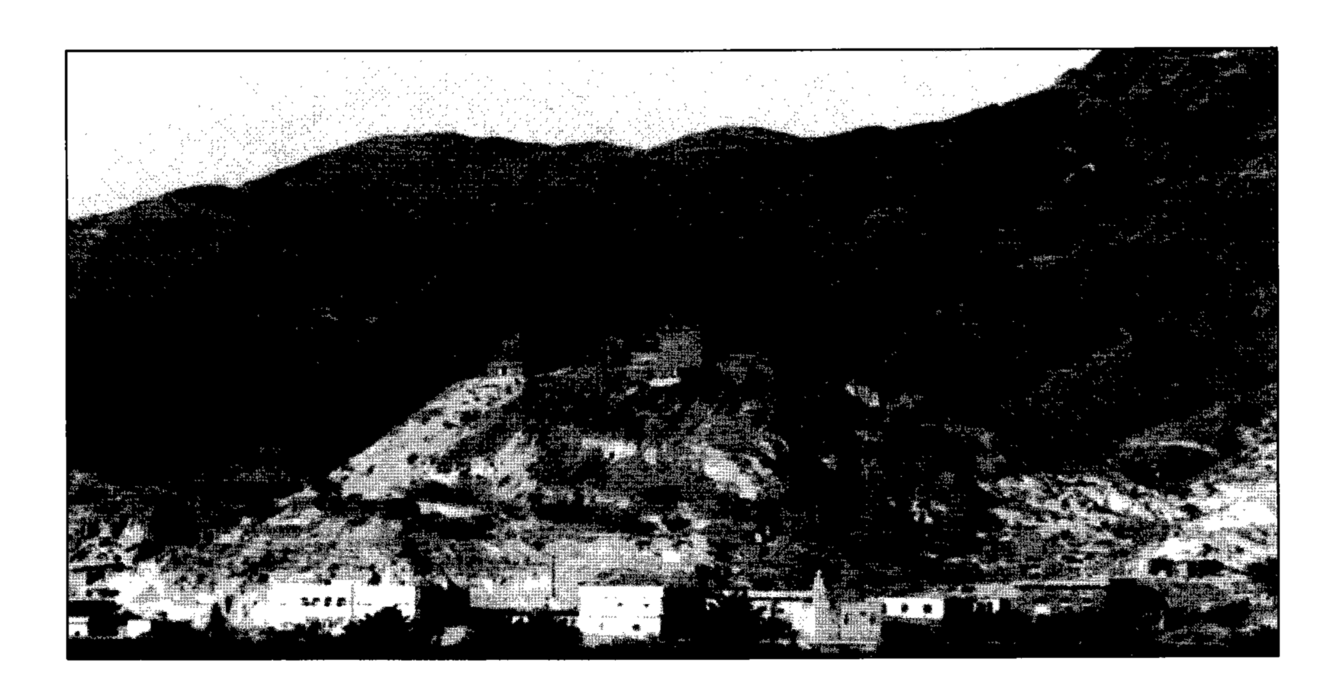
٦- قرية مزَعّرْ:

وتقع آثار هذه القرية على قمة أحد الجبال غرب الوادي، عند خط الطول ٢٤َ:٤١° شرقاً وخط العرض ٢٨َ:٢٠° شمالاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار١٤٧٣م وتبعد ٦٣كلم عن محافظة القرى. ومباني هذه القرية عبارة عن مجموعة من المباني المتجاورة، وفي المنتصف توجد الحصون ذات الطوابق المرتفعة. وقد بنيت من الأحجار الكبيرة الحجم [١]، وجميع منازلها متهدمة، ولازالت أعتاب أبواب بعض المنازل في أماكنها الأصلية، بالإضافة إلى بقاء حصن واحد في الجهة الجنوبية، كما يزينها المرو الأبيض من الخارج في الأجزاء العلوية. وفي الجهة الجنوبية من القرية تظهر المقبرة الخاصة بهذه القرية، بنوعيها ذات القبور المرتفعة عن سطح الأرض، والقبور التي بمستوى الأرض (لوحة رقم ٢٣).

٧- قرية دُهْمَة:

تقع في الجهة الغربية من وادي بيدة، عند خط الطول ٢٣َ:٤١° شرقاً وخط العرض ٢٩َ:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٥٣٢م وتبعد ٦٥كلم عن محافظة القرى. آثار هذه القرية تقع على ربوة مرتفعة تمتد من الجنوب إلى الشمال، وهي لا تختلف كثيراً عن القرى السابقة، إلا أن أكثر آثار هذه القرية متهدم، كما يلاحظ وجود بعض الترميمات المتأخرة في مباني هذه القرية خاصة في الأجزاء العلوية منها. وفي الجهة الجنوبية من القرية توجد مجموعة من الوسوم المنقوشة على إحدى الصخور القريبة التي تشير إلى الاستيطان في المنطقة، (لوحة رقم٢٤).

(١) وصلت آثار التخريب إلى بعض المنازل لأخذ الأحجار منها واستخدامها في البناء الحديث .



لوحة رقم (٢٣) قرية مزَعّرْ



لوحة رقم (٢٤) قرية دهمة

٨- قرية الوَقْرَة:

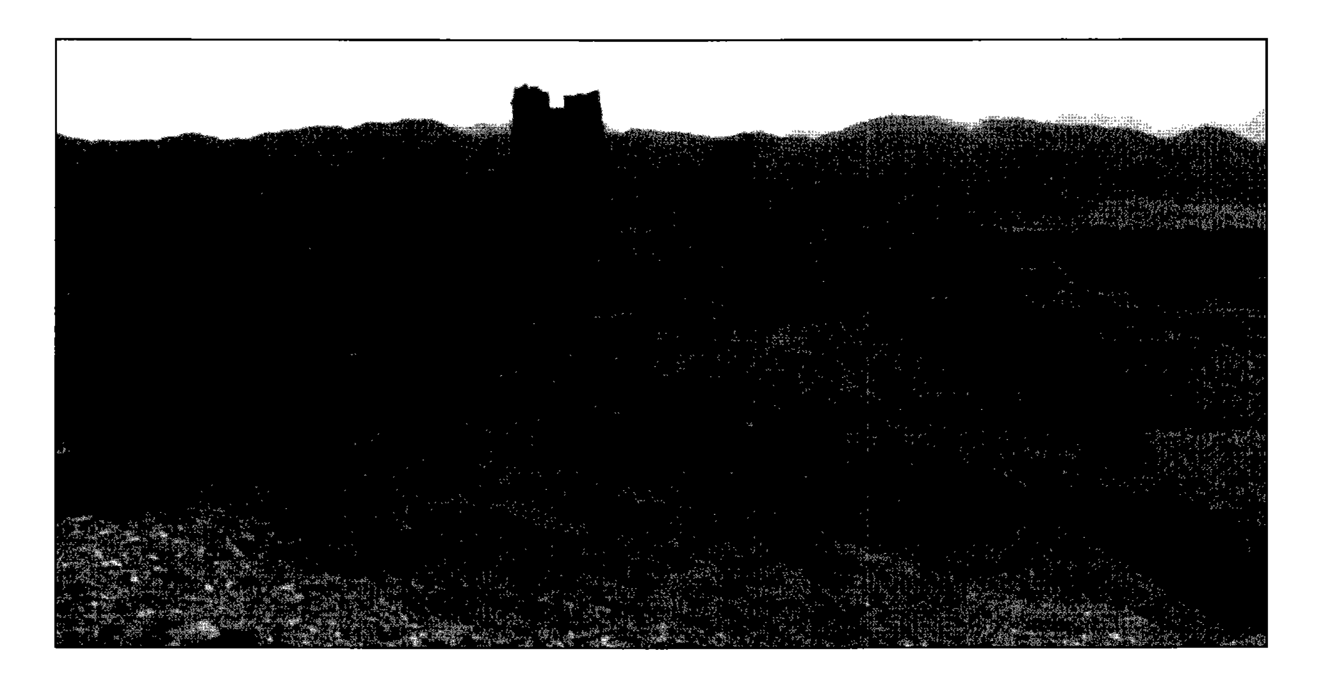
تقع آثار هذه القرية في الجهة الشرقية من وادي بيدة، عند خط الطول ٢٣َ:٤١° شرقاً وخط العرض ٢٩َ:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٥٤٩م، وتبعد ٦٧كلم عن محافظة القرى. وهي عبارة عن مجموعة من المباني الأثرية المتلاصقة والتي تتميز بفن معماري رائع التصميم، فهي تلتحم ببعضها مكونة سياجاً منيعاً لحفظ القرية. إضافة إلى وجود الحصون الدفاعية المتمركزة في منتصف وأطراف القرية، وتحتوي على نوافذ ضيقة محاطة بألواح حجرية من جميع جوانبها. وقد بدت لنا هذه الحصون كمركز مراقبة ودفاع لوادي معشوقة، إذ يكشف أحد هذه الحصون الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من الوادي بشكل كلي. وعلى بعد نصف كيلومتر من المنازل باتجاه الشرق يوجد مقلع الأحجار الذي استخدم في بناء حصون ومباني هذه القرية. وقد عثر على نقش على أحد أحجار البناء مثبت في أسفل الحصن من الداخل[1]، ويبدو أنه قد تم تغيير مكانه الأصلي وقد نقش عليه (هذه محطة الحكم)، كما تظهر في هذه الحصون الرسوم الهندسية والحيوانية على واجهات الأحجار من الجهة الغربية، (لوحة رقم ٢٥).

٩- قرية المطَاعِنَة:

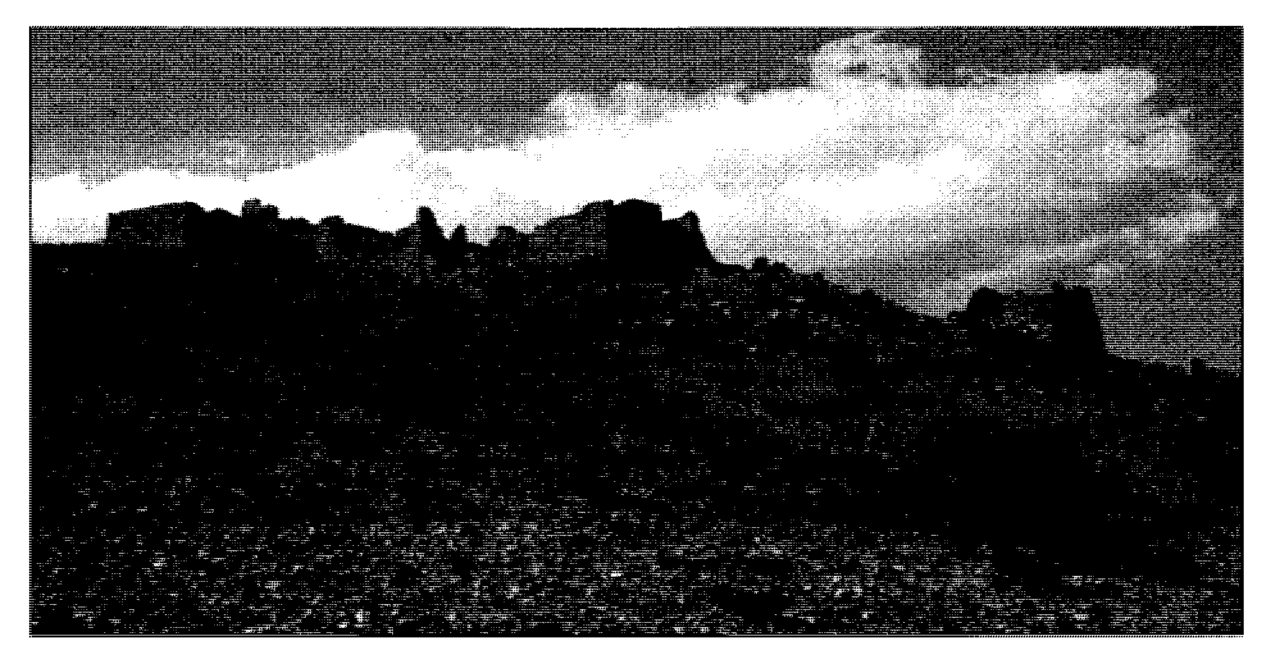
تقع آثار هذه القرية في الجهة الغربية من وادي بيدة، عند خط الطول ٢٣َ:٤١° شرقاً وخط العرض ٣٢َ:٢٠° شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بمقدار١٤٨٣م وتبعد ٦٨كلم عن محافظة القرى. وتحتوي على بعض المنازل التي يقترب بعضها من بعض وتشبه في مبانيها القرى السابقة. وتحتل المزارع الجهة الشرقية من القرية. كما توجد بئر قديمة تعرف بـ(الحسو)، ولازالت تمد سكان الوادي بالماء العذب حتى وقت إعداد هذه الدراسة، (لوحة رقم ٢٦).

---

(١) ذكره الجاسر(رحمه الله) في كتابه في سراة غامد و زهران عندما تحدث عن وادي بيدة، وذكر أنه قام بزيارة قصر يدعى قصر الحكم، وفيه نقش بذلك. الجاسر، ص٢٢.



لوحة رقم (٢٥) قرية الوقرة



لوحة رقم (٢٦) قريةالمطاعنة

إن المتأمل في تلك الآثار المنتشرة في قرى معشوقة، يرى بوضوح قوة البناء وحصانة المكان، وتشابهها إلى حد كبير في أسلوب وتخطيط البناء والوحدات والعناصر المعمارية، كما تنتشر الحصون بكثرة في هذا الجزء إذ يوجد في كل قرية مابين حصنين وخمسة حصون. ويمكن القول إن هذه القرى بنيت في فترة واحدة، ويظهر ذلك من طريقة البناء وتشابه الأنماط المعمارية والمواد المستخدمة فيها. كما يلاحظ أن لكل قرية مقلعاً خاصاً بها وكذلك مقبرة تتجه باتجاه القبلة، ولم تكشف هذه الدراسة عن مساجد في هذا الجزء من وادي بيدة.

(ب)- المنشآت المعمارية:

تعتبر العمارة بكل أنواعها وثيقة تاريخية تبين طبيعة عصرها سواءً من الناحية النفسية والاجتماعية أو الاقتصادية، إضافة إلى أثر العوامل البيئية الطبيعية وما توفره من مواد خام وما يفرضه المناخ الذي يختلف من بيئة إلى أخرى، حسب ما يمليه الموقع الجغرافي من ناحية، وما تحدثه العناصر الثقافية للإنسان من ناحية أخرى. فالموروث الحضاري الذي يتكون منه الفكر المعماري الإنساني لم يكن في يوم من الأيام وليد بيئة معينة من العالم، فلكل بيئة ثقافتها وسلوكها.

وبما أن الإنسان هو حامل هذا الفكر والمعبر عنه، فقد استطاع تأمين احتياجاته الفطرية حسب التراكم الثقافي المكتسب له. فالإنسان والمكان وتغطية البناء هي عناصر متداخلة بتفاصيلها وجزيئاتها تضافرت جميعاً لتشكل الحاجة النفسية والاجتماعية والقدرة على التكيف مع البيئة وفق متطلباتها.

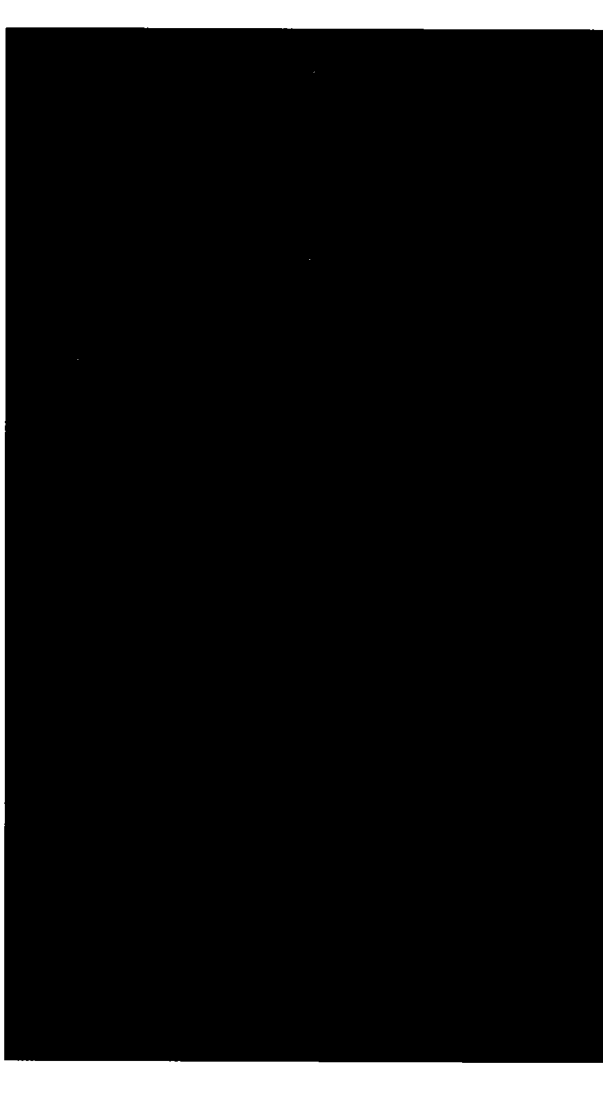
لذلك نجد في وادي بيدة مجموعة من المنشآت المعمارية التي أقيمت لتؤدي وظائفها المختلفة، وقد يشترك بعضها في أكثر من وظيفة ، كما أن وجود هذه المنشآت يختلف من مكان إلى آخر، ويحدد ذلك طبيعة الموقع وفرضيات المكان ومدى الحاجة إلى هذا البناء. وهذه المنشآت المعمارية تمثل المنازل، والمساجد، والحصون الحربية، ثم المنشآت الزراعية. وهو ماسوف نبينه في هذه الدراسة.

١- عمارة المنازل

تعد المنازل من أهم المنشآت المعمارية المنتشرة في وادي بيدة، وذلك لكونها توفر المأوى للإنسان من عوامل الجو ومن الحيوانات الضارية، وكذلك من هجمات الأعداء من أخيه الإنسان. ونظراً إلى كثرة المنازل في منطقة الدراسة، خاصة في بيدة، وتشابهها في التخطيط إلى حد كبير، فقد تم اختيار عينتين من المنازل، وهي منازل قرية الجدلان ومنازل قرية الغتامية. وجاء هذا الاختيار لتميز

كل قرية بسمة تختلف عن الأخرى من حيث التخطيط وتعدد الطوابق، إضافة إلى اختلاف الموقع الجغرافي للبناء والذي لعب دوراً مهماً في التخطيط، وتوفر بعض المرافق الأخرى التي تميز تلك المنازل. أما منازل معشوقة فقد تم كشف أهم خصائصها علماً أنه تعذر الحصول على تخطيط ملائم للدراسة وذلك لكثرة تساقط المباني من جهة، إضافة إلى قلة المنازل على وجه الخصوص في هذا الجزء من منطقة الدراسة من جهة أخرى، لذا فقد جاء الوصف مختلفاً عن منازل بيدة.

وقبل الحديث عن هذه المنازل لابد من التعرف بأهم العناصر المعمارية لعمارة المنازل في بيدة، ثم تناول هذه العناصر ووجودها في عينة الدراسة.



لوحة رقم (٢٧) مذود

أولاً: مكونات المنزل من الداخل:

يتكون المنزل في بيدة من طابقين أو ثلاثة، ويخصص الأرضي للماشية وأعلافها، والأول للمأوى والاستقبال، والثاني لإقامة العائلة وأفرادها، هذا في حالة وجود ثلاثة طوابق في المنزل. أما إذا كان المنزل من طابقين فان الطابق العلوي يقسم بين غرف للعائلة وغرفة كبيرة لاستقبال الضيوف من الرجال. وسنتناول مكونات كل طابق وما يوجد به من عناصر معمارية على النحو التالي:-

(أ) - الطابق الأرضي:

مساحة مربعة أو مستطيلة مقسمة بجدار من الأحجار إلى قسمين غير متساويين ويتم الدخول إليه عن طريق باب واحد في منتصف الواجهة. ولا يحتوي هذا الطابق على نوافذ مطلة على الخارج. ويتكون من الوحدات والعناصر التالية[1]:-

١- السِفل:

نقيض الأعلى[2]، وهو القسم الأكبر مساحة ويخصص لإيواء الماشية من الأغنام والأبقار ونحوها.

٢- العُيون:

وهو قسم أقل مساحة ويفصله عن السفل جدار من الأحجار، ويخصص هذا القسم لتخزين الأعلاف وبعض المحاصيل الزراعية والحطب ونحوه.

٣- الرَدَة:

وهو الجدار الفاصل بين السفل والعيون ويبنى من الأحجار ويكون عرضه من ٧٠ إلى ١٠٠سم ويقوم أيضاً بحمل السقف، ويعتبر في الوقت نفسه نقطة ارتكاز للأعمدة في الطوابق العلوية.

٤- المِذْوَد:

معتلف الدابة[3]، وهي دخلة في الجدار مستطيلة الشكل غير نافذة ترتفع ٨٠سم تقريباً عن الأرضية، يوضع فيه علف الحيوانات لتأكله ولا تطأه بقوائمها ولا تلوثه ببولها، (لوحة رقم ٢٧).

---

(١) ترتيب العناصر المعمارية يخضع لاعتبارات معمارية من حيث أهميتها في المنزل.

(٢) الفيروز آبادي، ص١٣١٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣٥٩.

٥- الخَوَة:

وهي فتحة مربعة الشكل في سقف الطابق الأرضي تتصل بالطابق العلوي للتزود ببعض المؤن وللاطمئنان على الماشية. وقد تستخدم كممر سري يصل عند الحاجة بين بنائين في أثناء الحروب. ويتم غرز قطع من الألواح الحجرية أو الأخشاب في الجدار الداخلي تستخدم سلماً للصعود والنزول، وتغلق هذه الفتحة بألواح من الحجر أو الخشب، (لوحة رقم ٢٨).



لوحة رقم (٢٨) خوة

٦- الرَقَح:

وهي رفوف تعد من ألواح من الخشب أو الحجر تثبت في الجدران بوضع طولي وعرضي تخصص للطيور من الدجاج والحمام، وتكون عادة قريبة من السقف.

(ب) - الطابق العلوي:

مساحة مربعة أومستطيلة تحتوي على عدد من الغرف تتراوح بين غرفتين وخمس غرف تخصص لإقامة العائلة واستقبال الضيوف، إضافة إلى مكان لتخزين أدوات الضيافة من القهوة والشاي والتمور ونحوها. ويتكون الطابق العلوي من العناصر التالية :

١- الصَرّحة:

وهي المتن من الأرض وصرحة الدار ساحتها[1] وتعني أرضية المنزل. وتغطى الصرحة بالفرش من الحصير المصنوع من سعف النخل وغيرها.

٢- الرُصَّان:

وهي الفواصل الداخلية بين الغرف[2]، وتعد من أغصان وجذوع أشجار السدر والعرعر والأثل، يرص بعضها بجانب بعض، وتربط بلحاء الأشجار وتليس بالطين. وإذا استخدمت الألواح الخشبية، خاصة ما يعد منها للمجالس وغرف الاستقبال، تنفذ عليها بعض الزخارف الهندسية والنباتية، (لوحة رقم ٢٩ ، ٣٠).

---

(١) المنجد في اللغة والإعلام. ط٢٧؛ بيروت: دار المشرق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٤٢١.

(٢) في اللغة: رص الشيء ألصقه ببعضه فهو مرصوص. الفيروز آبادي، ص٣٦١.



لوحة رقم (٢٩) رصان من الألواح



لوحة رقم (٣٠) رصان من أغصان النبات

٣- المَلّة:

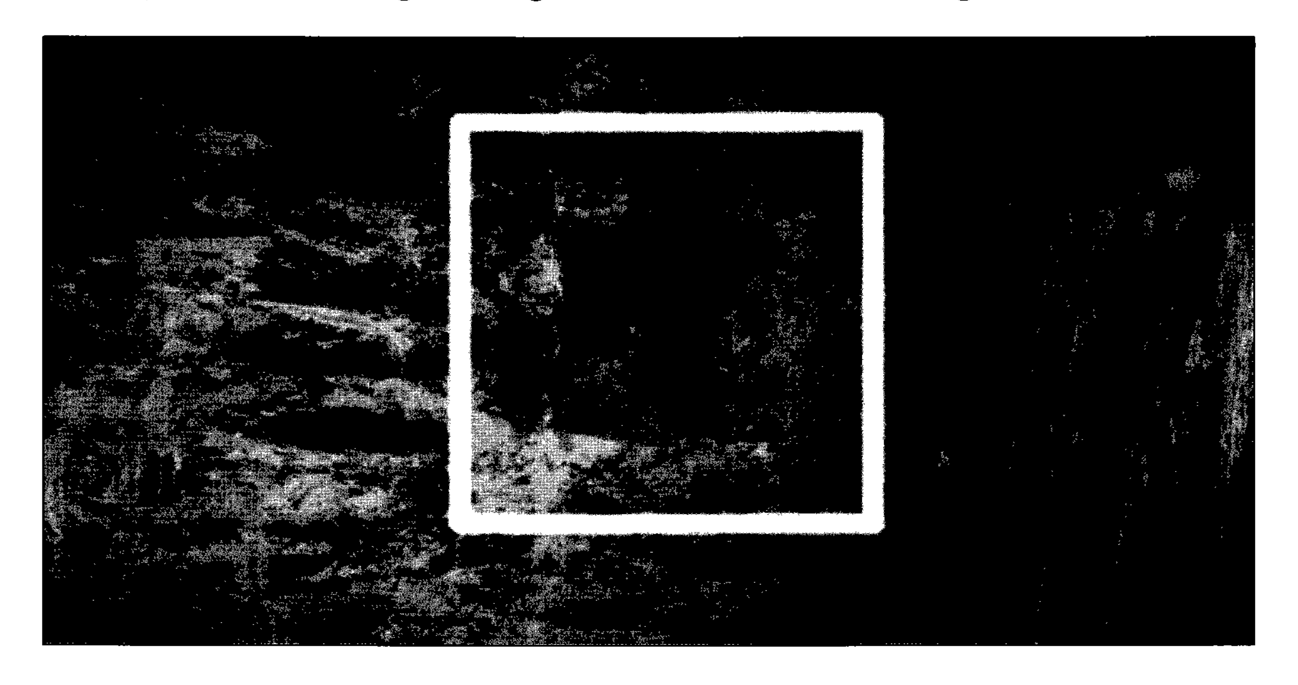
وهو المكان الذي توقد فيه النار[١] ، وتكون عادة في غرفة الضيافة أو وسط المنزل. ويطلق على الحواف الجانبية للملة (الحَرَنْ) لحفظ المنزل أو الغرفة من تطاير النار أو الرماد إلى أجزاء الغرفة، وتقوم الملة بحصر النار والجمر عن الفرش الموجود في الغرفة.

٤- القُتْرَة:

وهي النافذة أو الكوة[٢]، وهي فتحة في السقف تتخذ أشكالاً مختلفة تعمل على التهوية وتصريف الدخان من داخل المنزل، وتكون مقابلة للمَلة.

٥- الحلَانة:

دخلة في جدار المنزل مربعة الشكل أو مستطيلة غير نافذة، تستخدم لتخزين الأغراض الصغيرة كالمفاتيح والمستلزمات الخاصة، كما توضع بها مسارج الإضاءة، (لوحة رقم ٣٢).



لوحة رقم (٣١) حلانة

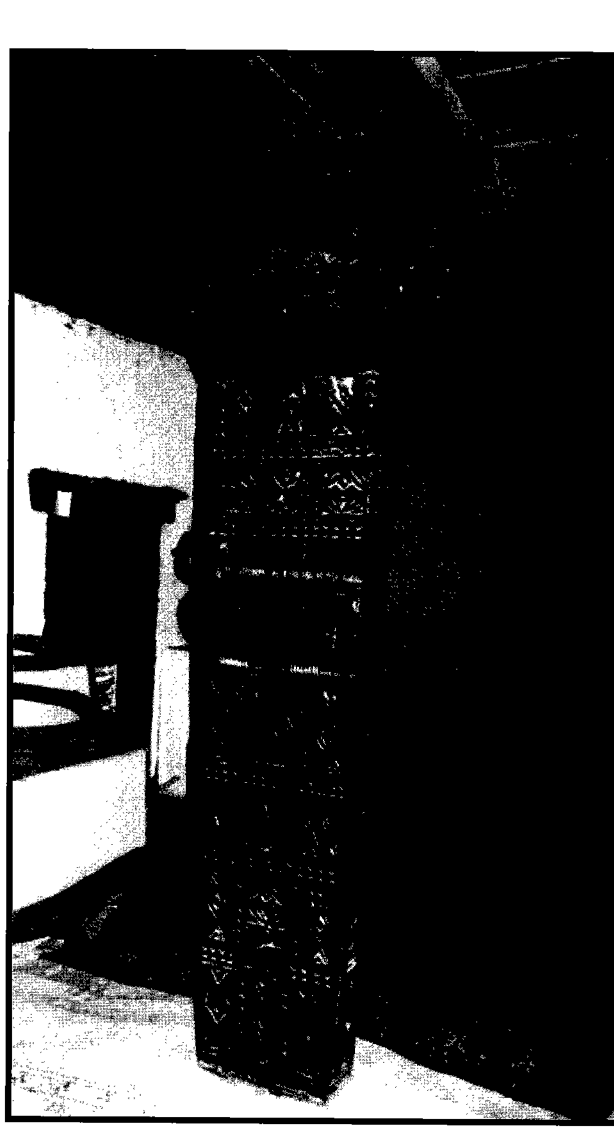
(١) المنجد، ص ٧٧١.

(٢) غالب، عبدالرحيم. موسوعة العمارة الإسلامية. ط١؛ بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣١٢.

٦- العُلِّيَّة:

الغرفة وجمعها العلالي[1] وتخصص لصاحب المنزل، وقد يكون في المنزل الواحد أكثر من علية، وتستخدم كغرف نوم.

٧- الزُّفُر:



لوحة رقم (٣٢) الزافر

جمع زافر وهي الأعمدة الداخلية، تصنع من أخشاب السدر والأثل ذات الجذوع الكبيرة. تراوح أطوالها بين٣م و ٤ م تقريباً وعرضها بين ٤٠سم و٨٠سم. تبدأ بمساحة مستوية ثم يزداد عرضها في الأجزاء العلوية وظيفتها حمل السقف، وتزين بزخارف جميلة قوامها الأشكال الهندسية والنباتية، وفي أحيان أخرى الكتابية. ويطلق على الزافر في الطوابق العلوية (المخرط) وهو امتداد للزافر الأساسي في الطابق الأول، وسمي المخرط لأنه ينخرط من الطابق العلوي ويرتكز على الردة في الطابق الأرضي من المنزل، (شكل رقم ٥، لوحة رقم ٣٢).

---

(١) الفيروز آبادي، ص١٦٩٥.

٨- **السُفُن:**

أحجار شبه دائرية مسطحة توضع تحت الزافر لحمايته من رطوبة التربة.

٩- **الوسَاد:**

قطعة من الخشب تعلو الزافر، عرضها تراوح بين٧٠سم و١٠٠سم وارتفاعها بين٣٠و٧٠ سم تقريباً، تركب فوق الزافر لتحمل الوسح، وهي تتخذ أشكالاً مختلفة فمنها المستطيل والنصف دائرة.

١٠- **الوسُح:**

عوارض خشبية توضع بشكل أفقي وتستند على الوسائد بشكل معاكس في اتجاه امتدادها، وتساعد على ثبات الزافر وسقف المنزل.

١١- **البطَانة:**

عوارض خشبية تركب فوق الوسح في السقف بشكل عرضي، إلا أن خشب البطانة أكبر من خشب الوسح في السمك، وتكون أخشاب البطانة إما مصفوفة بعضها إلى جانب بعض أو متفرقة.

١٢- **الجَرد:**

أخشاب التسقيف النهائية للمنزل، وهي عوارض خشبية تفرش فوق البطانة بعكس اتجاه امتدادها وهي أقل سمكاً منها.

١٣- **الغِلاَق:**

لحاء العرعر وشجيرات الطباق والشيح والضرم، يوضع فوق الجرد لقفل الفراغات في أثناء التطيين لحماية السقف من تسرب المياه إلى داخل المنزل، ويعتبر آخر مراحل التسقيف من الداخل.

١٤- الصِلِي:

جمع (صلاة) وهي ألواح حجرية مسطحة تعد في المقالع وتشذب وتسوى جوانبها، طولها تراوح بين٧٠سم و١٠٠سم وعرضها بين٥٠سم و٧٠سم، تفرش على السطح العلوي لإحكام إغلاق السقف.

١٥- المِعْلاق:

كل ما علق به[1] وهو خطاف من الحديد يوضع بين أخشاب السقف لتعليق الأسلحة والملابس واللحم، وقد يوضع في واجهة الزافر أو في جوانبه.

ثانياً : مكونات المنزل من الخارج:

يتكون المنزل من الخارج من مجموعة من العناصر المعمارية التي يتفاوت وجودها حسب متغيرات عديدة، منها مساحة المنزل، والحالة الاجتماعية لصاحبه إلى جانب توافر مواد البناء. وهذه العناصر لم تخرج عن الاتجاه المألوف في المنطقة بشكل عام، وإن كان هناك اختلاف بسيط في مسمياتها، وهي تستخدم في المقام الأول لتؤدي وظائف متعددة في المنزل، وتوجد في الواجهة الرئيسية للمنزل أو موزعة في الواجهات الأربع حسب الحاجة إليها.

وقد حرص المعمار عند تشييد الواجهات على استخدام الحجر الصلد المحلي الذي كان عماد البناء في المنطقة بشكل عام، وفي وادي بيدة على وجه الخصوص حتى عهد قريب، وقد تميز بسمكه وقوته ورشاقته وتحمله للظروف المناخية. وترتفع هذه الواجهات بين ١٥م و٢٠م تقريباً في انتظام متناسق. وتتكون واجهات المنازل من العناصر التالية:

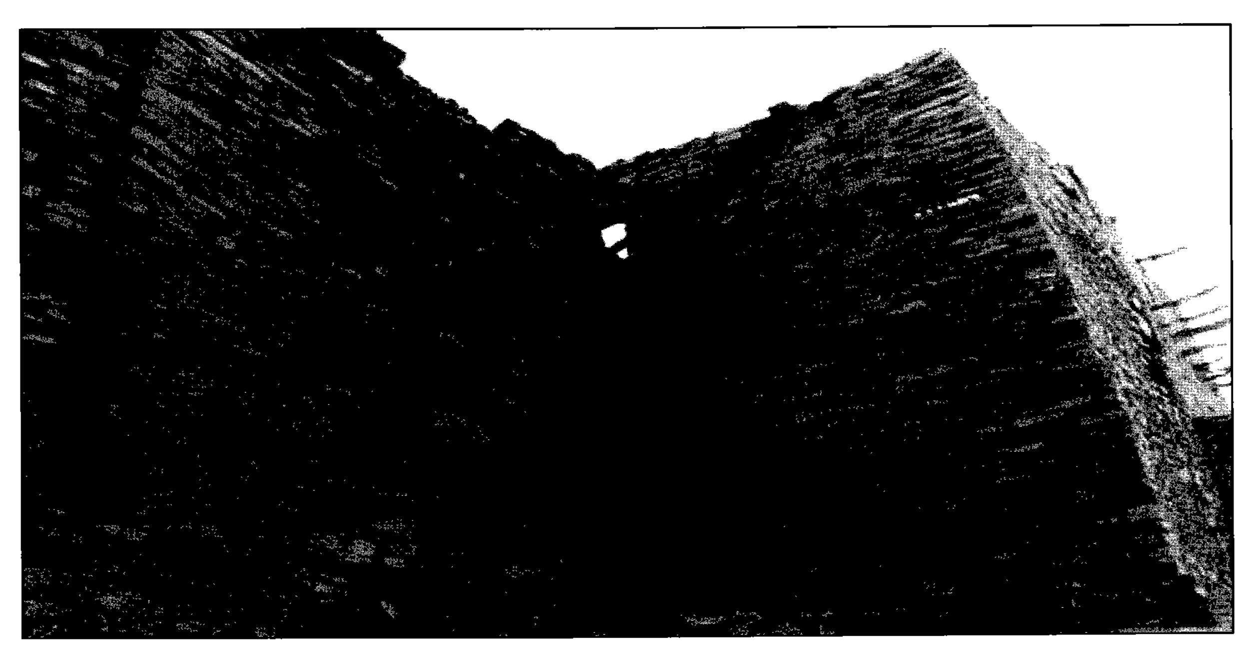
(أ) - المداخل:

تعتبر المداخل أبرز مميزات الواجهات الرئيسية للمنازل، وتتسع فتحة المدخل وتضيق حسب

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٧٦.

حجم المنزل، إلا أن عرضها في أغلب الأحوال تراوح بين٨٠سم و١٠٠سم في حين تراوح ارتفاعها بين ١,٥٠م و٢م تقريباً، ويوجد مدخل منكسر في بعض المنازل حفاظاً على خصوصية العائلة في الداخل، وتغلق المداخل بأبواب خشبية مصنعة من الأشجار المحلية (لوحة رقم ٣٣)، ويتكون الباب من العناصر التالية :



لوحة رقم (٣٣) مداخل متعددة ومختلفة

١- المِصْرَاع:

وهو درفة الباب[1]، ويتألف من عدد من الألواح الخشبية تراوح بين٤ و٦ ألواح، عرض اللوح الواحد منها يصل إلى٢٠سم وسمكه ٥ سم. وتربط هذه الألواح عارضة خشبية تثبت في منتصف الباب من الداخل، وقد تكون الأبواب من مصراعين اثنين إذا كان المدخل كبيراً، أو من مصراع واحد إذا كان صغيراً.

(١) المصراعان من الأبواب، وبابان منصوبان منضمان جميعاً مدخلهما في الوسط منهما، المرجع السابق ص٩٥٢.

٢- الأمشَاط:

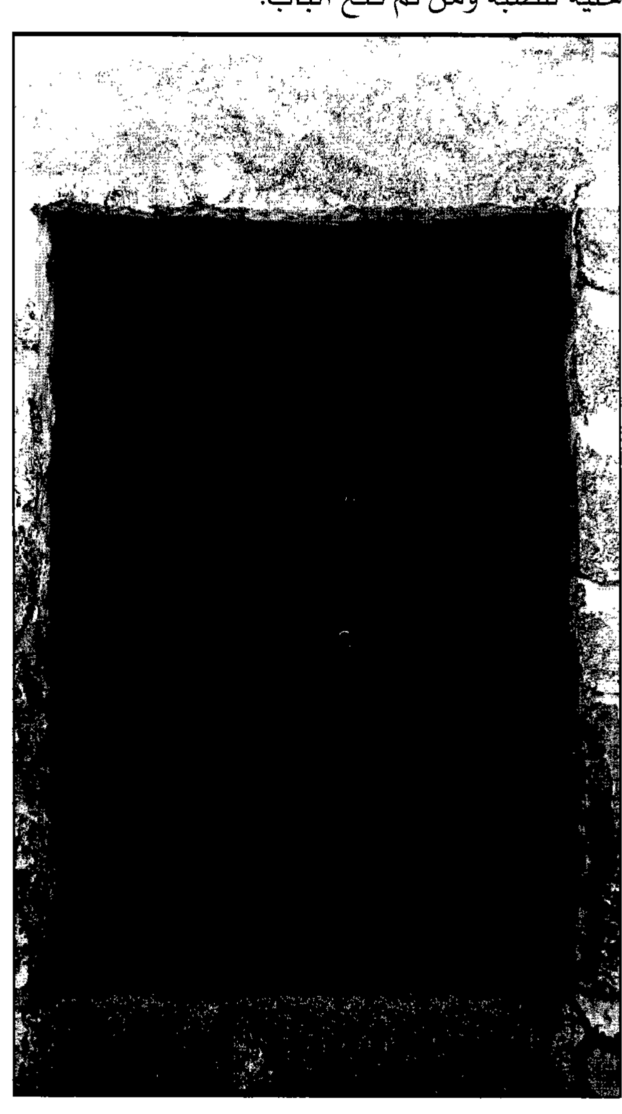
قطع من العوارض الخشبية الصغيرة يصل عرضها إلى ٥ سم توضع بين ألواح الباب لتربط بينها زيادة في تماسكها.

٣- الضَبّة:

قفل الباب من الخارج، مصنوع من الخشب ولها أسنان داخلية، ومفتاح خاص مقبضه من الخشب ورأسه من الحديد يعمل على تحريك الأسنان الداخلية للضبة ومن ثم فتح الباب.

٤- العُبُر:

جمع عابر وهي العضادة وكتف الباب أو دعامة جدار أو عقد، وكل ما يعضد ويدعم من كل جانب[1]. وهي التي تعرف حالياً بحلق الباب سواء كانت من الخشب أوغيره. وتكون العبر على حدود المدخل من الخشب الذي تراوح عرضه بين٢٠سم و٣٥سم، وتنفذ عليه زخارف متعددة. كما يمكن أن تكون من الحجر المنتقى بعناية في ركني المدخل أو قطعة واحدة من أسفل جانب الباب إلى أعلاه. و تشكل هذه الدعامات وظيفتين في المدخل، الأولى: دعامة جانبية لتقوية الباب، أما الثانية: فزخرفية لتزيين مدخل المنزل، (لوحة رقم ٣٤).



لوحة رقم (٣٤) عبّر من الخشب

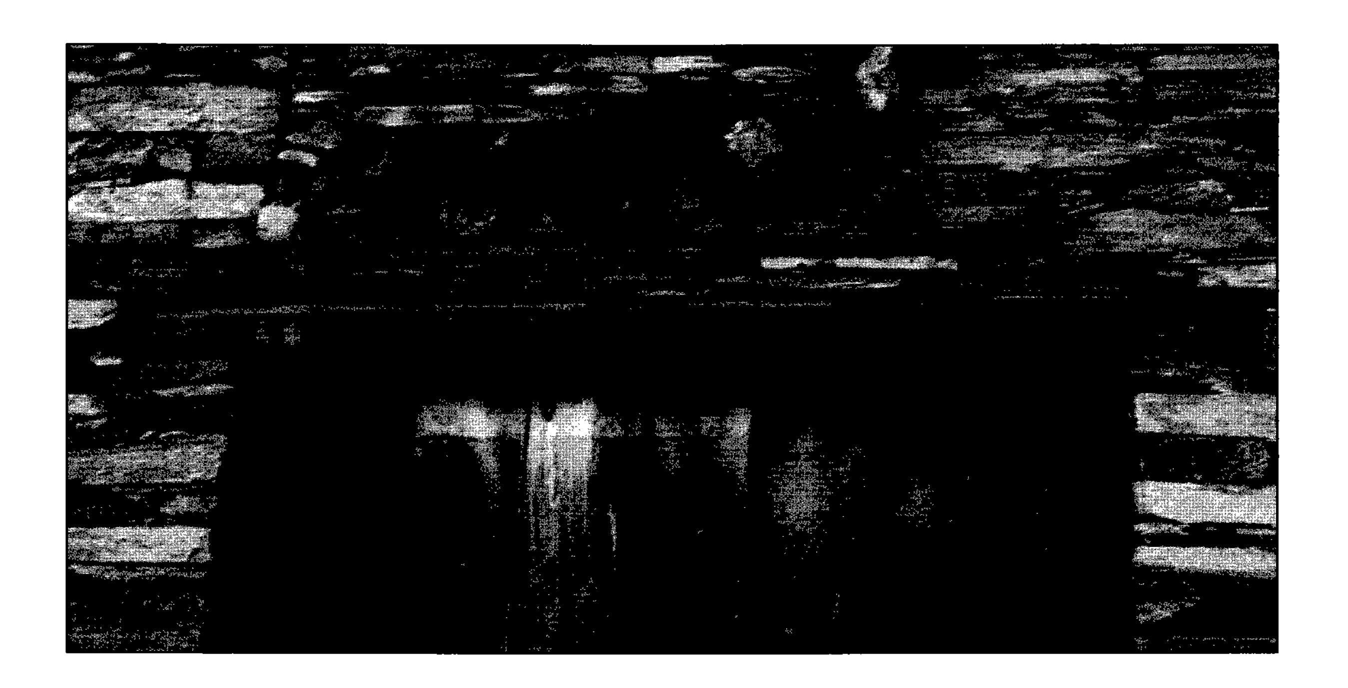
(١) غالب، ص ١٩٠.

٥- العتَبة:

ما يطأ عليه الداخل أو الخارج من المدخل، كما يطلق هذا اللفظ على الساكف أو العتبة فوق المدخل[1]. وتعد الأعتاب في الغالب من الأحجار المستوية وفي حالات نادرة تعد من الألواح الخشبية.

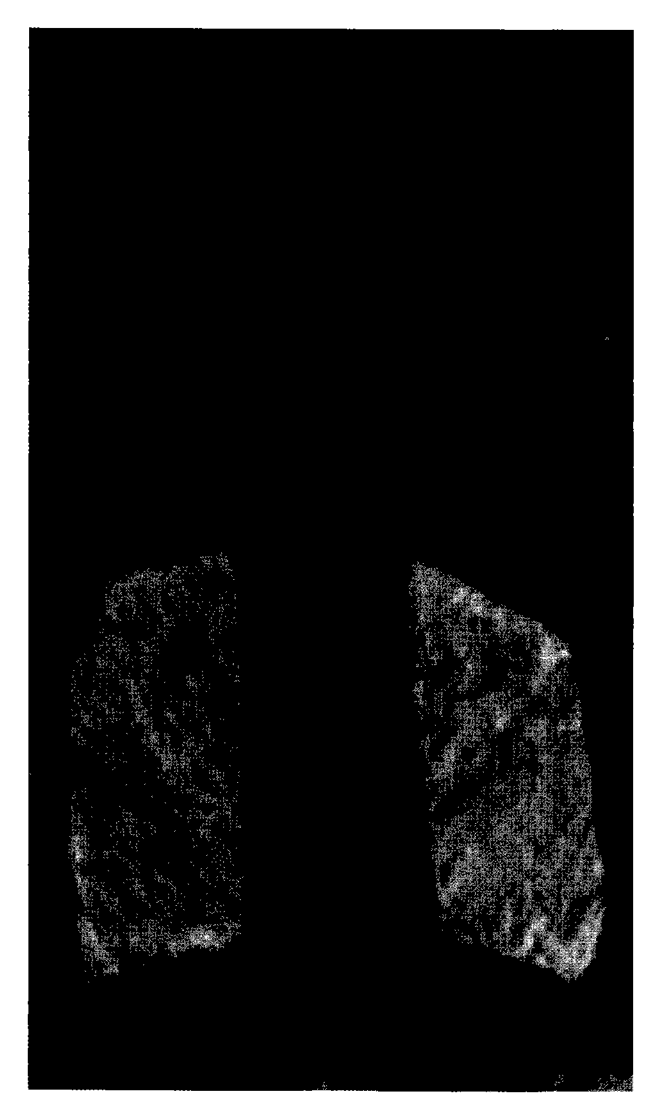
٦- الجبّاهَة:

قطعة خشبية معترضة تركب تحت الساكف فوق الباب مباشرة، يثبت فيها المصراعان، فيها ثقب قطره ٥ سم تلج في أحد طرفيها رجل الباب لتحركه بسهولة، وقد تكون بارزة لكي تمنع دخول مياه الأمطار إلى المنزل، كما يتقى بها أشعة الشمس، (لوحة رقم ٣٥).



لوحة رقم (٣٥) جباهة

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٦.


لوحة رقم (٣٦) غمامة

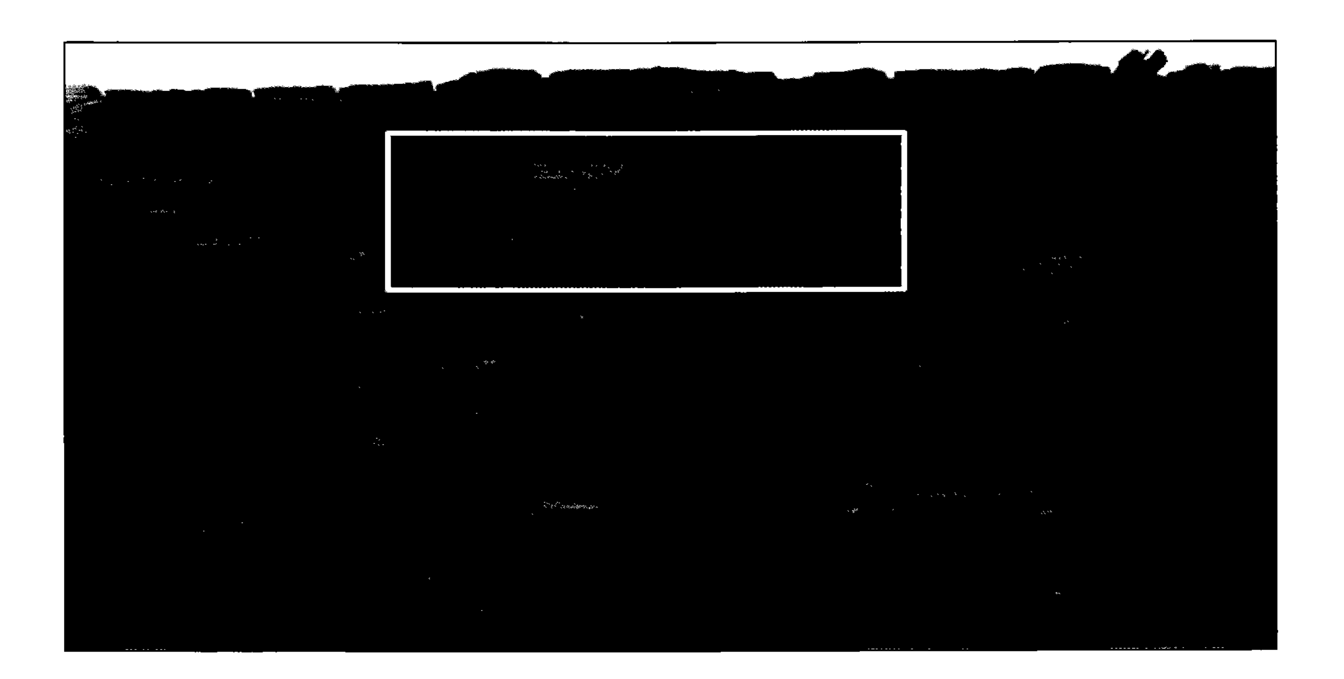
٧- **الغِمَامَة:**

عبارة عن قطعة من الحجر المشذب، حيث يعمد الحجار إلى إعداده مسبقاً في المقلع بعد تشذيبه وتسوية زواياه، وقد يجلب من مكان بعيد خارج المقلع ولو اقتضى الأمر أن يكون من خارج المنطقة، ويركب هذا الحجر فوق الساكف بعد أن تبنى الجدران لتستند عليه الأحجار العلوية. وتكون الغمامة على شكل مستطيل أو قوس أو أشكال أخرى غير منتظمة، وتكون ألوانها مختلفة عن أحجار البناء، وتمثل كذلك علامة مميزة للأبواب وعنصراً زخرفياً للمنزل، (لوحة رقم ٣٦).

(ب) - **النوافذ:**

يتوزع وجود النوافذ ومساحاتها بشكل ينسجم مع دورها الوظيفي، وتختلف حسب موقعها، فيلاحظ أنها في الطوابق السفلية تكون أصغر منها في الطوابق العلوية، بالإضافة إلى احتوائها على الأعمال الزخرفية على شكل خشب منجور أومحفور، ويدل ذلك على القدرات والمهارات الفائقة لممارسي حرفة النجارة في المنطقة. وتقام هذه النوافذ في أعالي المنازل وذلك للتهوية والإضاءة، بالإضافة إلى المراقبة

والدفاع عند الحاجة. وتراوح مساحة هذه النوافذ بين ٥٠×٥٠سم و١٠٠×١٠٠سم، . وتتكون النافذة من قاسم في المنتصف، وعابرين في الجوانب وجباهة وغمامة في الأعلى، وتتعدد مواد تنفيذها فمرة بالألواح الحجرية وأخرى بالألواح الخشبية، (لوحة رقم ٣٧).

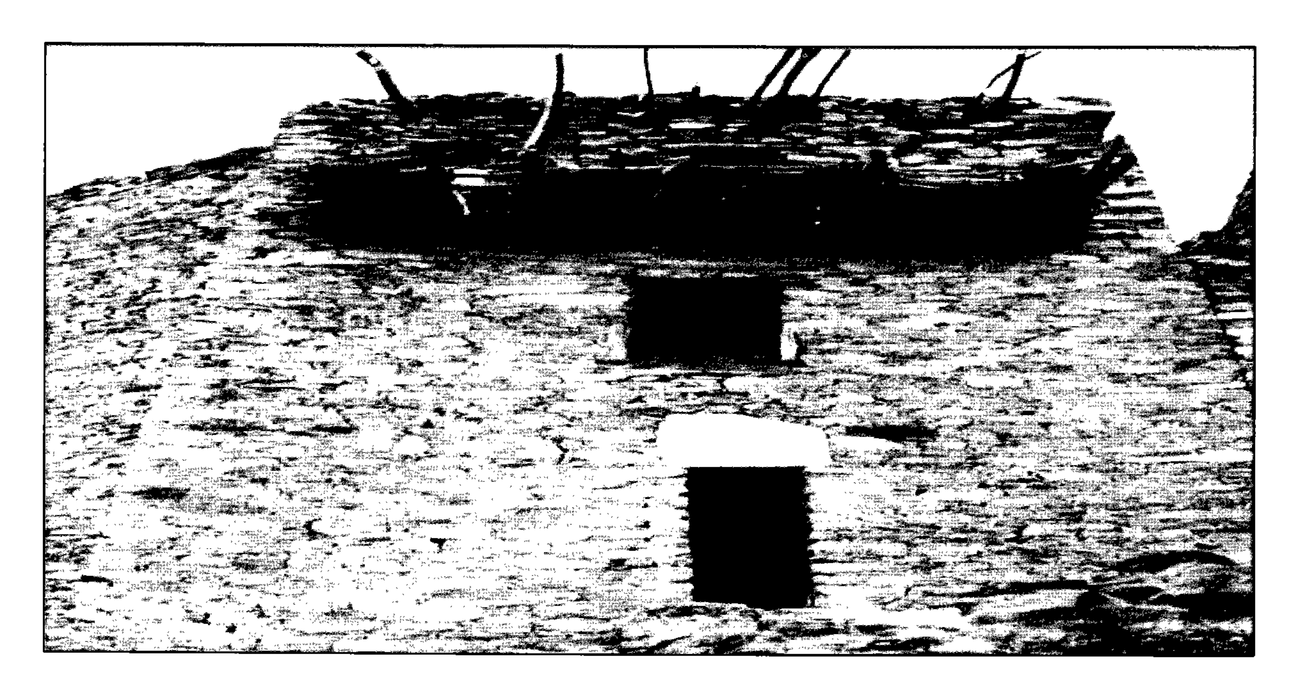


لوحة رقم (٣٧) نافذة ويعلوها صف من الألواح الحجرية

(ج)- الرَعَش:

مجموعة من الأخشاب ذات الأحجام الكبيرة التي تراوح أطوالها بين ٢م و٣م تقريباً، تخرج من حائط المنزل في الطوابق العليا جهة الطريق، ولا تصل إلى الجدار المقابل فتصبح على هيئة شرف تطل على الخارج، وتسقف بالأغصان لتشكل ظلة صيفية. ويكون للرعوش دور أمني في حالة الحروب. وتشيد في كثير من الحالات فوق النوافذ والأبواب لتمنع دخول مياه الأمطار إلى المنزل ولتحد من حرارة الشمس. وقد عرف الرعش في المنطقة بكثرة وهو يشبه الروشن

في العمارة الإسلامية تقريباً[1]، (لوحة رقم ٣٨).



لوحة رقم (٣٨) رعوش

(د)- السلالم:

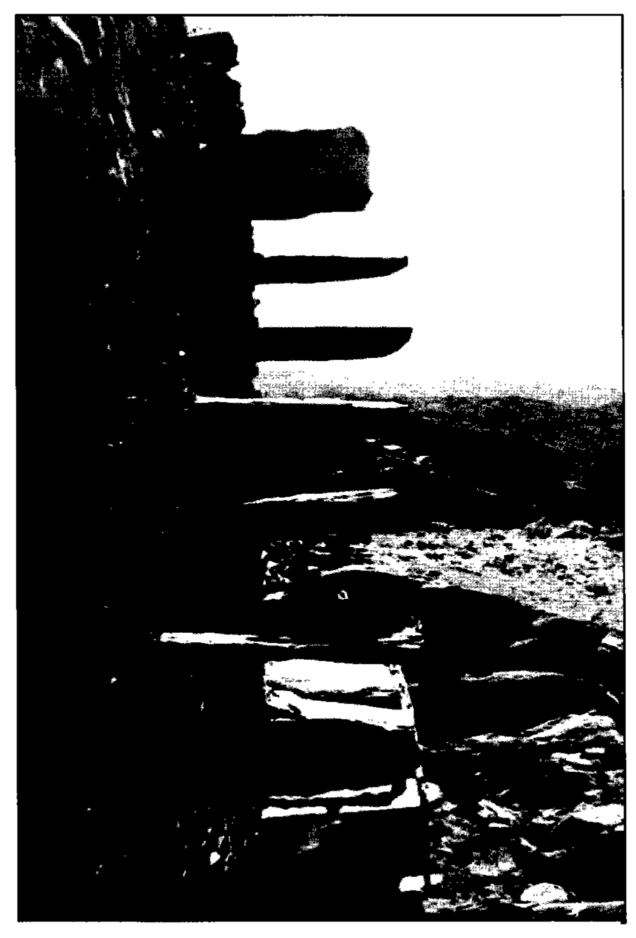
تبني من ألواح حجرية تراوح عرضها بين متر واحد و متر ونصف تقريباً. وتعتبر حلقة وصل بين الطابقين الأرضي والعلوي والسطح العلوي من الخارج. ويبنى السلم المؤدي إلى الطابق الأول على قاعدة مستقلة، وتستخدم فيها ألواح حجرية توضع فوق العوارض الخشبية المائلة المحمولة على الأعمدة ويتتابع رص هذه الأحجار إلى مدخل المنزل، وتستخدم فيها الأحجار الصغيرة والتربة لتسويتها. أما السلم المؤدي إلى سطح المبنى فيتم تعشيق الألواح الحجرية بطريقة فنية وبأحجار مناسبة ضمن مداميك البناء في جدار الواجهة بشكل متتابع بحيث تتقدم أو تتأخر حسب تشكيلاته، (لوحة رقم ٤٠، ٤١).

---

(١) غالب، ص ٢١٣.



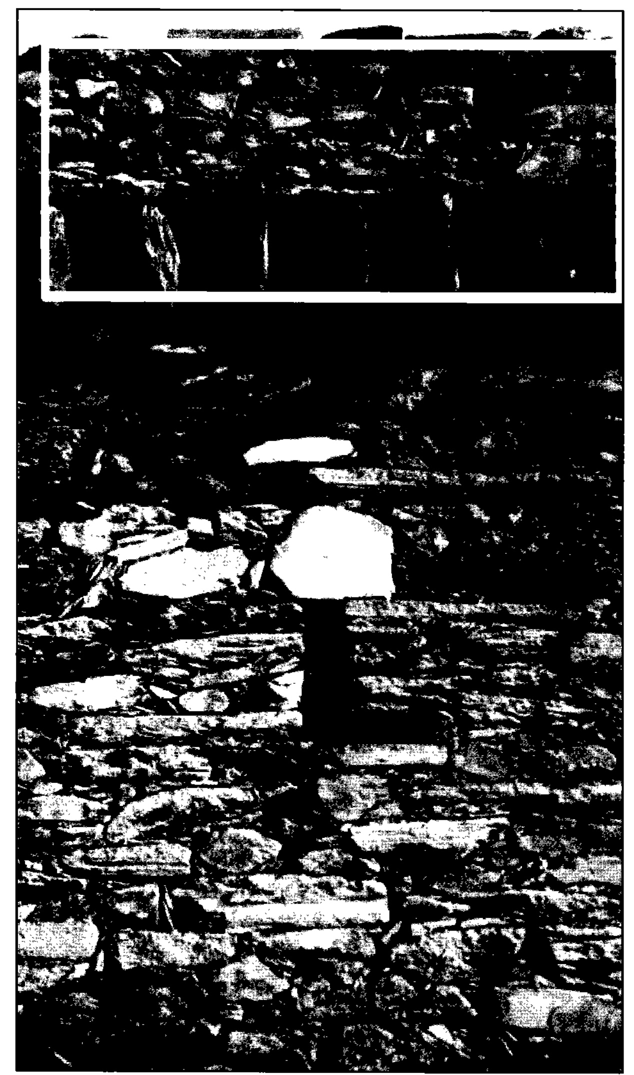
لوحة رقم (٣٩) درج



لوحة رقم (٤٠) سلم

(هـ) – الجُونْ:

بروز زائد يتوج قمة جدران المنزل، ويشيد في أسطح الجدران العلوية بارتفاع تراوح بين متر واحد و متر ونصف تقريباً ويقصد به حماية الجدران والنوافذ من مياه الأمطار، فضلاً عن توفير مكان مناسب في أثناء مراقبة المنطقة أو مراقبة المزارع. ويعد الجون في الوقت نفسه شكلاً جمالياً يضفي على الواجهة منظراً جذاباً. ويبنى بأحجار كبيرة تكون بارزة عن مستوى الواجهة، ويقوم المعمار بتثبيتها بوضع عمودي على سطح المنزل ثم تفرش عليها (الصلي)، وتزين



لوحة رقم (٤١) جون

واجهة الجون بشريط من أحجار المرو الأبيض بالتناوب مع أحجار البناء، وتكون زواياه ذات بروز زائد عن مستوى السطح لتشكل أشكالاً هرمية كعنصر دفاعي يشبه الرجل الواقف. وهناك نموذج آخر من الجون ذو مستوى بسيط بحيث لا يكاد يكون مستواه ظاهراً وتخلو زواياه من الزوائد الحجرية من أعلى المنزل. والجون يشبه الشرفات المستخدمة في العمارة الإسلامية المنتشرة في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي[١]، (لوحة رقم ٤١).

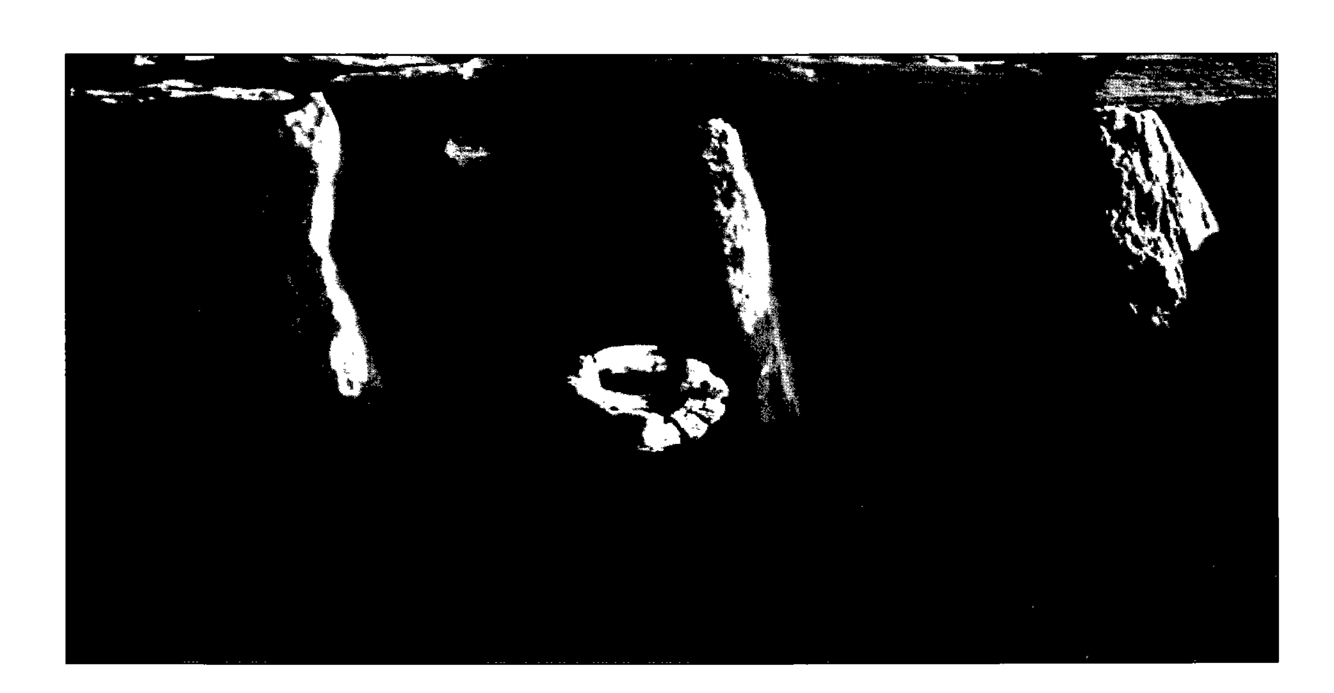
(و)- **السَرَب:**

قطعة من الخشب على شكل قناة سمكها قرابة ١٠سم ويصل طولها إلى متر واحد [٢]، مجوفة من الداخل تعمل على تصريف الماء من سطح المنزل، توجد في كل واجهة من المنزل. وتقحم في مدماك البناء، ولابد أن يكون مستوى السطح مائلاً باتجاه السرب للتصريف. وهناك نوع آخر يستخدم لتصريف المياه ويطلق عليه (السيالة أو السيال) وهو عمل لياسة خارجية على طول الواجهة بعرض٣٠سم تقريباً وعمل بروزات في جوانبها لتصريف الماء من السطح من دون الإضرار بالواجهات، (لوحة رقم ٤٢).

---

(١) غالب، ص ٢٣٣.

(٢) السرب في اللغة هو: الفتحة التي يدخل منها الماء، المنجد، ص ٣٢٩.



لوحة رقم (٤٢) سرب

إن تلك العناصر المعمارية التي أشرنا إليها تكاد تكون متشابهة إلى حد ما من قرية إلى أخرى على رغم الاختلافات البسيطة في المساحات ومكان التنفيذ، ولكنها في نهاية المطاف أدت الدور الوظيفي لها.

وسوف نقوم بدراسة لعينتين من المنازل في وادي بيدة وهما منازل قرية الجدلان ومنازل قرية الغتامية،وذلك على النحو التالي:

أولاً - منازل قرية الجدلان:

ترتكز منازل قرية الجدلان على مستوى مرتفع من وادي بيدة، لتشرف على الحقول الزراعية في الجهتين الشرقية والشمالية وكذلك الطرق التجارية التي تمر بالوادي. ويبلغ طول القرية من الشمال إلى الجنوب ١٥٠م تقريباً ومن الشرق إلى الغرب١٠٠م تقريباً. وتحتوي القرية على عدد

كثير من المنازل ذات التخطيط المتشابه والمتشابك فيما بينها ، وقد أدى ذلك إلى تكوين الممرات الضيقة بين المنازل مع وجود الفراغات الداخلية بينها ، وأدى تخصيصه في المجتمع القروي بين بعضهم إلى تدعيم الروابط الاجتماعية بين السكان لسهولة الوصول إلى المنازل المجاورة. وسوف نناقش خصائص هذه المنازل بالتعرض لميزات الواجهات الخارجية ثم اختيار أحد المنازل للتعرف على تخطيطه الداخلي.

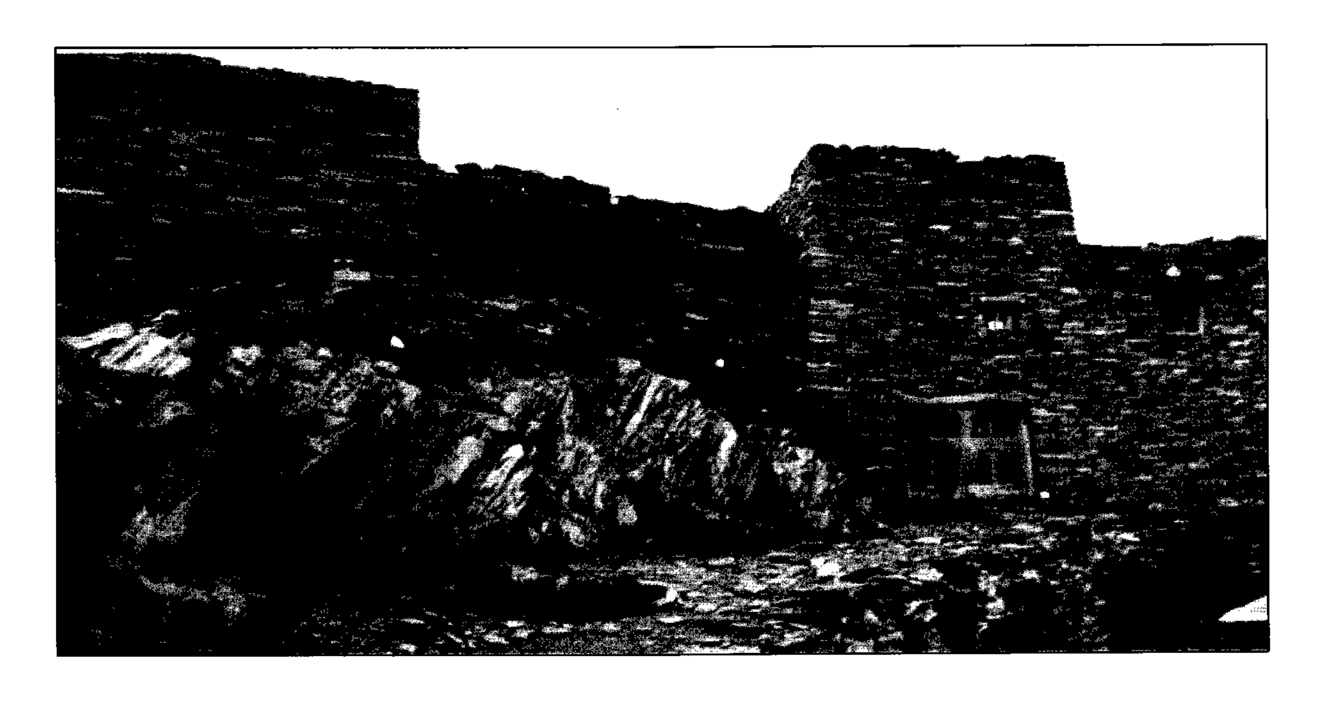
(أ) - الواجهات الخارجية لمنازل قرية الجدلان:

تتميز واجهات منازل قرية الجدلان بكثرة العناصر المعمارية، وخاصة الدفاعية والأمنية، وقد شكلها المعمار وفق الظروف الطبيعية والبيئية المحيطة التي تلائم هذه المنطقة.

فمن حيث مداخل منازل هذه القرية نرى اهتمام المعمار المحلي بها في جميع الطوابق، فهي وسط الواجهة تقريباً ، وتراوح عرض المدخل في الطابق الأرضي بين٨٠سم و١٠٠سم تقريباً ، وارتفاع تراوح بين١,٦٠م و٢م تقريباً. ويقوم فوق هذه المداخل (الغمائم) وهي من الحجر المشذب ولونه مختلف عن بقية الأحجار، ويبلغ عرضه١,٢٠م وارتفاعه ٥٠سم في معظم الأحيان. وأبواب المداخل في جملتها تتكون من الألواح الخشبية المتراصة بعضها بجانب البعض، وتكون مداخل الطابق الأرضي في اتجاه مختلف عن مداخل الطابق العلوي وذلك للتخلص من رائحة الحيوانات. أما الطابق الأول فيكون الوصول إليه عن طريق الجهة المستوية للمنحدر الجبلي مباشرة، وتكون أبواب المداخل هنا أكثر إتقاناً من حيث مساحتها وزخرفة واجهاتها لكونها تعكس المدخل الرئيس للمنزل. أما الطابق الثاني فيتم الوصول إليه عن طريق درج من الأحجار القائمة على الأخشاب وذلك بعرض ١,٥م تقريباً ، وتكون المساحة والزخرفة على أبواب هذه المداخل أقل اهتماماً من الطابق الأول، (لوحة رقم ٤٣ ، ٤٤).



لوحة رقم (٤٣) الواجهة الشمالية لمنازل قرية الجدلان



لوحة رقم (٤٤) الواجهة الجنوبية لمنازل قرية الجدلان

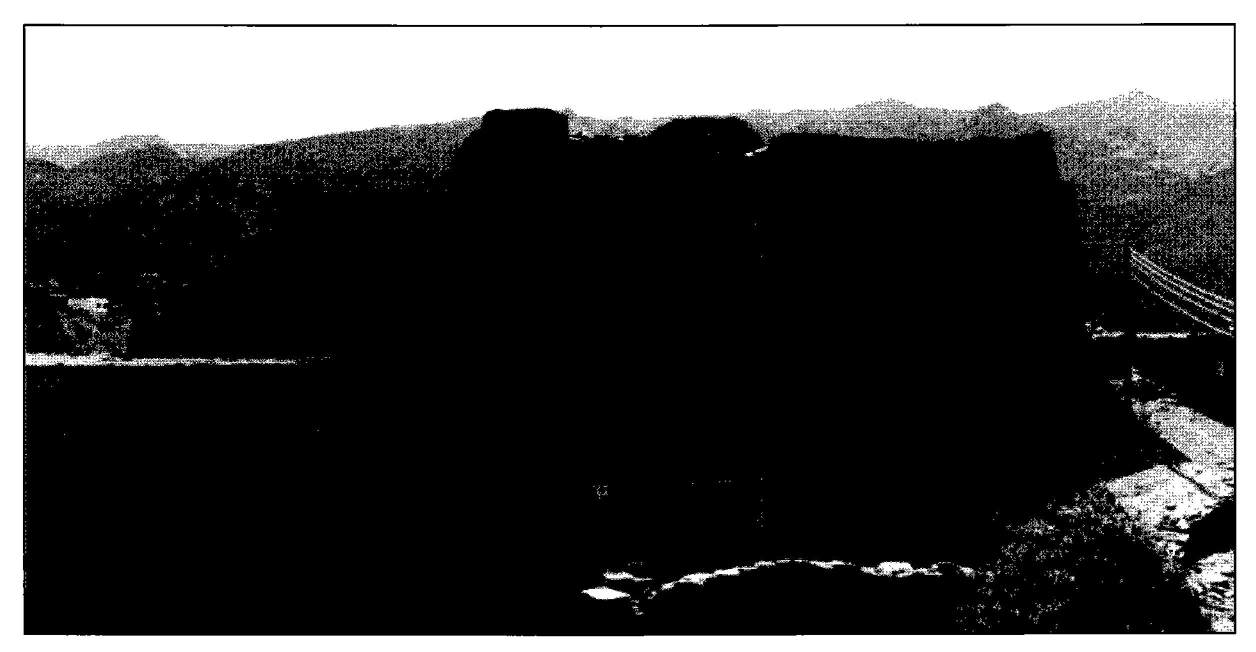
أما النوافذ ففي أغلب الأحوال تكون ذات مساحات مربعة ١×١م تقريباً، وتكون عُبُرها من الخشب المزخرف، ويوضع فيها أعمدة من الحديد لحماية الصغار من السقوط ولمنع اللصوص من التسلق إلى المنازل خاصة أن الأحجار تساعد على ذلك. وتقوم فوق سواكف النوافذ (الغمائم) التي تشبه غمائم الأبواب، ويعلوها الرعش أو صف من ألواح حجرية لحماية المنزل من دخول مياه الأمطار، ويختلف عدد النوافذ في المنزل حسب مساحته، فهي في أغلب الأحوال نافذة أو نافذتان أو ثلاث في كل واجهة، (لوحة رقم ٤٥، ٤٦).

وتتميز منازل الجدلان بكثرة استخدام الرعوش، وتقوم أمام الأبواب في الطابق الأول والثاني، ويصل امتدادها إلى ٣م تقريباً، وذلك للاستفادة منها في المراقبة في أثناء الحروب. وتحيط بالمنازل من جميع الجهات، وبها يمكن التنقل بين الجهات الأربع لمتابعة المهاجمين وتحركاتهم، وهي أيضاً لحماية الأبواب والنوافذ وواجهات المنازل من مياه الأمطار. وقد قام المعمار بتغطية واجهات الرعوش بعمل شبكة من الأغصان لجعلها متنفساً لأهل الدار في أثناء الأوقات الصيفية في الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، فهي تطل من هذه الجهات على الحقول الزراعية والطرق التجارية القديمة والمعابر الوحيدة للوادي، وهذا يجعل مراقبة المنطقة أمراً ممكناً.

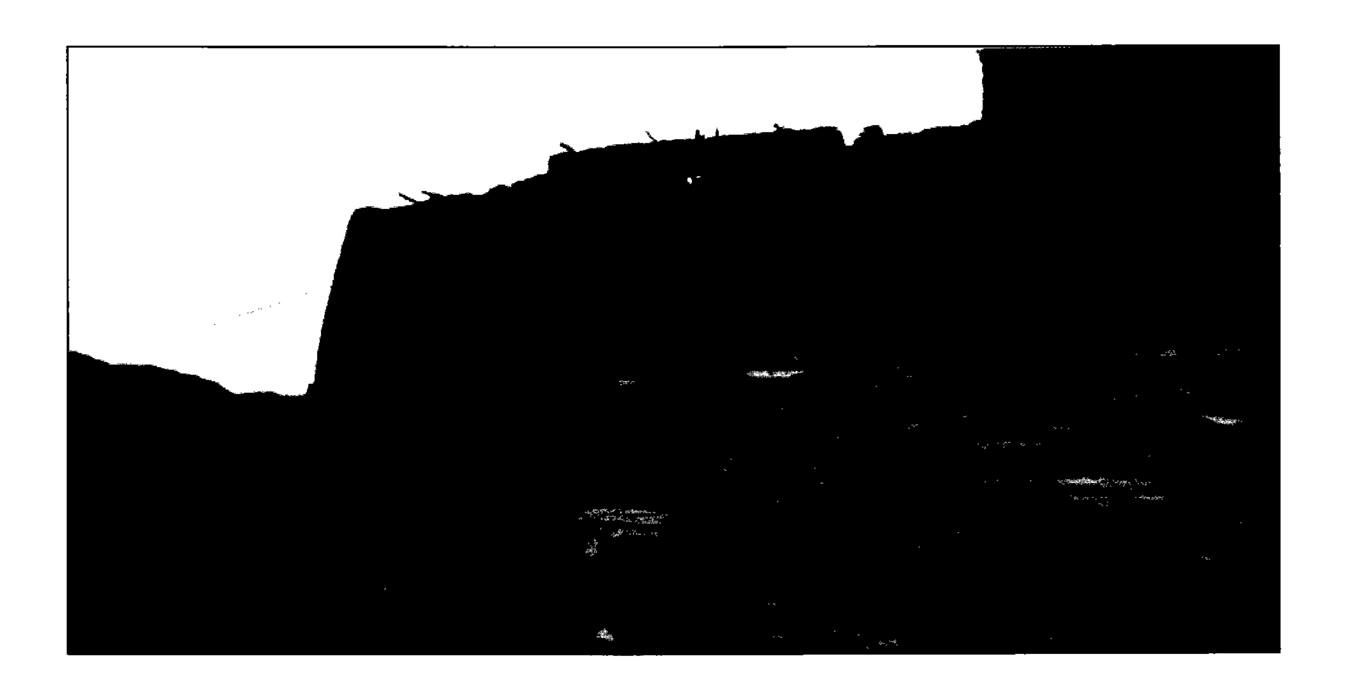
أما سلالم منازل هذه القرية فتبرز من الألواح الحجرية التي يبلغ طولها متر واحد وعرضها ٦٠سم تقريباً، يثبت جزء منها في مدماك البناء وتستخدم للصعود والنزول بين طوابق المنزل والسطح العلوي في أثناء الدفاع عن القرية، وهي أيضاً تساعد في الوصول إلى الرعوش لتسهيل الاتصال بين هذه المنازل.

ويلاحظ أن المعمار قلل من استخدام الجون في هذه المنازل، وذلك يعود إلى موقع بناء تلك المنازل، وإن وجدت في بعضها فهي ذات بروزات صغيرة لتساهم في حماية الواجهات من الأمطار ولتساهم أيضاً في الدفاع عن القرية.

ولتصريف مياه الأمطار فقد زود المعمار الواجهات الشمالية والشرقية بالأسراب لتصريف المياه من أسطح المنازل، وهي منتقاة من جذوع الأشجار المجوفة من الداخل. كما قام المعمار باستخدام النوع الآخر من السرب وهو المعروف محلياً بالسيالة، (لوحة رقم ٤٨، ٤٩).



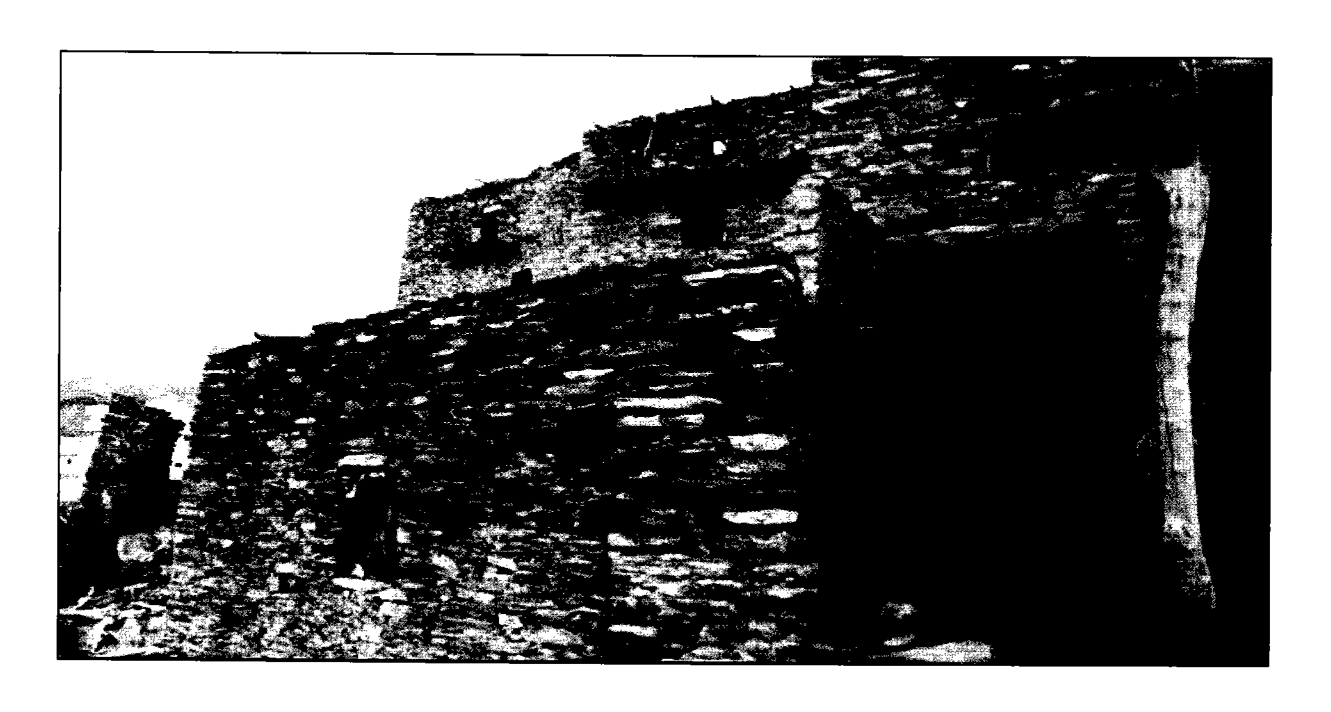
لوحة رقم (٤٥)الواجهة الغربية لمنازل قرية الجدلان



لوحة رقم (٤٦) الواجهة الشرقية لمنازل قرية الجدلان



لوحة رقم (٤٧) بعض العناصر المعمارية في منازل الجدلان

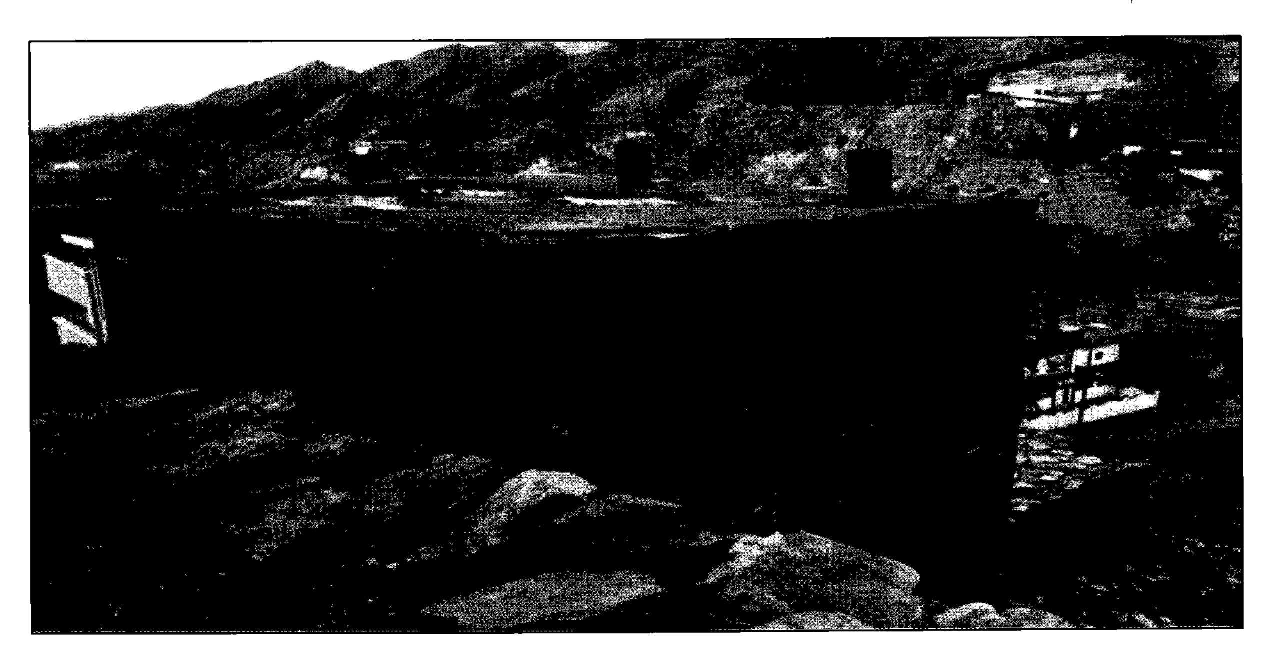


لوحة رقم (٤٨) بعض العناصر المعمارية في منازل قرية الجدلان

(ب) - التخطيط الداخلي لمنازل قرية الجدلان:

يتكون التخطيط الداخلي لمنازل قرية الجدلان من العناصر المشار إليها سابقاً مع وجود بعض الاختلافات البسيطة. ونظراً إلى كثرة المنازل وتداخلها فقد قمنا باختيار منزل واحد في هذه القرية (وقد أطلق عليه المنزل رقم ١) ورصد فيه أبرز عناصره المعمارية.

يقع هذا المنزل على منحدر في الجهة الشرقية من قرية الجدلان ويمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ١٠م ومن الشرق إلى الغرب بعرض ٨م ويتكون من طابقين(شكل رقم ٦، لوحة رقم ٤٩).



لوحة رقم (٤٩) منظر خارجي للمنزل رقم (١) قرية الجدلان

وقد كان لموقع البناء في هذا المكان دور رئيس في تخطيط الطابق الأرضي والطابق العلوي. فجاء الطابق الأرضي بارتفاع ٢,٧٠م وهو مقسم إلى قسمين، ويفصل بين القسمين جدار من الأحجار بعرض متر واحد ويساهم في رفع السقف العلوي لهذا الطابق، ويتم الدخول إليه عن طريق الباب

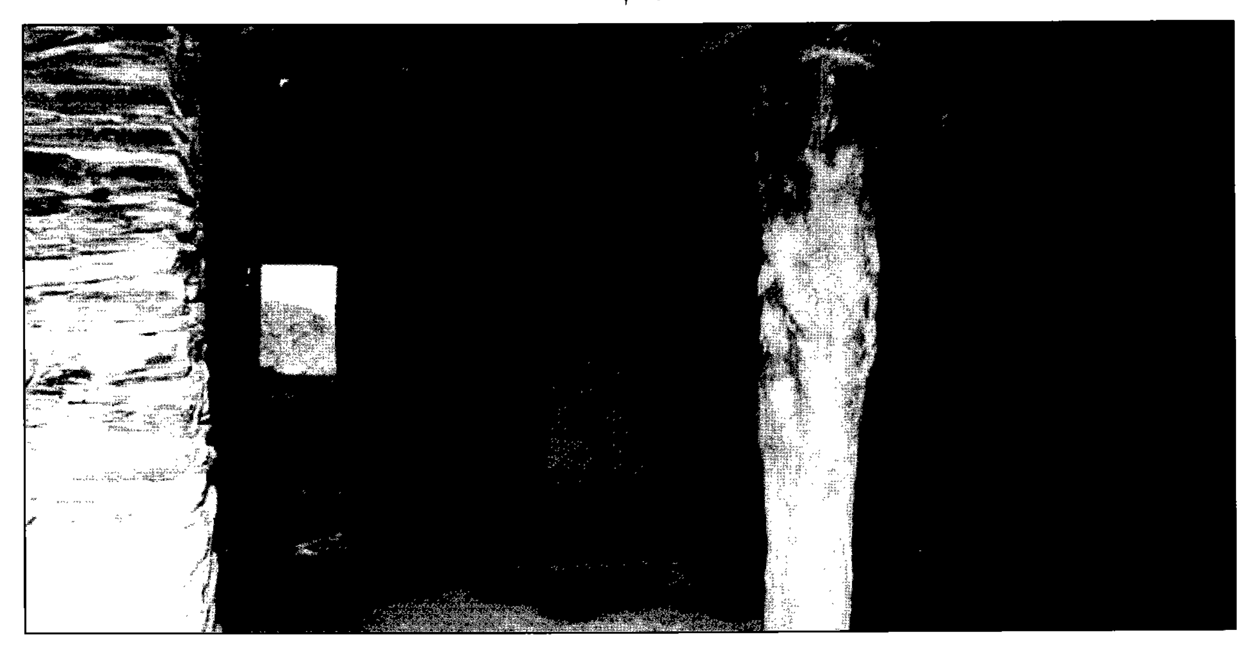
الكائن في الجهة الجنوبية بعرض ٨٠سم وارتفاع ١,٩٣م. والقسم الأول هو الجنوبي المواجه للمدخل الرئيس(السفل) وتبلغ مساحتة ٥×٨م والذي خصص لإيواء الماشية. وقد استغل المعمار التكوين الصخري الواقع غرب هذا القسم ليكون جداراً يساهم في إسناد الطابق العلوي وتثبيت عروق سقف الطابق الأرضي بين الصخور. وقد خصص المعمار في جداره الشمالي الفاصل بين القسمين مذودا واحدا لوضع أعلاف الدواب، بعرض ٧٣سم وارتفاع ٣٧سم وعمق داخلي٣٠سم.

أما القسم الثاني فهو الشمالي(العيون) فتبلغ مساحته ٤×٨م وقد خصص لتخزين المحاصيل الزراعية ومستلزمات العائلة من مواد غذائية وحطب ونحوه. ويرتبط هذا القسم بالطابق العلوي عن طريق الخوة في الركن الجنوبي من هذا القسم، وتبلغ مساحتها ٨٠×٨٠ سم، وقد ثبت المعمار في الجدار الفاصل ألواحاً حجرية لتمكن من الصعود والنزول بين الطابقين. ولا يظهر في هذا الطابق بشكل عام نوافذ مطلة على الخارج، نظراً لاستغلاله في الأعمال المذكورة آنفاً.

أما الطابق العلوي الذي يبلغ ارتفاعه٤م، فيتم الدخول إليه عن طريق باب في الجهة الغربية من المنزل بعرض متر واحد وارتفاع ٢م، وقد استغل الموقع المنبسط في المدخل الرئيس. وهذا الطابق مقسم إلى خمس غرف، وخصص الجزء الشمالي منه للرجال، ويوجد فيه المجلس الذي تبلغ مساحته ٦×٤,٥م ويحتوي على نافذة في الجدار الشمالي ٩٠×٩٠سم، ويقوم السقف على زافرين مزخرفين في واجهتيهما، وتوجد بالمجلس في الركن الجنوبي الغربي الخوة التي تتصل بالطابق الأرضي. وتوجد الغرفة المخصصة للذكور في الركن الشمالي مجاورة للمجلس، وتبلغ مساحتها ٤×٢,٥م يتم الدخول إليها عن طريق باب بعرض ٨٠سم وارتفاع ١,٦٤م، وربما خصصت للضيوف في أوقات أخرى، كما يمكن استغلالها في تخزين المفارش وأدوات الضيافة من قهوة وشاي وتمور ونحوها. ويتصل مجلس الرجال بالقسم الجنوبي عن طريق باب في الجدار الجنوبي للمجلس بعرض ٨٠سم وارتفاع ١,٧٦م يؤدي إلى القسم الجنوبي، الذي يحتوي على ثلاث غرف أكبرها غرفة المعيشة التي تبلغ مساحتها ٥×٤,٤٠م وسقفها محمول على زافرين، ويوجد بالقرب من أحد الزافرين (الملة) وتقابلها (القترة) في السقف لتصريف الدخان المتطاير من عملية الطهي أو التدفئة. كما يوجد في هذا القسم غرفتان جانبيتان الأولى في الركن الجنوبي الشرقي تبلغ مساحتها ٣×٣,٤٠م في

منتصفها زافر من الجذوع غير المهذبة يحمل السقف، خصصت هذه الغرفة للنساء، و توجد في جدارها الغربي (الحلانة) لوضع مسارج الإضاءة والأشياء المتعلقة بالمنزل، وتوجد نافذة مساحتها ٨٠×٨٠سم في الجهة الشرقية. أما الغرفة الثانية فتبلغ مساحتها ٣,٥×٤م سقفها محمول على زافر منفذ عليه بعض العناصر الزخرفية، وتوجد في هذه الغرفة نافذة في الجهة الشرقية ٨٠×٨٠سم، استخدمت هذه الغرفة لصاحب المنزل.

ويلاحظ أن القسم الجنوبي يتم الدخول إليه أيضاً عن طريق باب آخر في الجهة الجنوبية من المنزل، وهو ما يؤيد ما ذكرناه من تعدد المداخل لتوفير الخصوصية لصاحب الدار، إضافة إلى ابتعاد النوافذ الخارجية عن حركة المارة حيث توجد في أجزاء مرتفعة من المنزل. وأبواب المنزل من الخشب المزخرف في واجهته وعبّره وكذلك الضبة، وهو الحال أيضاً في النوافذ في واجهاتها وعبرها. أما الرصان بين الغرف فقد استغلت الألواح الخشبية بين مجلس الرجال وغرفة استقبال النساء لتنفذ عليها الزخارف المتنوعة، بينما استخدمت الأغصان والفروع الطويلة المربوطة باللحاء والمليسة بالطين في بقية الغرف الأخرى، (لوحة رقم ٥٠).



لوحة رقم (٥٠) منظر داخلي للمنزل رقم (١) قرية الجدلان

ثانياً:- منازل قرية الغتامية:

إن النظرة الأولى لمنازل قرية الغتامية لتوحي بقيام حياة بشرية داخلها مترابطة في كل مناشط الحياة، فتنتشر منازل هذه القرية في مستوى منبسط من وادي بيدة، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١١٠ م تقريباً، ومن الشرق إلى الغرب ٧٠ م تقريباً، وتتميز بتلاصق منازلها وتداخلها، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تكوين ممرات ضيقة بين المنازل ساهمت في الترابط الاجتماعي بين السكان وتوفير الأمن في أثناء الحروب. وسوف نناقش خصائص هذه المنازل بدراسة الواجهات الخارجية ثم اختيار أحد المنازل للتعرف بتخطيطه الداخلي.

(أ) - الواجهات الخارجية لمنازل قرية الغتامية:

تتوافر العناصر الدفاعية في منازل هذه القرية بكثرة إذا قورنت بقرية الجدلان. ويعود ذلك إلى الموقع المنبسط الذي بنيت عليه تلك المنازل ووقوعها على الطريق العام، ويلاحظ أن الأسطح ترتبط بالحصون مباشرة في طوابقها العليا للمشاركة في الدفاع عن القرية والمراقبة. إذ توجد أبواب في الطابق الخامس من الحصن الشمالي والحصن الجنوبي تفتح على أسطح المنازل وذلك للتنقل بين واجهات القرية.

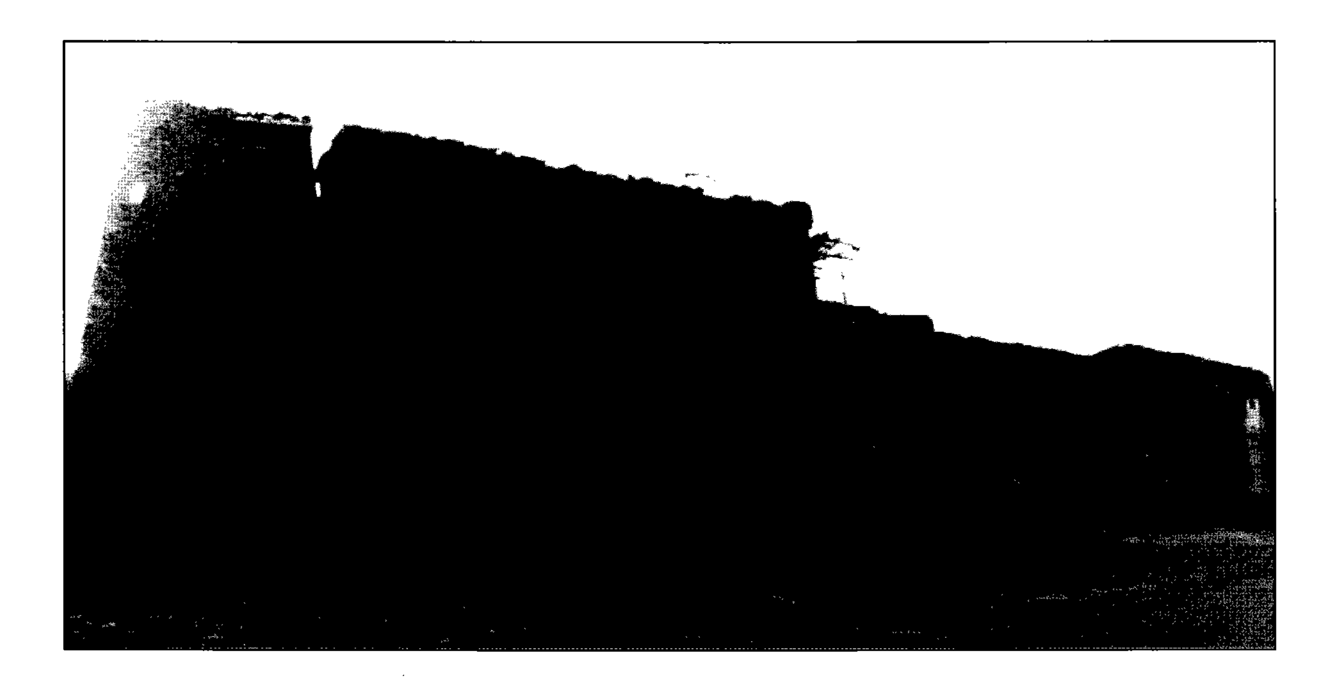


لوحة رقم (٥١) الواجهات الشمالية لمنازل قرية الغتامية

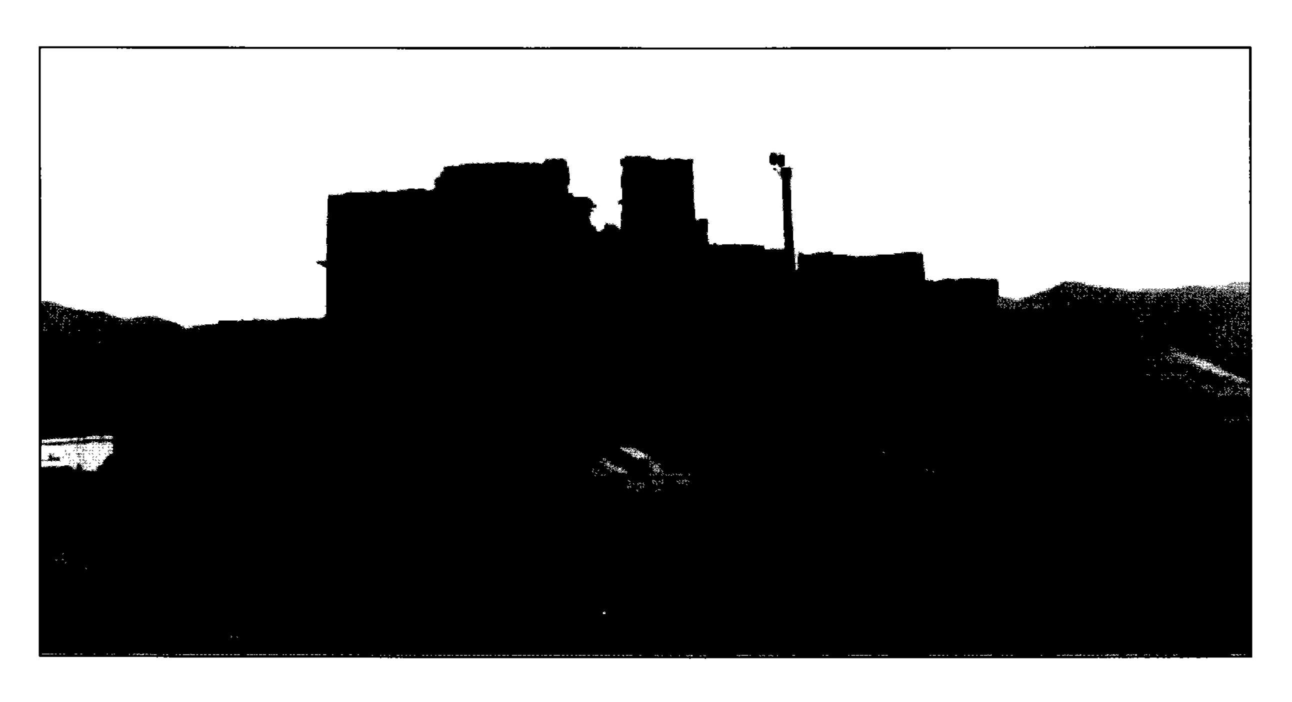
وتعتبر المداخل في قرية الغتامية مشابهة لقرية الجدلان، إلا أنها تتميز بوجود ثلاث بوابات موزعة في الجهة الجنوبية والشرقية والشمالية، وهي الجهات التي تؤدي إلى الطرق العامة، ويبلغ عرض البوابة الواحدة ٢م تقريباً وارتفاع ٢,٥م تقريباً. وهذه البوابات تعتبر المداخل الرئيسية في القرية، ولها أبواب ذات مصراعين، وقد زينت واجهاتها وعبرها بالزخارف الهندسية والنباتية في شرائط طولية وعرضية. كما يوجد بين المنازل مداخل فرعية تؤدي عادة إلى الطابق الأرضي في كل مبنى، وهي بعرض تراوح بين ٨٠سم و١٠٠سم، وارتفاع بين ١,٦٠م وإلى١,٨٠م تقريباً، ويمكن الوصول إلى هذه المداخل مباشرة. أما مداخل الطابق الأول فيتم الوصول إليها عن طريق الدرج الداخلي المحصور بين المنازل، وذلك بعد اجتياز البوابات الرئيسية. إضافة إلى أن بعض المداخل في الطابق الثاني وظفها المعمار للتنقل بين الواجهات الخارجية للمنازل في أثناء الحروب والصراعات القبلية، وتؤدي تلك الأبواب إلى الرعش الذي يشكل شرفة حول أسطح المنازل، (لوحة رقم ٥١).

أما النوافذ في منازل قرية الغتامية فهي متشابهة مع نوافذ قرية الجدلان، وتبلغ مساحتها ١×١م تقريباً، إلا أن النافذة الواحدة في هذه القرية قسمت بالألواح الخشبية المزخرفة إلى قسمين بدلاً من الحديد لاستغلالها في الزخرفة وحماية للمنازل من الكشف أو سقوط الأطفال. وقد زخرفت واجهات وعبر النوافذ بالزخارف الهندسية والنباتية. ويندر هنا بشكل ملحوظ، وجود الغمائم الحجرية فوق النوافذ، وقد استبدلها المعمار بالخشب وذلك لتوافره هنا بكثرة، كما يعلو النوافذ صف من الألواح الحجرية لحماية المنزل من مياه الأمطار، وليكون وحدة زخرفية أيضاً.

وتقوم الرعوش أمام المداخل العلوية التي تطل من كل منزل في طابقه الثاني، وتحيط بالمبنى من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية لكون تلك المساحات مكشوفة أمام القرية، وهي تعيق دخول المهاجمين إلى المنازل لتمركز المدافعين عليها، كما أنها دعامة للأبواب والنوافذ من مياه الأمطار، وقد زودت هذه الرعوش في جوانبها بالسلالم الخشبية وتارة بالسلالم الحجرية المثبتة في الجدار الخارجي، لتصل إلى السطح العلوي للمنزل للمساهمة في عملية المراقبة والتنقل في جميع واجهات القرية، (لوحة رقم ٥٢ ، ٥٣).



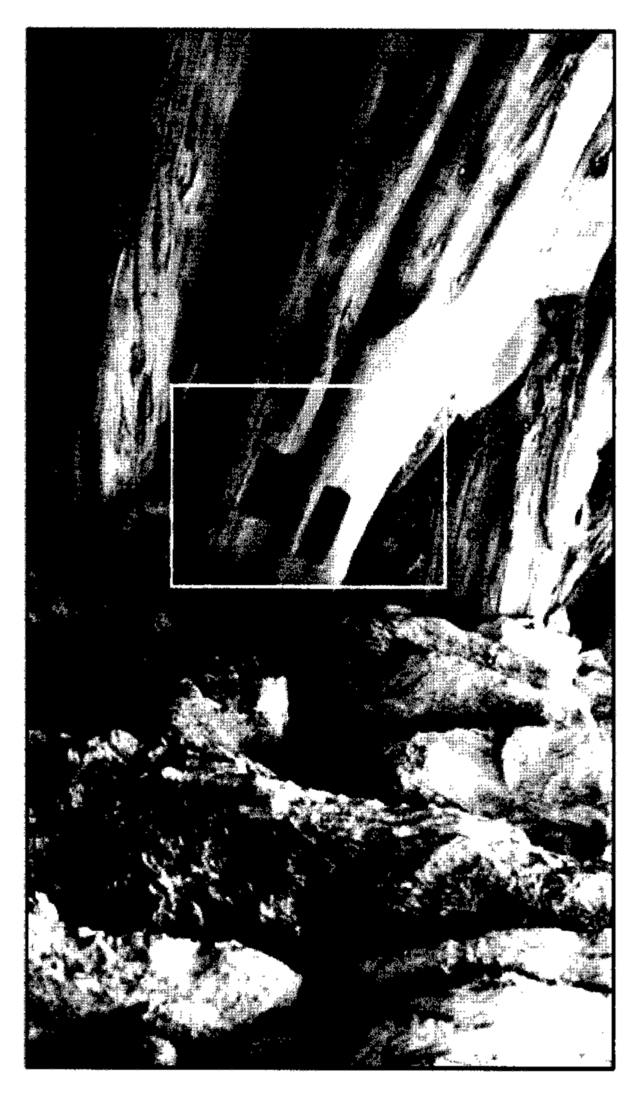
لوحة رقم (٥٢) الواجهات الشرقية لمنازل الفتامية



لوحة رقم (٥٣) الواجهات الغربية لمنازل الفتامية

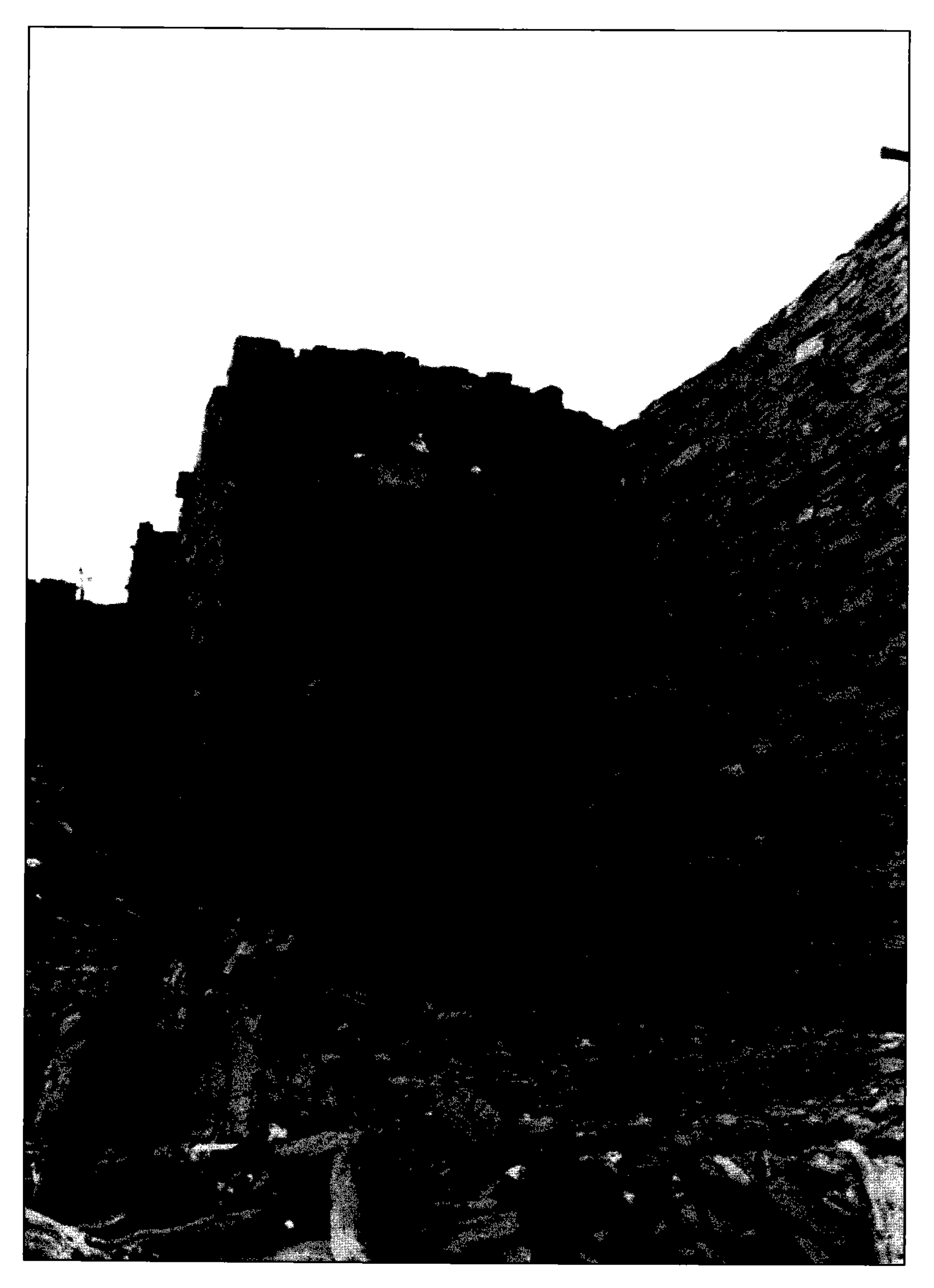
واستخدم المعمار المحلي للتنقل بين الطوابق العوارض الخشبية بصفة سلالم للوصول إلى الرعش في الأجزاء العلوية من المبنى، وهي تصل أيضاً بين الطوابق من الخارج في بعض المنازل، كما استخدمت الألواح الحجرية على نطاق ضيق في بعض الواجهات، خاصة في الأسطح العلوية.

وتزداد مساحة الجون في منازل قرية الغتامية بمقدار تراوح بين ٣٠سم و١٠٠سم لتشكل ظلة للواجهات الخارجية للمنازل، كما تشكل مقاعد للجلوس والاختباء في أثناء المراقبة والرماية، خاصة أن الجون يرتبط بالحصن الجنوبي والحصن الشمالي من القرية، (اللوحات ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨).



لوحة رقم (٥٤) تفاصيل في بعض العناصر المعمارية في منازل الغتامية

أما لتصريف المياه من الأسطح فقد استخدم المعمار جذوع الأشجار وهي تخرج من الجدارمتر واحد تقريباً، إضافة إلى استخدام السيالة في بعض المنازل ذات الطابق الواحد أو الطابقين. كما استخدمت الأسراب الحديثة في بعض الواجهات وهي لا تخرج عن النظام المتبع في القرية السابقة. كما يلاحظ في واجهات هذه القرية وجود(مذاود) لوضع أعلاف الدواب بعرض متر واحد وارتفاع ٦٠ سم وعمق داخلي ٣٠سم، وجوانبها من الأحجار الطولية وعتبها العلوي من الخشب. وهي في الواجهة الشرقية لقربها من الحقول والمزارع ولوجود الأسوار والمناطق المكشوفة التي توضع فيها الحيوانات، خاصة في أوقات الصيف.

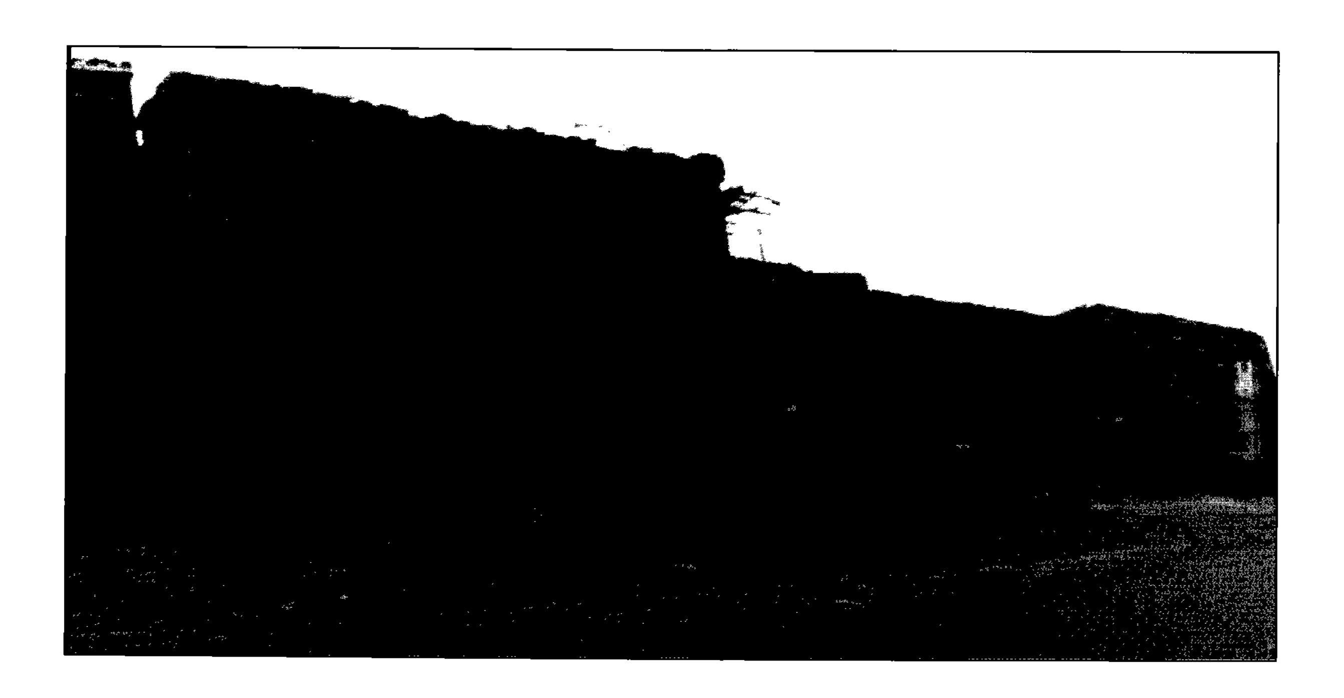


لوحة رقم (٥٥) أحد الحصون المرتبطة بالمنازل في قرية الغتامية

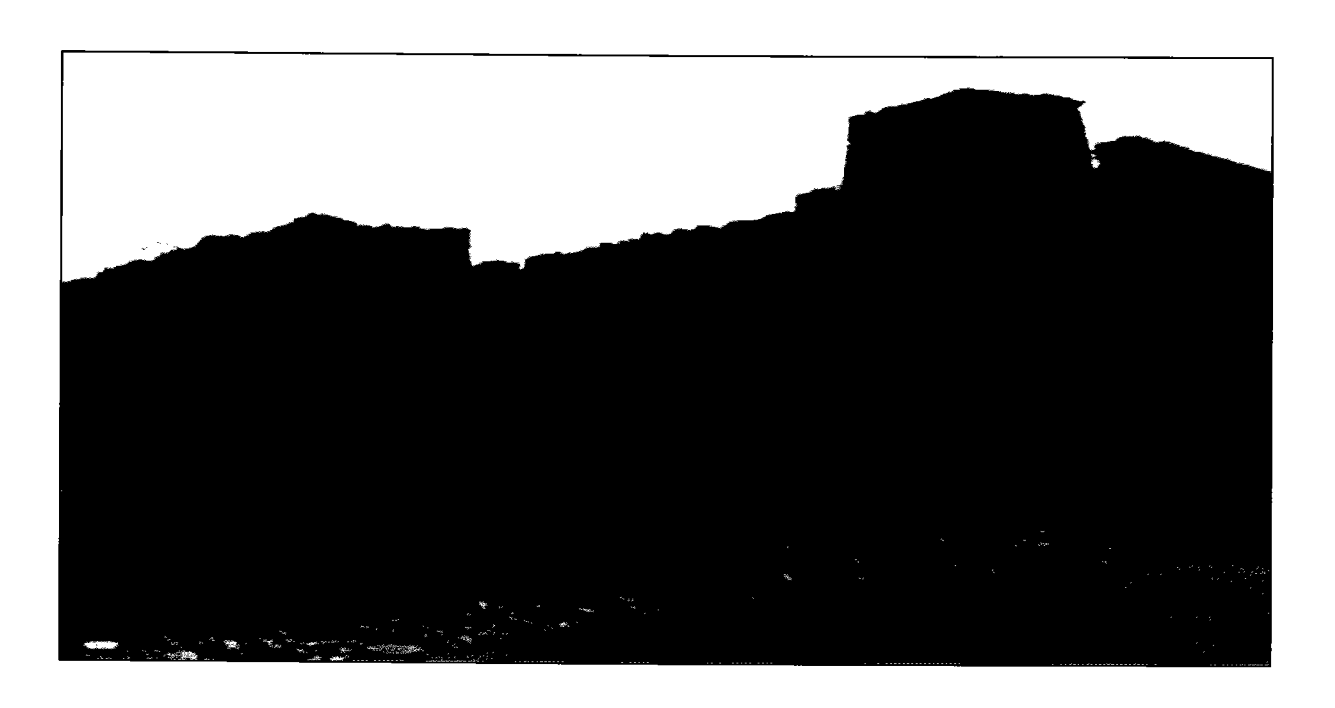
(ب) التخطيط الداخلي لمنازل قرية الغتامية:

يتميز التخطيط الداخلي لمنازل قرية الغتامية بكثرة الأبواب الداخلية التي تربط المنازل بعضها ببعض، وقد تم اختيار ثلاث وحدات في هذه القرية لكونها تضم بعض الاختلافات عن قرية الجدلان من حيث التخطيط والوظيفة (لوحة٥٧). ويتكون مخطط هذا المنزل الذي رمزنا له بالرقم(٢) من ثلاث وحدات سكنية يقع شرق منازل الغتامية وهي تتبع لعائلة واحدة حسب روايات الأهالي. وهذه الوحدات على النحو التالي:

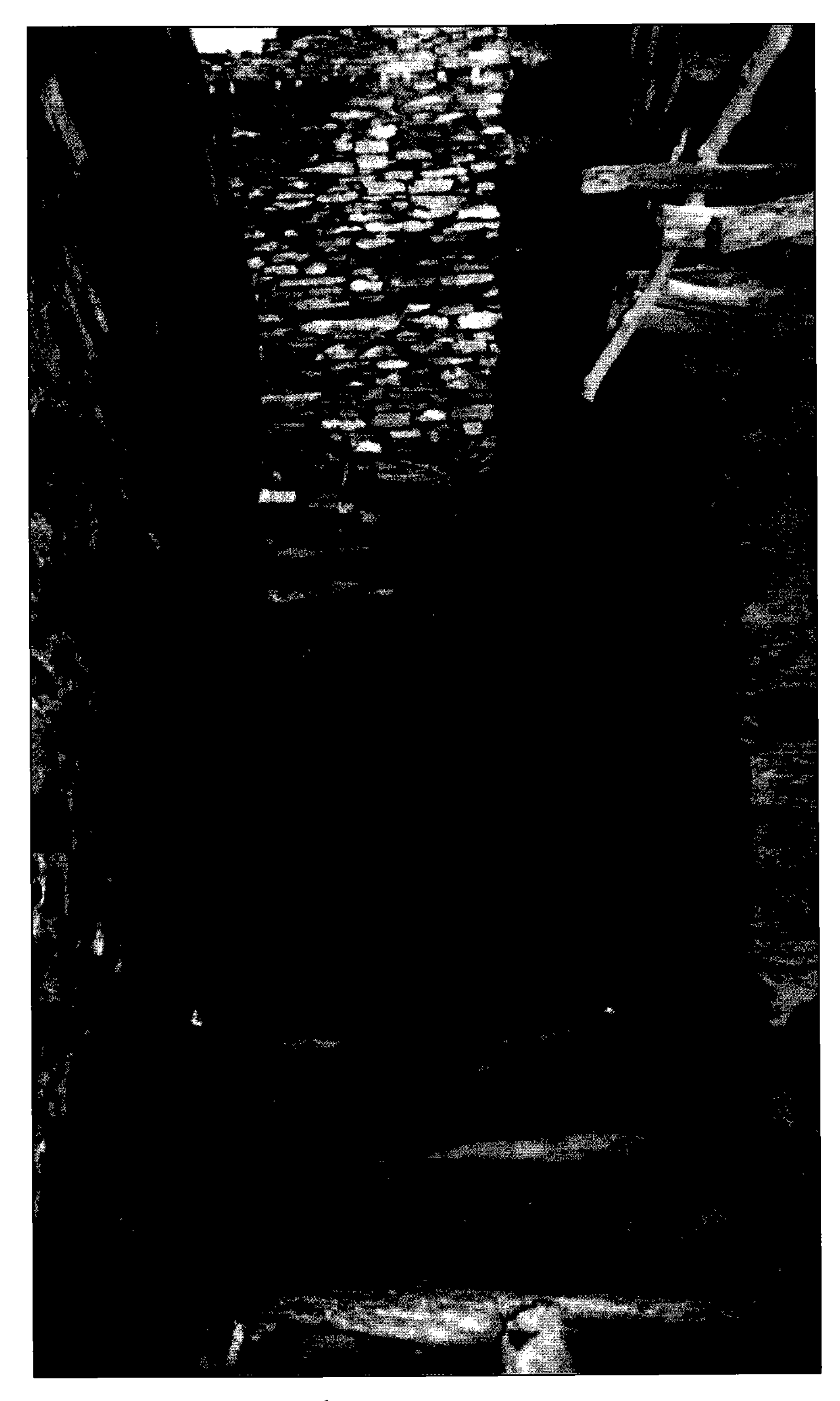
الوحدة الأولى: وتقع في الجهة الشمالية وتبلغ مساحتها ٦×٨م، وتتكون من طابقين (شكل٧، لوحة رقم ٥٧): الطابق الأرضي ويتم الدخول إليه مباشرة عن طريق الباب الذي يقع في الجهة الجنوبية منه بعرض متر واحد وارتفاع ١,٧٤م، ويبلغ ارتفاع هذا الطابق ٣م وينقسم إلى قسمين: القسم الشرقي(السفل)، وتبلغ مساحته ٣,٥×٦م وقد خصص لإيواء الماشية، والقسم الغربي(العيون)، وتبلغ مساحته٣,١٠×٦م لتخزين المحاصيل الزراعية، وقد فصل بين القسمين بجدار فاصل من الأحجار(ردة) بعرض٩٠سم، ولا يحتوي هذا الطابق على عناصر معمارية أخرى. أما الطابق الأول فيبلغ ارتفاعه ٣,٦٣م ويتم الدخول إليه عن طريق البوابة الشرقية التي تفتح على درج ممتد إلى الغرب، ثم ينحرف إلى الشمال فيتجه مباشرة إلى الباب الرئيس الذي يبلغ عرضه ٩٠سم وارتفاعه ١,٨٥م، (شكل رقم ٨، لوحة رقم ٥٨ ، ٥٩). وينقسم هذا الطابق إلى أربع غرف. وهي غرفة المعيشة في الركن الجنوبي الغربي وتبلغ مساحتها ٤,٥×٥,٥م وهي المواجهة للمدخل الرئيس، ويوجد بهذه الغرفة زافر لحمل السقف إضافة إلى وجود الخوة التي تقع في الجهة الشمالية من هذه الغرفة، وتتصل بالطابق الأرضي. ثم غرفة نوم في الركن الشمالي الغربي تبلغ مساحتها٢,٧×٥,٥م وتوجد فيها نافذة في الجدار الشمالي بعرض ٥٠×٥٠سم. ثم غرفة رب العائلة(علّيه) في الركن الشمالي الشرقي من هذا الطابق، وتبلغ مساحتها ٣,٢٠×٢,٧٠م ويقوم السقف على زافر في وسط الغرفة. وأخيراً غرفة لاستقبال النساء في الركن الجنوبي الشرقي وتبلغ مساحتها٣,٢٠×٤,١٠م، ويقوم السقف على زافر واحد. والرصان بين هذه الغرف من أغصان الأشجار والجذوع المتوسطة الحجم، كما يظهر عليها بعض اللياسة الطينية، ويلاحظ على هذه الوحدة انعدام الزخارف في كل الأبواب والزفر عدا واجهات النوافذ وعبرها فهي لم تخلو من بعض الزخارف المتكررة، (لوحة رقم ٦٠).



لوحة رقم (٥٦) منظر خارجي للوحدات السكنية الثلاث – قرية الغتامية



لوحة رقم (٥٧) منظر للوحدة الأولى والثانية – قرية الغتامية

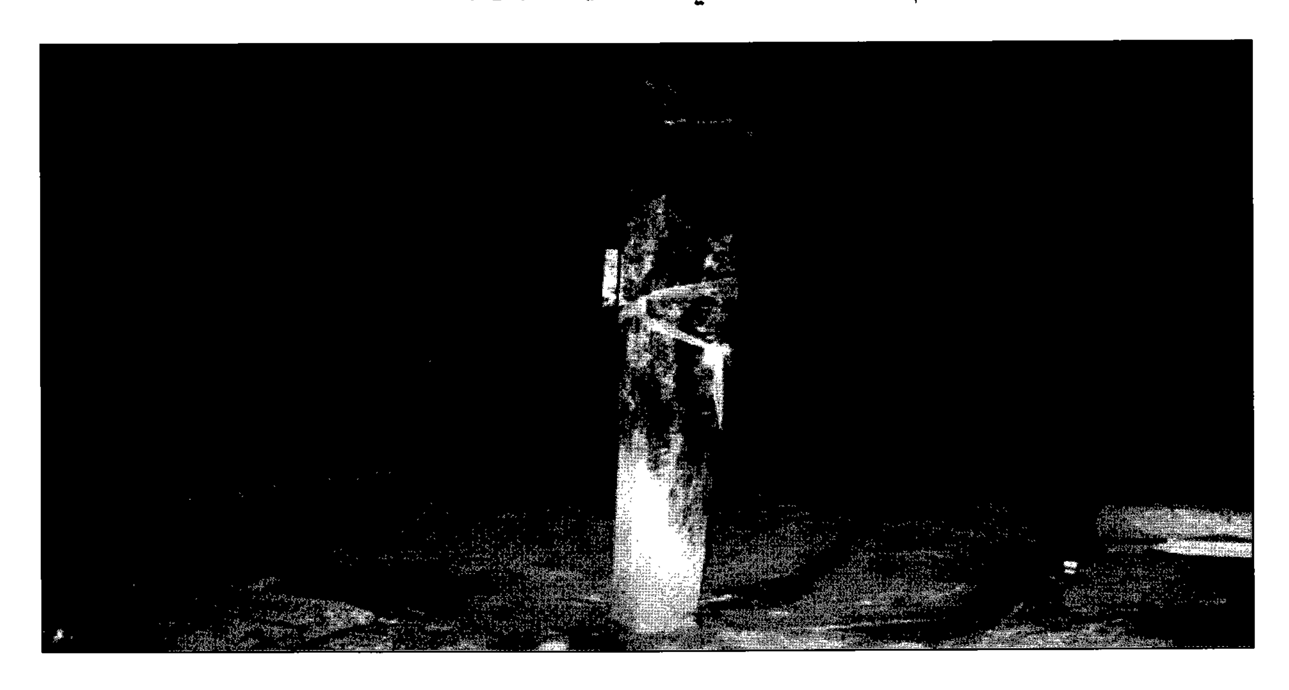


لوحة رقم (٥٨) الممر بين الوحدتين الأولى والثانية ـ الغتامية

الوحدة الثانية: وتقع جنوب الوحدة الأولى، وتبلغ مساحتها ٦×٦م وتتكون من طابقين (شكل٧، لوحة رقم ٥٦ ، ٥٧): الطابق الأرضي، ويتم الدخول إليه من الجهة الشمالية عن طريق المدخل بعرض متر واحد وارتفاع١،٦٠م (وهو مقابل لمدخل الطابق الأرضي في الوحدة الأولى)، ويبلغ ارتفاع هذا الطابق٣م وهو مقسم إلى قسمين: القسم الشمالي(السفل) وتبلغ مساحته ٢،٦٠×٦م، خصص لإيواء الحيوانات، والقسم الجنوبي(العيون)، وتبلغ مساحته ٢،٦×٦م، خصص لتخزين المحاصيل الزراعية، ويفصل بين القسمين جدار من الأحجار(ردة) بعرض ٨٠سم، ويقوم عليه سقف الطابق الأرضي ولا يوجد فيه عناصر معمارية أخرى. أما الطابق الأول فيتم الدخول إليه عن طريق باب يقع في الجهة الجنوبية بعرض متر واحد وارتفاع مترين يعلوه رعش، وقد قام المعمار هنا بفصل الباب عن البوابة الشرقية، (شكل رقم ٨). وهذا الطابق يبلغ ارتفاعه٣،٧٠م، مقسم إلى قسمين: غرفة صغيرة تقع في الركن الجنوبي الغربي مساحتها٢،٥×٣م خصصت لتكون مخزناً لمستلزمات الضيافة، ومجلس احتل المساحة الباقية من هذا الطابق، ويقوم السقف في هذا الطابق خاصة في المجلس، على ثلاثة زفر زخرفت واجهاتها، إضافة إلى وجود نافذة مساحتها٦٠×٦٠سم مطلة على الجهة الشرقية. وقد قام المعمار هنا بتزيين الأبواب وزخرفتها، وكذلك النوافذ من الناحية الخارجية. أما الرصان فقد عمد المعمار إلى استخدام الألواح الخشبية فيها انسجاما مع الدور الوظيفي لهذا الطابق لاحتوائه على مجلس الرجال، (لوحة رقم ٦٠).



لوحة رقم (٥٩) منظر علوي للوحدتين الأولى والثانية ـ الغتامية



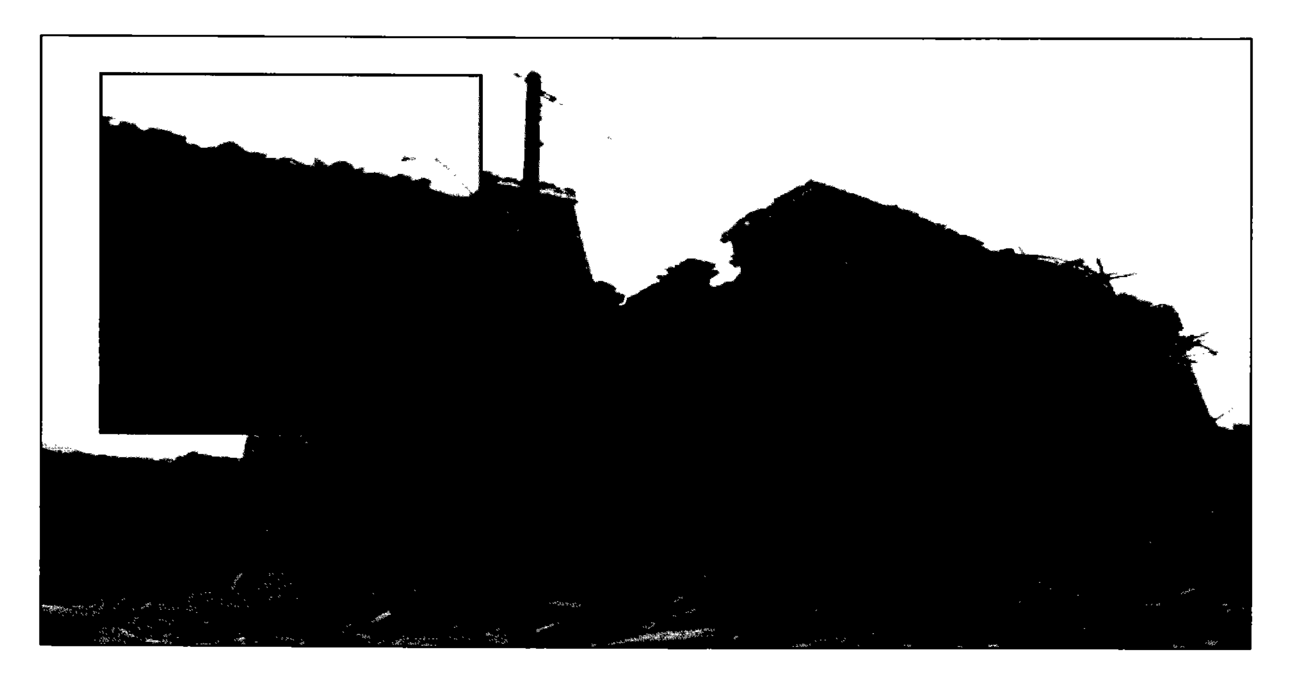
لوحة رقم (٦٠) منظر داخلي في الطابق الأول من الوحدة الثانية ـ الغتامية

الوحدة الثالثة: تقع هذه الوحدة في الجهة الجنوبية من الوحدتين السابقتين، ومساحتها ٧×٨م وتتكون من ثلاثة طوابق (شكل٧، لوحة رقم ٦٤) وهذه الوحدة تتعدد مداخلها في ثلاث جهات. الطابق الأرضي مدخله من الجهة الشرقية بعرض١,٢٠م وارتفاع ١,٨٩م وارتفاع هذا الطابق ٢,٦٨م، ويوجد مساحة مسورة ومكشوفة أمام مدخل الطابق الأرضي استغلت للحيوانات في فصل الصيف، وقد قسم إلى قسمين: القسم الشرقي مساحته٣,٥×٧م خصص للحيوانات، وقد أضيف ملحق في الجهة الشمالية من هذا القسم خصص لتخزين الأعلاف، والقسم الغربي مساحته ٣,٥×٧م يتم الدخول إليه من جهة أخرى من المنازل المجاورة، التي تعود ملكيته لشخص آخر. ويوجد جدار فاصل من الأحجار(ردة) بين القسمين الشرقي والغربي بعرض متر واحد ويقوم بحمل الطوابق العليا من هذا المنزل.

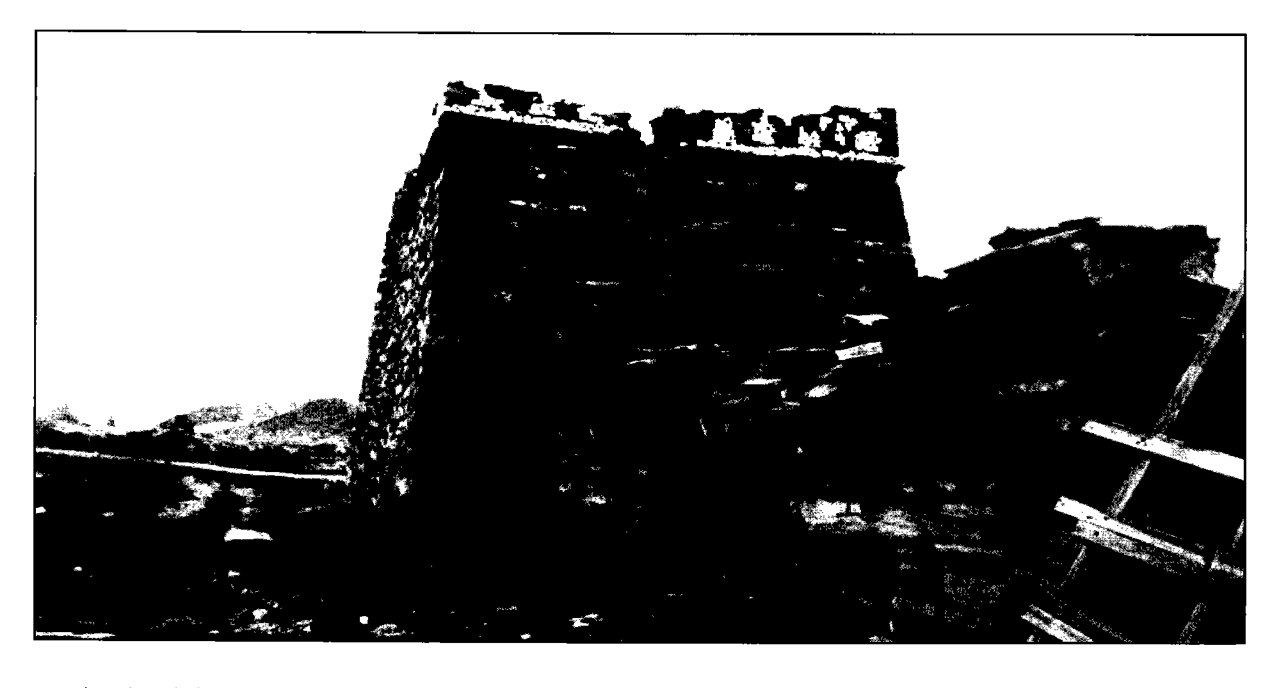
أما الطابق الأول فيبلغ ارتفاعه٣,٥٠م ويتم الدخول إليه من الجهة الجنوبية عن طريق باب بعرض ٨٠سم وارتفاع مترين، وقد قام المعمار بتثبيت عوارض خشبية في الواجهة الخارجية لتشكل درجاً خارجياً (شكل٨). ويتكون هذا الطابق من أربع غرف، غرفة للرجال تقع في الجهة الشرقية وتبلغ مساحتها ٥×٥م، ويحمل السقف زافران من الأخشاب، وربما استخدمت هذه الغرفة أيضاً لاستقبال النساء. وغرفة نوم في الجهة الغربية وتبلغ مساحتها٥×٣,٥م، ويقوم السقف على زافر واحد في منتصف الغرفة. غرفة إضافية في الركن الشمالي الغربي، تبلغ مساحتها ٥,٥×٣,٥م، ويقوم السقف على زافر في منتصف الغرفة، وتوجد فيها نافذة مساحتها٤٠×٤٠سم تطل على الجهة الشمالية بين الوحدتين الأولى والثانية. غرفة لرب العائلة(عليه) في الركن الشمالي الشرقية تبلغ مساحتها ٣,٥×٣,٥م وبها نافذة مطلة على الجهة الشمالية مساحتها٤٠×٤٠سم ولكنها أغلقت في الفترة الأخيرة لاستغلال هذا الطابق في تخزين المحاصيل الزراعية في العصر الحاضر.

أما الطابق الثاني وهو ذو تخطيط مختلف، حيث يتم الوصول إليه عن طريق الدرج بين الوحدة الأولى والثانية، وينحرف هذا الدرج باتجاه الجنوب ليصعد إلى الطابق الثاني، فيستقبله المدخل بعرض متر واحد وارتفاع ١,٧٨م (شكل رقم ٩، لوحة رقم ٦١). ويبلغ ارتفاع هذا الطابق ٣,٤٥م، ويتكون من غرفة صغيرة في الركن الجنوبي الغربي مساحتها ٣,٥×٤,٥م، ويوجد فيها باب يؤدي إلى الحصن الجنوبي في طابقه الثالث المرتبط بطابق هذه الوحدة وذلك لمتابعة أعمال المراقبة والهجوم في حالة الحرب، كما أن هناك باباً آخر في الجدار الغربي من الغرفة السابقة يؤدي إلى المساحة الباقية من هذا الطابق كمجلس يقوم على ثلاثة من الزفر لحمل السقف، وفيه باب مطل على الجهات الشرقية وقد قام المعمار بتثبيت رعش أمام الباب، كما توجد نافذة في الجهة الجنوبية مساحتها ٦٠×٦٠سم، والرصان في هذا الطابق من الأغصان المربوطة باللحاء والمليسة بالطين. وجاءت الزخارف على واجهات الزُفر وعلى المدخل الرئيس لهذا الطابق، وهي لا تخرج عن الإطار المعروف في أشكال الزخارف وأنواعها.

كما يلاحظ أن هذا الحصن يفتح من خلال باب في الطابق الخامس على السطح العلوي للمنازل لسهولة التنقل بين جهات القرية، (لوحة رقم ٦٢).



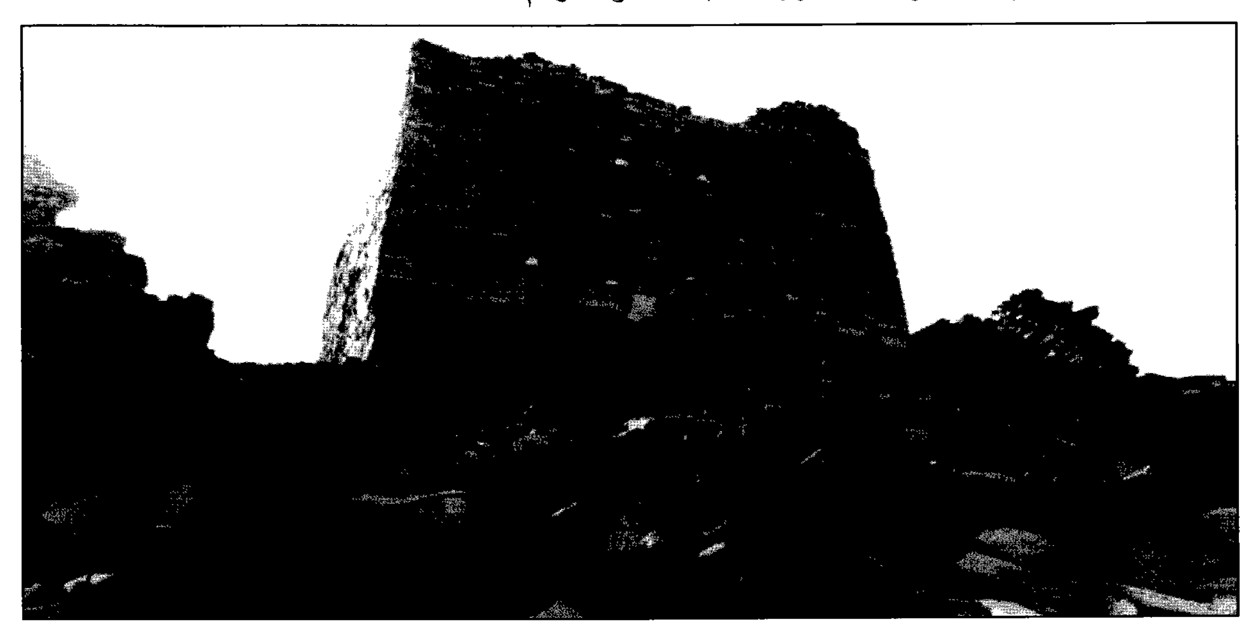
لوحة رقم (٦١) الوحدة الثالثة ، وفي الإطار الرعش أمام النافذة الشرقية



لوحة رقم (٦٢) الحصن المرتبط بالوحدة الثالثة ويبدو المدخل المؤدي لسطح الوحدة الثالثة ـ الغتامية

ثالثاً – معشوقة:

من خلال المسح الأثري لهذا الجزء من وادي بيدة وفي ضوء المعطيات الأثرية المتاحة، تبين أن عدد المنازل قليل جداً مقارنة بالقرى الأخرى، الأمر الذي جعل من الصعوبة تطبيق المنهج المتبع؛ لسببين: الأول أن هذا الجزء كان منذ فترة قريبة مكاناً ملائماً للزراعة فتأتي إليه القبائل فترة من الزمن ثم ترحل، وهذا جعل سكنهم فيها ليس أمراً مستمراً. أما السبب الآخر فهو تساقط تلك الأبنية على بعضها، وهذا أيضاً مما جعل استنباط المعلومات أمراً صعباً للغاية، خاصة التخطيط الداخلي للمنازل، ويحتاج ذلك إلى إجراء حفريات منظمة وإنقاذية لهذه المنازل. وعلى الرغم من ذلك نستطيع القول من المشاهدات الأولية إن المساحة الإجمالية للمنزل لاتتجاوز٦٠م^{2}، وارتفاعات المنازل في حدود٣م تقريباً. أما الواجهات الخارجية للمنازل فهي بناء مصمت من أسفل البناء إلى أعلاه ولا توجد فيه عناصر مشابهة لتلك الموجودة في قرية الجدلان وقرية الغتامية. أما المداخل فتكاد تكون قليلة جداً وتعتبر صغيرة في حجمها. و يندر وجود النوافذ بالاتساع المعروف في بقية أرجاء وادي بيدة، فهي صغيرة الحجم وتشبه البروج المنتشرة في الحصون. ولا تظهر عناصر معمارية أخرى يمكن الحديث عنها مقارنة بالمنازل في القرى السابقة، (لوحة رقم ٦٣).



لوحة رقم (٦٣) أحد الحصون الداخلية بين المنازل ـ معشوقة

٢- عمارة المساجد:

تعد عمارة المسجد واحدة من أهم العمائر الدينية التي حددت العقيدة الإسلامية معالمها الفنية، وبينت خطوطها وأشكالها وخصائصها، وعلى الرغم من اختلاف العوامل البيئية والفنية في أقطار شتى من العالم الإسلامي، والتي كان لها أثر مباشر في تنوع العناصر المعمارية والفنية، فقد بقي الشكل العام المتعارف عليه في مخططات المساجد الأولى هو القاعدة الأساسية التي شيدت على غرارها كل المساجد في العالم الإسلامي. وقد اعتبرت الوظيفة الأساسية للمسجد، وهي الصلاة، عامل الوحدة بين تلك المساجد، والتي تتم عبر صفوف متراصة من المصلين خلف الإمام[١].

ولقد أوجد سكان بيدة مكاناً خاصاً لإقامة شعائر الإسلام التي تغلغلت في نفوسهم لسماحتها وملاءمتها لطبيعة النفس البشرية، ولحرصهم على السعادة في الدنيا والآخرة. وقد ارتبطت تلك الشعائر بعمارة المساجد التي يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فكان المسجد مركز التلاقي ونقطة لتخطيط القرى، فقد حرصوا على بنائه طلباً للأجر وطمعاً بالتوبة، وليعمرها العلماء والفقهاء والأئمة والأدباء، ويقوى بها الضعيف والغريب، ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين، ويتعلم بها الآباء والأبناء.

وقد اهتم سكان بيدة بعمارة المساجد، خاصة التي تجمع أفراد القرية الواحدة بما يتناسب مع المساحة وعدد السكان. ويبنى المسجد في مكان متوسط من القرية على غرار بناء المساكن، ويستخدم في بنائه الحجارة في هيئة مداميك، ويسقف بالأخشاب والطين وتليس جدرانه من الداخل بمادة الجص، ويتوسط جداره الأمامي محراب ومنبر، وتكون الأبواب بعيدة عن صفوف الصلاة.

---

(١) الكحلاوي، محمد. ""القيم الدينية وأثرها في تخطيط عمارة المسجد"". مجلة دراسات في علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، العدد١، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ١٧٨.

ويلحق بالمسجد فناء صغير يطلق عليه الصوح[1]، وفيه يجتمع المصلون بعد الصلاة لسماع الأحاديث وتبادل الأخبار، إلى جانب ذلك توجد الميضأة وكذلك المئذنة.

وعلى الرغم من كثرة القرى في وادي بيدة ، فقد لاحظنا قلة المساجد، ولعل ذلك يعود إلى الحالة السياسية التي كانت تعيشها المنطقة في اثناء تعاقب الحكومات عليها، بالإضافة إلى انتشار المصليات المكشوفة في منطقة الدراسة والتي زال الكثير منها، وهذا أدى إلى قلة بناء المساجد.

وخلال المسح الميداني لمنطقة الدراسة تم التعرف بمسجدين: الأول في قرية الجدلان، والثاني في قرية الغتامية ويمكن دراستهما وفق موقعها الجغرافي على النحو التالي:-

١- مسجد قرية الجدلان :

يقع هذا المسجد على كتلة صخرية مرتفعة في الجهة الشرقية من قرية الجدلان (شكل رقم ١٠، لوحة رقم ٦٤). وبنيت جدرانه من الأحجار المتوسطة الحجم، عدا الجهة الغربية، وهي عبارة عن نتوء صخري جانبي استغل ليشكل جداراً غربياً للمسجد. وأبعاد المسجد كالتالي: الجدار الجنوبي٥,١٠م، الجدار الشرقي١٠,١٨م، الجدار الشمالي٥,٨٩م، الجدار الغربي٩,٣٥م، ويبلغ ارتفاع جدرانه ٣,١٢م. والمسجد من الداخل مكون من ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة.

أما سقف المسجد فيتكون من العوارض الخشبية الممتدة من الشمال إلى الجنوب في انتظام متناسق، محمولة على الوسح الممتدة من الشرق إلى الغرب ثم الوسائد، ثم الزفر المثبتة في أرضية المسجد. وجميع مكونات السقف من أخشاب السدر والعرعر. أما السطح العلوي فقد فرش بالألواح الحجرية المسطحة وأضيف إليه التراب الذي يشكل آخر مرحلة من التسقيف، (لوحة رقم ٦٥).

---

(١) الصوح: بالفتح والضم وهو الحائط. الفيروز ابادي، ص٢٩٤. وهو مصطلح يطلق محلياً على الصحن .

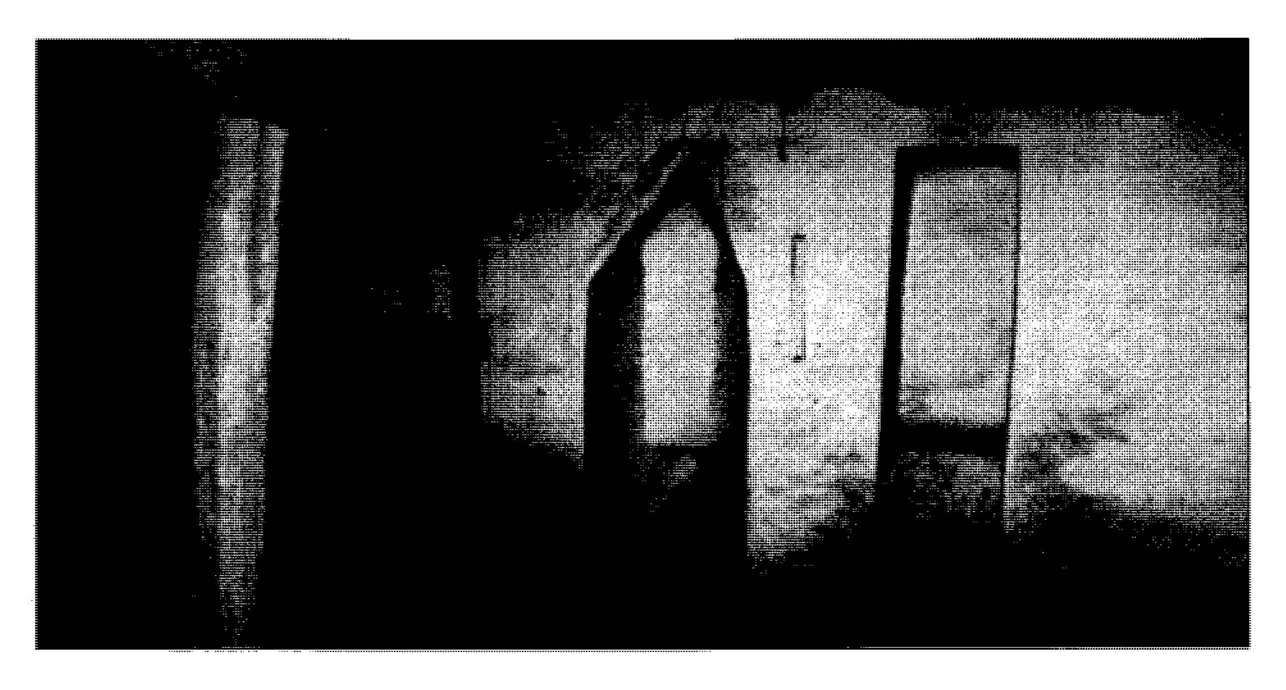


لوحة رقم (٦٤) منظر خارجي لمسجد الجدلان



لوحة رقم (٦٥) منظر داخلي لمسجد الجدلان

أما المحراب فيقع في الجدار الشمالي من المسجد، وهو عبارة عن تجويف بعمق٩٥سم وارتفاع٢,٣٠م، توج بعقد مدبب من النوع المنكسر، ويتضح من شكله أنه من أعمال الترميم والإصلاح التي أدخلت على عمارة المسجد في وقت متأخر. وعلى يسار المحراب تظهر خزانة داخلية لحفظ المصاحف والكتب. أما المنبر، فهو عبارة عن دخلة في الجدار الشمالي بارتفاع٢,٦٠م، وعرض٥٢سم، وعمق داخلي٥٤سم، وهو مكون من درجتين مرتفعتين عن أرضية المسجد. وجدران المسجد مليسة –حديثاً- من الداخل بالجص. وللمسجد مدخل واحد في الجدار الجنوبي بعرض١,١٥م وارتفاع١,٧٠م، وزود المدخل بباب مصنوع من الخشب، (لوحة رقم ٦٦).



لوحة رقم (٦٦) منظر داخلي لمسجد الجدلان

وللمسجد نافذتان ـ في الجدار الشرقي، إحداهما بعرض٨٣سم وارتفاع ٨٠سم، أما الأخرى فهي على بعد٢,٨٨م من الأولى باتجاه الشمال بعرض ١,١٥م وارتفاع١,٢٠م.

أما المئذنة، فنظراً إلى التحام المباني بعضها ببعض، ووعورة الموقع المقام عليه المسجد، فقد نجح المعمار ـ في معالجة ذلك، فقام بوضع أحجار مثبتة بطول متر واحد ـ في الجدار الشرقي الخارجي مقابلة للنافذة الثانية للمسجد، ليصل بها المؤذن إلى سطح المسجد الذي استخدم مئذنة يصعد عليها للإشعار بوقت الصلاة.

٢ـ مسجد قرية الغتامية:

يقع هذا المسجد ـ في الجهة الشرقية من قرية الغتامية (شكل رقم ١١، لوحة رقم ٦٨)، وبني على مساحة مستوية من الأرض، واستخدمت ـ في بنائه الأحجار المتوسطة الحجم، وأزيلت جميع المعالم القديمة للمسجد نتيجة لأعمال الترميم التي أجريت عام ١٣٥٦هـ، حسب النص المكتوب خارج المسجد. وقد أثر موقع المسجد المنبسط ـ في تخطيطه، وهذا ما جعل المعمار يجري حفراً لأرضيته، فظهر ارتفاعه كبيراً من الداخل وقليلاً من الخارج. ويتكون المسجد القديم من بيت للصلاة وصحن مكشوف ـ في مؤخرته[1].

وبيت الصلاة ـ في مسجد الغتامية، مستطيل الشكل غير منتظم مكون من ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة، طول الجدار الجنوبي٧,٦٠م، والجدار الغربي٧,٤٣م، والجدار الشمالي٨,٧٤م، أما الجدار الشرقي٨,٧٠م، ـ في حين يبلغ ارتفاع المسجد ٣,٣٤م.

أما السقف الحالي للمسجد فهو من الأسمنت المسلح، محمول على الأعمدة المسلحة التي رممت مؤخراً. ومن المؤكد أن أجزاء السقف السابقة كانت كتلك التي بقيت ـ في مسجد قرية

(١) أزيل هذا الصحن ـ في وقت متأخر حسب روايات الأهالي، وقد استعمل للصلاة ـ في حالة عدم اتساع المسجد.

الجدلان، (لوحة رقم ٦٨).

أما المحراب فيقع في منتصف الجدار الشمالي من المسجد وهو عبارة عن تجويف مستطيل الشكل بعرض٠٫٤٠م وعمق١٫٣٠م وارتفاع ٢٫٣٠م، وقد وجد المنبر في الجانب الشرقي من المحراب بعرض١٫١٠م وطول١٫١٥م ويوجد فيه درجتان يصعد عليهما الخطيب.

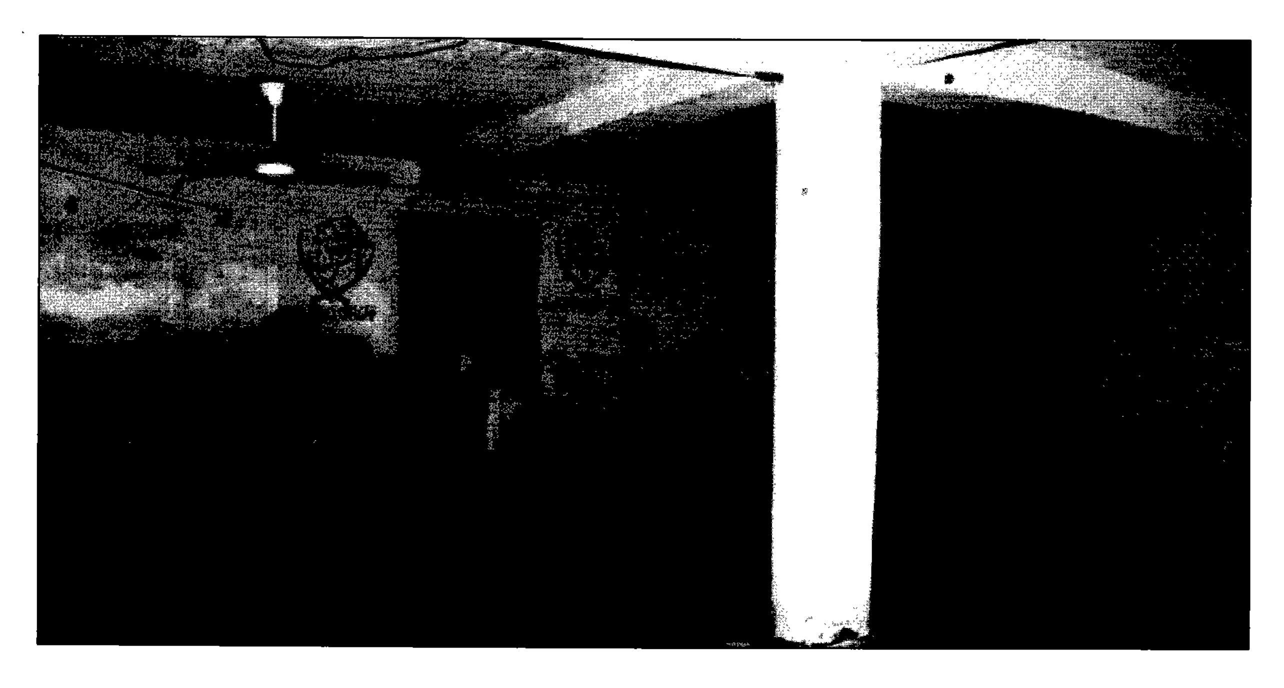
وللمسجد مدخل واحد في الجدار الشرقي، بعرض ١٫٣٠م وارتفاع ١٫٩٠ م وبابه مصنوع محلياً من الحديد، كما أن للمسجد نافذة واحدة في الجدار الشرقي منه بعرض متر واحد وارتفاع ١٫١٥م. وليس للمسجد مئذنة وربما استخدم سطح المسجد للإشعار بوقت الصلاة.

أما الصحن - الذي يعرف بالصوح- فقد أزيل في مرحلة التجديد، ولاتوجد أية دلائل أثرية عليه فقد أزيل بالكامل. ويشير الأهالي إلى أنه كان مبنياً من الأحجار الكبيرة وارتفاعه لا يتجاوز٣م تقريباً. وقد قام المعمار بوضعه في الجزء الخلفي من المسجد ليتمكن المصلون من الدخول إلى المسجد من الجهة الجنوبية بيسر وسهولة، وكذلك دخول الضوء والهواء، وكان يتم الدخول إلى بيت الصلاة عن طريق الصوح من خلال باب واحد في منتصف الجدارالجنوبي لبيت الصلاة أغلق بعد إزالة الصحن، وأضيف باب آخر في الجدار الشرقي من جدار المسجد.

وتظهر على الواجهات الخارجية للمسجد الشرفات المسننة في أركانه الأربعة، كما أن للمسجد سيال (أوسيالة) ، وهو على شكل تجويف في سمت الجدار الشرقي من الخارج بعرض٤٠سم وعمق ٥سم، ولايزال المسجد حالياً بحالة جيدة نتيجة لأعمال الترميم التي نفذها أهالي القرية.



لوحة رقم (٦٧) منظر خارجي لمسجد الغتامية



لوحة رقم (٦٨) منظر داخلي لمسجد الغتامية

٣- عمارة الحصون الحربية :

الحصن هو الموضع الحصين الذي لا يوصل إلى داخله. وهو بناء منفصل قائم بذاته يبنى على السواحل وطرق القوافل التجارية في المراكز العسكرية الحساسة المشرفة على حدود البلدان وثغورها. ومنها ما يكون تابعاً لبناء آخر لقصر أو مدينة أو قرية، يسيطر على البوابات ويمثل الأركان ومداخل المدن ليحميها ويحصنها ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو خارجها، كما أنه أكبر عمائر الاستحكامات الحربية[1].

والحصن في وادي بيدة هو بناء مربع أو مستطيل ذو طوابق متعددة يبنى لأغراض دفاعية على حدود القرى، وقد يخصص في بعض الأوقات للأعمال الزراعية. وتتكون الحصون الحربية من مجموعة من العناصر المعمارية.

العناصر المعمارية في الحصون الحربية:

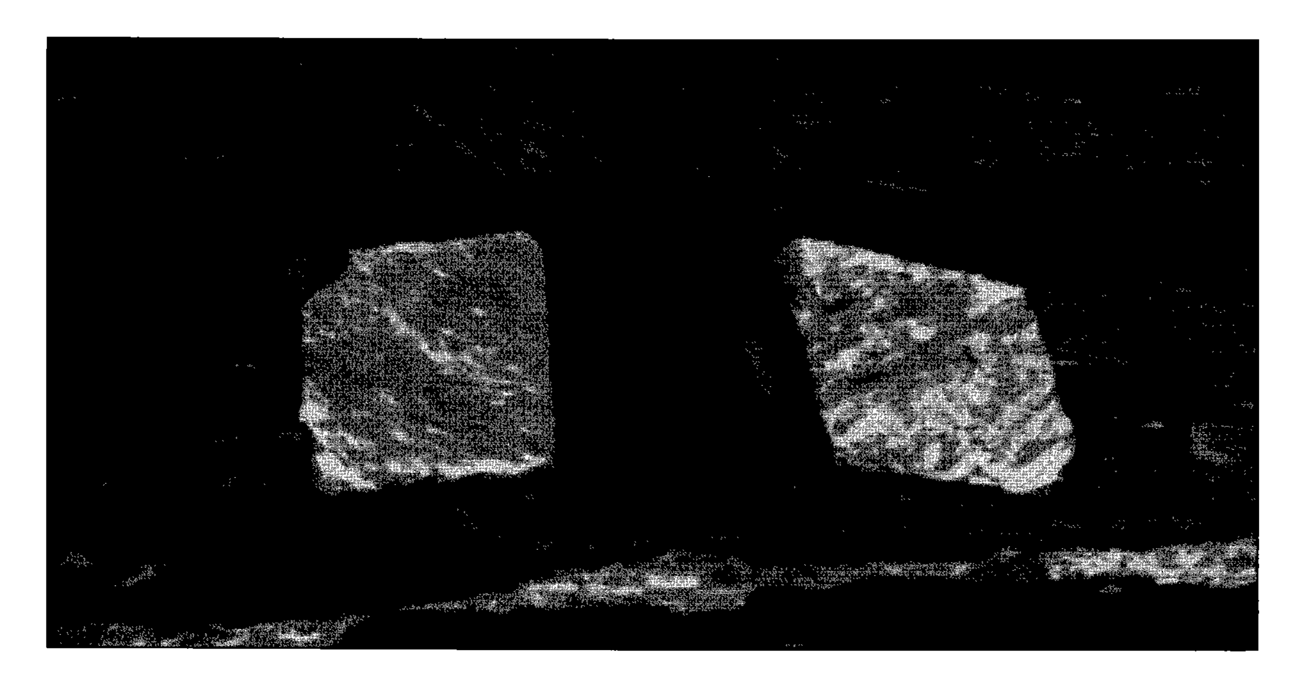
تعتبر العناصر المعمارية في الحصون الحربية من أهم العناصر الدفاعية التي يحرص المعمارعلى تنفيذها بدقة، وباتجاهات تتناسب مع موقع الحصن لتؤدي دورها في الدفاع والمراقبة. وهذه العناصر يمكن تناولها على النحو التالي:-

١- المدخل:

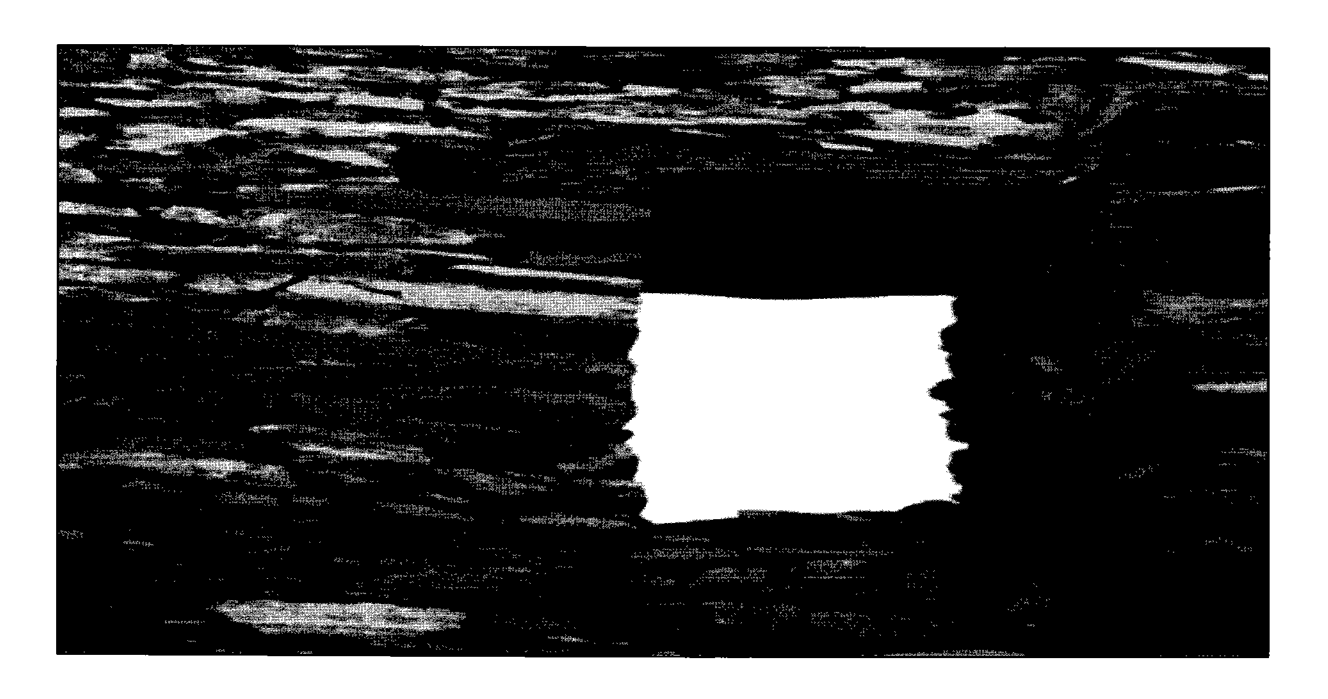
يحتوي كل حصن على مدخل واحد فقط، بعرض متر واحد وارتفاع ١,٥٠م تقريباً ويقام في منتصف الواجهة الرئيسة للحصن، ويؤدي المدخل إلى مرافق الحصن الداخلية. وعتب المدخل يكون بالأخشاب أو الأحجار، كما يدعم من جانبيه بالألواح الحجرية الكبيرة والمشذبة، والهدف من وجود هذه الألواح هو تقويته وزخرفته. ويقوم البنّاء باختيار الأحجار المناسبة لوضعها في هذا المكان ولو لزم جلبها من أماكن بعيدة. ثم تركب الغمامة فوقه مباشرة. ويغلق المدخل بباب خشبي، كما يقوم على حمايته مجموعة من المدافعين من خلال نافذة المراقبة في أعلى الحصن. كما أن هناك مداخل أخرى داخل الحصن للتنقل بين طوابق وأقسام الحصن، وتكون أقل مساحة من المدخل الرئيس ويقام بعضها فوق بعض، (اللوحات رقم ٦٩ ، ٧٠).

---

(١) غالب، ص ١٣٣.

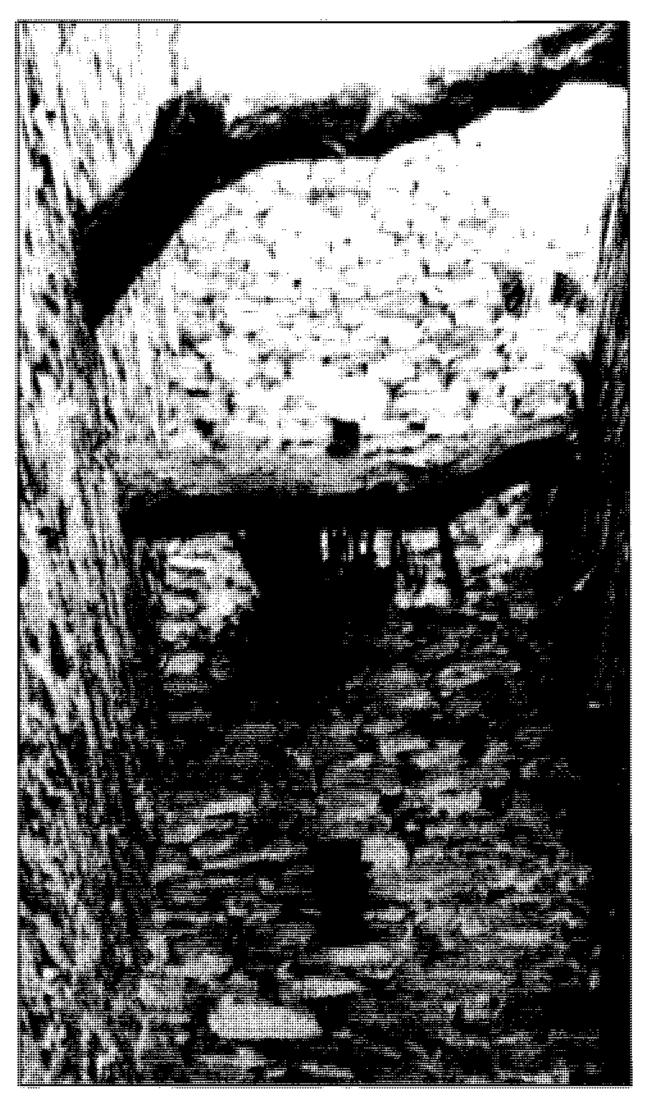


لوحة رقم (٦٩) مدخل



لوحة رقم (٧٠) مدخل في داخل الحصون

لوحة رقم (٧١) سلم



لوحة رقم (٧٢) رعش

٢- السلالم:

هناك نوعان من السلالم للتنقل بين طوابق الحصن: أحدهما يشكل بواسطة ألواح حجرية تثبت في الجدران الداخلية، أما الآخر فيشكل في اتجاهين متعاكسين في طوابق الحصن. ويبدأ الحصن بسلم من الألواح الحجرية المثبتة في الطابق الأرضي في جهة، ثم ينتقل في الطابق التالي في الجهة

الثانية، ليوفر مساحة أوسع للمدافع للتحرك ولإتاهة العدو وسرعة ملاحقته إذا تمكن من دخول الحصن، (لوحة رقم ٧١)

٣ـ الرعوش:

وهي تشبه الرعوش في المنازل إلا أنها تكون في الداخل، وقد وجدت الرعوش للفصل بين طوابق الحصن، ولتؤدي وظيفة أساسية تتمثل في الوقوف عليها لمراقبة المنطقة من خلال البروج الحربية. ويتم تنفيذها عن طريق تثبيت عارضتين خشبيتين متوازيتين في الجدران الداخلية أمام البروج الحربية، تبعد عن جدار البرج مسافة تراوح بين٥٠سم و٩٠ سم تقريباً، ثم تفرش أخشاب متعامدة على العارضتين. وقد تستخدم مجموعة الألواح الحجرية (الصلي) ليتمكن المدافع من التحرك عليها. وتنفذ كذلك في الجدار المقابل لمراقبة المنطقة المحيطة. ويوجد بجانب هذه الرعوش السلالم الحجرية الجانبية في الجهتين لتمكن من الصعود والنزول بين طوابق الحصن، (لوحة رقم ٧٢).

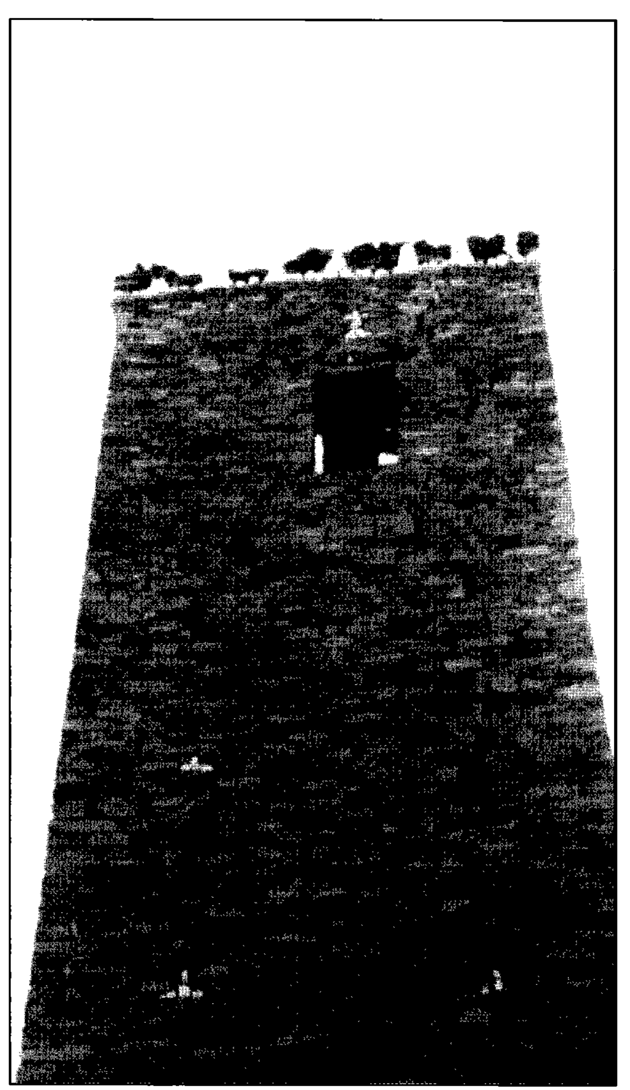
٤ ـ البروج:

ويطلق على الواحدة برج، وهي فتحة صغيرة في الحصن للرماية، وهي بعرض ١٠سم وارتفاع ٣٠سم تتسع من الداخل لتحريك أدوات الرماية ولكشف أكبر مساحة من الأرض المحيطة بالحصن، وتضيق من الخارج تفادياً لدخول ضربات المهاجمين إلى داخل الحصن. وتحاط هذه البروج بألواح حجرية من الجوانب. ويكون موضعها من الحصن في مستوى واحد يظهر فيه تناسق الزوايا والأبعاد. كما تثبت فوق هذه البروج أحجار المرو الأبيض التي تعطي شكلا جمالياً لواجهة الحصن، (لوحة رقم ٧٣).

٥ ـ نوافذ المراقبة:

فتحة مربعة الشكل ٨٠×٨٠سم تقريباً تنفذ في آخر طابق من الحصن وتكون موضعها فوق الباب مباشرة، لسكب السوائل عند محاولة دخول الأعداء إلى الحصن كما تستخدم للمراقبة لتكشف أكبر مساحة من الأرض المحيطة بالحصن. وتقابلها نافذة أخرى في الجهة المقابلة من الحصن، (لوحة رقم ٧٤).

لوحة رقم (٧٣) بروج حربية – في الإطار أعلى من الخارج – أسفل من الداخل



لوحة رقم (٧٤) نافذة مراقبة

٦ ـ الجون

وهو بروز في واجهة البناء نحو الخارج بمقدار ٥٠ سم تقريباً. ويكون في السطح العلوي من الحصن. استخدم ليوفر مساحة مناسبة للوقوف عليها ومراقبة المنطقة. كما يحتوي على بروج صغيرة للرماية وزوائد مرتفعة في أركان الحصن للاختباء وراءها في أثناء الدفاع والرماية. وتزين واجهة

الجون الخارجية بأحجار المرو الأبيض بالتناوب مع أحجار البناء في خطوط وأشكال هندسية مختلفة لإتاهة العدو، وتعتبر كذلك شكلاً زخرفياً للحصن.

وفيما يلي نماذج مختارة من الحصون الباقية في وادي بيدة، وهي حصن قرية العقاربة وحصن قرية الرقبان في بيدة. وقد اختير هذان النموذجان لبقائهما على الحالة الأصلية واختلاف موقعهما الجغرافي. وفي معشوقة حصن قرية مزعْرّ وحصن قرية الوقرة، لتميزهما بدقة البناء والأحجار المستخدمة في بنائهما، إضافة إلى وجود مميزات أخرى تختلف عن حصون بيدة من حيث التفاصيل الداخلية.

١- حصن قرية العقاربة:

يقع هذا الحصن في وسط قرية العقاربة، على ربوة مرتفعة من القرية شرق وادي بيدة. وتبلغ أبعاده من الشمال إلى الجنوب ٣,٨٠ م، ومن الغرب إلى الشرق ٥,٥٠ م ويبلغ ارتفاعه ١٦م تقريباً. ويحيط بهذا الحصن من الجهة الغربية سور من الأحجار المبنية بطريقة عشوائية على ارتفاع ١,٥٠م. وتعود ملكيته لقرية العقاربة من قرى آل زياد من بني بشير من زهران الحاضرة. (شكل رقم ١٢، لوحة رقم ٧٦ ، ٧٧).

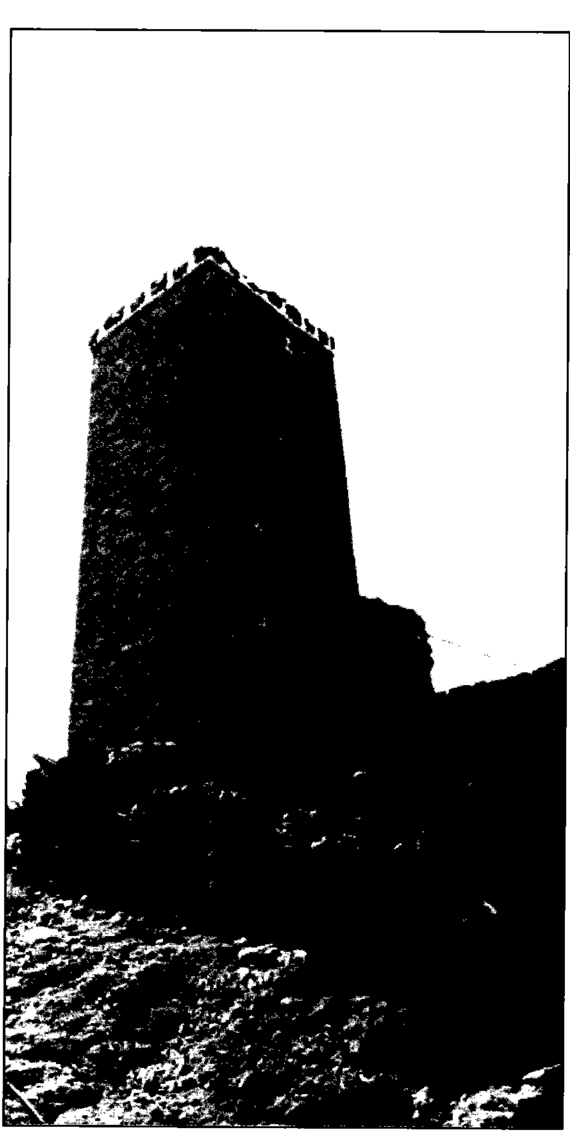
(أ) - الواجهات الخارجية للحصن:

تعتبر الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسة للحصن. وفيها الباب الرئيس بعرض ٨٠ سم وارتفاع ١,٦٠م. وعبرّ الباب من خشب السدر مثبتة على أحجار الحصن، وعتبته العليا من الخشب المستطيل الشكل. ويوجد بهذه الواجهة ستة بروج حربية بواقع اثنين في كل طابق. تراوح أبعاد الواحد منها بعرض١٠ سم وارتفاع ٣٠ سم وعمق داخلي ٧٠سم. وبنيت على مستوى واحد من أسفل الحصن إلى أعلاه.

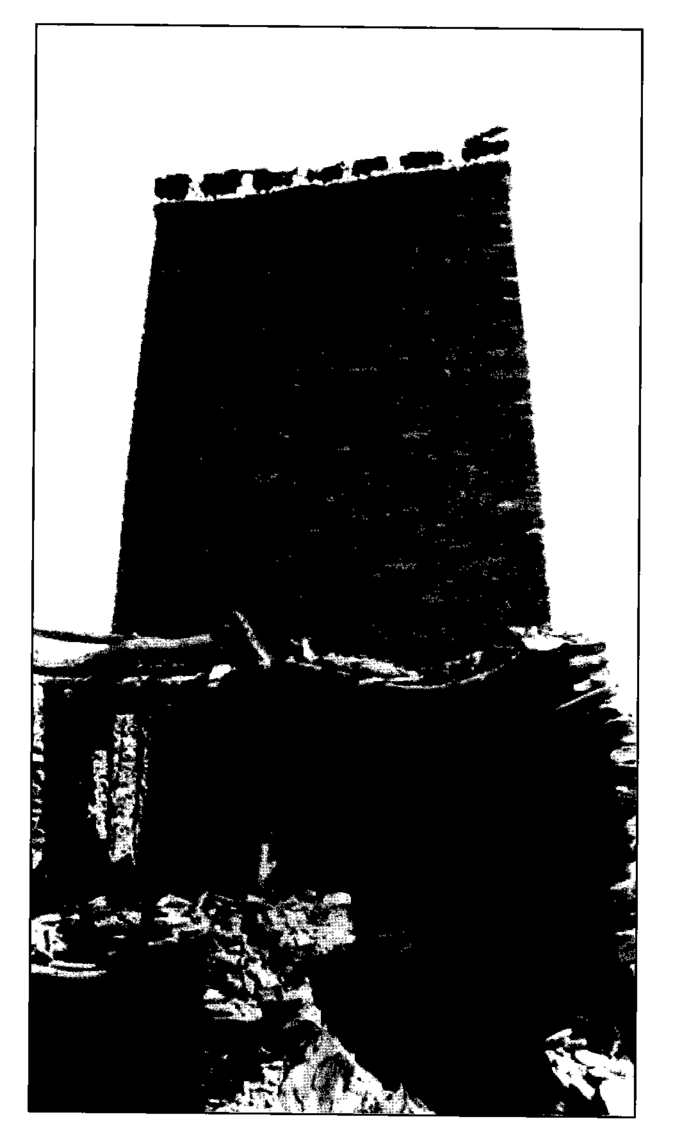
ويوجد فوق كل واحد من هذه البروج أحجار المرو الأبيض على شكل حرف (T) بالمقلوب إلا أن بعضها قد تساقط. و في الطابق الرابع تظهر نافذة مربعة الشكل٧٠×٧٠ سم تقريباً، بمنتصف الواجهة وتميل قليلاً باتجاه الركن الغربي الجنوبي. وقد استخدمت هذه النافذة للمراقبة لكبر حجمها. ويوجد فوق النافذة تشكيلة من أحجار المروالأبيض على الشكل السابق في البروج الحربية. أما الجون فقد خصص للاستطلاع والمراقبة، وهو يرتفع ١,٤م عن سطح الحصن. وزينت واجهات الجون بأحجار المروالأبيض للتمويه على العدو وللزينة من جهة أخرى. وتحتوي هذه الواجهة على بعض الرسوم الحيوانية المنفذة على الأحجار بواسطة الحفرالغائر. الواجهة الجنوبية للحصن مصمتة ولا تحتوي على أي عناصر معمارية، سوى وجود مرافق أخرى للحصن إذ تحتوي على طابقين من البناء، وخصصت هذه الواجهة لتكون مخزناً في الطابق الأرضي، وهي مسقوفة في كلا الطابقين بالأخشاب مع الأحجار ويحمل السقف الجدران الحجرية في الطابق الأول، والأعمدة الخشبية في الطابق الثاني. ويظهر بالبناء تصدع وتفكك بسبب العوامل الجوية وقد تهدمت بعض أجزائه.

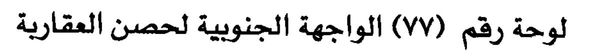
الواجهة الشرقية تحتوي على ستة بروج حربية، وهي مقابلة للبروج الموجودة في الواجهة الغربية، ولا يوجد فيها أي عناصر معمارية أخرى.

أما الواجهة الشمالية فلا يوجد فيها أي عناصر معمارية، واكتفى البنّاء بوضع الجون، مع وجود شريط من أحجار المروالأبيض. ويلاحظ وجود رسوم فيها كالرسوم في الواجهة الغربية.



لوحة رقم (٧٦) حصن العقارية





لوحة رقم (٧٧) الواجهة الجنوبية لحصن العقارية

(ب)- التخطيط الداخلي للحصن:

يتألف الحصن من خمسة طوابق، ويتم الدخول إليه عن طريق المدخل في الواجهة الشرقية من الحصن الذي يؤدي إلى الطابق الأرضي، وهذا الطابق يتكون من مساحة مستطيلة الشكل مقسمة إلى غرفتين. الغرفة الشمالية يبلغ طولها ٤,٥٠م وعرضها٢م. استخدمت لإيواء الماشية. أما الغرفة الجنوبية فهي بطول ٤,٥م وعرضها ١,٢٠م. استخدمت لتخزين الأعلاف. ويفصل بين الغرفتين جدار مبني بالأحجار بطول ٣,٦٠م وسمك ٨٨سم لحمل السقف وليكون دعامة إضافية للزفر في الطوابق العليا. ويوجد في الركن الغربي الجنوبي سلم من الأحجار مثبت في الجدار الجنوبي يؤدي إلى الطابق الأول من الحصن. وفي الطابق الثاني يوجد سلم آخر في الجهة الشمالية يؤدي إلى الطوابق الأخرى (شكل رقم ١٢). وبقية الطوابق عبارة عن مساحة مستوية خالية من التقسيمات الداخلية، يتوسطها زافر لحمل السقف في الطابقين الثاني والثالث والرابع، خصص لاحتواء المدافعين في حالة الحرب. أما بالنسبة للبروج الحربية فترتفع عن أرضية كل طابق قرابة ٧٠سم. ونظام التسقيف من الأخشاب ووضعت عليه الألواح الحجرية المسطحة، (لوحة رقم ٧٧،وشكل رقم ١٣)



لوحة رقم (٧٧) منظر داخلي لأحد طوابق حصن العقارية

٢. حصن قرية الرقبان:

يقع هذا الحصن في الجنوب الغربي من قرية الرقبان، ويحتل مساحة مرتفعة من القرية. أبعاد هذا الحصن من الشمال إلى الجنوب ٥ م ومن الشرق إلى الغرب ٥,٢٠م ويبلغ ارتفاعه ١٤م تقريباً. ويوجد في الجهة الشمالية من الحصن سور من الأحجار إلا أن الجزء الأكبر منه قد تهدم، (شكل رقم ١٤، لوحة رقم ٧٨، ٧٩)

(أ)- الواجهات الخارجية للحصن:

تعتبر الواجهة الجنوبية هي الواجهة الرئيسية للحصن، ففيها الباب الرئيس، وقد طمرت الأترية جزءاً من هذه الواجهة خاصة الجزء السفلي، إذ لم يبق سوى مقدار ربع الباب ظاهراً للعيان، والغمامة التي تقع فوق الباب مباشرة من حجر البازلت غير منتظم الشكل ولونه مائل إلى اللون الأخضر، ويختلف عن بقية الأحجار المستخدمة في بناء الحصن ونفذ عليها بعض الرسوم. كما يوجد في هذه الواجهة ستة بروج وتقدر بعرض ٥سم وارتفاع ٢٥سم.

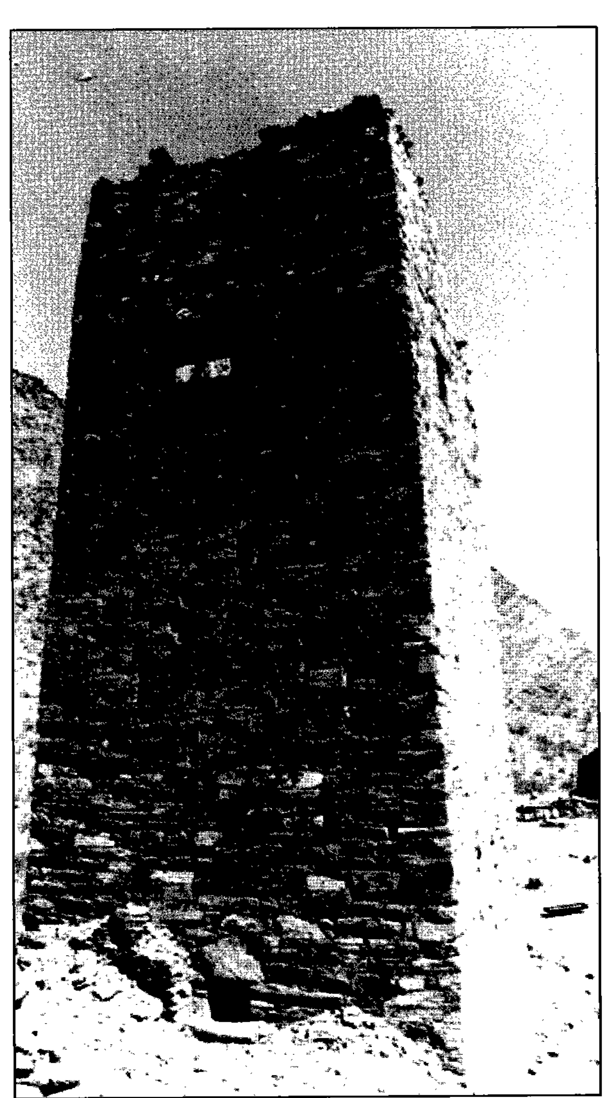
وهي بواقع اثنين في الطابق الأول والثاني والرابع، وبنيت على مستوى واحد من أسفل الحصن إلى أعلاه. ويوجد نافذة متوسطة الحجم ٣٠×٣٠ سم في منتصف الطابق الثالث من الحصن مع ميل قليل إلى الجهة الغربية خصصت للمراقبة. ويظهر في هذه الواجهة بعض التصدعات في البناء وسقوط بعض الأحجار من مكانها.

وفي الواجهة الشرقية يستمر البناء من أسفل الحصن إلى الطابق الرابع من دون أي عناصر معمارية. إلا أنه يظهر في الطابق الثالث نافذة مربعة الشكل٤٠×٤٠سم في منتصف الطابق، يعلوها غمامة من الحجر مثبتة على قاعدة من الخشب استخدمت في الوقت نفسه عتبة للنافذة المربعة. وتجدر الإشارة إلى أن الجزء العلوي من الحصن قد أعيد بناؤه في فترة متأخرة.

وفي الواجهة الشمالية لا توجد أي عناصر معمارية سوى النافذة المربعة ٣٠×٣٠سم في الطابق الثالث من الحصن، ولا يوجد فيها غمامة كتلك التي على نافذة الواجهة الشرقية. وقد استخدمت

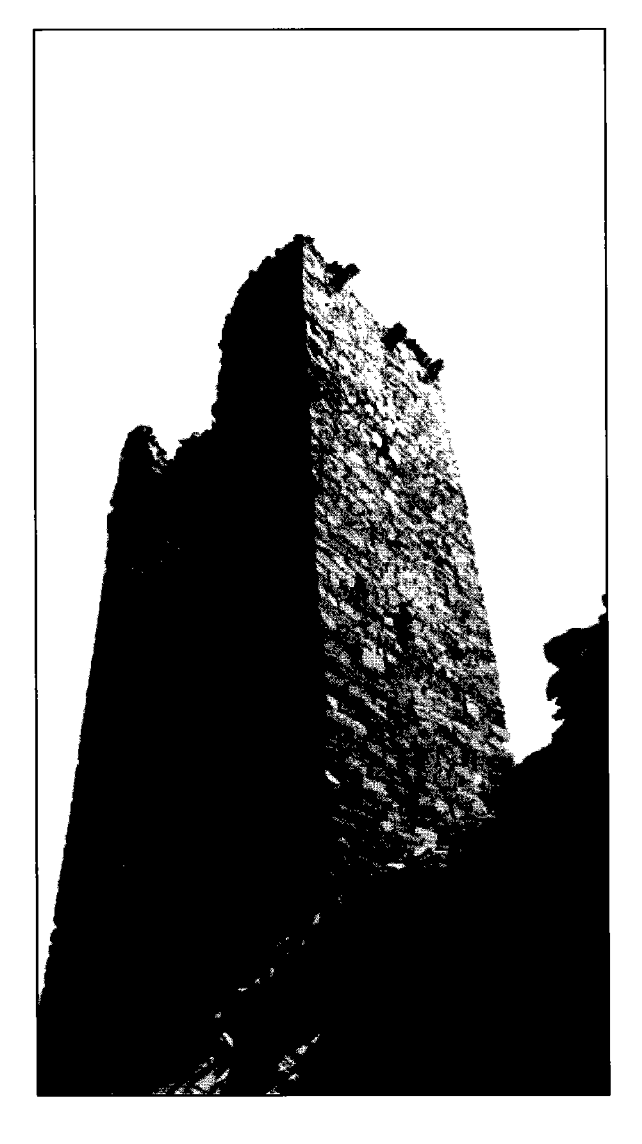
هذه النافذة للمراقبة في الفترة التي تم فيها ترميم هذا الحصن خاصة الجزء العلوي من الطابق الرابع، ويظهر ذلك من خلال مواد البناء المختلفة عن بقية أجزاء الحصن .

أما الواجهة الغربية من الحصن فلا يوجد فيها أي عناصر معمارية ، في حين يظهر سقوط الأحجار بشكل كبير في الجزء العلوي من هذه الواجهة ، وبقيت أجزاء الواجهة بحالة سليمة.



لوحة رقم (٧٨)

الواجهة الجنوبية - حصن الرقبان الرقبان



لوحة رقم (٧٩)

الواجهتان الشمالية والشرقية حصن الرقبان

(ب)- التخطيط الداخلي للحصن:

يحتوي حصن الرقبان على خمسة طوابق، ويتم الدخول إلى الطابق الأرضي عن طريق مدخل بعرض٩٠سم. وكما هو معلوم خصص هذا الطابق لإيواء الماشية في الغرفة الغربية التي تقدر بطول ٢م وعرض ٤م. وتخزين الأعلاف في الغرفة الشرقية التي تقدر بطول ١,٥٥م وعرض ٤م، مع وجود فاصل بين الغرفتين من الأحجار. أما بقية الطوابق فقد بنيت على نفس طريقة الحصن السابق، وبلغت الارتفاعات في كل طابق مترين تقريباً. وقد سقفت طوابقه بالأخشاب والأحجار المستوية، كما يبدو واضحاً سقوط السقف العلوي للحصن. وقد كانت تلك الطوابق نقطة تجمع للمحاربين من أبناء القرية.

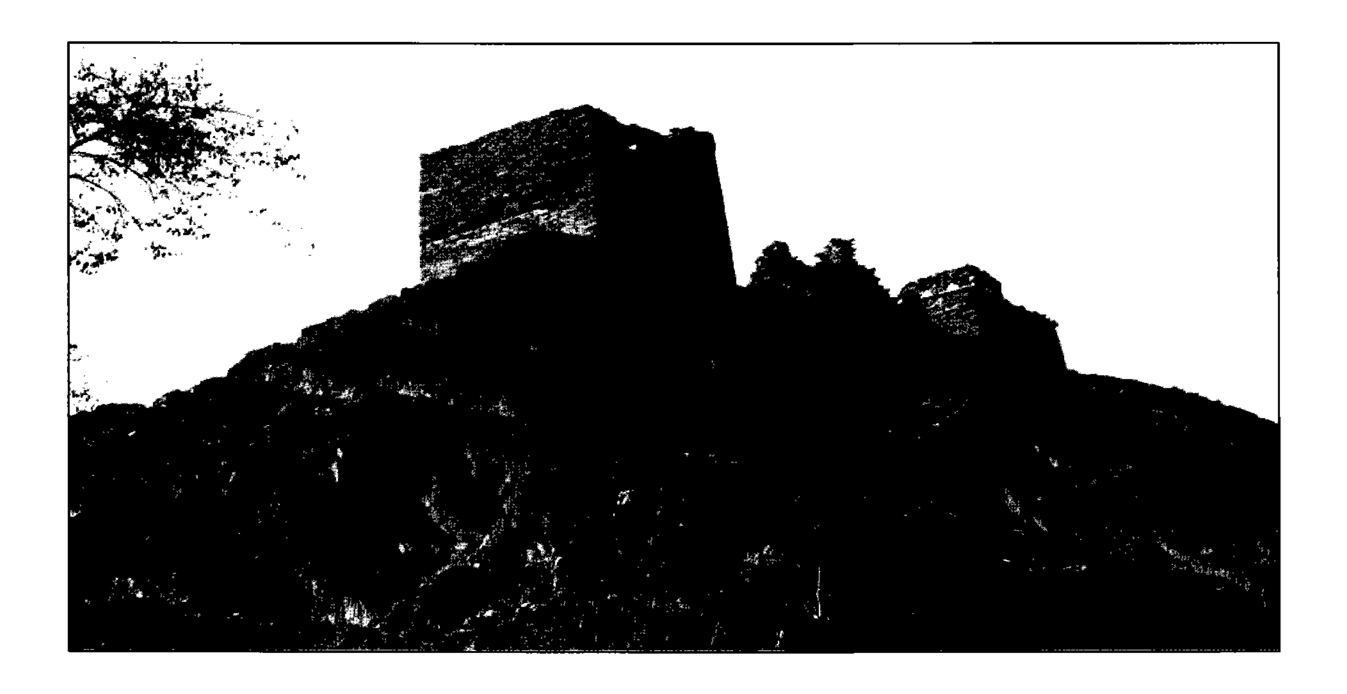
٣ - حصن قرية مزْعّر:

يقع هذا الحصن على قمة جبل في الجهة الغربية من وادي معشوقة. وهو ضمن مجموعة من الحصون، ولكنها تهبط عنه قليلاً، ويحتل الجهة الجنوبية منها. والحصن من الخارج لازال محتفظاً ببعض عناصره الدفاعية. وتراوح أبعاده من الشمال إلى الجنوب ٦,٥٠م ومن الغرب إلى الشرق ٧,٢٠م، ويبلغ ارتفاعه ١٥م تقريباً، (لوحة رقم ٨٠ ، ٨١).

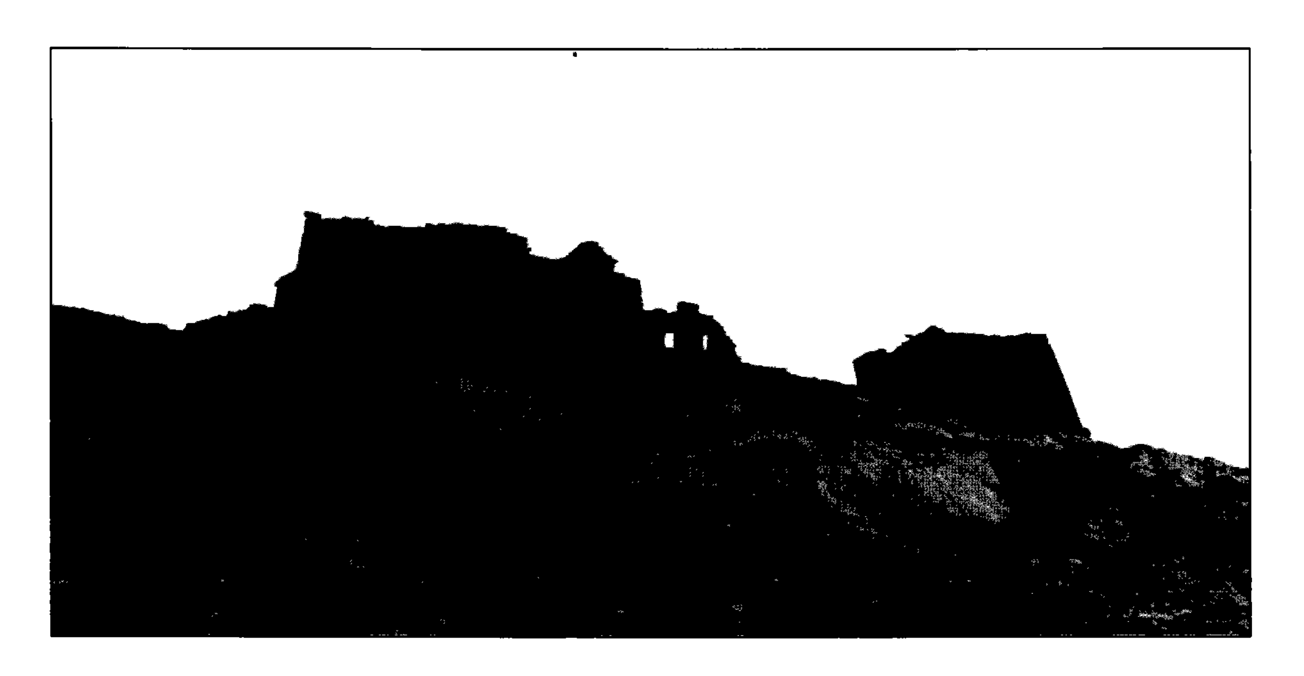
(أ)- الواجهات الخارجية للحصن:

تعتبر الواجهة الشرقية هي الواجهة الرئيسية للحصن. ويوجد المدخل في منتصف هذه الواجهة بعرض١,١٠م وارتفاع ١,٥٦م. وقد دعم الباب من جانبيه بدعامات من الأحجار المستطيلة، يعلوها غمامة من الحجر ذات عقد مقوس وهي نموذج فريد في غمائم المداخل في هذه المنطقة، ويلاحظ وجود دعامة من الخشب تحمل هذه الغمامة. وتحتوي هذه الواجهة على أربعة بروج حربية، بواقع اثنين في كل طابق. ويبلغ عرض الواحد منها١٠ سم وارتفاع ٣٠سم وعمق٧٠سم. وقد دعمت هذه البروج من الجوانب بألواح من الحجر المستطيل على جانبيها. وتوجد نافذة مربعة في الطابق الثاني في أعلى الحصن٧٠×٧٠سم تقريباً، وتعتبر هذه الواجهة أحسن واجهات الحصن من حيث المظهر العام.

الواجهة الشمالية لا توجد فيها أي عناصر معمارية يمكن الحديث عنها إذ يستمر فيها البناء بشكل متناسق وفي الواجهة الغربية توجد البروج الحربية المقابلة للنوافذ التي تحدثنا عنها في الواجهة الشرقية من الحصن. حيث تتركز في الطوابق المذكورة وعلى نفس الارتفاع وفي الواجهة الجنوبية لا توجد عناصر معمارية تذكر، وتظهر هذه الواجهة بحالة جيدة، مع وجود فوارق في بعض الأحجار المستخدمة في البناء، خاصة في الأجزاء العلوية من الحصن.



لوحة رقم (٨٠) الواجهتان الجنوبية والشرقية – حصن مزعر

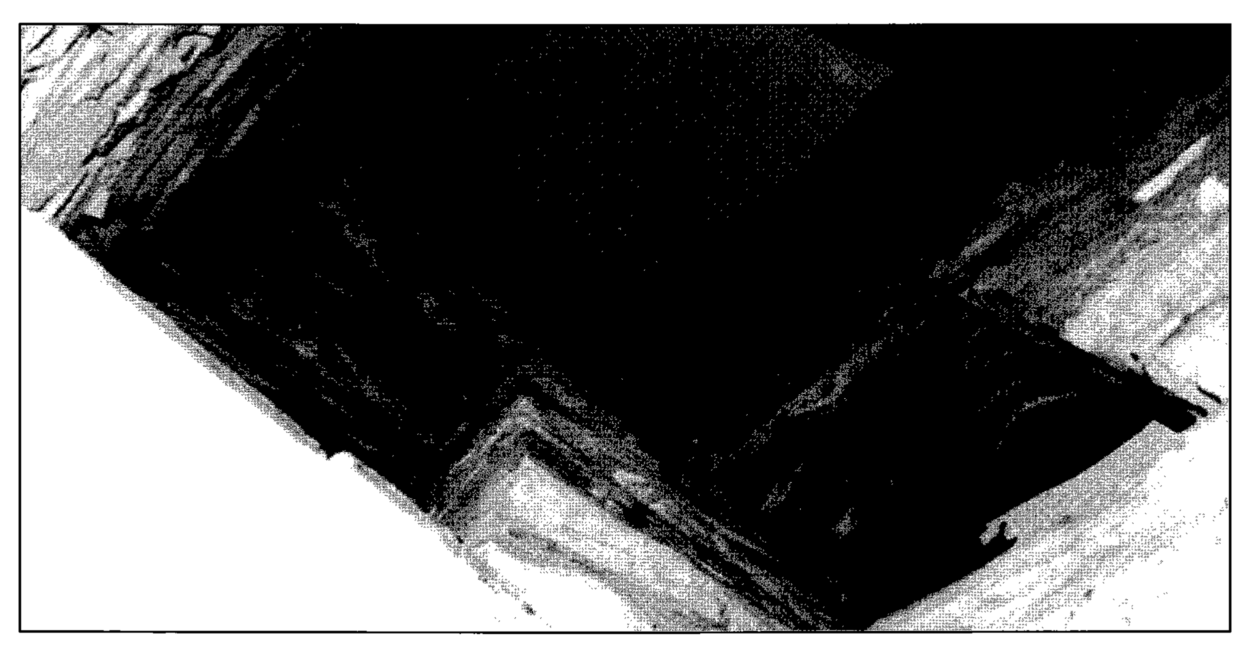


لوحة رقم (٨١) الواجهة الغربية من حصن مزعر

(ب)- التخطيط الداخلي للحصن:

يتكون التخطيط الداخلي لهذا الحصن من ثلاثة طوابق. ويعتبر تخطيطه مختلفاً عن الحصون السابقة، فهو يحتوي على قسمين: القسم الجنوبي توجد فيه غرفة واحدة مستطيلة بطول ٦,٢٠م وعرض ٢,٢٠م. ويتم الدخول إليها عن طريق الباب الواقع جنوب المدخل الرئيس للحصن بعرض ٧٠سم وارتفاع ١,٥٠سم. وتحتوي هذه الغرفة على ثلاثة مستويات من الرعوش بعضها فوق بعض أمام البروج الحربية، وكل مستوى من الرعوش يحدد طابقاً في الحصن، وتقوم بجانبها سلالم من الأحجار مثبتة بإحكام في الجدار الشمالي من الغرفة الجنوبية تمكن من الصعود إلي بقية طوابق الحصن (شكل رقم ١٥).

أما القسم الشمالي من الحصن فيختلف عن القسم السابق، فهو يتكون من غرفتين: غرفة في الجهة الشرقية يبلغ طولها ٢,٢٠م وعرضها ١,٥٠م. وغرفة في الجهة الغربية بطول ٤,٧٠م وعرض ٢,٢٠م. ويوجد في الغرفة الشرقية ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض تؤدي إلى الغرفة الغربية من هذا القسم. كما يرتبط القسم الشمالي بالقسم الجنوبي عن طريق ثلاثة أبواب أخرى مشابهة للسابقة في الغرفة الشرقية. وهذه الأبواب تراوح بعرض ٧٠سم وارتفاع متر واحد. ويوجد رعوش أخرى أمام الأبواب لتمكن المدافع من التنقل إلى البروج الحربية في تلك الغرف، (لوحة رقم ٨٢).



لوحة رقم (٨٢) منظر داخلي من حصن مزعر

٤ـ حصن الوقرة:

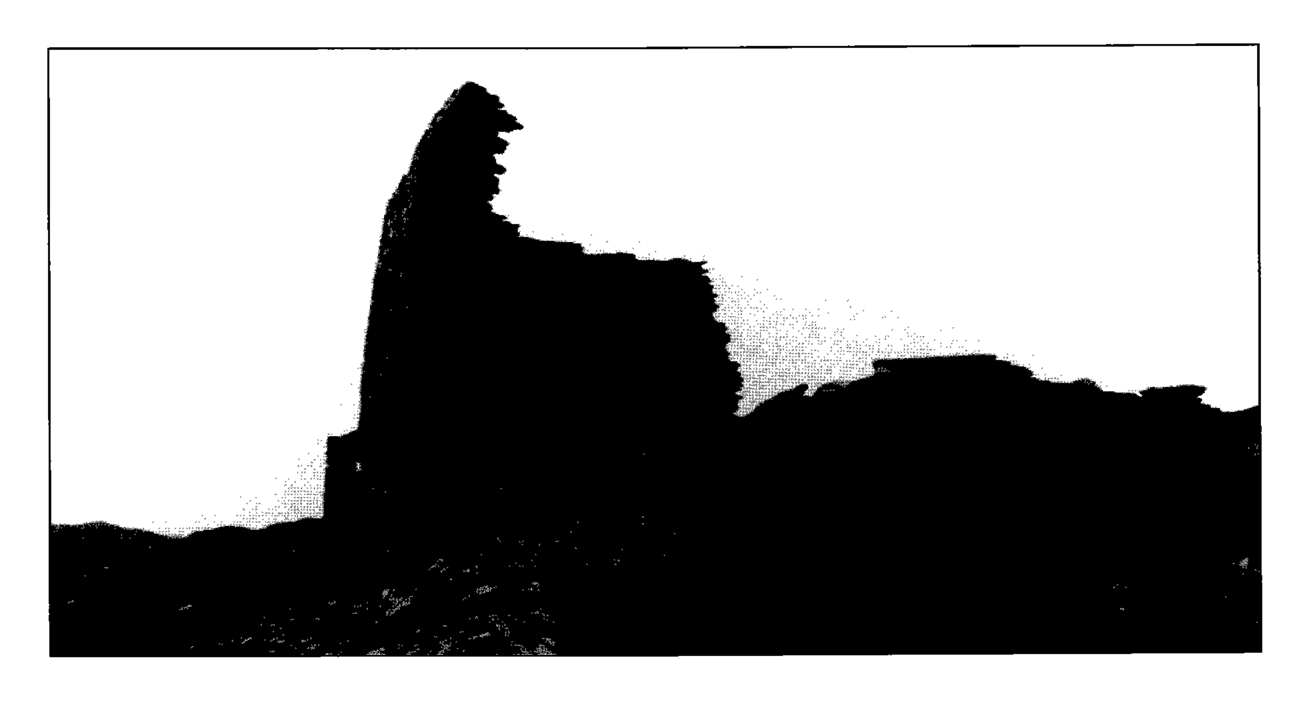
يقع هذا الحصن في الجهة الشرقية من وادي معشوقة ضمن مجموعة من الآثار المعمارية التي تعرف بالوقرة، وبني على مستوى منبسط من الأرض. وتتراوح أبعاد هذا الحصن من الشمال إلى الجنوب٧م ومن الشرق إلى الغرب٧م ويبلغ ارتفاعه١٨م. وقد بني من الأحجار المتوافرة بالمنطقة لوجود المقلع الخاص بالأحجار في الجهة الشرقية من القرية. ويلحق بالحصن بعض المباني الأخرى التي شكلت دعامة جانبية للحصن، (لوحة رقم ٨٣، ٨٤).

(أ)- الواجهات الخارجية للحصن:

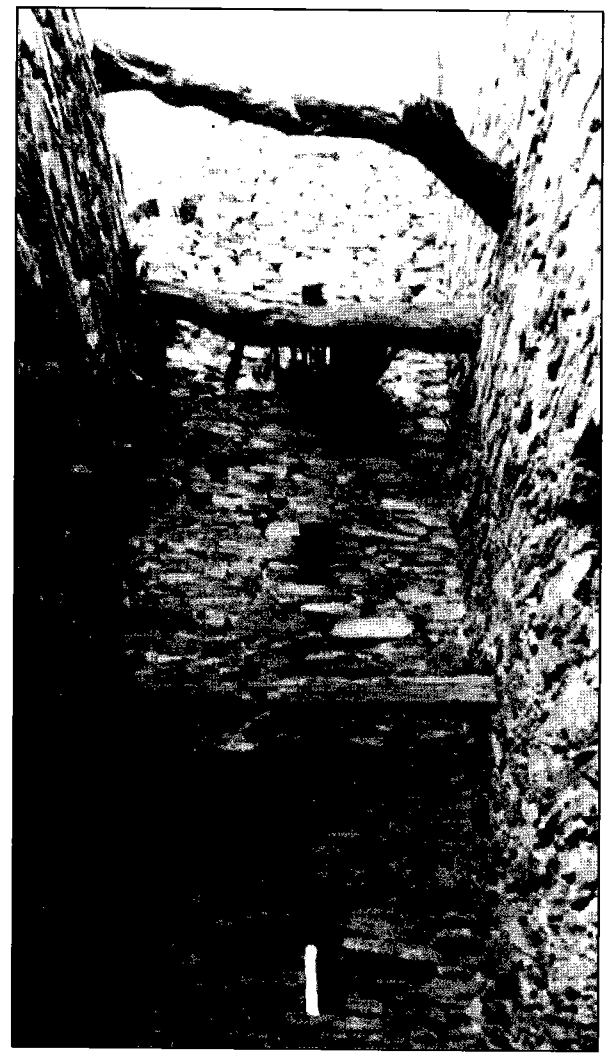
تعتبر الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسة للحصن، ففيها الباب الرئيس. ويبلغ عرضه ٨٠ سم وارتفاعه١,٦٧م. وقد دعمت أركان الباب بالأحجار الكبيرة بواقع أربعة أحجار مستطيلة الشكل موزعة في الأركان، بينما تلاصقت الأحجار التي في الركنين العلويين لتشكل غمامة الباب من جهة، وشكلاً زخرفياً من جهة أخرى. كما زين المدخل بحجر المروالأبيض فوق الباب مباشرة. إضافة إلى وجود ستة بروج حربية بواقع اثنين في كل طابق، وأبعاد الواحد منها بعرض١٠ سم وارتفاع ٣٠سم وعمق داخلي٧٠سم. وبنيت على مستوى واحد من أسفل الحصن إلى أعلاه، ويحيط بكل واحد منها ألواح من الأحجار المستطيلة. وفي الطابق الرابع توجد نافذة مربعة تبلغ مساحتها٧٠×٧٠ سم. وقد تهدم سقف الحصن العلوي لذا لم تكن النافذة واضحة في الجزء العلوي. وتحت هذه النافذة يوجد حجران من المروالأبيض باتجاه فتحة الباب. كما تظهر رسوم للجمال والخيول على بعض الأحجار من الخارج .



لوحة رقم (٨٣) الواجهتان الغربية والشمالية من حصن الوقرة



لوحة رقم (٨٤) الواجهة الجنوبية من حصن الوقرة



لوحة رقم (٨٥) منظر داخلي
للغرفة الشمالية من حصن الوقرة

أما الواجهة الجنوبية ونظراً إلى تهدم جزء كبير من هذه الواجهة لم نستطع تحديد معالمها. وقد ألحق بهذه الواجهة غرفة قد تهدمت معالمها ولم يبق منها سوى غمامة الباب الذي يمثل قطعة من الحجر الكبير والمميز عن بقية الأحجار الأخرى المستخدمة في بناء هذه الواجهة.

الواجهة الشرقية متهدمة تماماً، ولم يبق منها سوى بعض الأحجار في الركن الشرقي الشمالي، وعلى ذلك يمكن القول بوجود ستة نوافذ مقابلة للنوافذ في الواجهة الغربية.

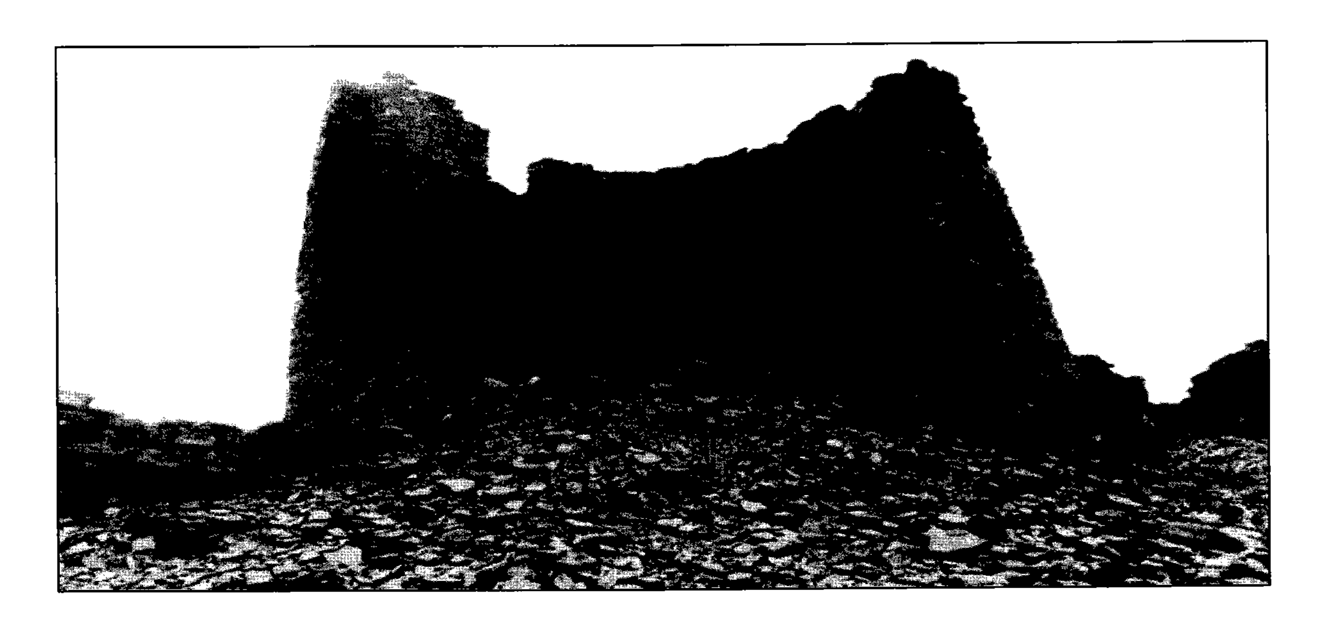
الواجهة الشمالية لازالت هذه الواجهة بحالة جيدة ولكن لا يوجد فيها أي عناصر معمارية. ولعل ذلك يعود إلى وجود ملاحق بالقرب من هذه الواجهة التي كانت تؤدي دوراً معيناً.

(ب)- التخطيط الداخلي للحصن:

يتكون التخطيط الداخلي لهذا الحصن من أربعة طوابق، ويحتوي على قسمين: القسم الشمالي بطول ٦م وعرض ٢,٣٠م، ويوجد في هذا القسم ثلاثة مستويات من الرعوش أمام البروج الحربية. وقسم جنوبي مقسوم بجدار من الأحجار إلى غرفتين: غرفة غربية بطول ٢,٢٠م وعرض ١,٦٠م، وغرفة شرقية بطول ٣,٤٠م وعرض ٢,٢٠م. وتتصل الغرفة الغربية مع الغرفة الشرقية في هذا القسم عن طريق أربعة مداخل في كل طابق من طوابق الحصن يقوم بعضها فوق بعض، وتوجد

رعوش أمام هذه المداخل تشكل ممراً للوصول إلى البروج الحربية في الجهة الغربية والشرقية من خلال الغرفتين. ويظهر هذا التخطيط عند النظر من الجهة الشرقية للحصن، بسبب تساقط جزء كبير منه (شكل رقم ١٦، ١٧).

وحصن الوقرة يشبه في تخطيطه الحصن السابق (مزعر) وبعض عناصره المعمارية، إلا أن هناك اختلافاً بعدم وجود مداخل تصل القسم الشمالي بالقسم الجنوبي عدا المدخل الذي في الطابق الأرضي، فقد ظلت بقية الطوابق في القسم الجنوبي منفصلة عن الطوابق الأخرى في القسم الشمالي، (لوحة رقم ٨٥، ٨٦).



لوحة رقم (٨٦) منظر داخلي لحصن الوقرة



لوحة رقم (٨٧) بئر قرية اللغاميس

- عمارة المنشآت الزراعية

للزراعة في هذا الجزء من المملكة العربية السعودية وفي وداي بيدة على وجه التحديد دور جوهري في الحياة اليومية. وقصة الزراعة هنا قصة صراع ومعاناة ومثابرة ضد ظروف الطبيعة القاسية من قبل السكان الذين كانوا لا يملكون من الإمكانيات سوى الأدوات التقليدية، وإرادة قوية على استنطاق الأرض والصخر.

ولقد كانت الزراعة على مر السنين تشكل الأساس الاقتصادي والتجاري. وشهدت أسواق المناطق المجاورة القريبة من منطقة الدراسة كميات من المنتجات الزراعية من بيدة ومعشوقة، وتوسع الإنتاج حتى فاق حدود المنطقة وأصبحت القوافل تتابع سيرها إلى المناطق الأخرى خارج منطقة الباحة، بعد رحلات شاقة محفوفة بالمكاره والأخطار. ويأتي في مقدمة تلك المنتجات الزراعية الذرة البيضاء والحمراء والصفراء، إضافة إلى القمح والشعير والمشعورة[١] والحنطة والبوسن[٢]، ومن الفواكه الخوخ والمشمش والرمان والحماط والتين والعنب.

---

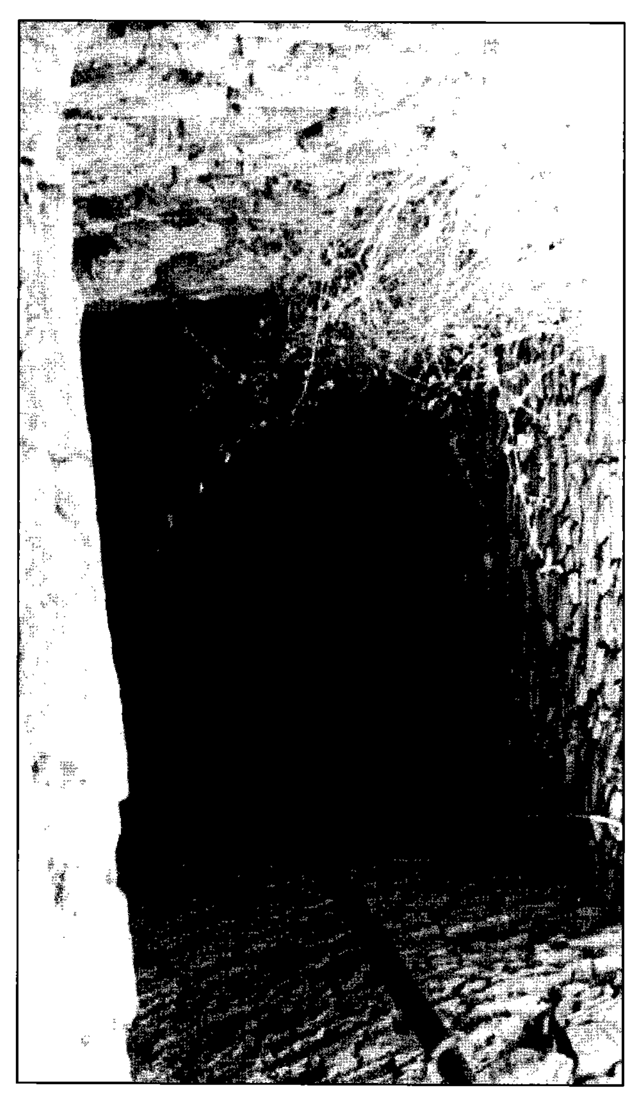
(١) مصطلح محلي يطلق على خليط القمح والشعير.

(٢) مصطلح محلي يطلق على العدس.

وقد كشفت الأعمال الميدانية التي قمنا بها عن عدد من المنشآت الزراعية خاصة في بيدة وهذه المنشآت مترابطة فيما بينها لتيسير العملية الزراعية وهي: الآبار، والجُرن، والحصون الزراعية. أما في معشوقة فلايوجد سوى الآبار، ولعل ذلك يعود إلى استخدام بعض الحصون الحربية مخازن للمحاصيل الزراعية. وسوف نقوم بدراسة هذه المنشآت تبعاً لأهميتها وأولويتها في إنجاح العملية الزراعية.

أولاً — الآبار:

هناك العديد من الآبار المطمورة التي كانت مستخدمة في منطقة الدراسة، ولايزال بعضها يستخدم حتى وقتنا الحاضر، وجميع هذه الآبار مطوية بالأحجار من أسفل البئر إلى أعلاها. وسنعرض أدناه نماذج لهذه الآبارعلماً انه تم اختيارها لبقاء شكلها المعماري الذي يمكن من دراستها، وهي على النحو التالي:



لوحة رقم (٨٨) بئر قرية حلايل

١- بئر قرية اللغاميس:

تقع هذه البئر في الجهة الشرقية من قرية اللغاميس بالقرب من بعض المزارع. وهي مستطيلة الشكل تقريباً تقدر بطول مترين وعرض ١,٦٠م ويصل عمقها إلى ٤٣م . وقد أعيد بناء هذه البئر في فترة لاحقة لتخدم السكان والمزارع، وركب على رأسها أدوات سحب الماء الحديثة. أما في الوقت الحالي فقد جفت هذه البئر وحفر بجانبها بئر ارتوازية حديثة، (لوحة رقم ٨٧).

٢- بئر قرية حلايل:

تقع في منتصف وادي معشوقة شرق قرية حلايل. وهي ذات شكل مستطيل حيث يبلغ طولها٢,٧٥م وعرضها ٢,١٥م، أماعمقها حتى سطح الماء فهو٣٢,٣٠م. وطويت البئر من أسفلها إلى أعلاها بالحجارة المتوسطة الحجم. وقد رممت هذه البئر في بعض أجزائها العلوية. وهي لازالت حتى الوقت الحاضر تمد المنازل والمزارع القريبة منها بالمياه عن طريق ادوات سحب الماء الحديثة، (لوحة رقم ٨٨).

٣- بئر المطاعنة

تقع في منتصف وادي المطاعنة[١]، وهي دائرية الشكل مطوية بالحجارة الصغيرة، يبلغ قطرها ١,٥٠م. يذكرها أهالي المنطقة منذ زمن، وكان ماؤها قريباً من سطح الأرض. ولكن في الفترة الحالية واستجابة لرغبة بلدية محافظة القرى، أضيفت لها رقبة من البناء المسلح، علماً أن تلك البئر في وضعها القديم تأخذ الشكل المربع، ولازالت غنية بالماء حتى الوقت الحاضر.

ثانياً – الجُرُن :

جمع جرين[٢] هو المكان الذي يتم فيه درس المحاصيل الزراعية، ويطلق على عملية الحصاد الدياس. ولها طريقتان، الأولى: باستخدام حجر كبير تسحبه الثيران وهذا لمحصول البر والشعير. والثانية: باستخدام عصا خشبية تتخذ من الأغصان طولها متران ورأسها له شعبتان يشبه الرقم (٧) وتخصص لدرس حبوب الذرة والدخن. ويبنى الجرين بالقرب من الحصون الزراعية ليتم نقل المحصول الزراعي إليه بعد عملية الدياس. ويشير أحد شعراء المنطقة إلى الجرين بقوله:

جريننـــــــــا ومافيـــــــــه	**وماضـــــــــمت حواشـــــــــيه**
البركــــــات أهـــــي فيــــــه	**تــــــــــصابحه وتماســــــــيه**
وللـــــــشابر[٤] حــــــق فيــــــه	**ونعـــــــــــشره[٣] ونوفيــــــــــه**

(١) يطلق الأهالي على هذه البئر: الحسو

(٢) وهي من جرن الحب: أي طحنه، والجرين ماطحنته، انظر الفيروز ابادي، ص١٥٣٠، وهو بناء مربع أو مستطيل مكشوف يخصص للحصاد في اللغة درس الحنطة درساً أي داسها، الفيروز ابادي ، ص ٧٠١.

(٣) الشابر : الفقير الذي يطلب مساعدته

(٤) العشر من الزرع

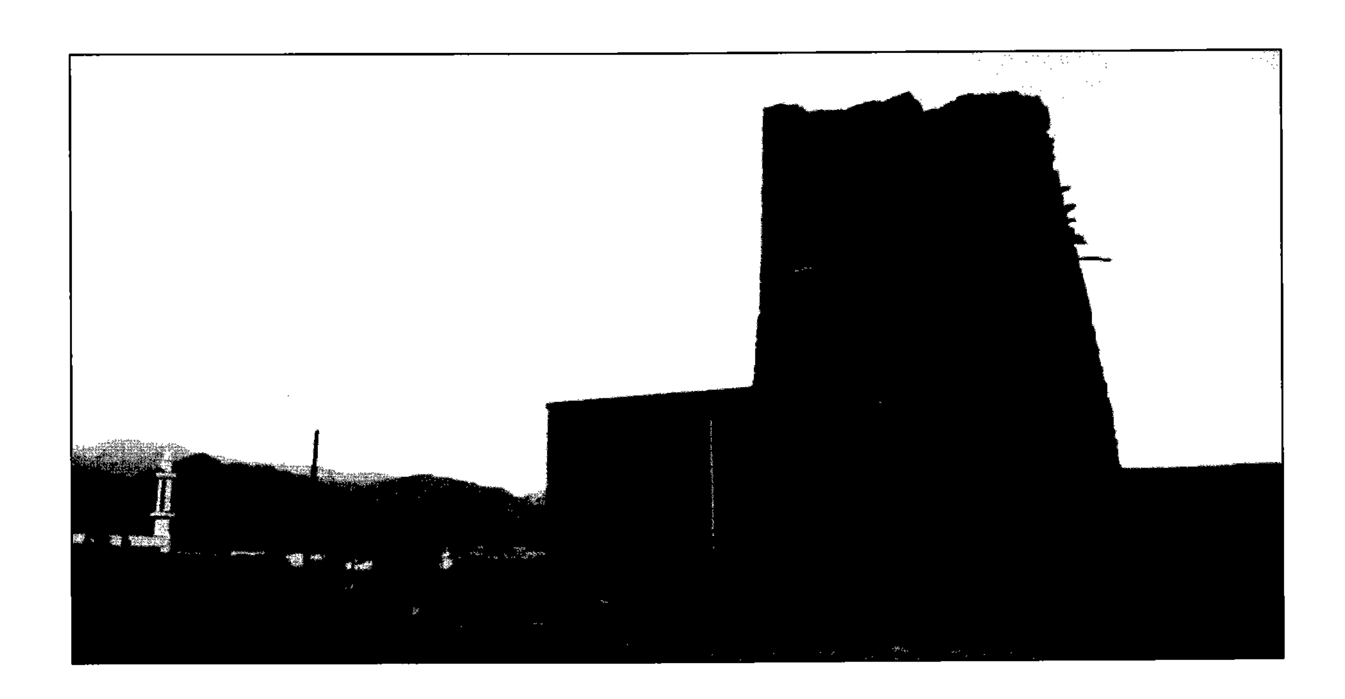
ويشاهد في بيدة العديد من الجرائن لقربها من المزارع في القرى التالية: الجدلان واللغاميس والحازم الأعلى والحضيري والغتامية. وهي تتشابه من حيث تخطيطها وطريقة بنائها. ويمكن الحديث عن اثنين من تلك الجُرُن وهما:

١- **جرين العمودي:**

يقع بالقرب من حصن العمودي. وهو مربع الشكل تبلغ مساحته ٨×٨م٢ وقد بنيت جدرانه من الأحجار المتوسطة الحجم بارتفاع ٧٠سم، وتركت مسافة لمدخل الجرين الرئيس بعرض مترين في الجهة الشمالية منه. وأرضية الجرين مرصوفة بالأحجار الكبيرة المسطحة والتي وضعت بشكل متناسق. وقد تهدم جزء كبير من جدرانه ولم يتبق منه سوى الأرضية التي تظهر فيها الألواح الحجرية، (لوحة رقم ٨٩).

٢- **جرين الغتامية:**

يقع في الجهة الغربية من منازل قرية الغتامية ويبلغ طوله٧م وعرضه ٦م محاط بجدران من الأحجار بارتفاع٩٠سم. وأرضيته من الألواح الحجرية المسطحة، وقد أضيف الإسمنت للربط بين هذه الأحجار في الآونة الأخيرة ولايزال يستخدم حتى وقت قريب. ويوجد بجانب الجرين من الجهة الجنوبية بعض الملاحق الصغيرة لتخزين الحبوب الناتجة من عملية الدياس، (لوحة رقم ٩٠).



لوحة رقم (٨٩) جرين العمودي



لوحة رقم (٩٠) جرين الغتامية

ثالثاً - الحصون الزراعية:

تبنى هذه الحصون داخل المزارع وحولها وكأنها مراصد فلكية يعرف بها أوقات الحصاد والدياس، وتستخدم أيضاً لغرض حراسة المزارع، كما يستفاد من الحصن الزراعي لتخزين المحاصيل مثل الحبوب والأعلاف.

وتتكون الحصون الزراعية في بيدة من مجموعة من العناصر المعمارية التي لعبت دوراً مهماً في وظيفتها المناطة بها، وسنوضح ذلك على النحو التالي:

العناصر المعمارية في الحصون الزراعية:

تعتبر العناصر المعمارية في الحصون الزراعية ذات وظيفة مميزة عن الحصون الحربية، وذلك لكونها تعكس الطابع الأساسي للدور الذي بنيت من أجله، وهو تيسير العملية الزراعية. وربما وجدت حصون زراعية تحتوي على عناصر معمارية مشابهة للحصون الحربية لتؤدي وظيفة الحماية للمزرعة من اللصوص والحيوانات السائبة. وهذه العناصر على النحو التالي:-

١. الأركان الجانبية:

عبارة عن زوائد حجرية تثبت بين أحجار البناء بطريقة رأسية في أركان الحصن الأربعة. وظيفة هذه الزوائد معرفة أوقات الحصاد والمذرى بطريقة يعرفها من



لوحة رقم (٩١) المداخل، نوافذ تهوية، وجون، وأركان جانبية

لديهم خبرة في الأبراج الزراعية. كما يمكن استخدامها وسيلة دفاعية للاختباء خلفها ضد ضربات المهاجمين.

٢- المدخل:

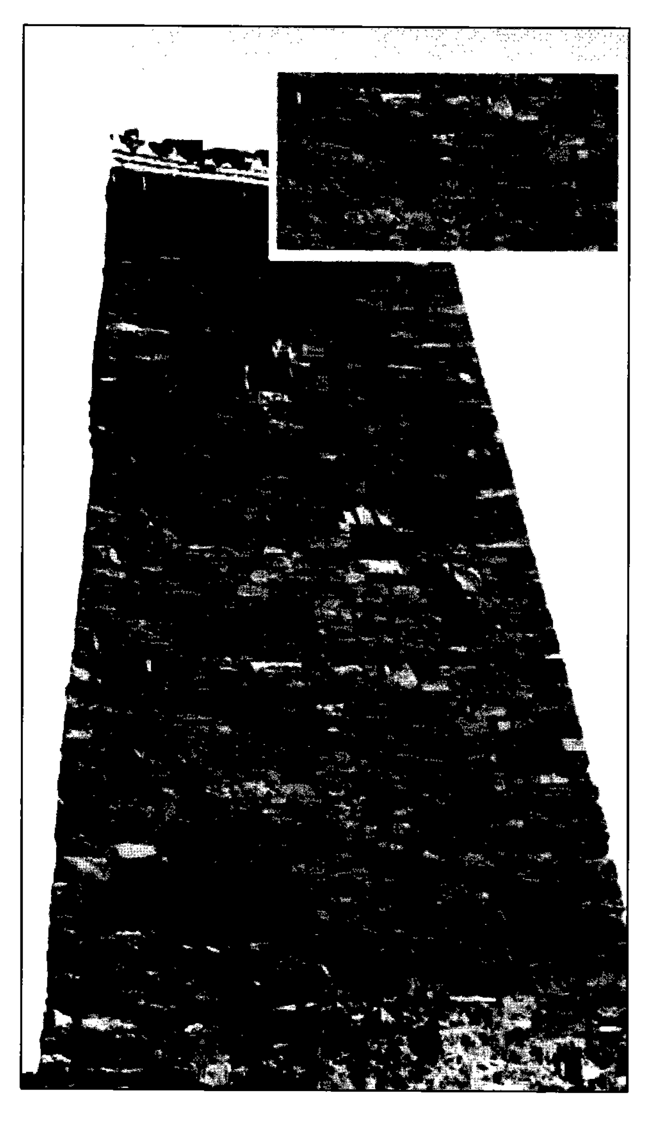
يخصص للحصن مدخل واحد، يقام في منتصف واجهته الرئيسية. ولا يختلف المدخل هنا عنه في الحصون الحربية. ويصنع باب المدخل من الخشب وتثبت فيه الضبة من الخارج لإحكام إغلاقه..

٣ ـ النوافذ:

تعتبر النوافذ في الحصون الزراعية من العناصر المهمة التي يحرص المعمار على وضعها في المكان المناسب وذلك لمراقبة المنطقة واستخدامها أيضاً في التهوية خاصة في الأجزاء العلوية منه. وهذه النوافذ مربعة الشكل تراوح مساحتها بين ٦٠×٦٠سم و١٠٠×١٠٠سم تقريباً، وتغلق بالأخشاب، ويلحق بالنافذة درج جانبي على شكل الواح حجرية تثبت بين أحجار البناء ليتم من خلالها الصعود إلى سطح الحصن، عند الحاجة إلى ذلك، (لوحة رقم ٩١ ، ٩٢).



لوحة رقم (٩٢) نافذة مراقبة وسلم خارجي مؤدي إلى السطح



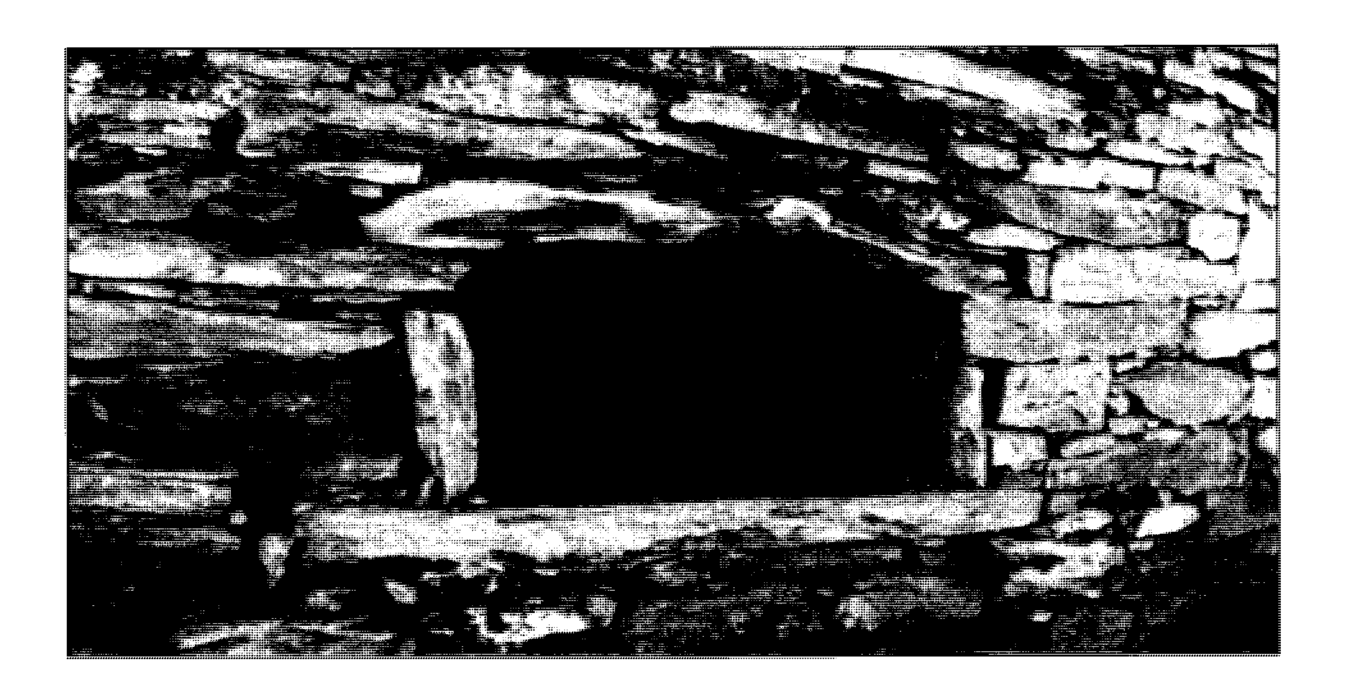
لوحة رقم (٩٣) بروج حربية، وفي الإطار قلة مساحات البروج

٤ - البروج:

وهي مشابهة للبروج الموجودة في الحصون الحربية ولكنها تكون أقل هنا من حيث العدد وأصغر من حيث المساحة، وتوضع في واجهة واحدة فقط من الحصن، وذلك لاستخدامها في الرماية إذا دعت الحاجة إلى ذلك، (لوحة رقم ٩٣).

٥- المذود:

وهو فتحة غير نافذة في الجدار الداخلي للحصن توضع فيه الأعلاف، وهو لا يختلف عن المذود في المساكن، ولكنه هنا يكون داخل الحصن في الجزء المخصص للماشية، وربما وجد في الجدار الخارجي وذلك في حالة نادرة، (لوحة رقم ٩٤).



لوحة رقم (٩٤) مذود

٦- السلالم

وهي من الأحجار المبنية فوق بعضها على العوارض الخشبية المثبتة في الجدران الداخلية وهي تشبه سلالم الحصون الحربية وتكون في اتجاهات متعاكسة.

ومن الحصون الزراعية في بيدة: حصن بسيس، وحصن مسلم، وحصن العمودي، وحصن مشرف، وحصن الرقبان، وحصن الشملي. وتتفق تلك الحصون في تخطيطها وعناصرها المعمارية. وسنقوم بدراسة حصنين منها لاحتفاظهما بعناصرهما المعمارية. وهي على النحو التالي:

١- حصن مشرّف:

يقع هذا الحصن في الشمال الشرقي من بيدة. وقد بني على مساحة مستوية من الأرض ويبلغ طوله وعرضه٤م في حين بلغ ارتفاعه١١م. وهو بحالة جيدة ولايزال محتفظاً بشكله الأصلي وذلك لاعتماد أهل قرية الحضيري عليه في تخزين بعض المحاصيل حتى الوقت الراهن، (لوحة رقم ٩٥، ٩٦)

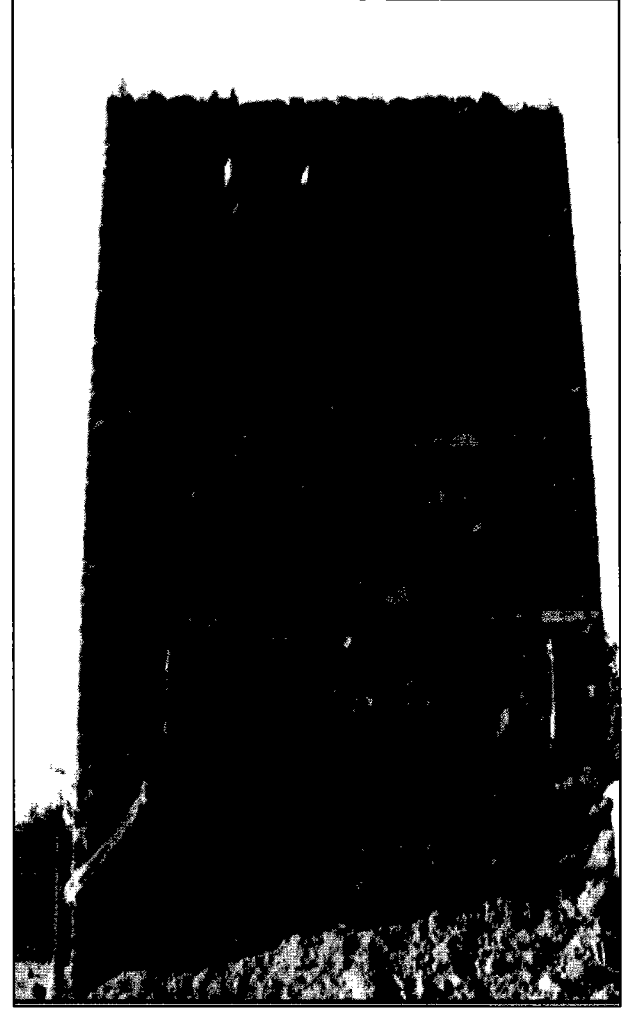
(أ) - الواجهات الخارجية للحصن:

تعتبر الواجهة الشمالية هي الواجهة الرئيسية للحصن، لوجود الباب الرئيس فيها. ويبلغ عرض الباب ٩٠سم وارتفاعه ١,٣٠م، وعتبه العلوي من الخشب. وغمامته من الحجر غير المنتظم الشكل المائل للون الأخضر المزرق. ويوجد على واجهات الأحجار بما فيها غمامة الباب بعض الرسوم التي تعبر عن وسوم استخدمت في المنطقة. كما تحتوي هذه الواجهة على نافذة ٤٠×٤٠سم للمراقبة من الطابق الثالث، وهي مزودة بألواح حجرية في جانبها لتؤدي إلى السطح العلوي.

الواجهة الغربية توجد فيها بروج حربية بواقع واحدة في كل طابق. وهذه الواجهة لاتزال بحالة جيدة. كما يلاحظ زيادة في الارتفاع بمقدار ١,٥م عن مستوى السطح العلوي للحصن شكلت طابقاً رابعاً وشرفة في الجهة الشمالية لتسهل مراقبة المنطقة.

لوحة رقم (٩٥) الوجهتان الجنوبية والغربية من حصن مشرف

الواجهتان الجنوبية والشرقية يستمر البناء في هاتين الواجهتين من أسفل الحصن إلى أعلاه من دون وجود أية عناصر معمارية، ويبدو البناء في هذه الواجهة أكثر إتقاناً من الواجهات السابقة.



لوحة رقم (٩٦) الواجهة الشرقية من حصن مشرف

(ب)- التخطيط الداخلي للحصن:

يحتوي الحصن على ثلاثة طوابق. ويحتوي على غرفتين في طابقه الأرضي، ويفصل بين الغرفتين جدار من الأحجار بعرض٦٠سم وطول٣,٣٠م. الغرفة الغربية (العيون) بعرض١,٤٠م وطول٤م لتخزن الأعلاف والحبوب، والغرفة الشرقية (السفل) بعرض مترين وطول٤م وارتفاع الطابق١,٩٠م، ويوجد في جدران تلك الغرف معاليق خشبية لتعليق الأدوات الزراعية. ويتم الصعود إلى الطابق الأول عن طريق الدرج في الجهة الغربية من الحصن. أما الطوابق العليا فهي لتخزين الحبوب الناتجة من المزارع. ويحتوي كل طابق على مساحة مربعة يقف في وسطها عمود من الخشب لحمل السقف. ويتم الوصول إلى السطح العلوي للحصن عن طريق درج في الجهة الشمالية منه أمام النافذة. وقد سقفت جميع طوابق الحصن بخشب العرعر والأغصان الصغيرة واستخدمت الصلي والأتربة، (لوحة رقم ٩٦).

٢- **حصن العمودي:**

يقع هذا الحصن في الجهة الشرقية من بيدة. ويحتل مساحة متوسطة بين القرى، وقد بني على نتوء بسيط في سطح الأرض. وتبلغ مساحته من الشمال إلى الجنوب٥,٨٥م ومن الشرق إلى الغرب٦,١٠م ويبلغ ارتفاعه١٤م، وتقل مساحته كلما ارتفع البناء. وقد كان إلى جانبه بعض الغرف المجاورة التي استخدمت لتخزين الأعلاف والأدوات الزراعية ولكنها أزيلت في فترة لاحقة، (لوحة رقم ٩٨ ، ٩٩).

ب) - الواجهات الخارجية للحصن:

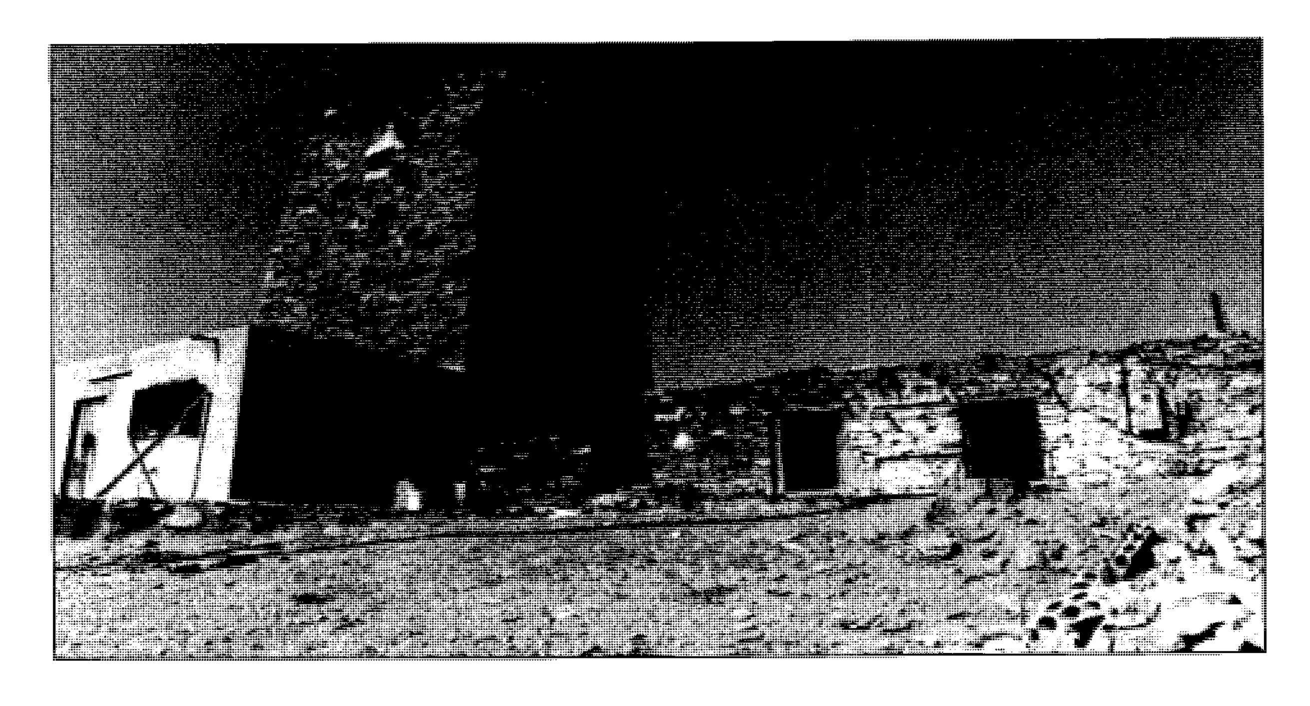
تعتبر الواجهة الشمالية هي الواجهة الرئيسية للحصن، إذ تحتوي على الباب الرئيس، ويبلغ ارتفاع الباب١,٧٠م وعرضه٩٠سم. وعتبه العلوي من الخشب، أما غمامته فمن الحجر ذي اللون المائل للأزرق وفيه بعض الرسوم، ويوجد في هذه الواجهة بروج حربية بواقع واحدة في طابقه الثاني وأخرى في الطابق الثالث أكثر اتساعاً من الأولى.

الواجهتان الغربية والجنوبية يستمر البناء فيهما من أسفل الحصن إلى أعلاه من دون أي عناصر معمارية .

الواجهة الشرقية يوجد فيها نافذة مراقبة مساحتها٧٠×٧٠سم في الطابق الثالث، وتقوم فوق هذه النافذة غمامة ذات شكل هرمي، كما يوجد درج في جانبي النافذة يؤدي إلى السطح العلوي، وهو يعتبر الوسيلة الوحيدة للصعود إلى قمة الحصن.



لوحة رقم (٩٧) منظر داخلي للطابق الأرضي من حصن مشرف



لوحة رقم (٩٨) حصن العمودي

(ب)- التخطيط الداخلي لحصن العمودي:

يحتوي الحصن على أربعة طوابق. الطابق الأرضي يتكون من غرفتين، الغرفة الشرقية (سفل) بعرض٣,٤٠ م وطول ٤,٨٥م، ويوجد في هذه الغرفة مذود لوضع أعلاف الدواب، والغرفة الغربية بعرض١,٩٠م وطول٤,٨٣م. يفصل بين الغرفتين جدار بعرض٦٠سم وطول٢,٦٧م، وهو مبني من الأحجار يعتمد عليها سقف الطابق العلوي. ويتصل الطابق الأرضي بالعلوي عن طريق درج من الأحجار والأخشاب ثبت في الركن الغربي الشمالي.

لوحة(٩٩) الواجهة الشمالية من حصن العمودي

أما الطوابق الأول والثاني والثالث فقد بني كل منها على مساحة مربعة، ويحمل كل سقف منها عمود من الخشب يقف وسط كل طابق. والطابقان الأول والثاني (عيون) خصصا لتخزين الحبوب والأعلاف. أما الطابق الثالث فقد خصص للمراقبة لاحتوائه على برج حربي ونافذة مراقبة وحلانة لوضع بعض المستلزمات الزراعية. وقد سقفت طوابق الحصن بخشب العرعر، ووضعت الأغصان الصغيرة بين الأخشاب وتم تغطيته بالأتربة (لوحة رقم ١٠٠).



لوحة رقم (١٠٠) منظر داخلي في الطابق الثالث من حصن العمودي

الفصل الثالث

العوامل المؤثرة في العمارة وتقنيات البناء

- أولاً : العوامل المؤثرة في العمارة التقليدية
- ثانياً : أدوات البناء
- ثالثاً : مواد البناء
- رابعاً : مواقع البناء
- خامساً : المشاركون في البناء
- سادساً : خطوات البناء

تمهيد :

عدّ ابن خلدون صناعة البناء من أول صنائع العمران وأقدمها، فقال: "وهي معرفة العمل باتخاذ البيوت والمنازل والمأوى للأبدان، وذلك أن الإنسان لما جُبل عليه من الفكر في عواقب أحواله، لابد له أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقُف والحيطان من سائر جهاتها" [1].

معنى ذلك أن المنشآت المعمارية أياً كان نوعها هي ذلك الجسم الذي يتكون من أجزاء تم تركيبها بوضع يصبح به الإنسان قادراً على مقاومة القوى الخارجية، من خلال التصميم الإنشائي المتضمن حساب النسب والأبعاد الملائمة للمبنى، حيث يمثل التشكيل المعماري لأي نسيج عمراني ترجمة صادقة للوظيفة، لذا تظهر العلاقة بين المضمون النفعي والشكل، بحيث يتبع الشكل ما يمليه عليه المضمون. لأن لكل فترة تاريخية معينة خصوصيتها المعمارية، ولا توجد صيغة لخصوصية تنطبق على حالة معينة لكل العصور والأزمان، أي ليس ضرورياً استخدام العناصر المعمارية التي استخدمها أجدادنا في الماضي، وإنما لابد من معرفة هويتنا الحضارية من خلال دراسة الماضي والتعمق فيه والتفاعل معه وفك رموزه[2]

وقد تميزت عمارة السراة في منطقة الباحة – والتي تعتبر حدود الدراسة ضمن إطارها الجغرافي- بالتناسق والتنوع معاً، فهي تطل على الحقول الزراعية ولا تحيطها الأسوار، ولكن تبقى منازلها متلاصقة لحماية سكانها من العوامل الجوية والأعداء. كما تتميز أيضاً بالبساطة التي تتجلى في استخدام المواد المحلية في البناء مثل الحجر والخشب والطين، وهي بساطة مرتبطة بالذوق الفني والانسجام الجمالي. كما أنها مقرونة بعلم واسع بالفطرة والتجربة بهندسة البناء في وضع

---

(١) ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد. المقدمة. تحقيق علي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٨م، ج٣، ص٩٣٢.

(٢) جودي، محمد حسين. العمارة العربية الإسلامية. ط١؛ عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٨.

نماذج فريدة ومميزة تضمن عناصر وظيفية تخضع للبيئة والظروف المناخية والعادات والتقاليد العربية والإسلامية. وصَحِبَ ذلك اتزان نفسي داخلي مع الطبيعة، بحيث أدى إلى تناسق بين البيئة والحياة العامة للناس. وقد كان كل ما يضيفه الإنسان طبيعياً لكون تلك المواد متوافرة في المنطقة. وبطبيعة الحال انعكس ذلك مع فهم دقيق لخصائص المواد الخام من الأحجار والأخشاب والطين وقد وظفت تلك الخصائص مع الحاجات اليومية للإنسان.

وسوف نقوم بدراسة لأهم العوامل المؤثرة في العمارة التقليدية ومواقع البناء في وادي بيدة، بالإضافة إلى أدوات ومواد البناء والمشاركين في البناء وخطوات البناء في المنشآت المعمارية، لأن ذلك يعتبر توثيقاً للمعرفة التي نشأت وتطورت استجابة للظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وهذه المعرفة جزء من الهوية الثقافية والتراث المحلي.

أولاً – العوامل المؤثرة في العمارة بوادي بيدة

إن تعدد العوامل المؤثرة في العمارة التقليدية في منطقة الدراسة، وتداخلها في تأثيرها على النمط المعماري ذو أهمية كبيرة في تحديد مواقع البناء وخصوصيته. وما تجب الإشارة إليه هو أن هذه العوامل متداخلة ومتشابكة مع بعضها ولا يمكن فصل بعضها عن بعض، فالكثير منها يؤثرعلى الآخر بشكل واضح. فالروابط الدينية والاجتماعية لابد أن تخضع لمساحة معينة من الأرض، تتشكل عليها الأبنية وفق النمط المعيشي والحالة الاقتصادية، وكذلك الحال في بقية العوامل، وهذه الخاصية لم تكن وليدة الساعة بل كانت أيضاً في الفترات السابقة من العصور الإسلامية. وهنا يتحدد موقف الإنسان في مدى قدرته على الجمع بين هذه العوامل، ليتكيف مع نمط ملائم لجميع الظروف من دون أن يطغى عامل على آخر مع وفائه بكل احتياجاته الأمنية والنفسية.

إن هناك صلات قوية بين نمط العمارة والبيئة، وهذا ما يجعلنا نعتبرها أصدق مرآة توضح أثر البيئة على الحضارات المختلفة منذ القدم إلى عصرنا الحاضر وحتى المستقبل[1]، إذ يعبّر النسيج الفراغي للعمران التقليدي عن طبيعة حياة سكانها ونشاطاتها، فتمتزج مع الطقس، والتضاريس والنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد والهاجس الأمني. لذلك فإن البيئة العمرانية تؤثر في المستوى المعيشي لسكانها بدرجات متفاوتة، وكلما تلاقت المفردات والأنظمة الفراغية مع حياة السكان كان تأثيرها أقوى وأشمل، فعناصرها المكانية تشكل المسرح والمحيط الذي تنشأ فيه المبادئ والعادات والتقاليد التي توجه، بالاشتراك مع عناصر أخرى في حياة السكان[2].

ولقد حددت البيئة الطبيعية لوادي بيدة نوعاً معيناً من البناء تميزت به إلى جانب المناطق الأخرى في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، سواء في التخطيط أو مواد البناء أوالعناصر المعمارية أوالزخرفية، وخضعت تلك العناصر لعوامل متعددة من أهمها:-

١- العامل الاجتماعي:

أوجبت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن تتعدد أشغال الجماعات البشرية، وقسم المولى عزوجل لكل واحد منهم معيشته في الصنائع والتجارات والعلوم وغيرها من الأعمال، إذ يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).[3]

إن الإنسان وهو بمفرده لا يستطيع أن يعيش وحده إلا عيشاً نكداً، لأنه يحتاج لطيب العيش إلى إحكام صنائع شتى، ولا يمكنه أن يبلغها كلها، فالعمر قصير والصنائع كثيرة؛ من أجل ذلك اجتمع في كل قرية أو مدينة أناس كثيرون ليعاون بعضهم بعضاً[4]. ولذلك وجب أن يكون أشخاص

---

(١) الشافعي، فريد. "" العمارة العربية والإسلامية"". مجلة الدارة، العدد٢، السنة الأولى، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٣١.

(٢) النويصر، محمد عبدالله. خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد). الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١١.

(٣) الزخرف، آية ٣٢. أي فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، مج٤، ص١٣٦.

(٤) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو). جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة. ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٥٤.

الناس كثيرة، وأن يجتمعوا في زمن واحد على تحصيل تلك السعادة المشتركة ليكمّل كل واحد منهم الآخر، وكذلك وجب عليهم أن يحب بعضهم بعضاً، لأن كل واحد يرى كمال نفسه عند الآخر فيكون كل واحد بمنزلة عضو من أعضاء البدن، وقوام الإنسان تمام أعضاء بدنه. ففي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "** [١].

لقد اكتشف الإنسان منذ القدم أن الانتماء إلى مجموعة معينة والعيش في كنفها يوفر الحماية والأمان، إضافة إلى اشتراكه في مسيرة الحياة لتكون بيئة متكاملة يصعب اختراقها. فكل فرد مختلف في حوافزه وبواعثه الفطرية ويصبو إلى أن يصل إلى مستوى رفيع من الاكتفاء المادي والاحتياجات والرغبات النفسية والروحية. وهذا لن يسهل الحصول عليه من قبل الفرد الواحد بحد ذاته، لذلك يحتاج إلى الاتصال بأفراد المجتمع الآخرين والتعاون معهم، فكل فرد يشارك بما لديه ويحتاج إليه الآخرون مقابل ما يحصل عليه منهم[٢].

وتتجسد تلك الحقائق السابقة في منطقة الدراسة، لكونها تضم مجموعة من الأسر المتقاربة. إذ تعتبر القرابة ذات صلة وثيقة بتخطيط القرى، حيث يكون للأسرة دور في التنمية والإصلاح والتقدم. ولا شك أن عماد الأسرة هو الفرد، كما أن عماد المجتمع هو الأسرة، فالفرد يكوّن الأسرة، والأسرة تكوّن المجتمع الكامل. وهي المراحل التي تكونت على إثرها تلك المجتمعات البشرية في القرى، فالإنسان اجتماعي بطبعه، فلا حياة للفرد من دون أسرة تكون ملاذاً له يجد فيها السكن والراحة، وتُشبع حاجاته ودوافعه ويحقق من خلالها آماله وطموحاته، كما تكون حصناً له من الانحراف والكيد، فالمرء ضعيف بنفسه قويٌّ بإخوانه. يقول سبحانه مجسّداً تلك الحقيقة وموضحاً أن أساس الأسرة مبني على التقوى لله سبحانه: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي**

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مج ١٢، ص٥٠.

(٢)الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان. كتاب آراء المدينة الفاضلة. تقديم وتعليق البيرنصري نادر. ط٣؛ بيروت: دار المشرق ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١١٧.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

وقد تفاوتت تلك القرابة وتباينت من جيل إلى جيل ومن زمان إلى زمان، ولكنها بقيت شكلاً مهماً من أشكال الاجتماع والعمران في رحلة الإنسان على الأرض.

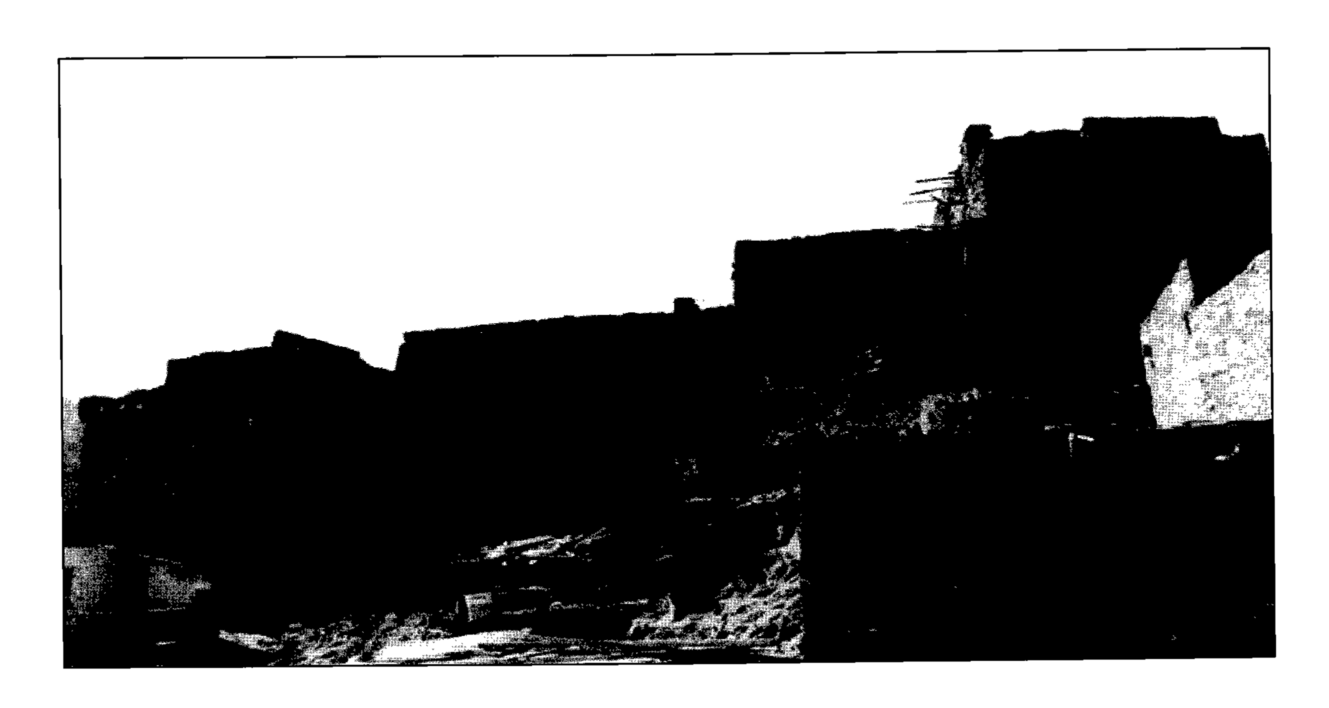
إن وجود بعض العناصر المعمارية في منطقة وادي بيدة كالأبواب التي تفتح على المنازل المجاورة والذي شاهدناه في قرية الغتامية وقرية الجدلان، هو دليل واضح على قرب الناس بعضهم من بعض، كذلك ضيق الممرات بين المنازل وتشابكها لحماية السكان من العوامل الجوية كالرياح المحملة بالأتربة ومن الغارات في أثناء الحروب. ولقد كانت حاجة الناس بعضهم إلى بعض أشد من حاجتهم في زمننا الحالي، فما كانت تقع بهم النوازل والحوادث، إلا تكاتفوا وتضافروا، وقد شمل ذلك التعاون شؤون الزراعة ليتعاونوا على الحصاد ولإنهاء جني الثمار، وقد بينت القرى في بيدة عمق تلك الروابط بين الناس. كما أن العادات والتقاليد الاجتماعية ظلت إلى زمن قريب تمثل أمراً اجتماعياً مهماً في حياة السكان[2]. وعند الحاجة إلى التهذيب والإصلاح لأبناء المجتمع في القرية تستخدم بعض المرافق كالحصون لتكون سجناً لمعاقبة المخطئ[3]. (لوحة رقم ١٠١ ، ١٠٢)

---

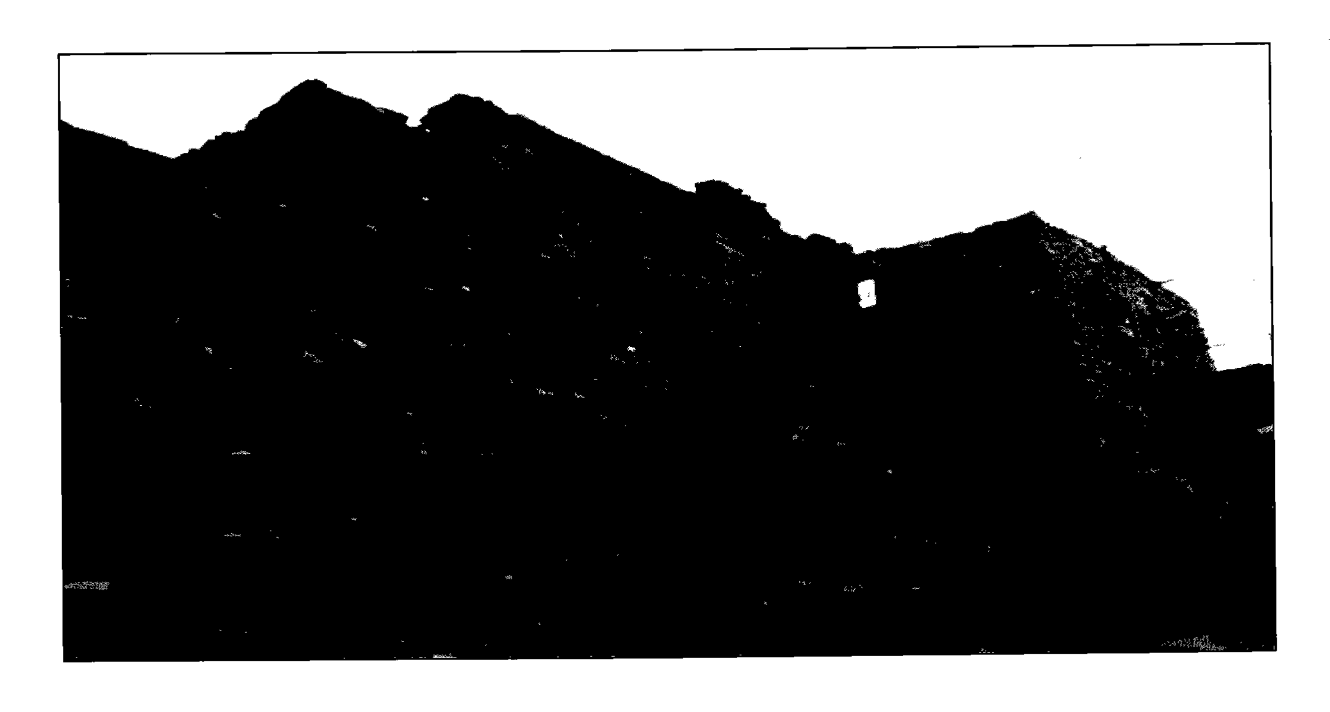
(١) النساء، آيه:١.

(٢) ففي شؤون الزواج مثلاً يساعد بعضهم بعضاً بمايعرف بالمباركة، وهو مبلغ من المال تدفعه الجماعة لجماعة أخرى بمناسبة زواج أحد أفرادها من أحد أفراد تلك القبيلة، وبهذه المناسبة تقول الوفود: جئناكم محبين ومسلمين ومباركين في زواج فلان وهذا المبلغ نقدمه لكم معروفاً أو مباركة من الجماعة، وهكذا يتقبلهم جماعة المتزوج بالترحيب والتكريم، وقد تكون المباركة من شخص إلى شخص، أو من رجل إلى صاحب الزواج، وتكون بمال يقدر بألف ريال من الميسور حالهم، وقد تكون من الأغنام أو الأرز والسكر والشاي وغيرها، المقابلة الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية.

(٣) فإذا تحقق للقبيلة أو القرية أن أحد أفرادها ارتكب جرماً بأن ضرب أو شتم أو سب أحد أفراد القبيلة أو القرية الأخرى، فيستقبلونهم بالترحيب والتكريم، ويقول الشيخ أو عريف القرية: نحن معترفون بالخطأ وجئناكم مختّمين ومستعدين لما يلزم، فيجيب الطرف الآخر بالترحيب فيقول مادام وصلتم فوق فراشنا فنحن مسامحون لكم. ثم تتبادل الضيافة والوفادة. هذا في حالة العفو، أما في حالة العقاب فمصير الجاني إلى تلك الحصون لينال فيها العقاب ضد ما اقترفه من جرم .



لوحة رقم (١٠١) ترابط المنازل في قرية الجدلان



لوحة رقم (١٠٢) ترابط المنازل في قرية الغتامية

٢- العامل الديني:

يعتبر الدين من الركائز الأساسية للتعامل بين أفراد المجتمع، فمتى ضمنت للفرد حقوقه وروعيت احتياجاته وعرف ماله وما عليه فلابد أن تسود المحبة والإخاء في المجتمع كله، ولابد أن يكون التعامل بين أفراده على ضوء تعاليم الدين التي تدعو إلى التفاهم والتعاون، وبذلك يبقى المجتمع قوياً مترابطاً، فالدين من الروابط التي تقوي أواصر المحبة بين الناس في أي مجتمع من المجتمعات.

ولقد أثر الدين الإسلامي منذ بداية ظهوره في توجيه العمارة وفق الشريعة وتعاليمها، فكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم النواة الأولى للعمارة الاسلامية، الذي اعتمد على البساطة وعدم التعقيد. ونحن نعلم أن الإسلام قد وضع الأسس والقواعد لكل نظم الحياة وطرائقها، وحدود علاقة الفرد بالمجتمع، وقد أثرت تعاليم الإسلام ومفاهيمه على طريقة حياة المسلم والمكان الذي يعيش فيه، فهذا التشريع حدد للمسلم طريقة العيش والسلوك، وعلاقاته الاجتماعية، ووجه شكل عمارته، وكذلك حدود العلاقات بين هذه العناصر وطريقة توزيعها[(١)].

ففي حق الأسرة التي عدها الإسلام لبنة المجتمع الأولى وحجر الزاوية، دعا إلى الاهتمام بها والحفاظ على خصوصيتها، وهذا أدى بالمعمار إلى التصرف في تخطيط المسكن ليحول دون الكشف على المحارم وضمان خصوصية الدار، وذلك بتوفير أماكن مخصصة للرجال، وأماكن مخصصة للنساء، وتعدد المرافق في المنزل الواحد، وذلك منبعه من قوله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[(٢)]

---

(١) جودي، ص٢٨.

(٢) النور، آيه:٣٠.

وفيه دلالة واضحة على غض البصر سواء في الطريق أو في الدار، وقد دعا كذلك إلى الاستئذان قبل الدخول على أهل البيت، فعمد المعمار إلى إيجاد مطارق للأبواب من الخارج، واقفال هذه الأبواب من الداخل، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾ (١)

إضافة إلى توزيع العناصر في المبنى الواحد، فقد تميزت النوافذ في ارتفاعها عن المارة، وابتعد المعمار عن بناء الغرف المخصصة للعائلة أمام الدرج الخارجي للبيت نفسه.

ولقد حرص الإسلام على حسن التعامل والجوار، وجسد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في حق الجار، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» (٢).

وهذا فيه دلالة واضحة على احترام حقوق الجار وعدم منعه من حقه الخاص في الطريق والهواء والشمس. فعمد المعمار إلى تبني وسائل كثيرة لضمان حقه والاطمئنان عليه في أثناء المرض أو الحاجة، ولا أدل على ذلك من وجود المنازل مجاورة بعضها بعضاً واشتراكها في جدار واحد، وهو واضح في قرى بيدة كقرية الجدلان وقرية الغتامية وقرية العقاربة، (لوحة رقم١٠٣).

---

(١) النور، آيه: ٢٨.

(٢) العسقلاني، فتح الباري، ص٥٣.



لوحة رقم (١٠٣) بعد المداخل عن بعضها البعض

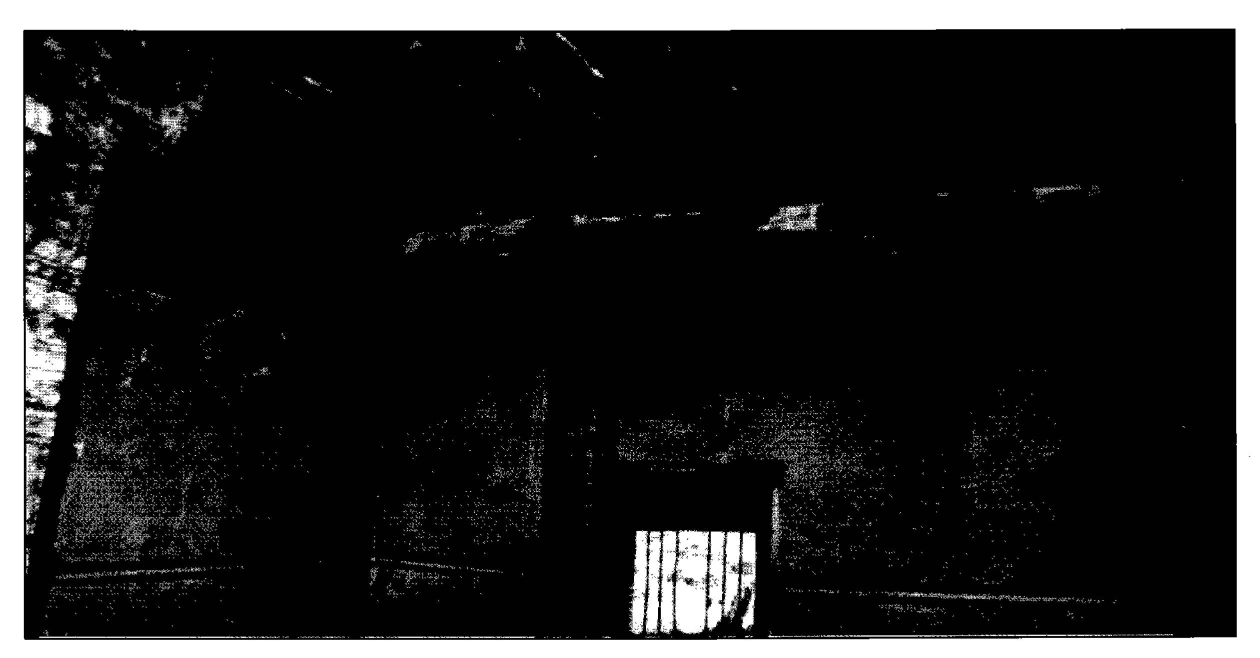
كما دعا الإسلام إلى الفصل بين البنين والبنات والتفرقة بينهم في أثناء النوم لما في عدم التفرقة من خطورة، وهو أمر جعل المعمار يقوم بفصل غرف الذكور عن الإناث. وفي ظروف أخرى قد يخرج الابن الذي بلغ سن البلوغ خارج البيت ليكون نفسه وينشئ أسرة جديدة. كذلك حث الإسلام على إكرام الضيف. وبهذا قام المعمار بعمل المجالس وزيادة مساحاتها وزخرفتها، وتخصيص غرف خاصة لسكن الضيف، بل امتد الأمر إلى راحلته إذ أن من إكرام الضيف إكرام دابته[1]، فيخصص لها مكان في أحد الحصون القريبة من المنزل، (لوحة رقم١٠٤).

هذا بالإضافة إلى تناول الإسلام بعض الآداب الأخرى كحق الطريق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى

(١) في المثل الشعبي (اللي يحب ضيفه يكرم دابته).

وَرَدُّ السَّلامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ"[1]. وبهذا نجد أن الشريعة قد حددت للمسلم كل أنماط حياته ولم تترك منها شيئاً إلا تعرضت له بما يحفظ الحقوق العامة والحقوق الخاصة.

وقد راعى المعمار تلك المعايير عند تخطيط المنزل الواحد أو القرية الكاملة، ويظهر ذلك جلياً من تصميم المنازل في القرى المنتشرة بمنطقة الدراسة، فبنيت المنازل بعضها بجانب بعض، وجاء تصميمها متوافقاً مع مساحة معينة من القرية بحيث يسهل على السكان الوصول إلى المنزل الآخر بأسهل الطرق، مع ملاحظة عدم وجود فوارق في المنازل، فتبدو في شكل أفقي تتساوى وتتماثل في معظم مظاهرها وفي شكلها ومادة بنائها. إضافة إلى تميز التقسيمات الداخلية للمنزل بما يوفر الخصوصية لأصحابها، من ارتفاع الأبنية، وتخصيص الأدوار العليا للسكن، وما هذا إلا نوع من الحفاظ على حرمة البيت وأهله، وكذلك وجود الغرف الخاصة بالرجال، وغرف أخرى للنساء، وتخصيص مدخل خاص لكل منهما.



لوحة رقم (١٠٤) تزيين المجالس

---

(١) العسقلاني، فتح الباري، ص٢٦٨.

٣- العامل الجغرافي:

يأتي على رأس العوامل المشتركة لتأسيس المدن العربية مميزات الموقع الجغرافي المختار للبناء، إذ كان يراعى فيه دائماً توافر المياه وضمان وجودها طوال الوقت، فكان يختار الموضع على مقربة من مصادر المياه، حتى يسهل على الناس الحصول على الماء اللازم للشرب والاستعمالات المنزلية والزراعية والإنتاج الصناعي والحركة التجارية، التي تمون أهل القرى بحاجتهم من المنتجات الزراعية والاقتصادية. كما يُراعى أن يكون الموقع على اتصال بالطرق البرية الرئيسة بحيث يصبح مركزاً للاتصال السهل ببقية المناطق المجاورة[1]، لذا يمثل الموقع الجغرافي أهمية في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين القرية والمناطق المجاورة لها.

ووجود تلك المجتمعات البشرية في القرى المنتشرة على طول وادي بيدة كان في هذا المكان على أساس توافر الماء في هذا الوادي لتيسير العملية الزراعية، ومازال تجمعهم حتى الوقت الحاضر لذلك السبب. وكل هذه العوامل مع عوامل الدين والتقاليد الاجتماعية كان له دور في تكوين الطابع المعماري بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وبدرجات تتفاوت شدتها وقوة وضوحها.

كما أن منطقة الدراسة خضعت لحركة تجارية من خلال وقوعها على طريق التجارة القديم الذي يربط بين صنعاء ومكة المكرمة المعروف بطريق الحج اليمني[2]. وهو إلى جانب الطرق التجارية القديمة في الجزيرة العربية التي ساهمت في خدمة المناطق المحيطة بها، والتي أشار إليها أكثر الرحالة والمؤرخين والجغرافيين، وحقق مواقعها بعض الباحثين المتأخرين. وتلك الطرق ربطت الجزيرة العربية بأقاليم خارجها وتمر بعدد من المنازل. ويكفي هنا الإشارة العابرة إلى تلك الطرق

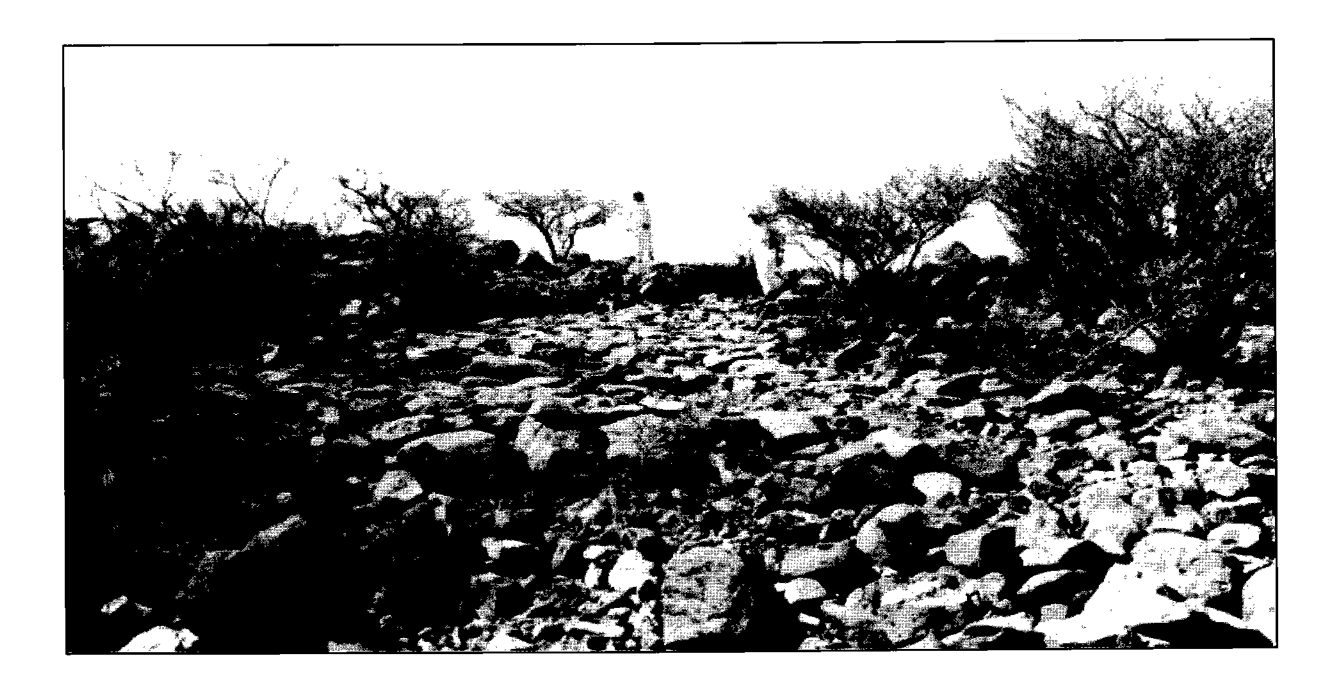
---

(١) شافعي، فريد. العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ط١؛ الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص ٣٠٤.

(٢) الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الإمام. كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٦٤٣. وعن هذا الدرب دراسة مفصلة انظر:

- Al-Thenayian, Mohammed Bin A. Rashed, An Archaeological Study Of Yemeni Highland Pilgrim Route Between Sana And Makkah, Deputy Ministry for Antiquities&Museums, Riyadh, ١٤٢٠H/٢٠٠٠, pp١٦٩-٢٧٠.

وهي: الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة المعروف بدرب زبيدة[١]. والطريق من البصرة إلى مكة المكرمة[٢]. والطريق من البصرة إلى اليمامة[٣]. والطريق من دمشق إلى مكة المعروف بطريق الحج السوري[٤]. والطريق من مصر إلى مكة المعروف بطريق الحج المصري[٥]. والطريق من عمان إلى مكة المكرمة[٦] ، (لوحة رقم ١٠٥).



لوحة رقم (١٠٥) جزء من طريق الفيل

---

(١) الحربي ،المناسك، ص٢٨١. وعن هذا الدرب دراسة مفصلة انظر: الراشد سعد بن عبدالعزيز. درب زبيدة. الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٣٧.

(٢) الحربي، المناسك، ص ٦٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٦١٥.

(٤) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله. المسالك والممالك. تحقيق دي جويه. ليدن، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م، ص ١٢٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٦) المرجع السابق، ص١٤٧.

وقد نشأت إلى جانب تلك الطرق الرئيسة، طرق أخرى فرعية داخلية، تربط بين القرى والمدن والمستوطنات المحلية[1] وقد ساهمت تلك الطرق الخارجية مع الطرق الداخلية في ربط مناطق الجزيرة العربية داخلياً وخارجياً. وبالقرب من قرية معشوقة استخدمت طرق فرعية إلى جانب تلك الطرق، خاصة طريق اليمن الذي يمر بعدد من المنازل من أهمها: بئر أم المرتفع، والفتق، وتربة، ورنيه، وتبالة، وبيشة، وبعطان، وجرش، وصعدة، حتى الوصول إلى صنعاء وهما طريقان أحدهما ساحلي والآخر داخلي قرب تهامة. وقد شكلت تلك الطرق الداخلية ممراً للقوافل التجارية وللحجاج، وقد عرفت مؤخراً بطريق القوافل، فإبراهيم الحسيل[2] يذكر: "من رغدان إلى عرق بني سار ثم مدخلة فوادي بيدة فبطحان[3] ثم الغتامية[4] فخرصان[5] ثم معشوقة[6] فالقريع[7] فالسوسية[8] فالشعبة البيضاء[9] ثم مبايع الأعلى ومبايع الأسفل[10] ومنه إلى تربة[11] ... هذه طرق سير الجمال قديماً ويقال لها درب الجمال"[12].

---

(١) الجار الله، عبدالعزيز بن جار الله. الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٩٦.

(٢) الحسيل، إبراهيم بن أحمد. غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٥٢ .

(٣) الجزء الجنوبي من وادي بيدة.

(٤) تقع هذه القرية في الجهة الشرقية من وادي بيدة على الطريق العام، السلوك، ص٣٣٣

(٥) بلدة من قرى معشوقة تقع في الجهة الشرقية من وادي معشوقة .

(٦) تقع هذه القرية في الجهة الشرقية من وادي بيدة على مسافة ٤٢كلم من مركز بيدة الإداري، المرجع السابق، ص٣٩٩.

(٧) من بلاد بني مالك. الجاسر، ص ٩٨٥.

(٨) شمال قرية معشوقة على بعد ١٠كلم، السلوك، ص٢٦٢.

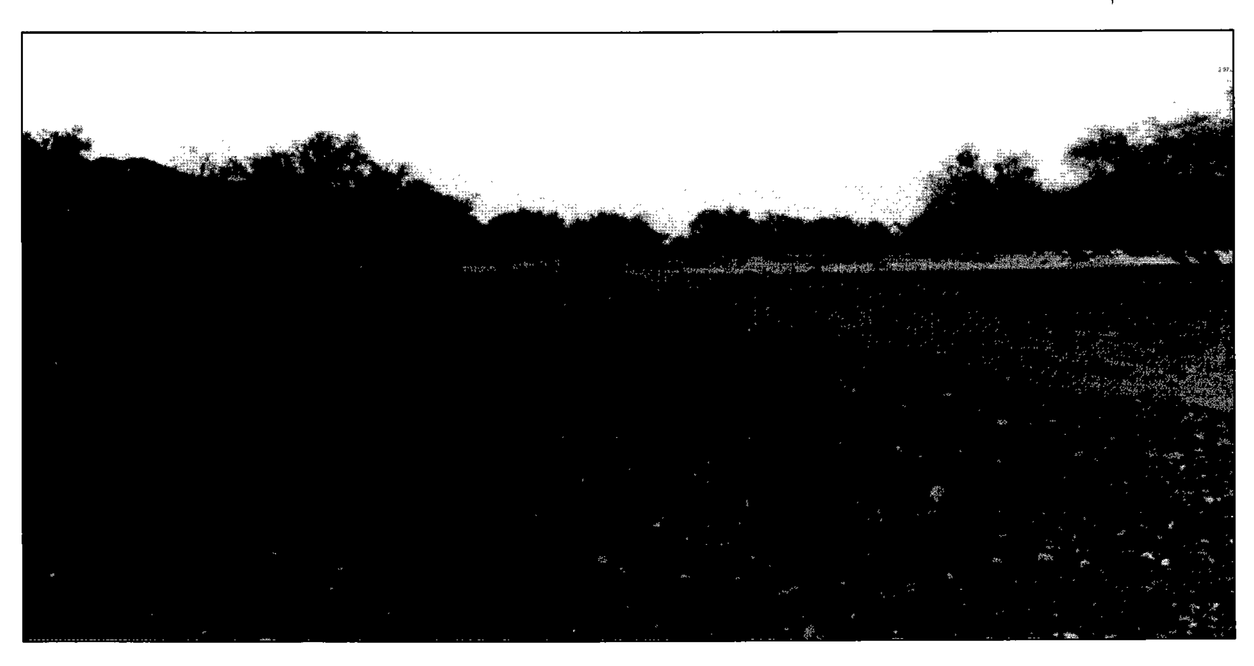
(٩) يطلق عيه الشعب الأعلى وهو مورد مائي في وادي نخال يقع جنوب قرية خباب من محافظة نخال بـ١٢كلم، المرجع السابق، ص٢٦٩.

(١٠) من قرى وادي نخال، المرجع السابق، ص٣٧٨.

(١١) المعروف باسم وادي تربة، وهي قرية من قرى نخال، المرجع السابق، ص١٥٧ .

(١٢) الحسيل، ص٥٣.

وبالنظر إلى هذه الطرق القريبة من منطقة الدراسة فإنه لابد أن يكون لها أهمية كبيرة في تشكيل المباني في منطقة الدراسة، وما وجود الأسواق الشعبية كسوق الأبطح وشنقل ومعشوقة إلا دليل واضح على الحركة التجارية التي تميزت بها المنطقة خلال تأدية تلك الطرق منافعها، (لوحة رقم١٠٦).



لوحة رقم (١٠٦) جزء من طريق درب القوافل

إلى جانب ذلك لعبت التكوينات الجغرافية لمنطقة الدراسة دوراً أساسياً في بناء وتصميم المباني بصفة عامة، وذلك بتوفير المواد الخام من أحجار، وأخشاب، وطين، ومواد عضوية أخرى. فالأحجار كانت تجلب من الجبال القريبة من كل قرية، وأطلق على الواحد منها (مقلع)، ويوجد في كل قرية مقلع خاص لتوفير القطع الحجرية الكبيرة والصغيرة، مثل مقلع قرية معشوقة، ومقلع قرية دهمة، ومقلع قرية الحمراء، ومقلع قرية نبهان ومقلع قرية الوقرة. أما الأخشاب فتتوافر في

بطون الأودية، وسفوح الجبال، وقد اعتبرت مادة أساسية للأسقف والأعمدة والأبواب والنوافذ، ولعل السدر والأثل كانا من أهم الأشجار التي احتضنها وادي بيدة وأصبحت عنصراً رئيساً في البناء بجذوعها لعمل الأعمدة، وأغصانها وأوراقها لسد فراغات الأسقف وخلطها ببعض المواد العضوية لتزيين الجدران الداخلية. ولاشك أن العوامل الطبيعية عكست تأثيراتها بقوة على مواقع التجمعات السكانية ونمط توزيعها، فمصادر المياه لها دور استثنائي وحاسم في توزيع السكان، خصوصاً في فترة من الزمن لم يكن نقل المياه فيها ممكناً، بل استوجب الأمر الانتقال إلى مكان توافره. لهذا تركزت الآثار المعمارية في بيدة في بطن الوادي كقرية الرقبان وقرية العقاربة وقرية الراس وقرية الغتامية، حيث يمكن الحصول على المياه بسهولة عن طريق حفر الآبار إلى أعماق قليلة، إضافة إلى خصوبة التربة ووفرتها وصلاحيتها للزراعة، فوسائل الحرث التقليدية لم تكن مهيأة للتعامل مع الأرض القاسية، وقد ساهمت تلك الخصائص في التوزيع العمراني في المنطقة.

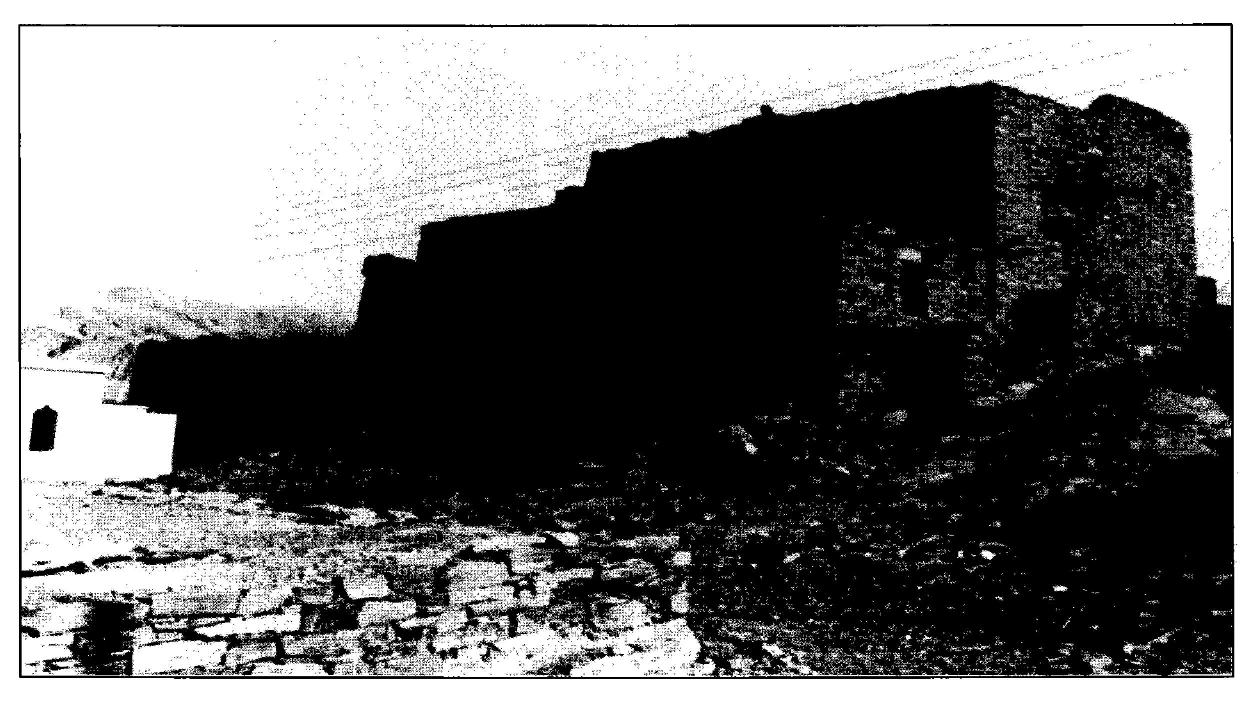
وللمناخ دور هام أيضاً في التكوين المعماري، فمناخ تشتد فيه البرودة شتاءً وتكثر فيه الرياح فضلاً عن الأمطار الغزيرة، يجعل الأبنية أكثر عرضة للضرر، فنشأت الحاجة إلى زيادة ارتفاع المباني، وتضييق الممرات بين المنازل لتوفير الدفء والحماية من الرياح والأعاصير خاصة في الأماكن المرتفعة.

ولا شك أن الفراغات القليلة بين المساكن تساهم في توفير الحماية من برودة الجو، وتلطيف درجات الحرارة، خاصة في أوقات الصيف في المناطق المنخفضة، كما أن خاصية الأحجار تساهم في مقاومة الظروف الجوية. ولذلك كان للبناء في هذه الأماكن المرتفعة دور في الحفاظ على الأرواح من السيول الجارفة في مجاري الأودية.

وقد كانت النوافذ والفتحات مثار اهتمام المعمار المحلي بتصميمها وأماكن وجودها، بحيث تؤدي دورها في جميع فصول السنة بتوفير الإضاءة والتهوية للمنازل مع ملاحظة حجب خصوصية المنزل من الداخل. فوضعت هذه النوافذ والفتحات في المباني السكنية على ارتفاع لايمكّن المارة من رؤية من بداخل المنزل. كما لم يفت على المعمار حماية تلك الأبواب والنوافذ من دخول الأمطار إلى داخل المنازل، فنجده تارة يستخدم الرعوش، وتارة أخرى يستخدم الألواح الحجرية، كما قام المعمار بتوسيع النوافذ في بعض المرافق كالمجالس لتدخل أكبر كمية من الإضاءة والتهوية إلى المنزل، في حين نجدها في الحصون ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل وذلك لتتناسب مع وظيفتها الحربية، (لوحة رقم١٠٧، ١٠٨).



لوحة رقم (١٠٧) ارتفاع مكان النوافذ عن حركة المارة



لوحة رقم (١٠٨) استخدام الرعوش

٤- العامل الاقتصادي:

تخضع العمارة بشتى أنواعها للمستوى الاقتصادي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنمو وازدهار المدينة أو القرية. كما أن عامل الأمن والاستقرار له دور جوهري في اقتصاد المدينة، كذلك فإن الأطماع السياسية تؤدي إلى الصراع بين الحكام وهو بدوره يؤدي إلى تفتت الوحدة الجماعية ويشكل عقبة اقتصادية أمام المجتمع البشري.[١]

وقد مرت المنطقة – كما ورد- بظروف سياسية مختلفة وأطماع متفرقة عصفت بالمستوى المعيشي والأمني للسكان، فجعلت الانقطاع عن الأسواق أمراً وارداً ودفعت إلى البحث عن سبل أخرى تؤمن الاحتياجات اليومية عن طريق الزراعة والرعي. وقد كان لهذا النشاط المتواضع دور في وجود بعض المنشآت الزراعية لتخدم العملية الزراعية في المنطقة كالآبار والحصون الزراعية والجُرُن.

كذلك كان لحالة السكان المعيشية دور في تعدد مرافق البناء من مستودعات وملاحق مجاورة، وكذلك زخرفة المنازل ساهمت في تباين أنماط المباني المنتشرة في منطقة الدراسة، إذ لا غرابة أن نجد بساطة في بناء بعض المنازل وعدم ميلها إلى التعقيد. وقد أدت تلك الظروف إلى إيجاد مرافق خاصة في المنزل الواحد لتوفير وتأمين متطلبات الحياة، من مواد غذائية وخلافها. فالإنسان كان يجمع غلته سنوياً ويحفظها طوال العام، لأنها تعتبر المصدر الأساسي للبقاء. ويظهر أثر هذا العامل في تخطيط المنازل، فكان يخصص الطابق الأرضي من المنزل لتخزين الحبوب والغلال الزراعية الأخرى وتربية الماشية. وتحتفظ تلك الأماكن بالغذاء طوال السنة لأهل المنزل، في حين خصص الطابق الأول لسكن العائلة واستقبال الضيوف. وهذا ينطبق على ما أورده ابن المجاور في رحلته إلى السراة[٢].

---

(١) عثمان، محمد عبد الستار. المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٣٢٣.

(٢) ابن المجاور، ص٢٧.

وما شاهدناه في وادي بيدة من قيام بعض ملاك الأراضي الزراعية ببناء بعض الحصون والمنازل من بقايا أبنية قديمة، دليل على الحالة الاقتصادية، فقد كانت تكلفة الحياة المعيشية عالية وتكاليف بعض المستلزمات الضرورية كحفر الآبار وبناء المنازل باهظة، وأدى ذلك إلى التنوع في عملية البناء والتفاوت فيها من كلا الطرفين المعمار والمالك. وقد اثر ذلك على تخطيط البناء ومواده فقلّت العناصر المعمارية والزخرفية، لإنجاز البناء بأسرع وقت ممكن لأداء وظيفته المناطة به.

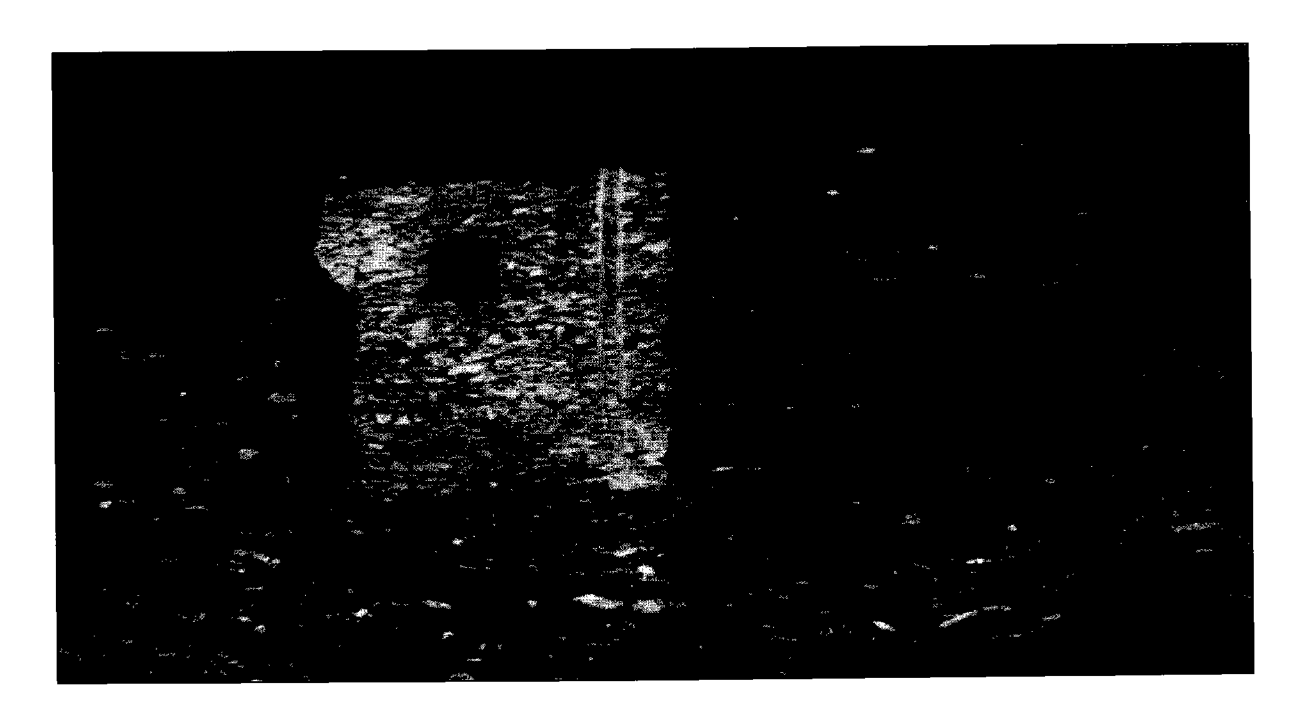
٥- العامل السياسي:

يعد الاستقرار السياسي والسلطة الداخلية من أبرز العوامل التي تؤدي إلى تطور الحركة العمرانية، ولذلك فإن الحكام والأمراء ينصرفون إلى البناء والإصلاح العمراني، وهذا بطبيعة الحال يكون في عصر الرخاء والازدهار[١]، لذلك فإن حياة السكان تتأثر تأثراً بالغاً بمستوى الرعاية والاهتمام، فيتجه السكان إلى الإعمار والبناء بشتى الطرق والوسائل، وفي العالم الإسلامي أمثلة كثيرة تبين ذلك.

لقد أدت الحالة السياسية التي كان عليها جنوب غرب المملكة قبل توحيدها، إلى إقامة الحصون والمنازل المحصنة لتكون ملاذاً للحماية من تلك الحروب ونتائجها، وذلك نتيجة لعدم وجود سلطة مركزية، فوقعت المنطقة بين الأطماع السياسية والخلافات القبلية فعمت الفوضى في المنطقة كلها.

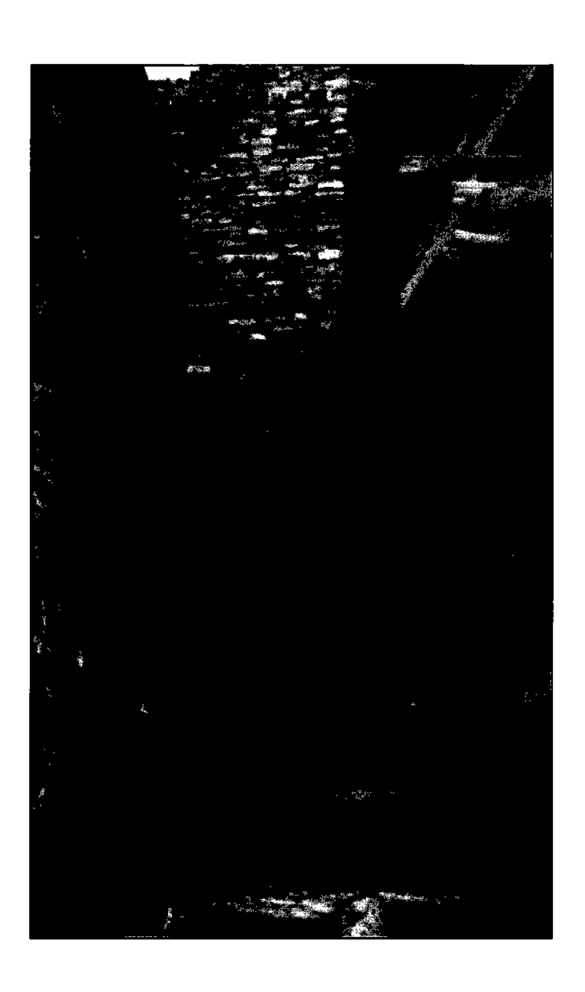
---

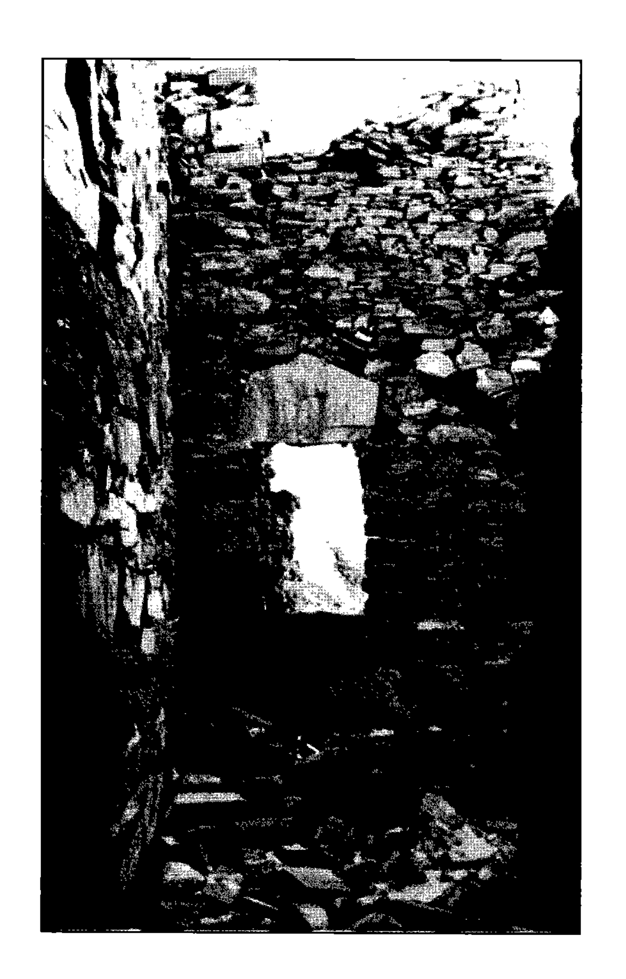
(١) عثمان، المدينة الإسلامية، ص ٢٢٣.



لوحة رقم (١٠٩) البناء في مكان مرتفع

وقد عمد المعمار إلى تشييد مباني القرى في مناطق مرتفعة لتمنع الوصول إليها بسهولة، ولتكون حصوناً بحد ذاتها، واتصفت الشوارع بالضيق في أحيان كثيرة؛ لتمكن من محاصرة الأعداء حين الدخول إليها. إلى جانب ذلك عمد المعمار إلى الاستفادة من بعض العناصر المعمارية العلوية كشرفات المنازل، بحيث خصص فيها فتحات صغيرة لتسهل مراقبة الأماكن المحيطة بالقرية، كما يمكن إطلاق النار من أي جهة من المنزل، بالإضافة إلى وجود حصون مرتفعة للمراقبة والدفاع في أثناء الحروب. ويمكن مشاهدة تلك الحقائق في قرى بيدة وقرى معشوقة في حلايل والخربة الحمراء ودهمة ومزعر، (لوحة رقم ١٠٩، ١١٠).





لوحة رقم (١١٠) منظران يبينان ضيق الممرات بين المنازل

ثانياً – أدوات البناء

تكاد تتشابه الأدوات المستخدمة في البناء في معظم مناطق المملكة، ولعل الاختلاف يكمن في استحداث بعض الأدوات الأخرى في مناطق معينة حسب الطبيعة الجغرافية للمنطقة. وفي وادي بيدة تتعدد الأدوات المستخدمة في البناء، منها ما هو مخصص لاقتلاع الأحجار من الجبال، ومنها ماهو مخصص لقطع الأخشاب من بطون الأودية وسفوح الجبال، ومنها ما هو مخصص لعملية البناء نفسها، ومنها ما يعد لزخرفة المباني. وتصنع تلك الأدوات في المنطقة بواسطة الحدادين المحليين، خاصة الفؤوس والمطارق وأدوات الزخرفة، وهي تعتبر من الأدوات الأساسية في تجهيز مواد البناء. ويمكن تناول تلك الأدوات على النحو التالي :-

(أ) أدوات اقتلاع الأحجار:

تعتبر هذه الأدوات من أهم ما يحرص على توفيره في المقالع الحجرية وذلك لمساعدة المعمار أو من يكلف بإقتلاع الأحجار في عملية تجهيز مواد البناء، (شكل رقم٢٠). وسنتناول هذه الأدوات على النحو التالي:-

١- الفانوس:

يتكون من عصا خشبية طولها ٤٠ سم تقريباً، يثبت في رأسها قطعة معدنية ذات طرفين، أحدهما حاد والآخر مسطح أو كروي. وتستخدم في تكسير الأحجار الكبيرة، والفانوس مصطلح محلي معروف في وادي بيدة والمناطق المجاورة.

٢- العَتَلة:

قضيب حديدي غليظ يستعمل لقلع الحجارة ولهدم الحيطان[1]. يصل طولها إلى مترين، وقطرها بين٣سم و٦سم، رأسها مدبب في أحد طرفيها، وقاطع في الطرف الآخر.

---

(١) غالب، ص٢٦٩.

٣- **القَاروُص:**

قطعة حديدية طولها متر تقريباً، معكوفة باتجاهين متعاكسين تستخدم في تحريك الحجر من مكانه بعد تشققه.

٤- **الشاكوش:**

وهو أداة تشبه الفانوس الذي يستخدم في اقتلاع الأحجار، إلا أنه أقل من حيث حجم النصل الحديدي، ويستخدمه البناء في تشذيب الأحجار وتسوية جوانبها لوضعها في المكان المخصص سواء كانت أحجار البناء أو أحجار المرو الأبيض، كما يستخدم أيضاً في تثبيت الأحجار في واجهات المبنى.

(ب) أدوات قطع الأخشاب:

ليست أدوات قطع الأخشاب بأقل أهمية من أدوات اقتلاع الأحجار، لأن توافر هذه الأدوات يؤدي في النهاية إلى خروج المبنى بصورة مناسبة ومتناسقة مع بقية مباني القرية، فضلاً عن إنجازه وتوفير الخصوصية بإيجاد العناصر المعمارية الهامة من الأعمدة والأبواب والنوافذ وغيرها (شكل رقم ٢١). وسنتناول هذه الأدوات على النحو التالي:-

١- **الفأس:**

عبارة عن قطعتين، الأولى مقبض من الخشب يصل طولها إلى ٧٠سم تقريباً، والثانية نصل من الحديد ذو طرف قاطع، تستخدم في تقطيع الأشجار وفي نزع لحائها.

٢- **القُدّوم:**

أداة صغيرة وخفيفة تشبه المطرقة، إلا أن طرفها الحاد أشد قطعاً. يستخدمها النجار في نحت واجهات الأخشاب وتسويتها.

٣- **المنشار:**

أداة من الحديد، له أسنان في أحد جهتيه وله مقبض من الخشب، يقطع به الخشب خاصة

الجذوع الكبيرة وفق المقاسات والقطع المطلوبة.

٤- **المِبرَد:**

أداة نصلها من الحديد ومقبضها من الخشب، ينعم ويصقل به أسطح الخشب.

٥- **الإزميْل:**

أداة من الحديد طولها٢٠سم تقريباً، ذات رأس دقيق في أحد طرفيها وفي الطرف الآخر مقبض من الجلد تستعمل لزخرفة الأخشاب وتزيينها.

٦- **المِحَش:**

وهو المنجل يتكون من جزئين أحدهما من الخشب وهو المقبض، والجزء الآخر من الحديد وهو على شكل قوس. يستخدم في قطع النباتات كالشبارق والطباق والشيح وغيرها من الشجيرات التي تدخل ضمن مواد البناء.

(ج) أدوات البناء:

لابد من توافر أدوات مناسبة للبناء تساهم هي الأخرى في مساندة المعمار ومعاونيه في تنفيذ الأعمال المعمارية. وهي:

١- **المِسْحَاة:**

عبارة عن أداة تستخدم في جرف التربة، وتتكون من جزئين: الجزء الأول مقبض المسحاة وهو قطعة من الخشب طولها متر واحد تعد من أغصان أشجار العرعر، أما الجزء الآخر فهو نصل من الحديد على شكل قطعة مربعة أو مستطيلة وفي أعلاها فتحة دائرية تستقبل القطعة الخشبية وتثبت بها.

٢- **الفَارُوع:**

عبارة عن أداة تتكون من جزئين، أحدهما قطعة خشبية طولها متر واحد، والأخرى من الحديد يكون أحد طرفيها مدبباً، والآخر مستوياً بعرض ٤سم تقريباً، يستخدم في حفر الأرض، أو

نقر الصخر، كما يمكن استخدامه أيضاً في تكسير الحطب.

٣- **المِقصَب:**

يشبه إلى حد ما المسحاة، ولكن مقبضه أطول، ويركب في الجزء الآخر قطعة من الحديد تشبه المشط، وتستخدم في تسوية مكان أرضية البناء وتنظيفه من الحصى والنباتات، ويمكن استخدامه في تسوية سطح البناء بعد وضع الطين عليه.

٤- **الزِنْبيل:**

وعاء دائري يصنع من الخوص أو المطاط، له عروتان يرفع بهما، يستخدم في نقل الرمل والطين والأحجار الصغيرة لتسوية مدماك البناء.

٥- **السُلّم:**

عارضتان خشبيتان متوازيتان يصل طول كل منها إلى ٣م وتفصل بينهما مسافة قدرها ٤٠سم تقريباً، تثبت بينهما عوارض خشبية بين كل عارضة وأخرى٤٠سم. ويستخدم السلم في الصعود والنزول في أثناء تادية الأعمال المعمارية.

(د) - **أدوات الزخرفة:**

يعتمد تنفيذ الزخارف على الأخشاب أوالأحجار، على عدد من الأدوات المتنوعة المعروفة محلياً، ويلاحظ أن هذه الأدوات لا تختلف كثيراً عن مستلزمات البناء والنجارة في العصور القديمة والإسلامية[1]، (شكل رقم ٢٢) وهذه الأدوات على النحو التالي:

١- **المَخَطّة :**

وهي المنشار أحد طرفيها مكون من صفيحة من الحديد الصلب يصل طولها إلى ١,٥م مسننة في باطنها، ويزود طرفها الآخر بمقبض من الخشب مجوف من الداخل بحجم أربعة أصابع من اليد

---

(١) حسن، سليمان محمود. "" الأجزاء الخشبية المكملة للبيوت الحجرية في المملكة العربية السعودية"". مجلة المأثورات الشعبية، العدد ١٣، الدوحة، السنة الربعة، (جمادى الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ٥٩.

ليتم فيه إدخال اليد وسحب ودفع المنشار في أثناء تقطيع الأخشاب والألواح الخشبية التي تنفذ عليها الزخارف الخشبية.

٢- المِحْفَار :

عبارة عن قطعة حديدية بطول تراوح بين ٥سم و١٠سم طرفها حاد ومفلطح وعرضه بين ٣و ٥سم، وطرفها الآخر مزود بمقبض من الخشب يشبه مقبض السكين، يستخدم في كشط الطبقة السطحية للخشب المراد زخرفته كشطًا خفيفا، كما يمكن استخدامه أيضاً في تنفيذ بعض الزخارف باستخدام الطرف المفلطح، ويستخدمه أيضاً النجار في حفر جوانب الباب ليتم فيه إقحام العارضة الخشبية عند غلق الباب.

٣- المَسحَل:

وهو أداة تنحت بها الأخشاب، وهو مكون من قطعة من الحديد يصل طولها إلى ١٠سم حادة الرأس مزودة بمقبض في الطرف الآخر وقد يكون الطرف الحديدي على شكل مستطيل بعرض ٣سم، ويستخدم لتسوية الأطراف البارزة من قطع الأخشاب في عملية قطعها، ولتنعيم أسطح الأخشاب بعد الزخرفة.

٤- المِسمَار:

وهو ذراع ذو مقطع دائري طوله بين١٠ سم و ٢٠سم، ذو رأس حاد ومدبب ومقبضه من الخشب متحرك بحجم اليد، وله أيضاً جزء مكمل وهو الخاصرة، وهو ذراع خشبي مقوس أو مستقيم معكوف الطرف يزود بسير جلدي على هيئة وتر يتجاوز طوله الذراع ويلف السير الجلدي على منتصف المسمار ويمسك طرف ويضغط على رأس المسار ويبدأ بالتحريك إلى الخلف والأمام ليتم خرق الخشب أو تنفيذ الزخرفة[1].

---

(١) العمير، عبدالله بن إبراهيم. عدد ومستلزمات الحرفيين الشعبيين في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم إلى مؤتمر المأثورات الشعبية العربية في مائة عام، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨.

٥- الشاكوش:

وهو يشبه المطرقة المعروفة إلا أنه أقل حجماً من حيث الكتلة الحديدية، وذراعه أقصر طولاً يستخدمه النجار في دق المحفار أو المثقاب في الخشب لتنفيذ الزخرفة، كذلك يستخدمه في غرز المسامير في الألواح الخشبية. وهي تتخذ أشكالاً متعددة في نصابها، فهناك الشكل الدائري وهناك المضلع.

٦- القَدُّوم:

وهو أداة تتكون من جزئين الذراع من الخشب يصل طوله إلى ٣٠سم تقريباً، والجزء الآخر النصل وهو قطعة من الحديد المتين مسطحة مائلة نحو الأسفل، طرفها حاد وقاطع والطرف الآخر مسطح، وتثبت القطعة الحديدية في الذراع الخشبي عن طريق عين القدوم، ويتم تثبيتها بواسطة لف الجلود على الذراع الخشبي ثم تدخل في عين القدوم لتثبت بإحكام، يستخدمها النجار في قطع الألواح الخشبية المعدة للزخرفة بواسطة الطرف الحاد، ولغرز المسامير والدق بواسطة الطرف المسطح، كما يوجد في الطرف الحاد ثقب صغير يستخدم في نزع وتعديل المسامير.

٧- المِنْقاش:

وهو يشبه في شكله المحفار، إلا أنه يختلف عنه من حيث مساحة الطرف الحديدي، فيكون في المنقاش أدق وطرفه حاد، وذلك لتنفيذ الزخارف الدقيقة خاصة في بعض الأجزاء الخشبية الضيقة المساحة.

٨- الفرشة:

وهي أداة متوسطة الحجم تزيد عن حجم اليد قليلاً مكونة من جزئين: المقبض وهو من الخشب ذو مساحة مستطيلة ومجوفة من الداخل من الجانب ليتم ادخال شعر الفرشة فيها ولفه وإخراجه مرة أخرى، تستخدم في تنظيف الأسطح الخشبية في أثناء عملية الحفر على الخشب لتنفيذ الزخرفة كما تستخدم فرش أخرى مختلفة الأحجام في صباغة بعض الواجهات لبعض الأخشاب المزخرفة.

٩- الكُوس:

وهو خشبة مثلثة منتصفها مصمت أو مفرغ يستعين بها النجار لتساعده في قياس تربيعة الخشب وتنفيذ الزوايا بشكل منتظم.

١٠- الإزْميل:

وهو عبارة عن قضيب من الحديد الصلب طوله٢٠سم تقريباً، له طرفان أحدهما مدبب، والطرف الآخر كروي مسطح الرأس لكي يتم الطرق عليه في أثناء الزخرفة على واجهات الأحجار، كما يزود ناجية الجزء العلوي الكروي قطعة من الجلد بحجم قبضة اليد يلبس به القضيب لكي يسّهل عملية الإمساك بالقضيب من دون تأثر اليد من ناتج عملية الطرق المتكرر والمتواصل، وتختلف اشكال الأزاميل وأحجامها حسب مكان استخدامها ونوعية العنصر الزخرفي وموقعها من المبنى.

١١- المَنقَبَة:

وهي أداة يستخدمها البناء في الزخرفة الحجرية، ذراعها من الخشب بطول ٤٠سم، وقد يكون من الحديد، ونصلها من الحديد الثقيل ذو رأسين، أحدهما مسطح معين الشكل، والطرف الآخر قضيب بطول ٢٠سم مقوس ذو رأسين مدببين يشبه الشكل(U). يستخدم الطرف ذو الشكل المعين لتحريك أحجار البناء في الجزء العلوي من المبنى عند وضع أحجار المرو الأبيض بينها، أما الطرف الآخر ذو الرأسين فيستخدم في قلع أحجار المرو الأبيض عند عدم مناسبتها للمكان الذي وضعت فيه. وقد يستخدم البناء المنقبة لتسوية الأحجار وتشذيبها بجانب الشاكوش.

وغير ذلك من أدوات تستعمل في تهذيب الأحجار وتقطيع الأخشاب وتنظيمها وصقلها وهندستها لجعلها صالحاً للزخرفة.

ثالثاً - مواد البناء

تعكس الآثار المعمارية بشكل عام، وفي أي منطقة جغرافية، الموارد البيئية المحيطة. ففي مناطق الغابات يعمد الناس إلى بناء منازلهم من الأخشاب، وفي المناطق الجبلية من الأحجار، وفي المناطق الرملية والصحراوية من الطين. وفي مناطق كثيرة تشيد المباني بما توفره الطبيعة من مواد تساعد في إيواء الإنسان وحمايته من المؤثرات الخارجية.

وفي بداية العصر الإسلامي بنى الرسول صلى الله عليه وسلم جدران مسجده من الطين، وجعل سقفه من السعف والجريد محمولاً على أعمدة من جذوع النخل، وكان يمتاز بالبساطة من حيث التخطيط وأسلوب البناء[١]. وقد شاع هذا النظام في بقية بلدان العالم الإسلامي في مصر والكوفة والبصرة وغيرها[٢].

وقد تميزت المواد المستخدمة في البناء تبعاً للظروف المحلية لكل إقليم، وهي من المميزات الخاصة بالعمارة الإسلامية، وهناك أمثلة كثيرة على تنوع استخدام مواد البناء حسب الأقاليم[٣]. ولهذا فإن اختلاف بيئة الجزيرة العربية عن البيئات المحيطة بها سبب في تباين حضاراتها، فما يبنى على ضفاف الأودية يختلف عما يبنى في المناطق الصحراوية[٤].

وفي المملكة عامة تتعدد أنواع المواد المستخدمة في البناء حسب البيئة الجغرافية، ففي المنطقة الوسطى اعتبر الطين أكثر المواد ملاءمة لتشييد الجدران في معظم البيوت، وقد ساعد على ذلك انتشار الأودية في المنطقة الوسطى والتي تتيح وجوده بكميات متوافرة وبطريقة سهلة غير مكلفة، فضلاً عن أنه مادة قابلة للتشكيل، بالإضافة إلى قدرته على العزل الحراري في المناطق

---

(١) شافعي، ص٢٤١.

(٢) عبدالجواد، توفيق حمد. العمارة الإسلامية فكر وحضارة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص٤١٦.

(٣) عبد الحميد، سعد زغلول. العمارة والفنون في دولة الإسلام. الإسكندرية: دارالمعارف للنشر، ص٢٠١.

(٤) نويصر، محمد حسني. الآثار الإسلامية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١١.

الصحراوية. وقد استخدم في مناطق أخرى كالمنطقة الشرقية والمنطقة الشمالية وبعض أجزاء المنطقة الجنوبية، كما استخدمت الأحجار على نطاق ضيق في بناء الأساسات والأعمدة والأسوار[١]. وفي مناطق أخرى من المملكة مثل سهول تهامة وجيزان المعروفة أرضها بانبساطها ومناخها الحار، استخدمت العشش في عدة أشكال وهي تبنى من جذوع وأغصان الأشجار. وفي الشرق من منطقة عسير توجد طرز أخرى بنيت من الأحجار واستخدم فيها الطين بأشكال مختلفة تعرف بأسلوب البناء بالرقف.[٢]

لقد أدي هذا التنوع في مواد البناء في شتى مناطق المملكة إلى ظهور طرز مختلفة تبعاً لتقنية البناء واختلاف في التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية. وبهذا أصبح لمواد البناء في أي منطقة أثرها الظاهر في إنتاج عناصر ووحدات معمارية وأساليب إنشائية انعكست على عمارة المكان.

أما في وادي بيدة ونظراً لظروف المنطقة فقد كانت المواد المستخدمة في البناء من الحجر والخشب والطين، وجميعها متوافرة محلياً، ولم تكن عائقاً أمام المعمار وأصحاب الحرف الأخرى.

١- الأحجار:

تتوافر الأحجار بشكل كبير في وادي بيدة ، فهي ثروة لا تنضب، ويمكن أن ينتج بها طرز معمارية تتناسب مع الظروف البيئية المحيطة، ومع ذلك تكتسب الطرز المعمارية صفاتها من صفات الأرض المقامة عليها تلك الأبنية.

ويتم إعداد الأحجار الكبيرة في المقالع[٣] بإشراف المسؤول عن البناء أو مساعديه، وقد تستخدم قطع من الحجارة الصغيرة لسد الفراغات بين الأحجار الكبيرة إذا لم يستخدم الطين وذلك

---

(١) النويصر، خصائص التراث العمراني، ص ١٤٨. الحواس ، فهد بن صالح. عمارة المنزل في منطقة حائل. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٥٦.

(٢) آل زلفة، محمد عبدالله . لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٠.

(٣) جمع مقلع: وهي المحاجر التي توجد فيها الأحجار وعادة تكون في حدود ممتلكات القبيلة أو القرية.

بعد أن تستقر الأحجار الكبيرة في أماكنها. كما يستخدم الحجر في فصل الغرف سواء كانت في الطابق الأرضي أو الطابق العلوي على شكل فاصل بين الغرف (الرص)، كما تستخدم الأحجار المسطحة(الصلي) في تغطية بعض الأسقف والأرضيات، وكذلك الدرج الخارجي للمنازل وفي الحصون كسلالم داخلية في بعض الأحيان.

ويبدأ العمل لاستخراج الأحجار منذ الصباح الباكر باختيار المقلع المناسب لتوافر المواد المساعدة وجلبها من مصدرها، فعلى سبيل المثال مادة البارود كانت متوافرة في المنطقة بسهولة، لكون هذه المادة كثيرة الاستهلاك لاستخدامها لا في قلع الأحجار فقط، بل في استخراج الماء من باطن الأرض. ويستمرعمل الحجار ومعاونيه حتى غروب الشمس، وفي هذه الحالة على المالك أن يوفر لهم الماء والغذاء حتى الانتهاء من قطع الأحجار ونقلها إلى موقع البناء. وتجهز الأحجار في المقالع بطريقة متعارف عليها في أرجاء المنطقة، وتتلخص الطريقة في الآتي :

يتم أولاً تجهيز مادة البارود، وهي مادة تساعد على تفكيك الصخور، وكانت تجلب هذه المادة من منطقة تهامة، حيث كانت تتوافر بكميات كبيرة لحاجة الناس إليها في اقتلاع الاحجار وحفر الآبار. ثم يتم تحديد مقلع الأحجار وتعمل حفرة صغيرة عمقها بين٢٥سم و٤٠سم تقريباً وقطرها بين٥ سم و١٠ سم يتم حفرها في الصخر بواسطه العتلة والشاكوش والازميل، ثم توضع مادة البارود في الحفرة على ارتفاع ٥سم وتدك جيداً. ثم يركز مسمار معدني بطول ٨٠سم يأخذ مساحة من الحفرة، بحيث يترك عند نزعه فراغاً في مادة البارود. ثم توضع كمية من الرمل الناتج من عملية الحفر في الصخر، وتكون تلك الكمية بارتفاع ١٠سم وتدك جيداً. ووجود الرمل هنا لفصل البارود عن قطع الأحجار الصغيرة التي سوف تضاف لاحقاً بعد الرمل لتفادي انفجار البارود من الوهلة الأولى، ثم توضع الأحجار الصغيرة وتدك جيداً حتى أعلى الحفرة. ثم يسحب المسمار ويصب البارود ليلامس البارود الموجود في أسفل الحفرة. بعد ذلك يوصل البارود بفتيل من الليف،

ويتم إشعاله لكي تصل النار إلى البارود أسفل الحفرة ليحدث الانفجار ويتشقق الصخر وقد تنتج عن تلك العملية بعض الأخطار كإصابة العامل في المقلع أو من حوله، لذلك يكون الحجار حريصاً على عدم وجود أي شخص بالقرب من هذا المكان. بعد ذلك يتم تجميع الألواح الحجرية وتشذيبها ونقلها إلى مكان البناء على الدواب وفي أحيان كثيرة على ظهور الرجال إن لم تتوافر الدواب[1]، (شكل رقم ٢٥، ٢٦).

وهناك نوع آخر من الأحجار متوافر في المنطقة وهو المروالأبيض، وهذا الحجر يستخدم في تجوين المنزل من الخارج في تشكيلة فنية جميلة، وقد يزداد استخدامها من منزل إلى آخر حسب الرغبة. وتجلب من موقع (الناصف) بين قرية الغتامية وقرية معشوقة لتوافره بكثرة وبأشكال مختلفة.

٢- الخشب:

أحد أهم مواد البناء التي تتوافر في منطقة الدراسة والتي ساهمت في التكوين المعماري. ففي وادي بيدة تكثر أشجار السدر والأثل والعرعر، ويعود ذلك إلى كثرة الغطاء النباتي في فترات مواسم الأمطار في المنطقة.

ويتم الاتفاق مع النجار لتوفير الأخشاب من البيئة المحلية بعد أخذ الموافقة من شيخ القبيلة أوعريف القرية لتحديد عدد الأخشاب، ومناطق القطع حسب نظام الحمى في العرف القبلي للقرية، إذ تشترك بعض الأودية وبطونها بين قريتين أو أكثر، فيسبب ذلك تعارضاً في استخدام الأشجار ويستوجب الإذن من عرفائها. وفي أحيان كثيرة لا يسمح عريف القرية بقطع كل حاجة المالك من الأخشاب، لذا يعمد إلى طلب المساعدة من ملاك المزارع على سبيل المعروف، وفي حالة تأمين الخشب اللازم يتم الاتفاق بين صاحب البناء والنجار على أجر مقابل عملية التسقيف وعمل الأبواب

---

(١) استقيت هذه المعلومات من الدراسة الميدانية الشفهية لبعض كبار السن في منطقة الدراسة خلال الفترة المشار إليها سابقاً .

والنوافذ، وجميع ما يتعلق بأمور النجارة داخل المنزل وخارجه. وتتنوع الأعمال التي يقوم بتنفيذها النجار، ففي مجال بناء المنازل يقع على النجار أعباء كثيرة لا تقل أهمية عن تلك التي يقوم بها البناء أو الحداد.

ويتم عادة قطع الأخشاب في فصل الشتاء كي تحتفظ بجودتها، بعد أن يحدد المكان الخاص بالقطع، وكان الاعتماد على خشب السدر والعرعر والأثل لكبر حجمه وتوافره بكثرة. وبعد أن يقطع الخشب يتم نزع اللحاء ويسوى سطحه حتى يصبح ناعماً، ثم تشق الجذوع إلى ألواح وكتل متساوية العرض والسمك، ثم تعرض للهواء وذلك لضمان الحصول على أخشاب جافة خالية من الرطوبة التي قد تعرضها للتشقق والآفات. وقد تكون بعض القطع صغيرة نتيجة لحجم الأشجار لذلك تضم هذه القطع إلى بعضها وتشبك بالخوابير والمسامير المعدنية.

ويمتاز الخشب بعزل الصوت وعدم تأثره بالمناخ السائد في المنطقة، بالإضافة إلى خفته فيسهل نقله إلى موقع البناء، وتخصص جذوع السدر والأثل الكبيرة في عمل الزفر والوسائد والوسح الخاصة بالسقف، والرعش العلوي للمنزل، بينما تتخذ أغصانها لسد الفتحات الصغيرة في السقف مع نبات الشبارق والشث إلى جانب نباتات أخرى. كما يصنع من تلك الأخشاب الأبواب والنوافذ، وفق طرق وأساليب يتقنها النجارون ويتوارثونها، ولعل مهارة النجار تتجلى في طريقة إعداد ونقش ما يعرف لدى سكان المنطقة (بالزافر)، وتتم الزخرفة بتشكيلات هندسية غائرة تنفذ بإزميل يعد لهذه الغاية. ومن المستلزمات التي ينفذها النجار (السرب) لتصريف مياه الأمطار من الأسطح، كما يساهم بإعداد العديد من متطلبات الأثاث والأواني المنزلية ومنها: السرر والمنابر والأقداح والصحاف والصناديق الخشبية.

٣- الطين:

ويوجد في مجاري الأودية، ولا صعوبة في الحصول عليه. وعند استعمال الطين في عملية البناء

فإنه ينقل إلى مكان البناء، ويقوم المالك أو المعمار بالإشراف على خلطه بالماء والتبن أو الأعشاب الصغيرة، ثم يترك الخليط كي تدوسه الأقدام وحوافر الحيوانات وذلك لعجنه وتقليبه وإكسابه التماسك اللازم، ثم يقطع باليد إلى قطع صغيرة. ويستخدم الطين في بناء الأساسات والجدران وتغطيتها من الداخل ودك أرضيات الغرف والممرات والدرج، وكذلك في تغطية أغصان الشجر وجذوعه المستخدمة في بناء السقوف. ويستعمل معه عدة نباتات ومواد أخرى لتحديد لون الجدار، ففي الجزء السفلي من الجدار يخلط الطين مع الفحم ليعطي اللون الأسود، أما الجزء العلوي فيخلط طينه مع نبات البرسيم ليعطي اللون الأخضر. وتعجن المادة الطينية حسب مكان استخدامها في البناء، وفي أسطح المنازل تعجن لفترة طويلة ثم تنشر فوق سطح المنزل لتجف وتزداد صلابتها، أما في الداخل فيكتفى بوضعها على الجدران بعد العجن مباشرة.

رابعاً- مواقع البناء

تعتبر مواقع البناء من أهم المؤشرات الدالة على تأثير العوامل الطبيعية والاقتصادية التي تتميز بها منطقة الدراسة، ونظراً إلى وجود تلك العوامل فقد أدى ذلك إلى تعدد المواقع التي تبنى عليها المنشآت المعمارية، ويمكن تقسيم تلك المواقع إلى:

١- البناء على الحافة الجبلية دون تسويتها:

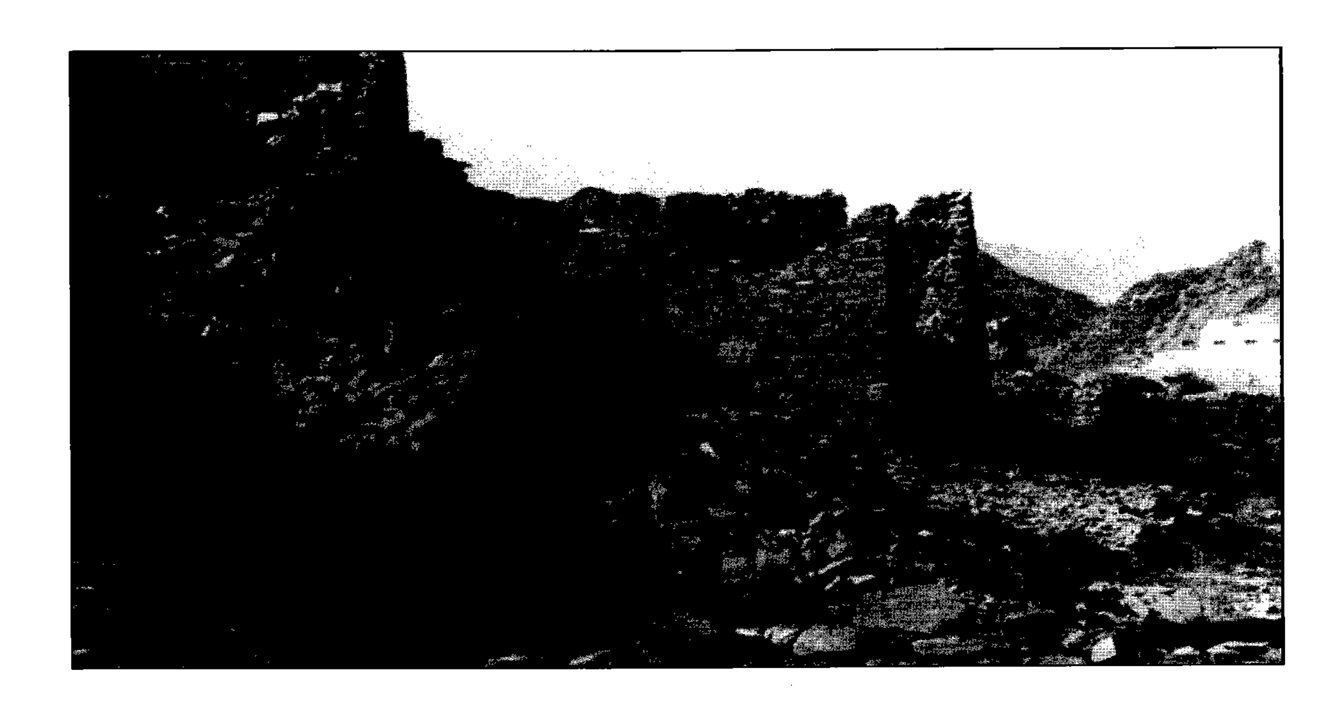
يعمد المعمار إلى استغلال المنحدر الصخري لمساحة الطابق الأرضي لتواكب الوظيفة المخصصة له. بحيث يستفاد من حافة المنحدر الصخري لتكون جزءاً من الجدران في الطابق الأرضي، وكذلك للمساهمة في رفع الجدران إلى الطابق العلوي، وهذا أسلوب متبع في منطقة الباحة بشكل عام[1] ومنطقة الدراسة بشكل خاص، حيث يستغل الانحدار الجبلي بانخفاضه وبروزه، ضمن عناصر الوحدات الداخلية في التخطيط، خاصة في الطابق الأرضي الذي يستغل في إيواء الماشية وتخزين الأعلاف والحطب. ويتمثل هذا النموذج في العديد من القرى كمنازل قرية آل دغمان، ومنازل قرية اللغاميس، ومنازل قرية الجدلان، ومنازل قرى وادي القوافل، وحصون قرية معشوقة الأصلية، وحصون القرية الحمراء، (لوحة رقم١١١).

٢- البناء على الأرض الهشة في بطون الأودية:

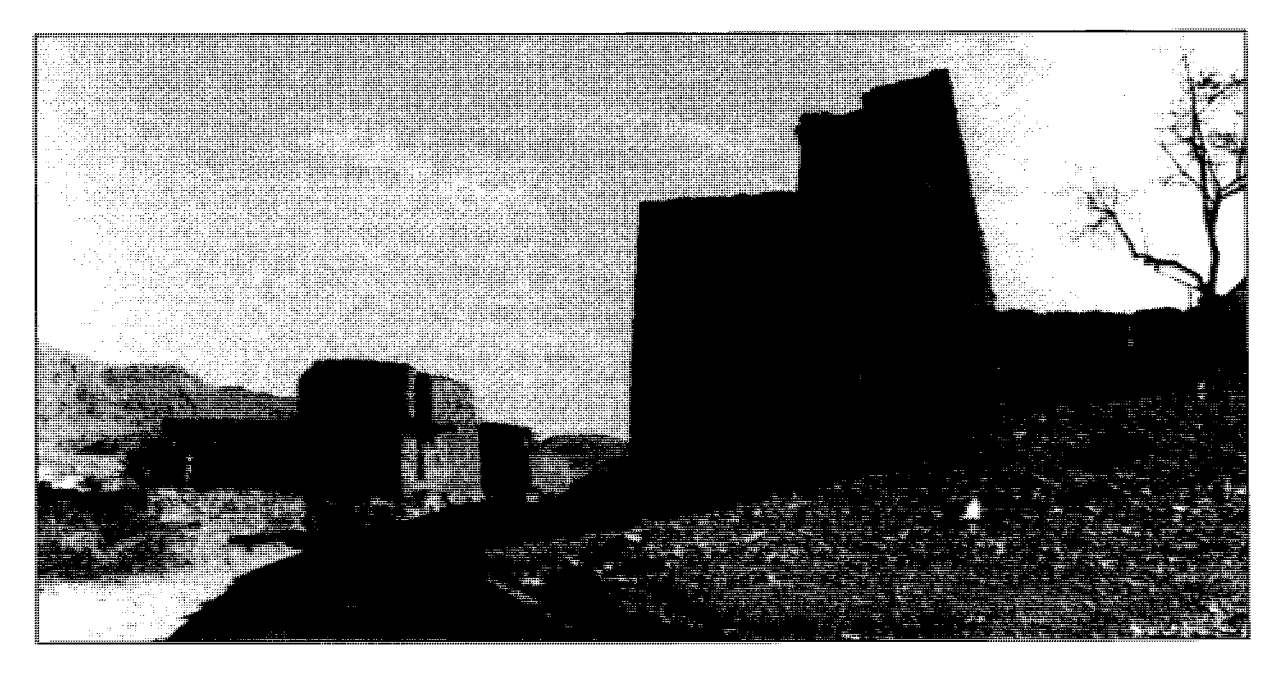
يعتبر البناء على الأرض الهشة في بطن الوادي ظاهرة في القرى الواقعة بالقرب من الأراضي الزراعية ومصادر المياه. والبناء على الأرض الهشة يتطلب حفر أساسات بعمق نصف قامة الرجل يعرف باسم (السامة) ويكون حفر هذا الأساس قاعدة للجدران الخارجية، ويتم وضع ألواح صخرية مختلفة الأحجام داخل السامة، ويبنى فوقها الجدار مباشرة، وتخصص أغلب هذه الأماكن لإيواء الحيوانات وتخزين المحاصيل الزراعية. ويتمثل هذا النموذج في قرية الحازم الأعلى، وقرية الحضيري، وحصن الرقبان، وحصن مشرف، وحصن العمودي، ومنازل قرية الغتامية، (لوحة رقم ١١٢).

---

(١) دوستال، والتر. ملامح من الثقافة التقليدية لمنطقة عسير (دراسة إثنوغرافية). ترجمة يوسف بن مختار الأمين وسعد عبدالعزيز الراشد. الرياض: مؤسسة التراث، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٠٤.



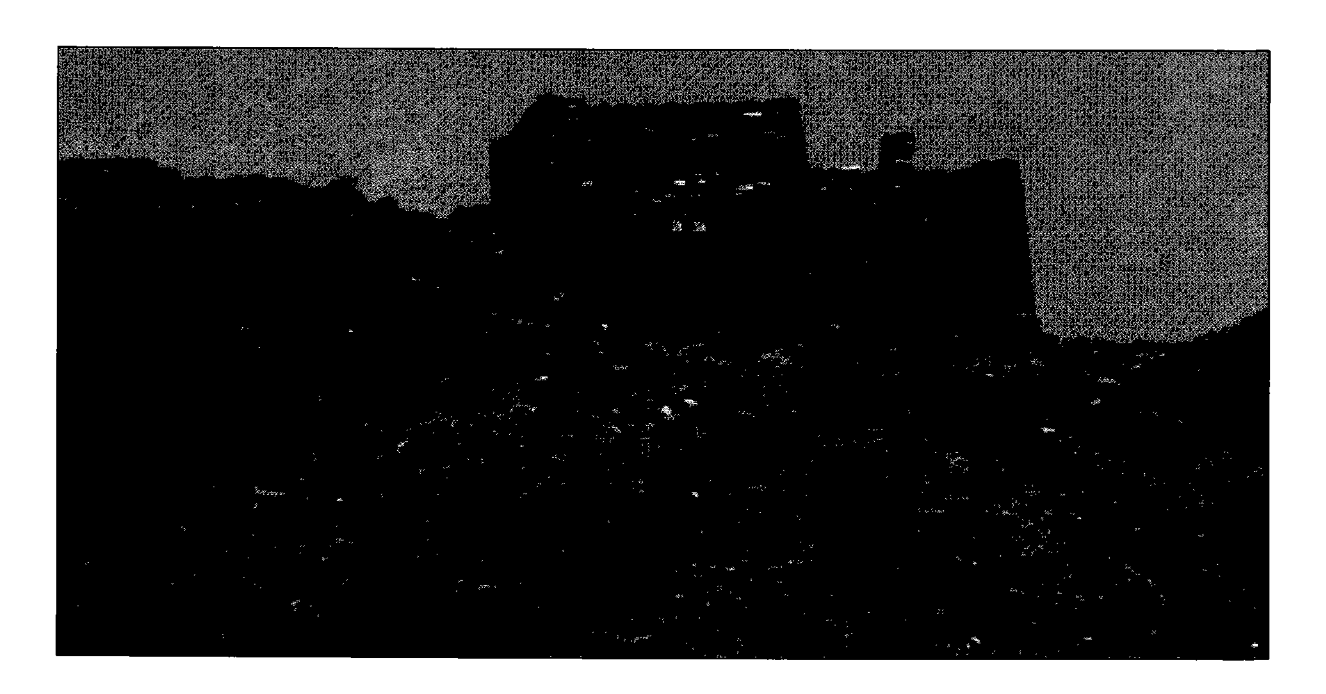
لوحة رقم (١١١) البناء على الحافة الجبلية



لوحة رقم (١١٢) البناء في بطن الوادي

٣- البناء على قمة جبل أو نتوء صخري:

يمثل هذا النموذج أهمية كبيرة في الدفاع عن القرية، وكذلك لتوفير المراقبة والاطلاع على أكبر مساحة من المنطقة. ويعتمد هذا النموذج على البناء فوق الأرض الصلبة مباشرة بأحجار كبيرة لتقاوم العوامل المؤثرة المختلفة. ويتمثل هذا النموذج في حصن الجدلان الشمالي، وحصن الزربة، وحصن العقاربة، وحصن الرقبان، وحصن الشهابي، وحصون قرية دهمة، وحصون قرية نبهان، وحصون قرية مزعر، (لوحة رقم١١٣).



لوحة رقم (١١٣) البناء على قمة جبل

خامساً – المشاركون في البناء

بعد الانتهاء من تجهيز المواد الخام المطلوبة في البناء من أحجار وأخشاب وطين، والتي ذكرت سابقاً بإشراف البنّاء المختص، يتم البناء عن طريق فريق العمل الذي يتكون من

١- المُعَلم:

وهو من شريحة اجتماعية لها مكانة مميزة باعتبار أنها تعمل في مهنة شريفة ورئيسة مثل التجارة والزراعة في كل مناطق المملكة، وينظر إليها بعين الاعتبار والتقدير والاحترام. وعادة ما يكتسب المعلم خبرته من والده أو قريبه الذي يمارس معه مهنة البناء، بحيث يبدأ في مراحل أولية ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى، وقد يكون هناك أكثر من معلم يتناوبون في إتمام مراحل البناء.

٢- القَرّاري:

هوالذي يقوم بتحديد مقاسات وارتفاع الحجر وتشذيبه وتجهيزه، ويقوم بنحته وتسويته لوضعه في المدماك. وعمل القراري يستوجب الدقة ومتابعة المعلم في توفير الحجر المناسب في المكان المناسب.

٣- المُلقّف:

وهو العامل الذي يقوم بحمل ومناولة الأحجار للمعلم بعد أن يتم نحتها وتسويتها لتناسب مكانها في المدماك. ويعتبر الملقف المساعد المباشر للمعلم في نقل السقالة والسلالم وأدوات البناء.

٤- الشُغّال أو الصُبيَان:

وهم مجموعة من الأبناء من أقارب المعلم أو من غيرهم، وقد ورثوا تلك المهنة من آبائهم، حيث يلتحقون من صغرهم بمعلم البناء، وتقتصر مهمتهم في بداية حياتهم بجلب التراب وحمل الأحجار من مقلع القرية إلى موقع البناء. ويستمر الصبي في هذه المهنة من سن ٨سنوات إلى١٢سنة، وبعد هذه المرحلة ينتقل إلى مرحلة القراري ثم إلى مرحلة الملقف، وهنا يكون أقرب إلى المعلم لمناولته أحجار البناء. وهذه هي المرحلة قبل الأخيرة التي تؤهله إلى الوصول إلى درجة معلم، بعد أن يتقن العمل ويشهد له بذلك المعلمون.

٥- المُقَلّع:

وهو الذي يتولى اقتلاع الأحجار من المحاجر، ويمكن أن يشاركه أفراد آخرون لمساعدته.

٦- الجمّالون :

مجموعة من العمال يسند إليهم نقل الأحجار الثقيلة على الدواب إلى موقع البناء، ولا يتم هذا إلا في حالة بعد محجر القرية عن الموقع المراد إقامة البناء فيه.

٧- النجار:

وهو الذي يعهد إليه تجهيز الأخشاب وإعداد الزفر والنوافذ والأبواب وزخرفتها قبل مرحلة التركيب في المنزل، إضافة الى أعمال النجارة الأخرى في البناء.

ويتقاضى المشاركون في البناء راتباً بشكل يومي ولا ينفصلون عن معلمهم، وعادة يكونون مرافقين للمعلم في إنجازات سابقة. كما أن بعضهم يعملون بدون أجر على سبيل المعروف والتعاون بين أفراد القرية.

سادساً - خطوات البناء

تعتبر طريقة البناء في منطقة الدراسة مشابهة للطرق المتبعة في بقية أرجاء منطقة الباحة، ولا يبرز الاختلاف إلا في بعض المسميات، في طريقة البناء أو العناصر المكونة للمبنى، ويتم البناء في عدة مراحل متتابعة. وسوف نبدؤها بالمنازل ثم الحصون ثم الآبار ثم الجُرُن، مع العلم أن هناك تشابهاً في طريقة البناء في المنشآت المعمارية كافة سوى بعض الفروقات الصغيرة، وهذه المراحل على النحو التالي:

١- عمارة المنازل:

تعتبر عمارة المنازل من أهم العمارات المدنية في منطقة الدراسة لكونها تضم المأوى وتبين الحالة الاجتماعية للمالك بالإضافة إلى احتياج هذه العمارة إلى فريق كبير من البنائين والمساعدين والحرفيين الآخرين.

وتبدأ المرحلة الأولى بانتقال المعلم ومعه المشاركون في البناء إلى الموقع يرافقهم المالك، وذلك للبدء في البناء. ويتم تحديد المكان في حدود ملكية الأرض وتوابعها، ويحضر عادة ثلاثة من رجال القرية ممن يعتد بشهادتهم، لتحديد مكان البناء وللبعد عن النزاع على ملكية الأرض. بعد ذلك يقوم الشغال بتنظيف الموقع، ثم يأخذ المعلم في تخطيط المنزل على الأرض حسب رغبة المالك بتفاصيله الداخلية. كما يقوم بالكشف على أرضية الموقع، ففي حالة وجود أساس صخري طبيعي يتم البناء عليه مباشرة، أما في حالة كون أرضية الموقع هشة فيتم الاتفاق مع المالك على حفر أساس يصل إلى نصف قامة الرجل يعرف محلياً (بالسامة)، ثم تبدأ أعمال حفر الأساس حتى الوصول إلى الطبقة الصلبة التي تتحمل البناء عليها. ويصل عرض الأساس إلى١,٥م أو ضعف سمك الجدار الذي فوق مستوى الأرض، أي أن عرض الجدار الخاص بالأساس يتناقص تدريجياً إلى أعلى حتى يصل إلى سمك الجدار المطلوب بناؤه.

ثم يأتي دور بناء المدماك السفلي لرفع الأساس فوق سطح الأرض بارتفاع تراوح بين٥٠سم و١٠٠سم. ونظراً إلى أن طريقة البناء لاتعتمد على تثبيت الأحجار بأية مونة، وإنما على ربط الحجر بعضه ببعض عن طريق تتابع أحجار محددة تبدأ من ركن المنزل الخارجي بحجر الحدة[1]، ثم يليه حجر الردة ثم حجر الرابط وبعدها حجر التابع ثم حجر الرأس. وهذا التتابع يؤمن تثبيت الحجر بطريقة أفقية ورأسية في آن واحد.

بعد ذلك يقوم المعلم بتخطيط المنزل حسب الاتفاق مع المالك، ويشرع في تقسيم الطابق الأرضي إلى قسم أو قسمين. ويقوم المعلم بوضع الفواصل بين الغرف في الطابق الأرضي الذي يعرف محلياً بالردة، وتعتبر الردة دعامة للزافر في الطابق العلوي. ثم يتبعه تسقيف سطح الطابق الأرضي بالأخشاب العرضية وبعض النباتات الصغيرة ووضع الصفائح الحجرية (الصلي)، ثم يوضع الطين كآخر مرحلة من تسقيف هذا الطابق. ويمثل الطابق الأرضي أماكن لخزن الأعلاف وإيواء الماشية، لذا لا تكثر التقسيمات بهذا الطابق ولا تتميز بأية عناصر معمارية، سوى وجود سلم داخلي يصل إلى الطابق العلوي.

ثم تثبت دعامة السلم الخارجي المؤدي إلى الطابق العلوي عن طريق درج خارجي في حالة البناء في الأرض المنبسطة أو على قمة الجبل، أما إذا كان في حافة الجبل فيكون مدخل الطابق الأول من الجهة المقابلة للانحدار. ثم يستمر بناء الجدران للطابق الأول وتوضع الرصان بين الغرف، وهي من خشب العرعر ترص بجانب بعضها وتربط بلحاء الشجر وتكون من أسفل الطابق إلى أعلاه، وقد تكون الرصان من الألواح الخشبية المزخرفة فيما يخصص للمجلس وغرف الاستقبال.

يلي ذلك تثبيت عمود الزافر في الأرض فوق أحجار صغيرة (سفن) ثم يثبت فوق الزافر ذروة خشبية (الوساد) وفوق الوساد يوضع (الوسح)، وتتخذ من عوارض خشبية كبيرة من جذوع الأشجار. كما يلي هذه المرحلة وضع عوارض خشبية أخرى فوق الوسح بعكس اتجاه امتدادها

---

(١) الحدة: من الحد وهو الحاجز بين الشيئين ومنتهى الشيء. الفيروز آبادي، ص٣٥٢.

تعرف محلياً باسم (البطانة). ثم تليها عملية (الجرد) وهي رص أخشاب السقف فوق البطانة، ثم (الغلاق) وهي بسط بعض الأغصان الصغيرة والأوراق من شجيرات الشيح والطباق والعرفج والشبارق فوق الجرد. وتنتهي هذه المرحلة بوضع الصلي ثم الطين لتغطية السقف. وتتلاحق الطوابق العليا بنفس الطريقة الإنشائية حتى الوصول إلى السطح العلوي، ويقوم المعلم بعمل الجون وزخرفة واجهاته ثم ترصف الأسطح بالصلي للاستفادة منها على شكل مقاعد للجلوس.

ويأتي دور النجار في تركيب نوافذ المنازل التي ترك لها المعلم فتحات مربعة في كل اتجاه من المنزل ابتداء من الطابق الأول. ثم يقوم النجار بعد ذلك بوضع العبر على جانبي الفتحات المربعة وتثبت بها الألواح الخشبية لإحكام إغلاقها عند الحاجة. كما يعلو هذه النوافذ صفائح حجرية بارزة عن سمت الجدار لحماية المنزل من دخول الأمطار. وهي تعتبر في حالات كثيرة وظيفة زخرفية لواجهات المنزل. أما الأبواب فتكون المرحلة الأخيرة في عمل النجار وتكون من مصراع أو مصراعين، أو حسب رغبة صاحب المنزل وحالته المادية. ويثبت بالباب عمود من الخشب يرتكز في عتبتي الباب العلوية والسفلية لتحريك الباب عند إغلاقه أو فتحه. كما يقوم بتثبيت الضبة في واجهة الباب. إضافة إلى بناء الرعش العلوي حيث يقوم بتثبيت عوارض خشبية في واجهة الجدار بمقدار مترين وتغطيتها بالأخشاب المتعامدة والأوراق النباتية والصلي وتكون فوق الأبواب لحماية المنزل من الأمطار، وقد تكون للمراقبة والإشراف على المزارع خاصة في الطوابق العليا. ثم يقوم بتركيب السرب في سطح المنزل لتصريف مياه الأمطار.

وتمثل المرحلة الأخيرة من إكمال العمل وذلك بمشاركة النساء اللاتي يقمن بدور رئيس في المراحل الأخيرة للبناء، كعمل اللياسة الداخلية وتنظيف المنزل من مخلفات البناء. ويقوم المالك بعمل وليمة(وكيرة) للمشاركين في البناء، وأهالي القرية في الاحتفال بالانتهاء من بناء المنزل وتقديم مساعداتهم العينية أو المادية وإقامة عرضة شعبية احتفاء بهذه المناسبة الكبيرة.

تلك هي الخطوات المتعارف عليها لدى البنائين المحليين في المنطقة في بناء المنازل التي تعد أهم المنشآت المعمارية.

٢- عمارة الحصون:

إن عمارة الحصون بكل أشكالها لاتقل أهمية عن عمارة المنازل لكونها توفر الأمن والمراقبة للمنطقة، ولاستخدامها في الحياة اليومية إذا دعت الحاجة.

ويبدأ بناء الحصن بقاعدة عريضة، مربعة ثم يتناقص في سعته كلما ارتفع البناء في شكل هندسي يحافظ على توازن الزوايا والأبعاد. ويبنى الحصن عادة على منطقة مرتفعة ذات طبيعة صخرية صلبة ليشرف على الأرض المحيطة به، وقد ويكون بين منازل القرية أو الأسرة، أوعلى حدود المزارع والقرى. أما إذا كانت أرضية البناء هشة فإن عملية البناء تبدأ بعمل السامة، وتكون مربعة الشكل في أغلب الأحيان حسب هيئة الحصن. ثم يلي هذه المرحلة المدماك، وفي هذه المرحلة يكون ارتفاع الحصن عن مستوى سطح الأرض متراً وعرض المدماك متراً تقريباً. ويراعى في مرحلة بناء المدماك المدخل الرئيس للحصن واتجاهه والتقسيمات الداخلية في الطابق الأرضي، وفتحات النوافذ والبروج في الطوابق العلوية. وفي نهاية هذه المرحلة يبدأ النجار بعمله بأخذ المقاسات المطلوبة للباب وتنفيذ الرعوش الداخلية. ثم يقوم البنّاء بإكمال المراحل الأخرى في بناء الطابق الثاني ثم الذي يليه بنفس الطريقة الأولى مع مراعاة تزويد الحصن بنوافذ وفتحات للمراقبة والرماية من كل جانب بزوايا متباينة ومتعددة، بحيث تمكن من اكتشاف أكبر مساحة من الأرض. ثم تبدأ مرحلة التجوين وهي مرحلة التجميل، ويرصع البناء بالمروالأبيض بأشكال ثلاثية ومستطيلات وخطوط طولية وأشكال هندسية متنوعة.

وبعد الانتهاء من بناء الحصن يقيم أصحابه حفل عشاء كبير لأفراد القرية والعمال المشاركين بمختلف المهن، وتقام العرضة الشعبية احتفالاً وفرحة بإقامة حصن جديد في القرية.

٣- عمارة الآبار:

يمثل حفر وبناء البئر أهمية لدى سكان وادي بيدة، وذلك لضمان مصدر مائي طوال الوقت ليفي بالغرض المطوب من كل النواحي.

ويبدأ حفر وبناء البئر باختيار الموقع المناسب الذي يحدد عروق الماء بالاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص في هذا المجال. ثم تسوّى الأرض باستخدام المساحي، وعند الوصول إلى الطبقات الصلبة تستخدم الأدوات الحديدية كالعتلة والفاروع. وتنظف البئر في كل مرحلة يتراكم فيها التراب حتى يمكن متابعة الحفر، كما يستخدم الماء لكي يسهل عملية الحفر. وقد يستخدم البارود لتفكيك الصخور ويفرض ذلك طبيعة المنطقة المراد الحفر فيها والحالة المادية لصاحب البئر. ويشترك الرجال لحفر البئر في ثلاث مجموعات تراوح عددهم في كل مجموعة بين٣ و٥ أشخاص. المجموعة الأولى: داخل البئر للحفر، والمجموعة الثانية: أعلى البئر لتناول الأتربة والأحجار الناتجة من عملية الحفر، والمجموعة الثالثة: في المحاجر لإعداد الأحجار المستخدمة في بناء وطي البئر. وبعد أن يصل الحفر حتى مستوى سطح الماء يبدأ بناء جوانب البئر بالأحجار التي أعدت مسبقاً لذلك، ثم يتم إنزال هذه الأحجار إلى أسفل البئر، فيستقبلها المعلم ومساعدوه ويضعونها في مكانها. وتبنى الجدران في شكل متناسق ومتوازن، كما تستخدم الأحجار الصغيرة للربط بين الأحجار الكبيرة ولزيادة التماسك. وقد يُعمل لبعض الآبار درج جانبي لمتابعة أعمال الصيانة والترميم ولزيادة الحفر إذا اقتضت المصلحة ذلك، وهي ما يعرف بنثل البئر. عند الانتهاء من حفر البئر يلف جزؤها العلوي ببناء يكسبها شكلاً جمالياً ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي تسقط من أطرافها العلوية، ويراعى في ذلك المنافذ التابعة لجهاز السانية الذي يركب على رأس البئر لسحب الماء.

٤- عمارة الجُرُن:

يعتبر بناء الجرين من أسهل المباني لكونه لايحتوي عناصر معمارية سوى المذرى. فهو في نهاية الأمر لحصر المحصول الزراعي في نطاق مربع أو مستطيل ليسهل التعامل معه ودرسه من دون اختلاطه ببعض الأحجار والنباتات الأخرى التي قد تفسد المحصول الزراعي.

ويبدأ بناء الجرين عن طريق تنظيف مساحة مربعة أو مستطيلة من الأرض، ثم تحفر أساسات تصل إلى نصف متر تقريباً وتبنى بعد ذلك الجدران في انتظام متوازن بارتفاع بين١,٥٠ و٢م،

وتصلى أرضيته بالألواح الحجرية الكبيرة والثقيلة، وذلك لكون هذه الارضية تتعرض لدهس الحيوانات طيلة النهار، بعد ذلك يحدد موقع المذرى، وهو عبارة عن مساحة مربعة بطول وعرض متر واحد تقريبا ذات جوانب مرتفعة، ويتم فيها تذرية المحصول بعد دهسه، وذلك لفصل التبن عن الحب، ويساهم في ذلك سرعة الرياح التي تحمل التبن إلى مكان آخر في الجرين بعيد عن الحب. ثم يحدد المدخل الرئيس للجرين ويترك مشرعاً دون أبواب تغلقه(1).

(1) استقيت المعلومات في أثناء المقابلة مع كبار السن في منطقة الدراسة، علما أن هذه الطريقة تكون متوافقة مع بعض المناطق المجاورة.

الفصل الرابع

العناصر الزخرفية والرسوم الصخرية

- أولاً : العناصــــــــــر الزخرفيــــة
- ثانياً : الرســــوم الصخريــــــة

أولاً : العناصر الزخرفية

تعكس العناصر الزخرفية حياة الإنسان ونشاطاته اليومية التي كان يعيشها في مختلف العصور سواءً كانت حياة ترف أو حياة فقر. وكانت الفنون قبل الإسلام تمثل الآلهة وبعض الطقوس والأساطير الدينية، إضافة إلى فنون العمارة بشتى أنواعها. ومنذ أن أشرقت الحضارة الإسلامية عرف المسلمون فنوناً خاصة تميزت بها عماراتهم وشتى منتجاتهم الفنية والعمرانية. وقد كانت أنواع العمائر الإسلامية في مختلف عصورها تزخر بفنون رائعة التنفيذ والجمال، وهذا ما دفع ببعض الحضارات الأخرى إلى الاقتباس من الفن الإسلامي.

ومن المعروف أن العناصر الزخرفية من نباتية وهندسية وحيوانية تكاد تكون واحدة في جميع الفنون، ولكن الأسلوب الفني يختلف في تنفيذها من مكان إلى آخر، ويعود ذلك إلى اختلاف أساليب الفنانين في تنفيذ تلك الزخارف وربما إلى طبيعة المادة المزخرفة.

ولقد ساهمت العقيدة الإسلامية منذ العصور الأولى في إنتاج فن جديد ابتعد عن التصوير البشري ونحت التماثيل، فقد توجه الفنانون والعمال المسلمون إلى نواح جديدة تتوافق مع عقيدة وتعاليم دينهم الحنيف، فقد أُنجزت زخارف جديدة تأخذ تكوينها من وحدات هندسية متكررة وتحويرات لعناصر أصولها نباتية تشكلت على عمائرهم بشتى أنواعها[1].

أما أشكال تلك الزخارف فهي تتعدد في الوحدة الواحدة بعناصرها الهندسية والنباتية. وقد أدت الزخرفة دوراً كبيراً ضمن العناصر الزخرفية المتنوعة في الفن الإسلامي، حين أقبل الفنان على ضروبها المختلفة وبأشكالها البسيطة والمعقدة معاً في الزخرفة المعمارية طوال العصر الإسلامي. وقد ابتكر الفنان في العصر الإسلامي أشكالاً هندسية مركبة ذاعت في مختلف بلاد العالم الإسلامي[2].

إن فن الزخرفة جزء هام من تراثنا الحضاري يدل على هويتنا الثقافية الإسلامية، نظراً إلى

---

(١) المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد، المعهد العربي لإنماء المدن، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٦٢.

(٢) زكي، حسن، فنون الإسلام. القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، ص٢٤٨.

ما يدل عليه من دلالات جمالية واجتماعية ورمزية. ففن الزخرفة يعتبر من الجماليات التي تعكس معطيات الحضارة وتعبرعن توجهات نفسية وتذوق خاص، وهذا ما جعل وظيفة المنزل على سبيل المثال لا تقتصر على تأمين المسكن والحماية فحسب، بل تذهب إلى أبعد من ذلك لإظهار القدرة المالية والمكانة الاجتماعية للعائلة.

لقد عرف وادي بيدة نماذج زخرفية بسيطة مستوحاة من الطبيعة نفسها، في حين ركز المعمار المحلي على الهدف الأول من البناء، وهو تأدية الوظيفة المناطة بالمنشأة المعمارية، وهي ظاهرة عامة في معظم مناطق المملكة العربية السعودية. وقد أضحت تلك الزخارف مادة نادرة تحمل في طياتها عادات وتقاليد الأجداد، وهي توضح بصورة عملية مدى سمو أذواقهم نحو بناء الأشكال التي تتكامل وتتواءم مع البيئة، بالإضافة إلى أنها توضح مدى ما بلغه أجدادنا من أساليب تقنية ترتبط بالمادة المزخرف عليها.

وفي المقابل عُرف حرفيون محليون أبدعوا في تنفيذ العناصر الزخرفية، ولاسيما ما يتعلق بالنجارة، إذ كان بعض الآباء يبعثون أبناءهم إلى القرى والمناطق المجاورة، خصوصاً إلى قرية المكارمة في بلاد غامد لأنها كانت تشتهر بإجادة النجارة والزخرفة الخشبية[١]، لتعلم هذه الحرفة فيصبحون بعد ذلك حرفيي القرية في هذا المجال. هذا فضلاً عن انتشار هذه الحرفة في المنطقة نفسها، وهؤلاء الحرفيون لهم احترامهم وخصوصياتهم ويتمتعون بكل حقوقهم والافتخار بإجادتهم لهذه الحرفة[٢].

وخلال المسح الميداني الذي قمنا به لوادي بيدة تبين أن هناك نوعين من الزخارف من حيث المادة المنفذة عليها تلك العناصر الزخرفية وهما: الزخارف المنفذة على الأخشاب، والزخارف المنفذة على

---

(١) المكارمة: بفتح الميم والكاف بعدها ألف وكسر الراء وفتح الميم فهاء تأنيث، بلدة من قبيلة غامد ببلجرشي، تقع جنوب دار السوق (بلجرشي) بمسافة ثلاثة أكيال، ويقدر عدد سكانها بـ ١٠٠٠نسمة. السلوك، ص٤٠٣.

(٢) ويعد الشيخ مسفر بن أحمد الزهراني، من قرية اللغاميس، من أشهر الحرفيين المهرة في النجارة والزخرفة في وادي بيدة. ويعود أغلب أعمال النجارة والزخارف المنفذة إلى عمل يده كتلك الزفر التي أنجزها في قرى متعددة كقرية الوهدة وقرية الاشتاء وقرية الحكمان. هذا فضلاً عن الأعمال التي كان يقوم بها خارج منطقة الباحة. (المقابلات الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية المشار إليها سابقاً).

الأحجار. وتتم هذه الزخرفة عن طريق النجار فيما يتعلق بالأخشاب، أما الأحجار فتتم عن طريق البناء ومساعديه. وهي على النحو التالي

(أ) الزخارف الخشبية:

تعتبر الزخارف الخشبية من أكثر الأعمال الزخرفية المنتشرة في منطقة الدراسة، خاصة في المنازل لكونها مقر الإقامة والاستقبال، لذلك نجد هذه الزخرفة منتشرة في بيدة فقط. ويعتمد تنوع وثراء الزخارف في المنزل اعتماداً كبيراً على الحالة الاقتصادية لصاحب المنزل ومكانته الاجتماعية. أما الزخرفة فقوامها ما تمليه ذاكرة صاحب الحرفة من خبرة مكتسبة في هذا المجال، إذ ليس هناك نموذج معين يسير عليه الحرفي، لكنها لا تعدو كونها أشكالاً هندسية مختلفة وأشكالاً نباتية متنوعة. وتعتبر زخرفة (الزُفُر) من أهم الأعمال الزخرفية التي تتميز بها المنازل في منطقة الدراسة. ويعمد النجار إلى الكتل الخشبية المستطيلة المصمتة من جذوع الأشجار التي يتم اختيارها بعناية لكي تتلاءم مع الوظيفة الإنشائية لحمل السقف إلى جانب تنفيذ العناصر الزخرفية للدلالة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي لصاحب المنزل. أما ما يتعلق بزخرفة الأبواب والنوافذ فيتم وصل العوارض الخشبية الرئيسية فيما بينها وتربط بالمسامير المعدنية ثم تثبت عليها الألواح الخشبية المزخرفة. إن تنفيذ العناصر الزخرفية المختلفة يعتمد على أساليب معينة في التنفيذ، وهي لم تخرج عن الاتجاه المألوف لدى الحرفيين في المناطق المجاورة.

١- أسلوب الزخرفة:

تنجز العناصر الزخرفية على الأخشاب بأساليب متعددة، ومن أهم الأساليب وأكثرها انتشاراً أسلوب الحفرثم التنجيم[1]، وهناك أسلوب ثالث وهو أقلها انتشاراً هو أسلوب الحرق. وهذه الأساليب يمكن إيجازها على النحو التالي:

أ- الحفر:

يستخدم أسلوب الحفر بشقيه الغائر والبارز. وتبدأ الزخرفة بهذا الأسلوب على قطع من

(١) حسن، سليمان، الأجزاء الخشبية المكملة للبيوت الحجرية في المملكة، ص٦٤.

الألواح الخشبية، وبكشط الطبقة العلوية للخشب ثم تحفر العناصر الزخرفية باستخدام المحفار والمسمار ثم المبرد لتسوية السطح، ثم ينظف الخشب بالفرشة أو بقطعة من القماش، وقد يصبغ في بعض الأحيان بألوان مختلفة كالأحمر والأصفر ليعطي منظراً جميلاً. بعد ذلك تثبت الألواح السابقة على الزافر بالمسامير وكذلك على بعض واجهات الأبواب. بالإضافة إلى أنه قد يعمد النجار إلى تنفيذ الزخرفة على الزافر والباب مباشرة من دون استخدام الألواح الخشبية، وذلك يعتمد على المكانة الاجتماعية والمادية لصحاب المنزل.

ب- التَنجِيم:

وهو أسلوب الزخرفة برؤوس المسامير، والتنجيم إضافة مسامير حديدية ذات رؤوس محدبة، وتغرس هذه المسامير في واجهات الأبواب والضباب والزفر، وتبقى رؤوس هذه المساميربارزة. وتتخذ الزخرفة بهذا الاسلوب أشكالاً هندسية متنوعة، فإذا كانت أربعة رؤوس تسمى "مثلوث"[1] وإذا كانت على خط مستقيم تدعى "صرع"[2] أما اذا كانت على شكل مموج فتدعى "مموج" وفي أحيان كثيرة يتم عمل زخرفة الصرع والمثلوث والمموج بطريقة نحت الخشب بشكل غائر عوضاً عن المسامير.

ج- الحرق:

وهو أسلوب شائع بالرغم من قلة استخدامه في بعض منازل منطقة الدراسة، وتتم الزخرفة بهذا الأسلوب باستخدام المنقاش بعد تسخينه وتكوى به الأخشاب وفق الزخرفة المرسومة.

وقد استمد حرفيو المنطقة العناصر الزخرفية المنفذة على الأخشاب من عناصر التصاميم التي يعلمونها من التقاليد الإسلامية، واستلهموا النباتات والرموز والأشكال الهندسية، وضمنت أشكال الزخرفة المستلهمة للشجر وأغصانه وأوراقه مجموعة من التصاميم الزهرية والشجرية التي تشكلت من أوراق نباتية وزهور مختلفة الأحجام والأشكال، وصلت إلى نماذج متعددة. وتتنوع العناصر

---

(١) المرجع السابق، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

الزخرفية المنفذة على الأخشاب من مكان إلى آخر في جميع المشغولات الخشبية في المنزل، وهذه الزخارف نجد أنها متوافقة مع زخارف أخرى من منطقة الباحة، وذلك يدل على الصلة بين الفنانين وربما على المدرسة التي علمت هذه الزخرفة. وقد لاحظنا أن هناك زخارف هندسية وزخارف نباتية نفذت على الأخشاب في وادي بيدة.

٢- العناصرالزخرفية الهندسية:

يتكون هذا النوع من الزخارف من شرائط زخرفية متنوعة من الخطوط المتوازية بين إفريزين أو الزوايا المتوالية وأنصاف الدوائر وأشكال المثلثات المتداخلة والمتجاورة والأقواس وأشكال الأهلة والمعينات المتوالية والمتداخلة وتعرف بعض هذه الزخارف بأسماء محلية وهي على النحو التالي:

أ- الشرائط المحزوزة:

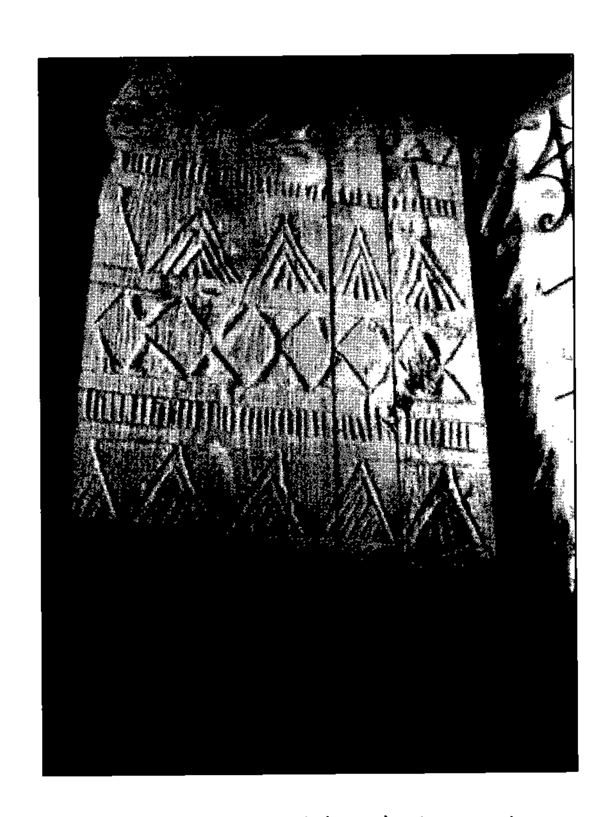
هي أشكال زخرفية تتألف من مثلثات داخلها مثلثات أصغر تعرف باسم "نقش مثلوث داخل نقش"[١]، أما الشريط الزخرفي المؤلف من خطوط منتظمة فيعرف باسم " مدلبح"[٢] ، والشريط المؤلف من خط مزدوج يدعى "حبل" أما الخط المموج المزدوج فيدعى "مبروم"[٣]. وتتميز بعض منازل بيدة بكثرة هذه الزخارف، خاصة ما ينفذ على الزُفر، (لوحة رقم ١١٤، ١١٥).

---

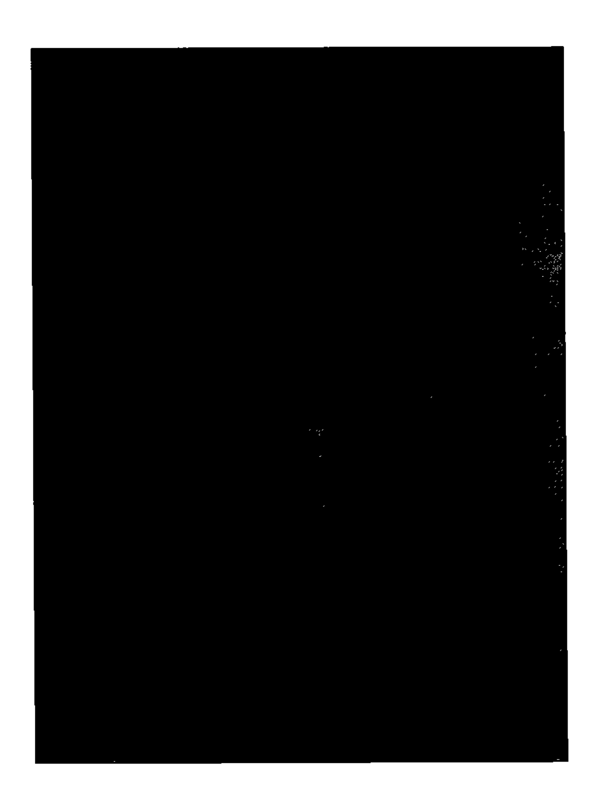
(١) المرجع السابق ، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق ، ص٦٠.

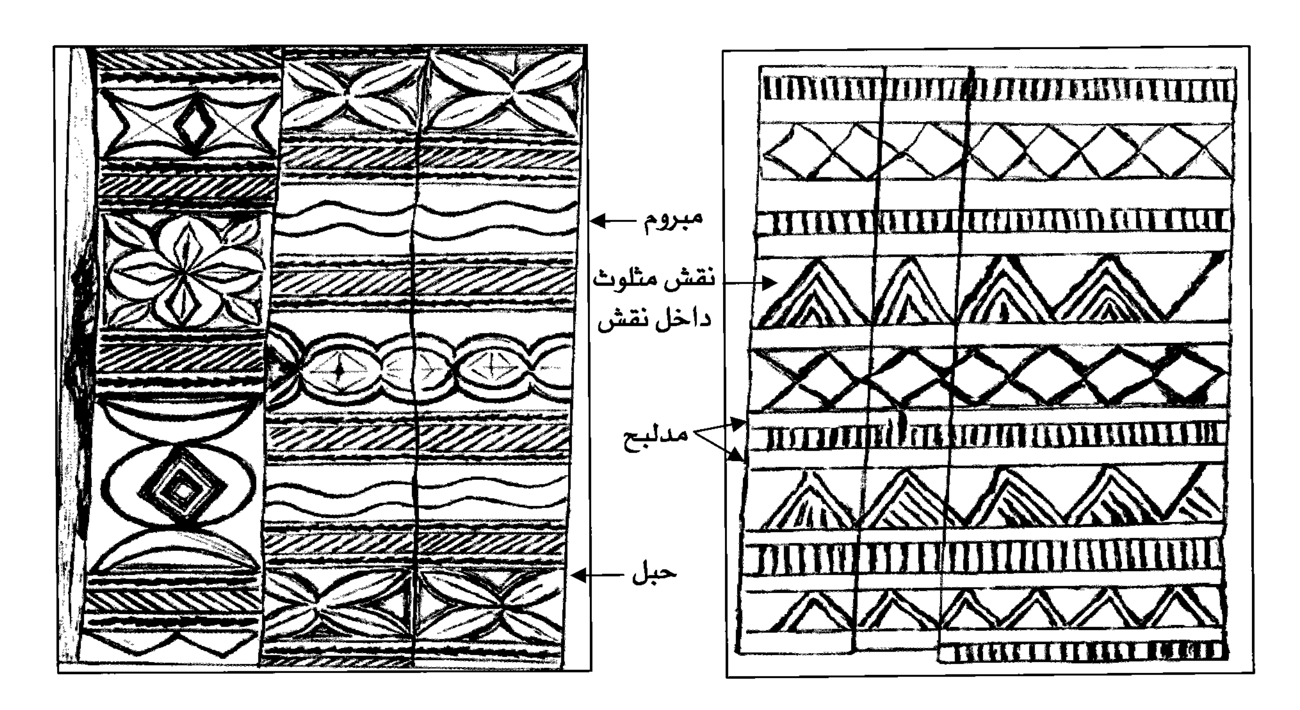
(٣) المرجع السابق، ص٦٠.



لوحة رقم (١١٤) الشرائط المحزوزة
نقش مثلوث داخل نقش

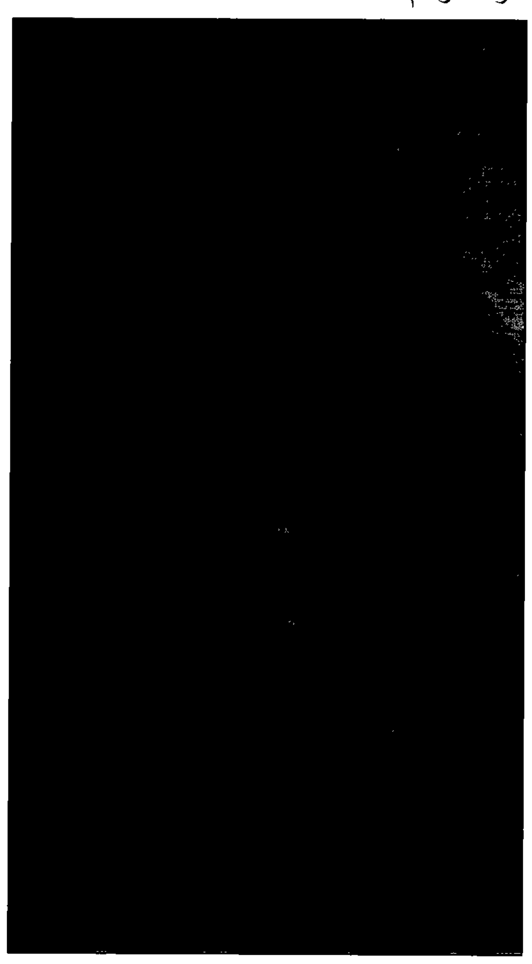


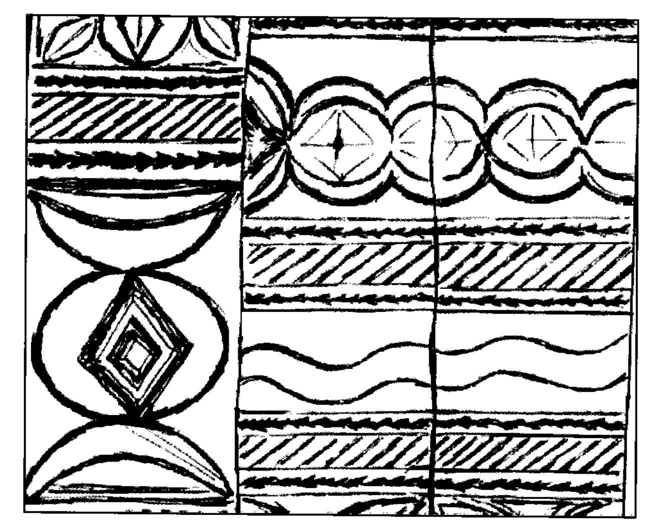
لوحة رقم (١١٥)
شرائط محزوزة متنوعة



ب- الأهلّة:

تتشكل الأهلّة أو أنصاف الدوائر في أشكال متعددة في المكان المزخرف، وهذه الأهلّة تكون عادة متنافرة أما إذا كانت متقابلة فإنها تكون في الوقت نفسه متباعدة وتشغل المسافات بينها بأشكال مختلفة من المضلعات، إضافة إلى أنها تكون مقرونة بدوائر حولها في بعض الأحيان، (لوحة رقم ١١٦).



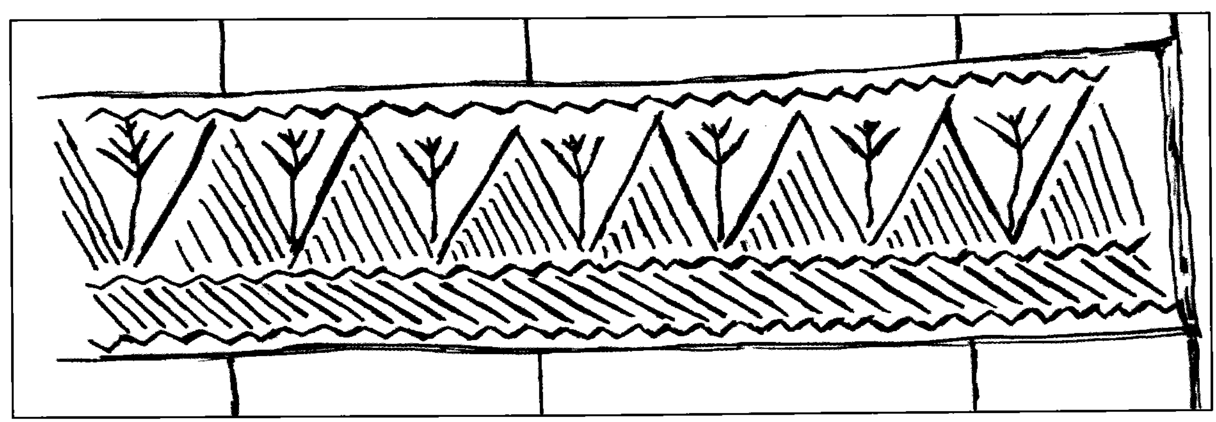


لوحة رقم (١١٦) زخارف هندسية ذات أشكال أهلة على واجهة نافذة ـ الجدلان

ج- المثلثات:

استخدمت المثلثات المتساوية الأضلاع في تشكيل عناصر زخرفية متكررة بعضها بجانب البعض، كما قام الحرفي أيضا بشغل المساحات الداخلية للمثلثات عن طريق الحزوز المكررة إضافة إلى أن بعض المثلثات تأتي في صفوف محصور داخل إطار محزوز من جميع الجوانب، (لوحة رقم ١١٧).





لوحة رقم (١١٧) صف من المثلثات على عارضة خشبية على النافذة ـ الغتامية

د- الأشكال المضلعة :

استخدم النجار الأشكال ذات الأضلاع المربعة في تنفيذ زخارف المنازل في منطقة الدراسة، وهي المعينات والمستطيلات والمربعات، ويلاحظ أن النجار أكثر من استخدام المعينات عن غيرها من الأشكال الرباعية، فتتكرر المعينات بعضها بجانب بعض، وتحاط بإطارات مكررة، كما دمج بعضها مع بعض المثلثات. أما المستطيلات فعلى قلتها فقد شغلت مساحاتها الداخلية بالخطوط المتقاطعة والخطوط المتوازية المحزوزة. أما المربعات فتكاد تكون قليلة جداً، ولكنها تنفذ في أغلب الأحيان في الأجزاء السفلية، خاصة في الزافر، ويكثر بداخلها الأشكال المتكررة من المثلثات والمعينات والخطوط المتوازية وبعض الأوراق النباتية. وتكون هذه الأشكال عادة بين شرائط متكررة كما أن أضلاع هذه الأشكال غير منتظمة الزوايا في بعض الأحيان، (اللوحات رقم ١١٨)



لوحة رقم (١١٨) زخارف هندسية ذات أشكال مضلعة - قرية العقاربة



لوحة رقم (١١٩) عناصر هندسية على عُبرٌ نافذة – الجدلان

هـ- الدوائر:

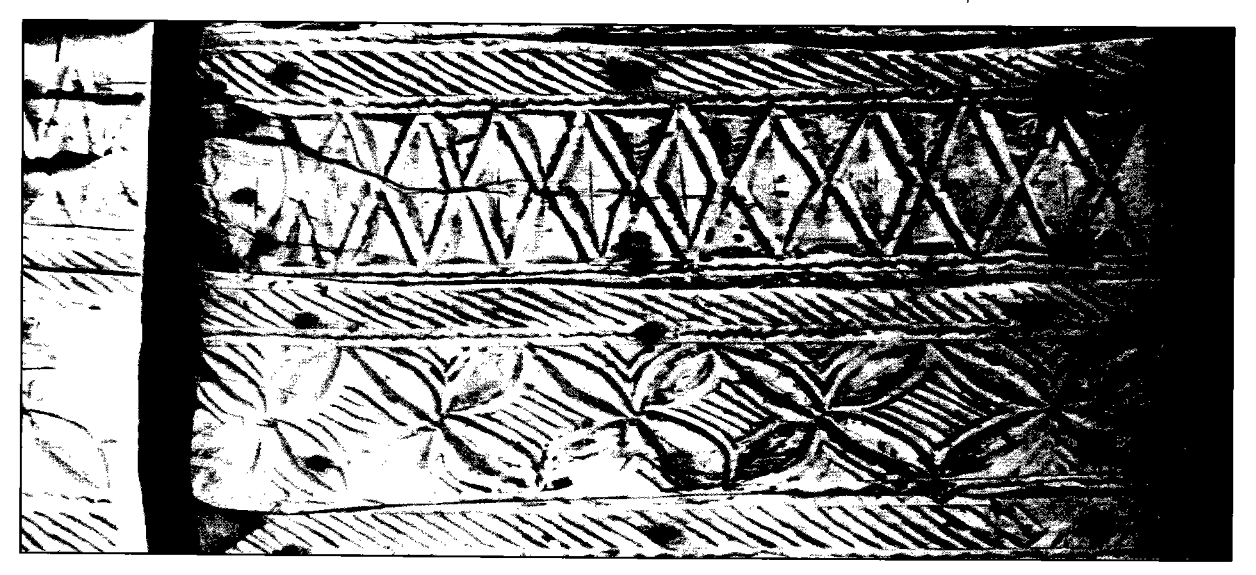
تتعدد الدوائر في الزخارف المنفذة على الأخشاب، فمنها المنتظمة المكررة ومنها الشكل البيضاوي، والمشغولة في داخلها بالمعينات، كما يوجد بداخلها دوائر منتظمة، وفي كلا النوعين شغلت المساحات الداخلية بالحزوز تارة وبالأوراق النباتية تارة أخرى.

٣- العناصرالزخرفية النباتية:

قام الكثير من الحرفيين المحليين في تقليد الطبيعة تقليداً أصلياً فاستخدمت الورقة والثمرة لتكون زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتقابل وتناظر، وأما الغصن والجذع فلم يستخدما ضمن عناصر الزخرفة على الأخشاب، وهذه العناصر لم تخرج عن الاتجاه المألوف في المنطقة في محاكاة الطبيعة. وهي:

أ- الورقة:

اتجه الكثير من النجارين إلى الزخرفة بأوراق اللوز والنخيل والسدر، ونجد هذه الأوراق بعضها بجانب بعض، وهذا أنتج أشكالاً هندسية مختلفة في المساحات الفارغة بين كل ورقة وأخرى، (اللوحات رقم ١٢٠، ١٢١)



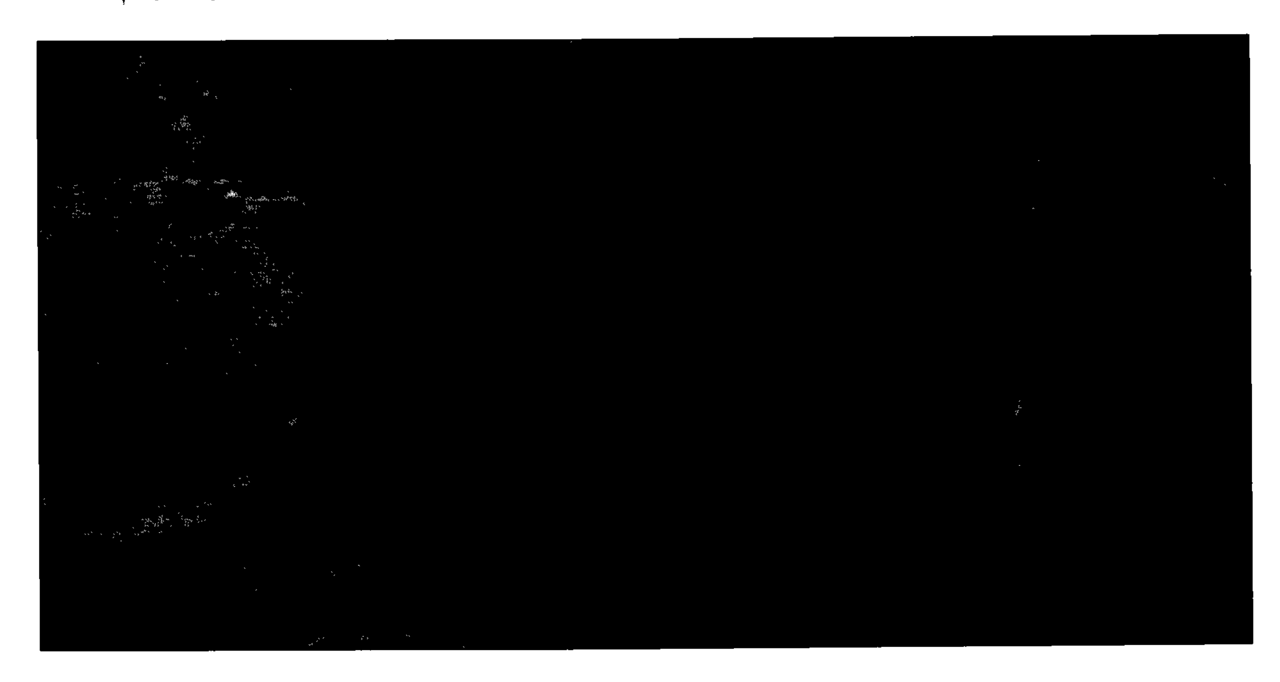
لوحة رقم (١٢٠) زخارف لأوراق نباتية – واجهة باب من الجدلان



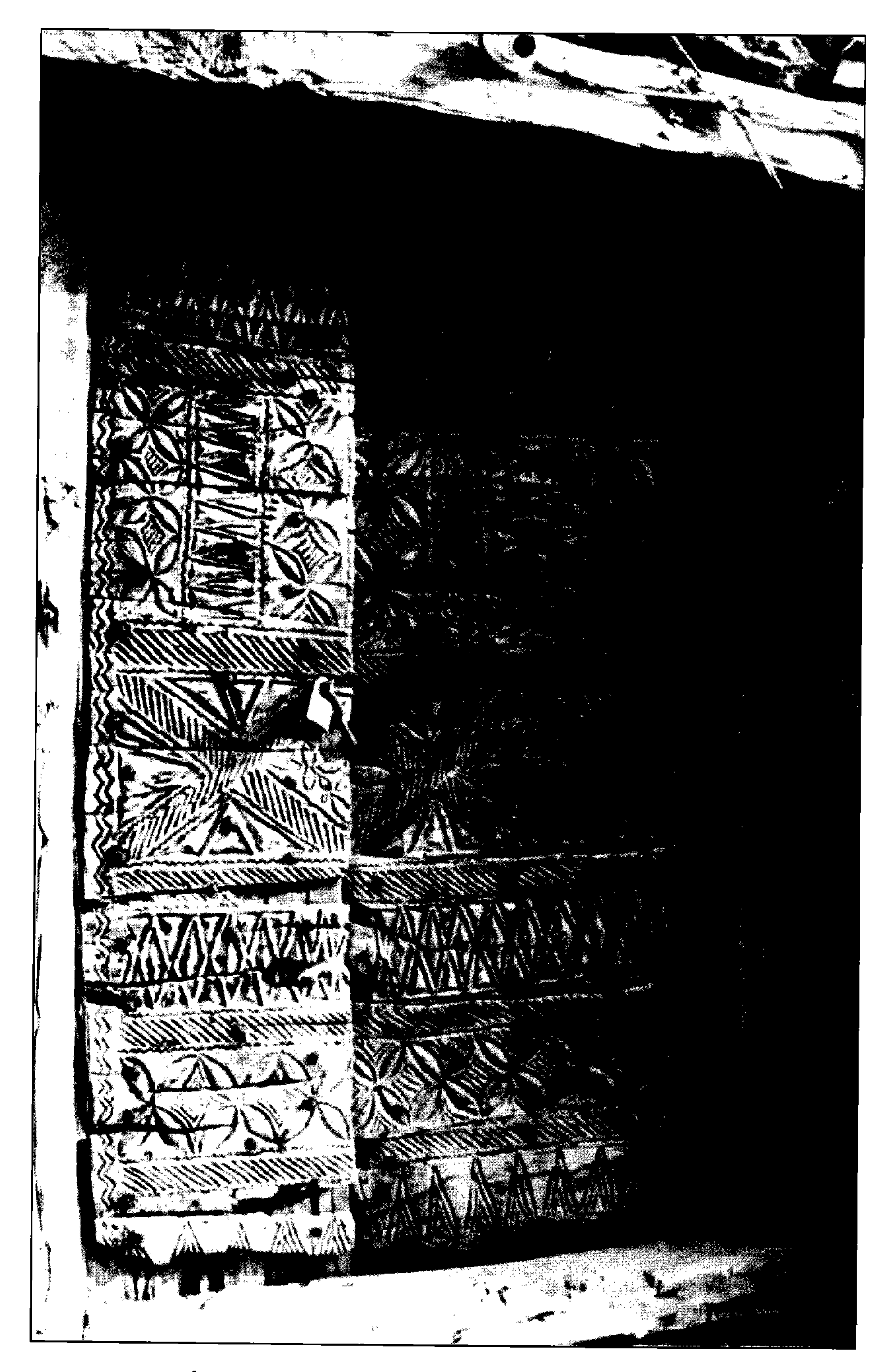
لوحة رقم (١٢١)زخارف نباتية على الزافر

ب- الثمرة:

تبرز بشكل ملحوظ بعض الثمار المنفذة على الأخشاب، وهي ثمار اللوز، وذلك لكثرة أشجار هذه الثمار في منطقة الباحة، وهذا ما جعل الحرفي يقوم بتنفيذها لتكون زخارف على الأخشاب. كما وجد بعض ثمار الأزهار منفذة على بعض الزفر والأبواب والنوافذ، (لوحة رقم ١٢٢).



لوحة رقم (١٢٢) زخارف لثمار بعض النبات ـ الجدلان



لوحة رقم (١٢٣) زخارف متنوعة منفذة على أحد الأبواب

بالإضافة إلى استخدام بعض الشعارات الأخرى، كشعار السيفين والنخلة، والتي نفذت على واجهات الأبواب والزُفُرٌ لتعكس الأصالة والترحيب بالقادم من خارج المنزل.

وكما أسلفنا فان الزفر والأبواب والنوافذ تعد من أهم الأماكن التي تنفذ عليها العناصر الزخرفية. وتبدأ زخرفة الزافر من القاعدة بشريط عرضي بداخله خطوط عرضية مائلة ثم مثلثات متجانبة ومتكررة، ثم شريط عرضي بعرض العمود، يحتوي على خطوط عرضية مائلة ثم يليها زخارف هندسية ذات شكل دائري بداخلها أشكال متكررة ومتقابلة، وتتكرر هذه الزخرفة بعرض الزافر، ثم يتكرر الشريط الزخرفي بعد كل وحدة زخرفية حتى الوصول إلى التاج الذي تكثر فيه الزخرفة، وتتمازج هذه الزخارف مع الزخارف النباتية محصورة بين أشكال هندسية متنوعة.

لوحة رقم (١٢٤) زخارف منفذة على الأخشاب

أما زخرفة الأبواب والنوافذ فتبدأ من الخارج بشريط من المثلثات أو الخطوط المائلة التي تكون بينها والدوائر والمثلثات في وحدة زخرفية واحدة تشمل أكثر من عنصر زخرفي، وتقوم تلك الزخارف بالتبادل بين عناصرها حول عُبر الأبواب والنوافذ. وأحياناً نجد أنها عبارة عن مثلثات محصورة بين الخطوط المائلة فضلاً عن الوحدة الواحدة التي تمثل نمطاً زخرفياً واحداً يمثل المحتوى البيئي.

ونفذت هذه الزخارف بالحفر الغائر والبارز. كما لم تخل بعض الرصان في المنازل من اللمسات الفنية بتلك العناصر بشكل متقن ومكثف، (لوحة رقم ١٢٣، ١٢٤).

(ب) الزخارف الحجرية

تتمثل الزخرفة الحجرية في وضع أحجار المرو الأبيض (الكوارتز) بين أحجار البناء في السطح العلوي للمنازل والحصون، والذي أشرنا إليه بـ الجون. وقد تمثلت تلك الزخارف في الأشكال الهندسية من المثلثات والدوائر والاشرطة المتوازية التي بدأ تأثيرها الفني واضحاً في الزخرفة والتشكيل المعماري. وقد اهتم المعمار المحلي بالأشكال الهندسية خاصة بتكوين مبتكر يتولد منه اشتباكات الزوايا ومزاوجة الأشكال الهندسية. وتعبّرهذه الزخارف عن الحالة الاجتماعية لصاحب المنزل أو الحصن. كما أن هذه الزخرفة الحجرية تعتبر عنصراً دفاعياً تتمثل في هيئة أشكال آدمية خاصة في زوايا المبنى، ويتم تنفيذ الزخارف على الأحجار بأساليب معينة ومنتشرة في المنطقة.

١- أسلوب الزخرفة:

هناك أسلوبان تنفذ بها الزخارف الحجرية. ويتمثل الأول في أسلوب التثبيت، والثاني في الحفر، بشقيهما، وهي أساليب متعارف عليها لدى الحرفيين المحليين في المنطقة بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص، وهذه الأساليب يمكن إيجازها على النحو التالي :

أ- التثبيت:

يعتبر أسلوب التثبيت من أكثر الأساليب استخداماً في تنفيذ الزخرفة الحجرية لكونه سهلاً ويعطي مرونة في عملية البناء، فهو يعتمد على تثبيت أحجار المرو الأبيض بين أحجار البناء الأصلية بواسطة الأدوات المخصصة لذلك والتي أشرت اليها سابقاً، كما يتم بهذا الأسلوب تثبيت الغمائم والعبر للأبواب والنوافذ والبروج الحربية لتكون عنصراً زخرفياً في المنازل والحصون.

ب- الحفر:

وهي العملية المتعارف عليها في حفر عناصر زخرفية على واجهات الأحجار المستخدمة في البناء أو على غمائم الأبواب والنوافذ وكذلك العبر، وتتطلب علمية الحفر دقة من البنّاء في تنفيذ العنصر سواء كان كتابياً أو حياً أوشكلاً هندسياً.

على الرغم من قلة العناصر الزخرفية المنفذة على الأحجار فقد أستطعنا حصر هذه العناصر في وادي بيدة في عناصر هندسية فقط. ولأن عملية الزخرفة الحجرية تعتمد على الأحجار وتثبيتها فمن الصعوبة بمكان تنفيذ عناصر نباتية ، ولذلك لم تنفذ عناصر نباتية في المنطقة مقارنة بالعناصر الهندسية. ويمكن عرض هذه العناصر على النحو التالي:

١- العناصرالزخرفية الهندسية:

لقد كان لوادي بيدة زخارف متنوعة من هذه الزخارف، تمثلت في الأشرطة الطولية الممتدة على جوانب المبنى والمثلثات المتناسقة، والدوائر،والأشكال الهرمية. وقد نفذت الأشكال السابقة باستخدام المرو الأبيض، وقد شكلت هذه الزخارف منظراً جذاباً من الخارج، خاصة أعالي المباني السكنية أو الحصون الحربية أوالحصون الزراعية. وقد كان لتلك الأشكال الزخرفية بهذه الأنواع من الأحجار أهمية خاصة في تضليل العدو حين تكون الرماية على المنزل أو الحصن، إذ يخيل إلى الناظر إليها من مسافة بعيدة أنها رجل واقف. وهذه الأشكال على النحو التالي:

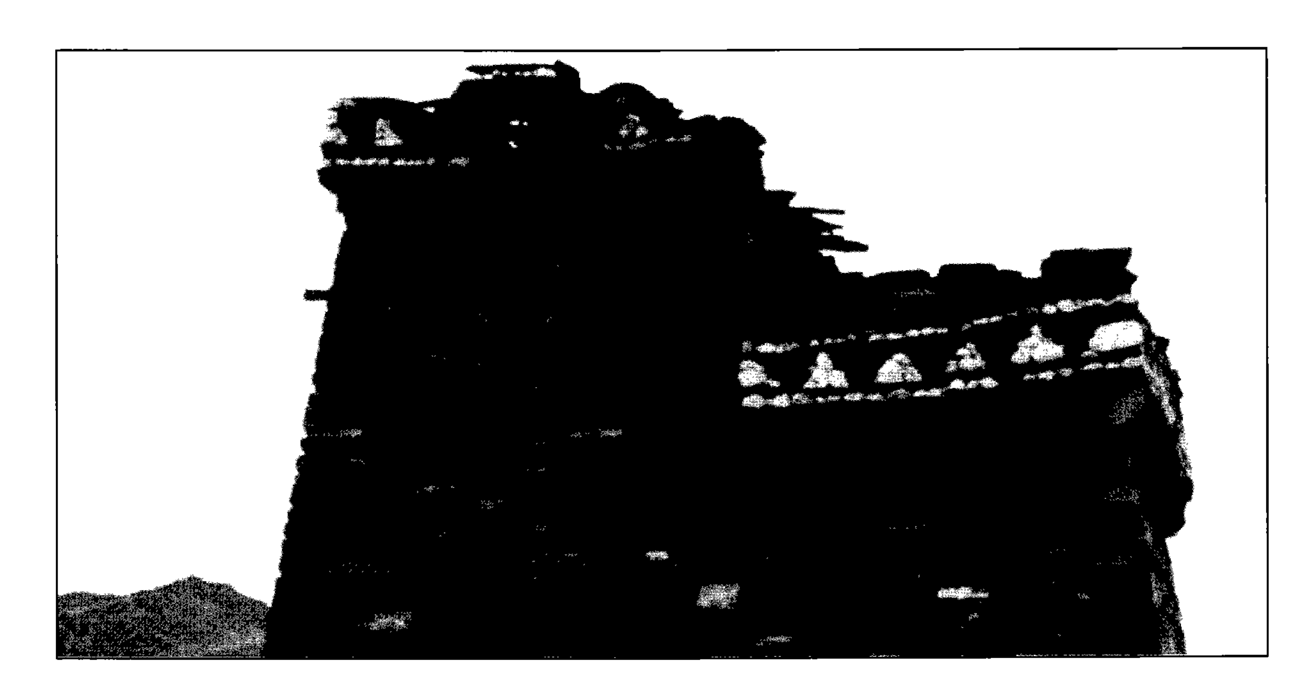
١- الأشرطة:

تعتبر الأشرطة الزخرفية المكونة من أحجار المرو الابيض من أبرز سمات العناصر الهندسية، خاصة على الجون في المنازل والحصون، وتختلف هذه الأشرطة من مكان إلى آخر حسب المبنى والمكانة الاجتماعية لصاحب المنشأة. ونجد أن هناك ثلاثة أنواع من الأشرطة، النوع الاول: شريط علوي وشريط سفلي، النوع الثاني: شريطان سفليان وشريط واحد علوي، والنوع الثالث:

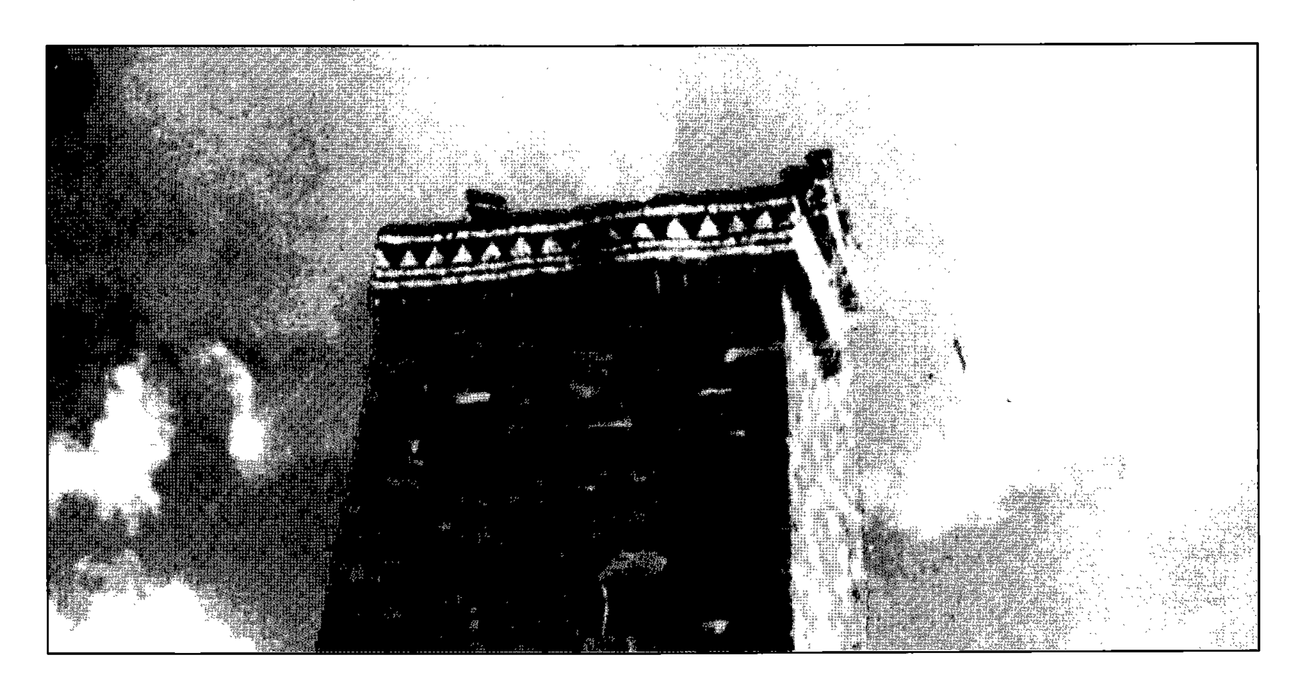
شريطان سفليان وشريطان علويان، وفي كل الأنواع يفصل بين الأشرطة السفلية والعلوية مثلثات من المرو الأبيض على هئية صف واحد. وزيادة ونقصان عدد هذه الأشرطة الزخرفية حول الجون يخضع لاعتبارات اجتماعية فكلما زادت المكانة الاجتماعية لصاحب المنشأة زاد عدد الأشرطة وتفنن البناء في تنفيذها، بقدر ما يملك من خبرة ودراية في هذا المجال. وكلما قلت المكانة الاجتماعية والحالة المادية قلت الأشرطة، وقد يكتفى بشريط واحد يوضع بشكل عادي من دون تفنن في الزخرفة، (اللوحات رقم ١٢٥، ١٢٦).

٢ـ المثلثات:

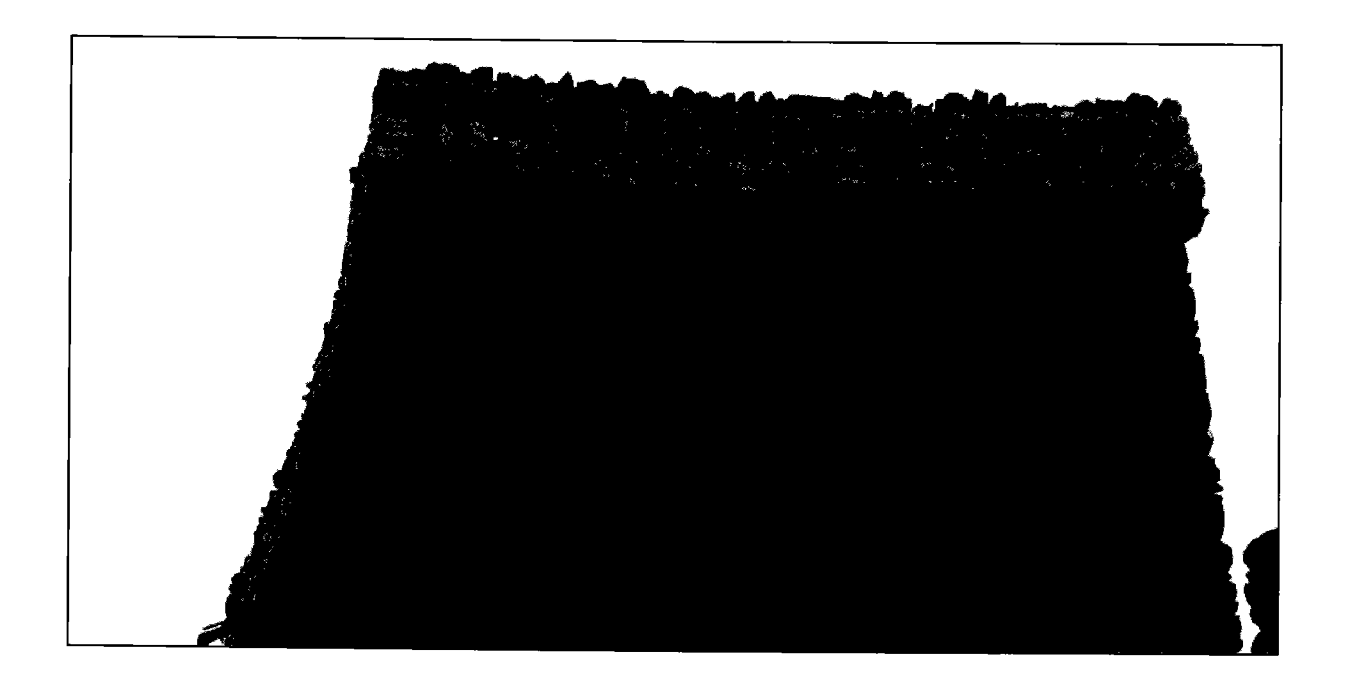
تعتبرالمثلثات في مقدمة الأشكال الهندسية المنفذة على الأحجار، وهي تقوم على تنفيذ مثلثات مصفوفة متناسقة محصورة بين الأشرطة الزخرفية، وبين كل مثلث وآخر مساحة ملئت بأحجار البناء الأصلية، لتمثل شكلاً زخرفياً رائعاً، كما تحاط هذه المثلثات بألواح حجرية حول الأضلاع الثلاثة لكل مثلث زيادة في الزخرفة. وهذه المثلثات قد تلتصق في رؤوسها مع الشريط العلوي، وقد تفصل رؤوسها عن الأشرطة بأحجار البناء الاصلية، (اللوحات رقم ١٢٧، ١٢٨).



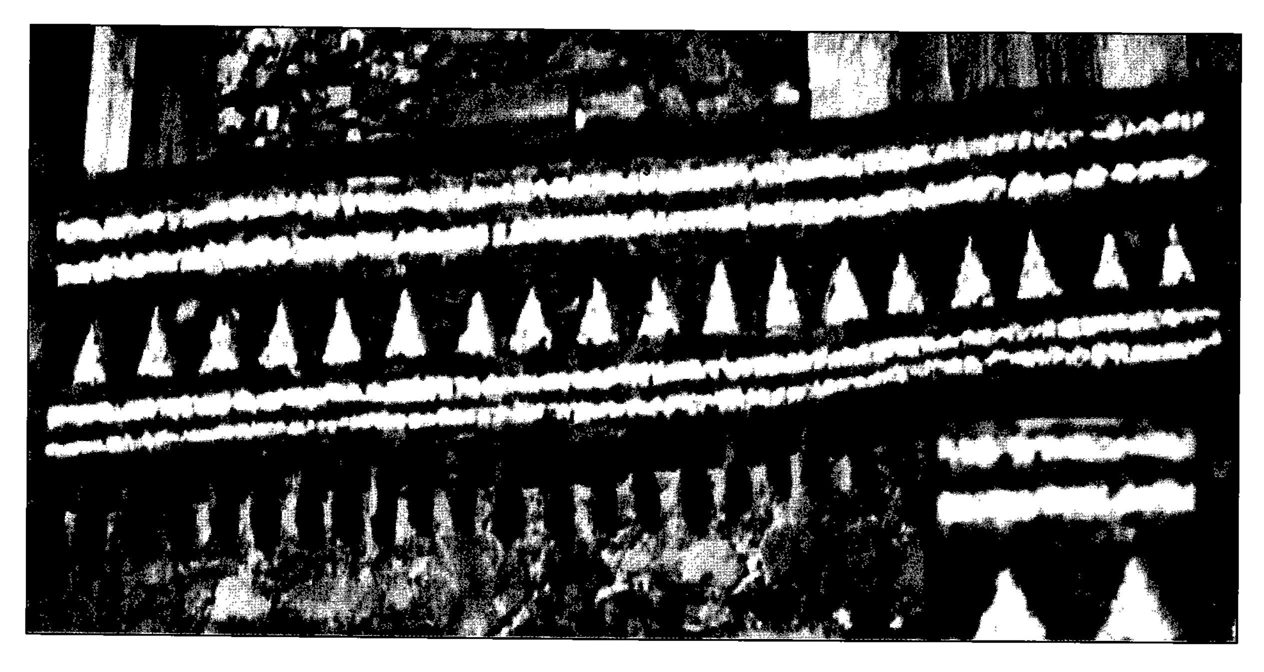
لوحة رقم (١٢٥) أشرطة من المرو الأبيض – حصن الحازم الأعلى



لوحة رقم (١٢٦) أشرطة من المرو الأبيض – حصن الشملي



لوحة رقم (١٢٧) صف من المثلثات – حصن الغتامية



لوحة (١٢٨) صف من المثلثات المحاطة بألواح حجرية ـ منزل من الجدلان

٣- الهرميات:

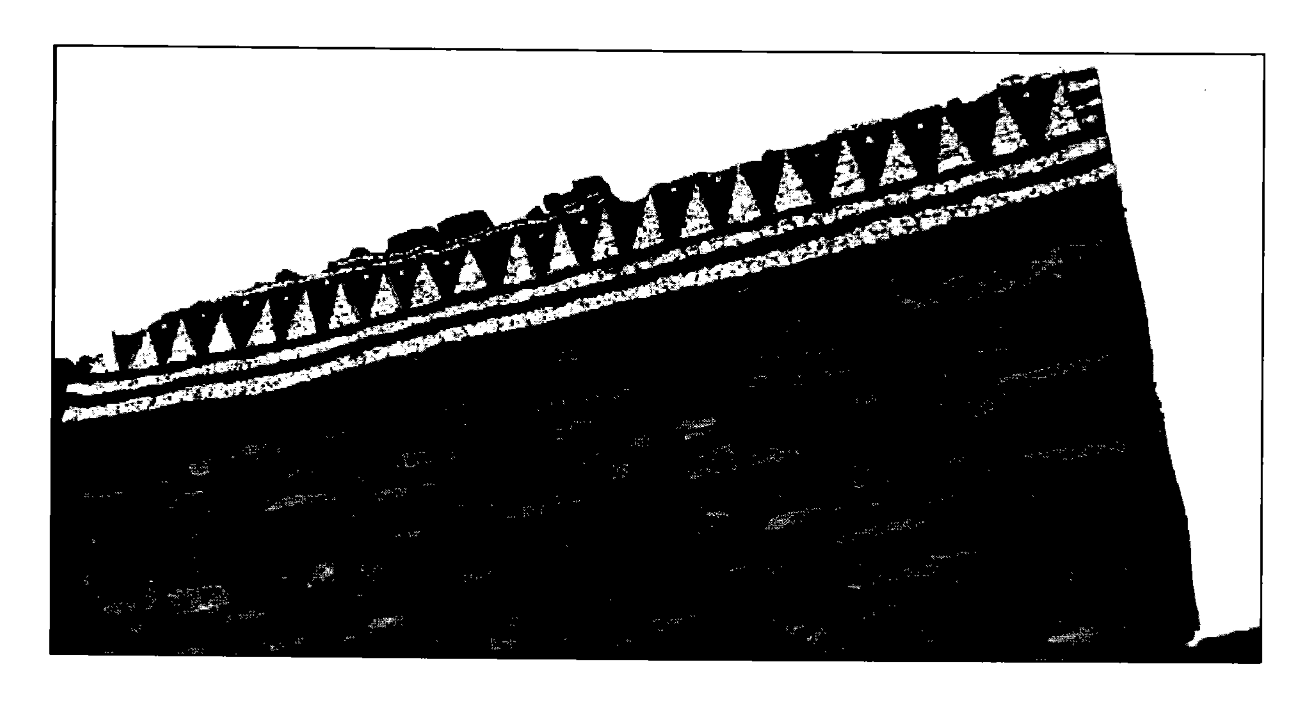
الشكل الهرمي الذي يقوم البنّاء بوضعه في أركان المنزل أو الحصن، وهو عبارة عن كتلة من الأحجار البيضاء ترص فوق بعضها بشكل هرمي، وقد تكون من أحجار البناء الأصلية وتوضع عليها مروة بيضاء في الرأس زيادة في تضليل العدو. وكما أسلفنا إن وجود الأشكال هنا زخرفة للمبنى من جهة ومن جهة أخرى للاختباء خلفها في أثناء الرماية، (لوحة رقم ١٢٩).

٤- الدوائر:

تنفذ الدوائر بأحجار المرو الأبيض بعد عملية التشذيب للمرو ليأخذ الشكل الدائري، ويوضع بين المثلثات المصفوفه خاصة بجانب الرؤوس، وقد يعمد البنّاء إلى تجميع كمية من أحجار المرو الأبيض على شكل دائرة بين المثلثات. وتعتبر هذه الدوائر ذات أهمية في إبراز المكانة الاجتماعية لصاحب المنشأة، كما أنها تعتبر من الأعمال الاحترافية التي يقوم بها البنّاء ومساعدوه، (لوحة رقم ١٣٠).



لوحة (١٢٩) أشكال الهرميات ـ الجدلان



لوحة (١٣٠) دوائر بين المثلثات - الحضيري

ثانياً - الرسوم الصخرية:

لعبت الرسوم الصخرية في المملكة دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية للسكان البدائيين، خاصة في إعادة تنظيم حضارات ماقبل التاريخ، وذلك لأنها تعبر عن الثقافات ونشاطات الإنسان في مختلف العصور[1]. ومن خلال المسوحات التي قمنا بها في وادي بيدة تبين أن هناك فقراً واضحاً في الرسوم الصخرية بشكل عام، مقارنة ببعض المواقع المنتشرة فيها الرسوم في أجزاء متفرقة من المملكة.

وقد وجدنا أيضاً بعض الرسوم التي نفذت على واجهات الأحجار المستخدمة في بناء المنازل والحصون، قد نفذت هذه الرسوم بطريقة النقش، وهي تمثل في مجملها مناظر للصيد أو المعارك، بالإضافة إلى بعض الوسوم التي تعتبر علامات للتملك، كما كشفت الدراسة عن ثلاثة نقوش حجرية: أثنين منها تتعلق بطلب المغفرة والثالث نقش تأسيسي، وهي تعد قليلة مقارنة بما كان منتشراً في منطقة الدراسة من نقوش تعرضت للسرقة خلال السنوات الماضية. وقد تم تصنيف هذه الرسوم الصخرية إلى رسوم حية، ووسوم، ثم نقوش صخرية، وهي على النحو التالي:

(أ)- الرسوم الحية:

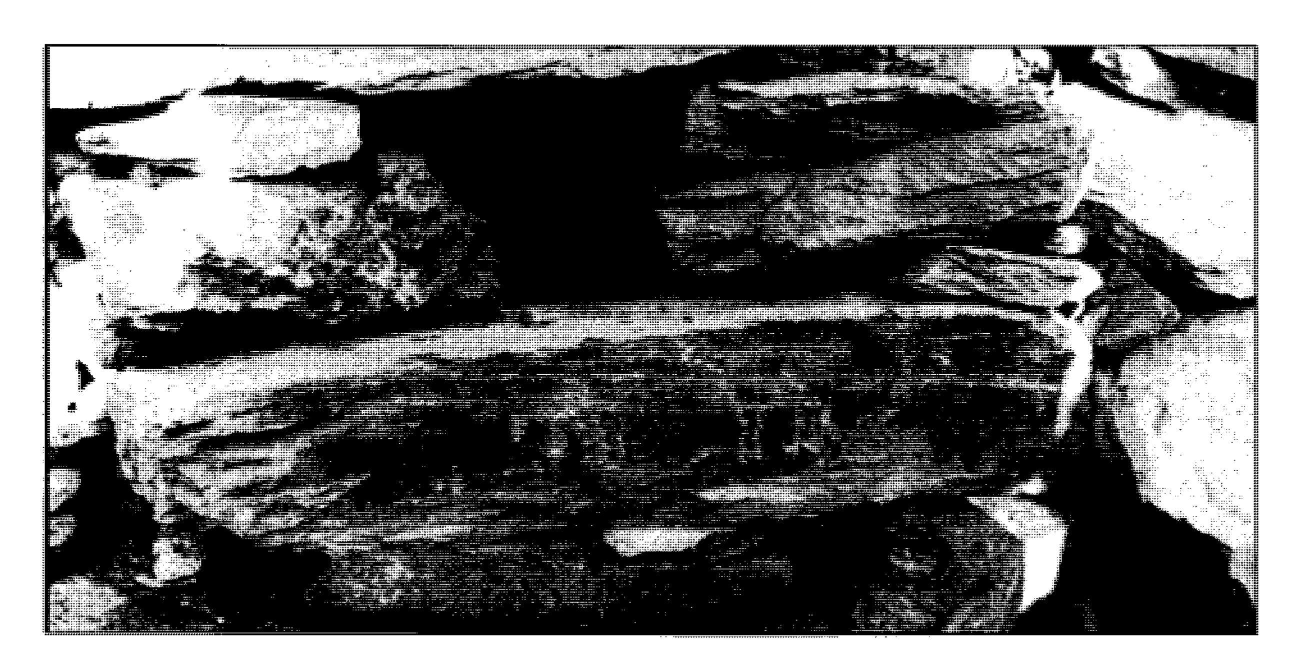
وجدت مجموعة من الرسوم على بعض واجهات الأحجار المستخدمة في البناء. وهذه الرسوم تمثل في مجملها مناظر للحيوانات، فالإنسان العربي في مختلف العصور أراد أن يعبر عما يعيشه في حياته، فالحيوانات مثل الخيول والوعول والأبقار والماعز، وغيرها من المناظر الحية، كانت جزءاً من الحياة المألوفة لدى الإنسان، لذا عبر عنها بالرسم المتاح على الأحجار والصخور، وهذا ثابت وملموس في كل أنحاء الجزيرة العربية والبلاد المجاورة. وتتمثل تلك الرسوم الحية التي عُثر عليها في منطقة الدراسة فيما يلي:-

---

(١) خان، مجيد. الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية. الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٤٧.



لوحة (١٣١) خيول من نبهان



لوحة (١٣٢) خيول في حصن العقاربة

١- الخيول:

يظهر العديد من رسوم الخيول في مجموعة واحدة، وهي تعبر عن الصيد أو المعارك، كما يظهر ذلك في حصون قرية نبهان وحصون القرية الحمراء، أو نجدها منفردة رسمت وحدها كما يظهر ذلك في مدخل حصن العمودي، وبعض واجهات حصن العقاربة، ومنازل حلايل، ومدخل حصن الوقرة، وبعض واجهات حصن الشهابي، (لوحة رقم ١٣١، ١٣٢).

٢- الوعول:

عثر على مناظر قليلة لرسم الوعل، ولكنها تبدو مفردة، ويندر وجود مجموعة من الوعول في مكان واحد، وقد يعود ذلك إلى قلة هذا النوع من الحيوانات في المنطقة بشكل عام، وظهر رسم الوعل بقرون طويلة على بعض أحجار البناء في حصن نبهان، وكذلك على بعض واجهات أحجار حصون الوقرة.

(ب) - الوسوم:

جاء في لسان العرب "الوسم الكي والجمع وسوم، ووسمه وسماً أثر فيه واتسم الرجل إذا جعل لنفسه سمة يعرف بها"[(١)] والوسوم علامات للهوية والانتماء، كما تدل على الملكية تدمغ على أجساد الحيوانات، خاصة الجمال والخيول والأبقار. كما توجد الوسوم منقوشة على الصخور قرب الوديان والكهوف والجبال، كما أنها تعتبر جزءاً من وسائل الاتصال بين أفراد الجماعات الواحدة تبين مكان وصولهم وتحركاتهم[(٢)].

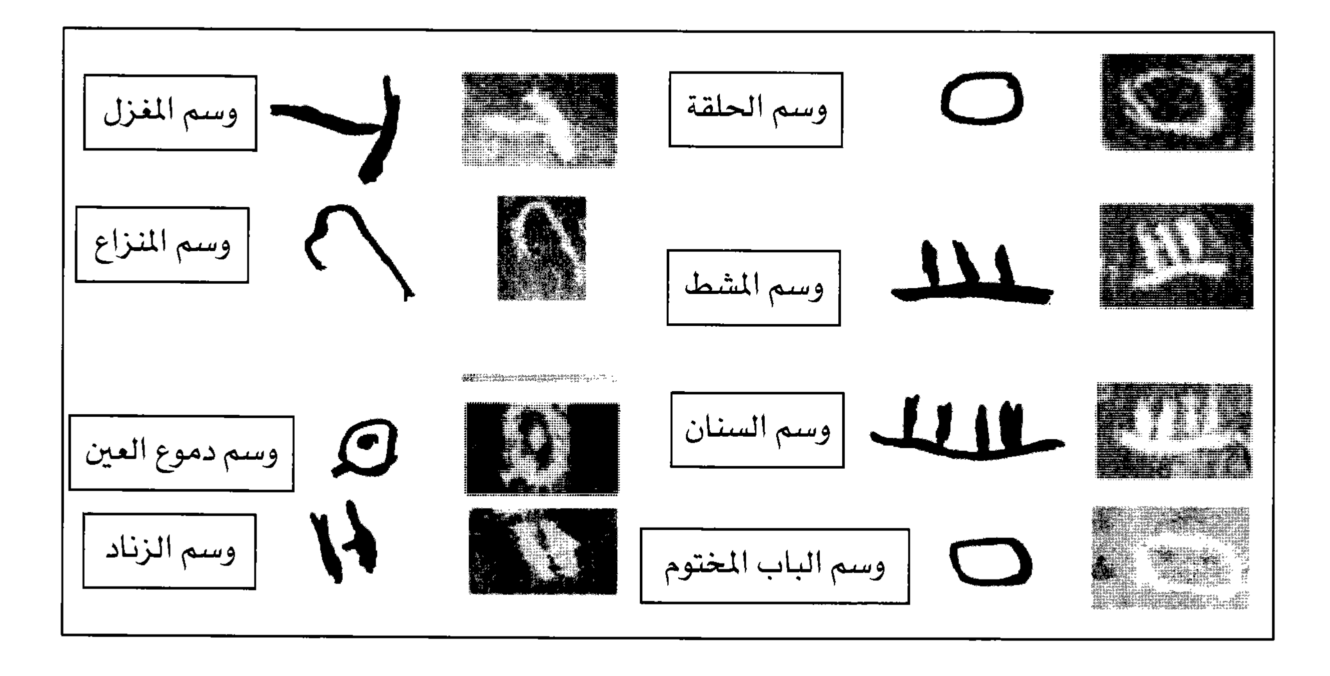
---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، مج ١٢، ص٦٣٥.

(٢) خان، مجيد حسن. الوسوم الرموز القبلية في المملكة العربية السعودية. ترجمة عبدالرحمن الزهراني. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠، ص١.



لوحة (١٣٣) مجموعة من الوسوم على إحدى الصخور جنوب قرية دهمة



وفي وادي بيدة تنتشر هذه الوسوم بكثرة، خاصة على واجهات الأحجار، سواء المستخدمة في البناء أو القريبة من القرى أو الآبار أو المزارع. وقد تم العثور على أشكال متعددة منها، وهي تمثل حدوداً لحمى القبائل وأماكن الاحتطاب. ولا يستبعد أنها كانت تشكل وسيلة اتصال بين القوافل التجارية، خاصة أن المنطقة تقع على الطريق المعروف بدرب القوافل. الجدير بالذكر أنه ليس هناك شكل معين للوسم فقد يكون هناك بعض الاختلافات البسيطة في نقش الوسم الواحد في أماكن متعددة، وهذه الوسوم نوردها حسب ترتيبها الهجائي على النحو التالي:

١- الباب المختوم:

عبارة عن شكل مربع أو مستطيل، وجد هذا الوسم على صخرة في الجهة الغربية من معشوقة جنوب قرية دهمة. بالإضافة إلى انتشاره في أماكن كثيرة من المملكة في حائل ونجران[1]، (لوحة رقم ١٣٣).

٢- الحلقة:

هي دائرة مغلقة تشبه الحرف الإنجليزي(O) [2] وقد تكون بيضاوية الشكل، وليس هناك صيغة معينة لرسمها لذا قد تأتي غير منتظمة في بعض الأحيان. ويكثر استخدام هذا الوسم في أجزاء متفرقة من منطقة الدراسة ومنها: على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة، مقرونة ببعض الوسوم الأخرى، بالإضافة إلى مدخل حصن الزربة، وحصن الشهابي، وغمامة مدخل حصن العمودي، كما ينتشر هذا الوسم بكثرة في أجزاء متعددة في المملكة[3].

---

(١)المرجع السابق، ص٦٨.

(٢) الجودي، صالح غازي. وسم الإبل عند بعض القبائل. سلسلة كتاب الرياض .العدد الرابع عشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ص١٧٦.

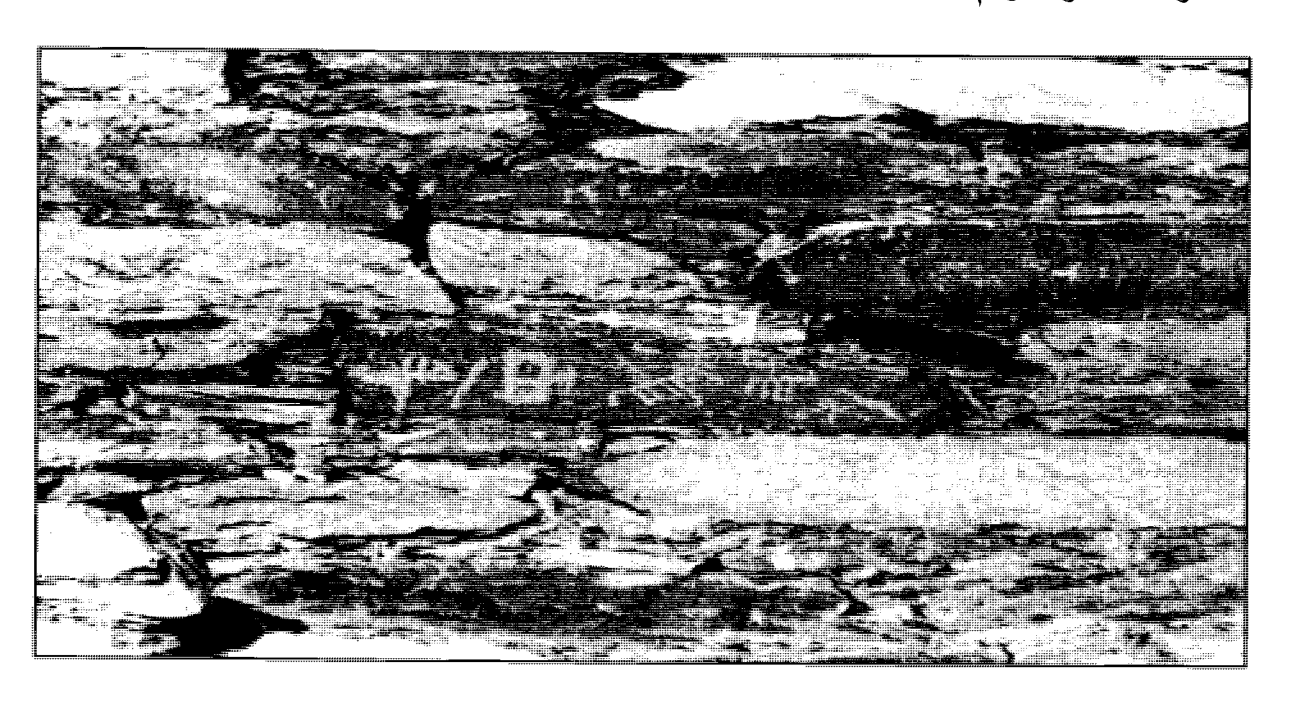
(٣) خان، ص٤٨.

٣- دموع العين:

عبارة عن حلقة دائرية فيها نقطة في المنتصف وحول حدود الحلقة خطان متقاربان قصيران[١]. وجد على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة، بالإضافة إلى أماكن أخرى من المملكة خاصة في جبال عفيف[٢].

٤- الربابة:

عبارة عن شكل مربع يخرج منه خط أفقي جهة اليمين[٣]. وجد هذا الوسم بجانب مدخل حصن مشرف وحصن الشملي. بالإضافة إلى أماكن أخرى من الممكلة مثل جبل الكفو في مكة المكرمة[٤]، (لوحة رقم ١٣٤).



لوحة (١٣٤) وسم الربابة على مدخل حصن الشملي

(١) المرجع السابق، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٩.

٥- الزناد:

عبارة عن خطين مستقيمين متصلين بخط في المنتصف يشبه الحرف الإنجليزي(H)[(١)]، عثر على هذا الوسم على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة. بالإضافة إلى انتشاره بشكل واسع في أنحاء المملكة مثل حائل وبيشة ونجران[(٢)].

٦- السنان:

وهو خط أفقي وأربعة خطوط عمودية يشبه هذا الوسم الأسنان. وقد وجد هذا الوسم على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة، بالإضافة إلى أماكن كثيرة من المملكة مثل القريات وسكاكا[(٣)].

٧- الشعب والحلقة والمطرق:

شكل مركب يشبه الرقم (٨) مزود بحلقتين من الجوانب وخط فوق كل حلقة وخط متصل بالشكل السابق بوضع مائل[(٤)]. وجد هذا الوسم على غمامة مدخل حصن الرقبان وقد نحت نحتاً غائراً على الواجهة. ولم نجد مثيلاً لهذا الوسم في المراجع المتاحة (لوحة رقم ١٣٠)

٨- الشمس:

حلقة تنطلق من حوافها أربعة خطوط أفقية متقابلة[(٥)]، وعثر على هذا الوسم في بعض أحجار منازل قرية حلايل في معشوقة. ولم نجد مثيلاً لهذا الوسم في المراجع المتاحة، (لوحة رقم ١٣٦).

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص١٠٧، ١٠١.

(٣) الجودي، ص ٨٢.

(٤) مصدر التسمية: المقابلة الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية.

(٥) المصدر السابق.



لوحة (١٣٥) وسم الشعب والحلقة والمطرق على مدخل حصن الرقبان



لوحة (١٣٦) وسم الشمس

٩- المشط:

عبارة عن خط أفقي وثلاثة خطوط عمودية[١]، وربما اشتق هذا الرسم من شكل مشط الحراثة. وقد وجد على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة، بالإضافة إلى انتشاره في أجزاء كثيرة من المملكة على بعض الصخور في منطقة مكة المكرمة[٢].

١٠- المشعاب:

وهو حلقة دائرية تتصل بخط مستقيم أو عشوائي في بعض الأحيان، وجد هذا الوسم على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة، وفي أماكن كثيرة من منطقة الدراسة، مثل واجهات الأحجار في حصون قرية نبهان، بالإضافة إلى وجوده في بعض المراكز التابعة لمنطقة الباحة في مركز بطاط الذي يعود لقبيلة غامد الزناد[٣]. وربما وجد في هذا المكان لمرور بعض أفراد هذه القبيلة من وادي بيدة عن طريق درب القوافل.

١١- المغزل:

مشتق من شكل المغزل المعروف في غزل الصوف[٤]. وقد وجد هذا الوسم على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة. بالإضافة إلى وجوده في أماكن كثيرة من المملكة، خاصة في منطقة عسير[٥].

١٢- المنزاع:

وهو خط أفقي ذو عكفة في الرأس يشبه في شكله منزاع اللحم. وجد هذا الوسم على الصخرة السابقة جنوب قرية دهمة. بالإضافة إلى مواقع كثيرة من المملكة خاصة في بيشة ونجران والطائف[٦].

---

(١) الجودي، ص٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص٨٠.

(٣) خان، ص ٨٧.

(٤) وهوعبارة عن عصا طولها لايتجاوز٦٠سم تقريباً تشبك مع عصا أخرى في طرفها العلوي، ويحرك بشكل دائري لغزل الصوف.

(٥) الجودي، ص١٠٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٧٦.

١٣- الميزان:

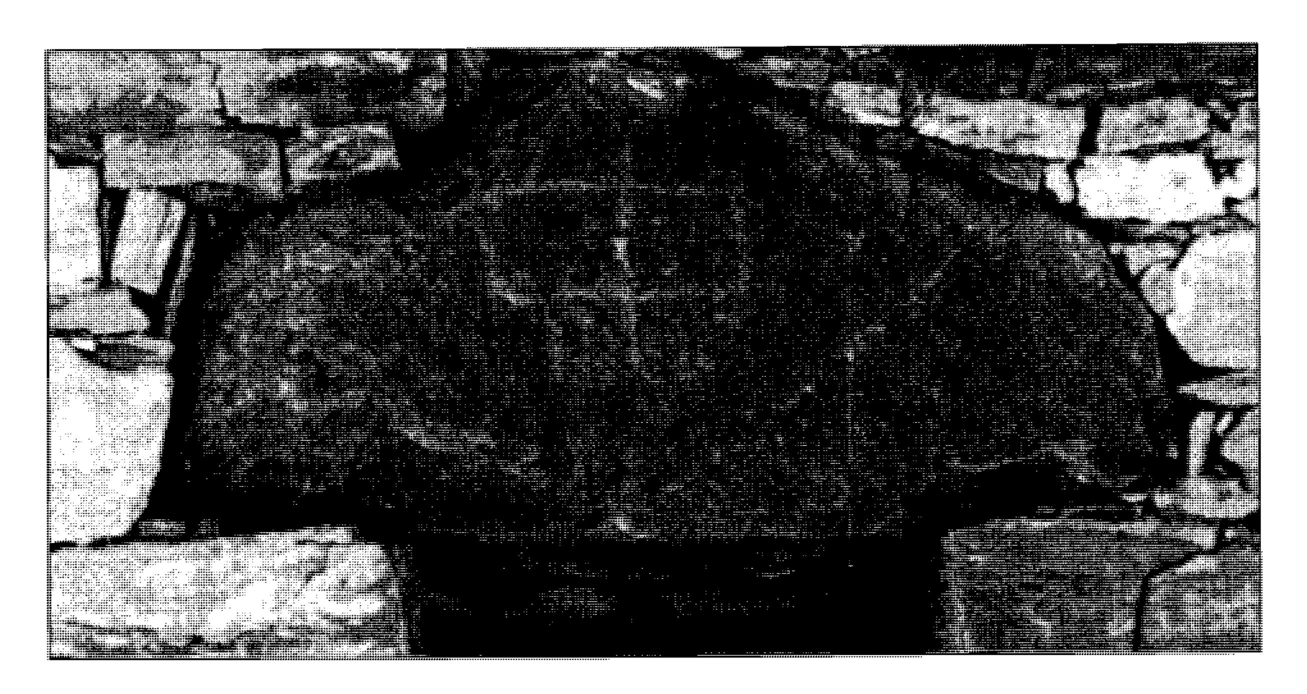
هو عبارة عن شكل مستطيل يقطعه عمود مستقيم يشبه ذراع الميزان (لوحة رقم ١٣٨)(١)، ووجد هذا الوسم على غمامة مدخل حصن الشملي. لم نعثر على مثيل لهذا الوسم في المراجع المتاحة، (لوحة رقم ١٣٧).

١٤- النخلة والحقلتان:

هو عبارة عن شكل نخلة وحلقتين جانبيتين متصلتين بخط أفقي(٢)، ظهر هذا الوسم على غمامة مدخل حصن العمودي. ولم يجد الباحث مثيلاً لهذا الوسم في المراجع المتاحة، (لوحة رقم ١٣٨).

(١) مصدر التسمية: المقابلة الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية.

(٢) المصدر السابق.



لوحة (١٣٧) وسم الميزان على مدخل حصن الشمالي



لوحة (١٣٨) وسم النخلة والحلقتان- حصن العمودي

(ج) النقوش الصخرية:

أدى تعدد الطرق والمسالك بين القرى والمزارع والمراكز الحضارية القديمة، وعلى وجه الخصوص الطريق التجاري القديم، وكذلك طرق الحج المتصلة بساحل تهامة، إلى قيام المحطات والمرافق الخاصة لخدمة المسافرين والمقيمين. وقد تركوا نقوشاً كتابية على الأحجار والواجهات الصخرية، وفرت معلومات مهمة للباحثين، توضح قدم الاستقرار الحضاري في منطقة الباحة بشكل عام، وتؤكد مدى النبوغ الفكري والثقافي بين الناس في العصور الإسلامية المبكرة.

أما وادي بيدة فقد بذلنا جهداً ووقتاً خلال الأعمال الميدانية للحصول على شواهد مكتوبة تفيد موضوع الدراسة. ومن المؤكد أن منطقة الدراسة كانت غنية بالكتابات والنقوش القديمة والإسلامية على غرار المناطق الأخرى المماثلة، ولعل ما يدعو إلى التأكيد على ذلك حجم بقايا الطرق القديمة ومراكز الاستقرار البشري وتقاربه بعضه إلى بعض إلى جانب كثافة المنشآت المعمارية بكل مرافقها من حصون ومساكن وآبار ونحوها، كل هذا يدعو للتأكيد أن وادي بيدة كان يشتمل على كتابات ونقوش ورسوم.

وعلى أية حال فإن الحصيلة التي عثرنا عليها خلال أعمال المسح فيها مادة مفيدة تساعد على إعطاء تواريخ للفترات الزمنية التي شهدتها حضارة المنطقة. ولعل ماعثر عليه من نقوش محدودة بين أنقاض المباني لهو دليل على ثراء المنطقة بالكتابات، ونأمل مستقبلاً للعثور على المزيد من هذه الشواهد الأثرية عندما يتم الشروع في ترميم المباني التراثية والتاريخية القديمة التي تشملها هذه الدراسة. ونستعرض فيما يلي الأمثلة المحدودة من الأحجار المكتوبة التي اطلعنا على تقاريرعنها، أوما شاهدناه خلال المسح الميداني، وهي على النحو التالي:

١- نقش مؤرخ بسنة ٣٠٤هـ

اعتماداً على التقرير الختامي الموثق من مكتب الآثار والمتاحف بمنطقة الباحة[1]، فقد عثر على نقش لم يحدد التقرير عدد الأسطر ولاحجم الكتابة. إنما ورد في التقرر الآتي: (ابتدا بانيه عمارته في... الخميس .. ٣٠٤هـ) ومما يؤسف له أن كاتب التقرير لم يعرض معلومات بالرسم والصورة عن النقش ولم يعط معلومات أكثر عن المنطقة التي عثر فيها على هذا الحجر المكتوب، ونحن لا نشك في صحة المعلومة من حيث الاكتشاف، وكنا نتمنى لو كان في التقرير تفصيل أكثر. ويبدو أن الحجر لم تتم المحافظة عليه سواء بنقله إلى مكان آمن أو المحافظة عليه في مكانه.

٢- النقش رقم : ١

الموقع : معشوقة – قرية نبهان (لوحة رقم ١٣٩)

الوصف

مكان الكتابة: حجر من الجرانيت — **نوع الحز:** بارز

المساحة المكتوبة: ٧٠×٤٠ سم — **متوسط عرض الحز:** ١سم

عدد الأسطر: خمسة اسطر — **نوع الخط :** نسخ

صيغة النقش: إقرار بالمغفرة — **التاريخ المتوقع:** القرن الخامس الهجري

القراءة :

١- بسم الله

٢- الرحمن الر

٣- حيم

٤- غفرالله

٥- لعبد الله

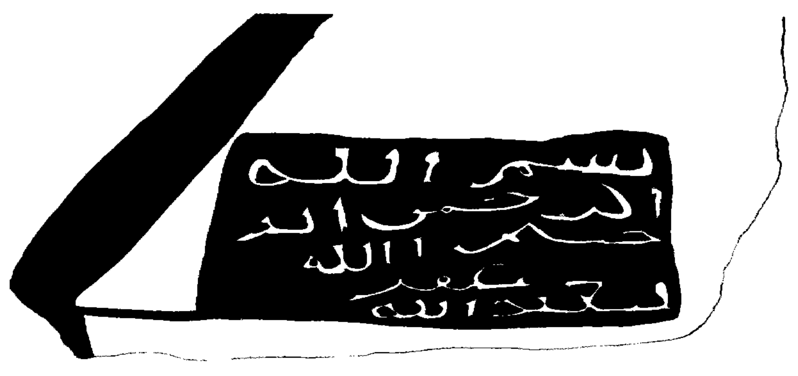
---

(١) تقرير مكتب آثار الباحة لعام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ بالخطاب رقم (بدون) وتاريخ ١٤٠٢/٩/١٢هـ.

التعليق :

وجد هذا النقش بالقرب من أحد المنازل في قرية نبهان، ويبدو أنه جلب من مكان آخر واستخدم مادة بنائية. والنقش ذو واجهة محفورة وبقيت حروف النقش بارزة عن مستوى أرضيته، وهوغير مزخرف وغير مؤرخ. وتبدو المسافات بين الكلمات متناسبة وكذلك بعض الأسطر، وبين السطر الثالث والرابع كتبت (الله) في سطر واحد، وقد تقرأ على أنها (غفرالله) وقد تقرأ أيضاً على أنها(الله غفر) لعبدالله. كما يرد في النقش اسم علم (عبدالله) وهو اسم شائع ودارج استخدامه، وليس بإمكاننا التعرف على صاحب هذا النقش ولا إلى شيء من تاريخ حياته.





لوحة (١٣٩) نقش نبهان

٣- النقش رقم : ٢

الموقع : معشوقة – قرية حلايل (لوحة رقم ١٤٠)

الوصف

مكان الكتابة:	حجرمن الجرانيت	نوع الحز:	غائر
المساحة المكتوبة:	٩٠×٢٥×٩٠سم	متوسط عرض الحز:	١,٥سم
عدد الأسطر:	سطران	نوع الخط :	نسخ
صيغة النقش:	طلب مغفرة	التاريخ المتوقع:	القرن التاسع الهجري

القراءة:

١- اللهم اغفر لمحمد بن يعقو

٢- ب ولولديه

التعليق :

وجد هذا النقش في قرية حلايل بين أحجار متساقطة في منطقة متوسطة بين المنازل، وقد حفرت حروف النقش على الواجهة ويسبق الكتابة رسم خيل مفردة، والنقش منقط غير مزخرف وخال من الحلى المعمارية، ولم يؤرخه كاتبه. ويرد في هذا النقش اسم لعلم وهو(محمد بن يعقوب) ولم نستطع من خلال المصادر والمراجع المتاحة التعرف على صاحب هذا النقش.





لوحة (١٤٠) نقش حلايل

٤- النقش رقم : ٣

الموقع: معشوقة- الوقرة، (لوحة رقم ١٤١)

الوصف

مكان الكتابة:	واجهة حجر من الشست	نوع الحز:	غائر
المساحة المكتوبة:	٩٠×٢٠سم	متوسط عرض الحز:	١سم
عدد الأسطر:	سطر واحد	نوع الخط :	كوفي بسيط
صيغة النقش:	نقش تأسيس	التاريخ المتوقع:	القرن الثاني الهجري

القراءة :

١- هذا محطة الحكم .

التعليق :

وجد هذا النقش في أسفل الجدار الشمالي من حصن الوقرة. غير منقط وغير مزخرف ولايوجد فيه تاريخ. وتقرأ الكلمة الأولى على هذا النحو (هاذا) أي هذا ، والكلمة الثانية كتبت (محطة) أي مكان الإقامة ، وقد بدت لنا الكلمة الأخيرة على أنها (الحكم) ولكن بتمعن أكثر في أشكال حروف الكلمة أو الاسم فقد تقرأ أنها (الحكم بالله) فإذا كانت هذه القراءة صحيحة فتعني قصر الحُكم بالله أو ربما يكون الحصن الذي كان فيه الحجر هو قصر الإمارة ومكان الحُكم.





لوحة (١٤١) نقش الوقرة

الفصل الخامس

الدراسة التحليلية والمقارنة



الدراسة التحليلية والمقارنة

في هذا الفصل سوف نركز الدراسة والتحليل على أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين قرى وادي بيدة من جهة، وبين ما هو خارجها من جهة أخرى، من خلال المنشآت المعمارية، ومواد البناء، والعناصر الزخرفية، والنقوش الصخرية، وذلك على النحو التالي:

١- المنشآت المعمارية

إن تلك الآثار المعمارية المنتشرة في وادي بيدة تمثل حقبة من الزمن تميزت بالنشاط وقوة التحصين والإنتاج في أمور الحياة، سواء كانت للسكن أو للحرب أو للزراعة. أما اليوم فقد تلاشى دورها – إلا ما ندر- وأصبحت معالم تراثية تحكي بصمت ماكان عليه الآباء والأجداد من ماض عريق.

وتعتبر المنازل أهم المنشآت المعمارية في وادي بيدة لكونها مقر الإقامة والاستقبال، ويتضح من العينات التي تم اختيارها في قرية الجدلان، وقرية الغتامية، وقرية معشوقة، أن النظام المتبع في تخطيط منازل تلك القرى اعتمد على عدة معايير، فقد شيدت المنازل بما يلائم الحياة العربية والطبيعة الجغرافية والعادات والتقاليد الإسلامية، وهي من أهم الأسس التي يقوم عليها تصميم المنازل في أي بيئة كانت[1]. وتعتبر من العوامل المؤثرة في تخطيط المنزل. فقد راعى المعمار المحلي مرونة الحركة داخل المنزل مع توفير كامل الخصوصية بفصل وحدات الرجال عن النساء، وكذلك توزيع الغرف في المنزل الواحد بما يتلاءم ووظائفها المناطة بها، بالإضافة إلى توفير مساحات مخصصة لاستقبال الضيوف انطلاقاً من إكرام الضيف وحسن وفادته. كما وجه بطريقة فنية لا

(١) حريري، مجدي محمد عبدالرحمن. أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ١٤٠٩/١٩٨٩م، ص ص ٢٨- ٢٩.

تسمح بكشف المنزل من الشارع العام وحركة المارة، بإيجاد المداخل المنكسرة. كذلك كانت الفتحات والنوافذ المطلة على الخارج مرتفعة لتحجب الناظر خلفها، فضلاً عن مراعاة ذلك مع المؤثرات المناخية بما يوفّر الدفء في فصل الشتاء، وللتخفيف من شدة القيظ في فصل الصيف، مع توفير كامل الإضاءة والتهوية للمنزل. ولم يفت على المعمار أيضاً أن يكون التصميم ملائماً للحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، وذلك بتوفير نقاط اتصال بين السكان، خاصة النساء، يمكن من خلالها التنقل بين المنازل المجاورة من دون الحاجة إلى النزول إلى الشارع العام، وذلك عن طريق الأبواب الداخلية بين المنازل، وقد استغلت تلك الأبواب لتكون منافذ سرية في حالة الحصار أو الهجوم، إضافة إلى وجود عناصر معمارية أخرى مثل الممرات الضيقة بين المنازل لمراقبة ورصد تحركات المهاجمين، فتغلق تلك الممرات بالأبواب الخشبية الثقيلة تفادياً لدخولهم.

والمنازل في جملتها، خاصة في بيدة، لم تخل من لمسات فنية بسيطة تتمثل في نقش واجهات الأبواب والنوافذ والأعمدة بتشكيلات هندسية تسير على خط واحد حافظ عليه من يزاولون حرفة النجارة في المنطقة منذ القدم. وقد كانت البساطة سمة تتميز بها منازل تلك المنطقة، خاصة من الخارج، وذلك تفادياً للرياء والتبذير واجتناباً للتظاهر بالثراء. أما من الداخل فتستقبله الغرف المحفوفة بالزخارف، عند ذلك فقط ومن خلال ما يلاحظ من زخارف وأثاث يمكن الحكم على مكانة صاحب البيت وعلى أوضاعه الاجتماعية. وفي نفس القرية يمكن أن تجد جنباً إلى جنب منزل الفقير ومنزل الغني، بيت القاضي وبيت الحرفي، دار العالم ودار العامل، وقلما تجد تفرقة بين المنازل في القرية الواحدة.

وبنيت بعض المنازل في وادي بيدة على مستوى مرتفع من الوادي، لتكون بمنزلة حصون دفاعية، أو على حافة الجبال للاستفادة من الحافة الجبلية في توفير مخازن ومستودعات، أو في بطون الأودية للقرب من مصادر المياه والأراضي الزراعية .

ومما يلاحظ أن هناك تشاباً ملموساً بين العناصر المعمارية في منازل منطقة الدراسة، كما أن هناك تشابهاً كبيراً في التخطيط الداخلي والواجهات الخارجية والشكل المعماري للمنازل، ويمكن اعتبار هذا النمط سائراً على معظم المنازل في بيدة. أما في معشوقة فيكاد الأمر يختلف إلى حد كبير، إذ يغلب على منازلها وقوعها بين الحصون المرتفعة، إلى جانب صغر مساحتها وخلوها من العناصر المعمارية.

تتكون المنازل في قرية الجدلان من طابقين أو ثلاثة طوابق، وتؤثر حالة صاحب المنزل الاقتصادية في هذا التخطيط. فإذا كان من ذوي الدخل الميسور وملاك المزارع يكون المنزل من ثلاثة طوابق، أما إذا كان من الطبقة المتوسطة فيكتفي بطابقين من البناء. كما أنه من النادر وجود منازل ذات طابق واحد عدا ما يخصص لأغراض أخرى كالمخازن وإيواء الماشية عندما تكون بعيدة عن المنزل. وتعتبر قرية الجدلان مثال جيد للقرى المحصنة، وهي ذات نظام دفاعي بحت ويتمثل ذلك في وجود الرعوش حول أسطح المنازل. وقد كان موقع القرية ذو تأثير بالغ في التخطيط العام للقرية، فبنيت المنازل على مستوى منحدر من الجبل، وذلك للاستفادة من الانحدار في الطابق الأرضي بتوفير مكان لتخزين الحطب والأعلاف وإيواء الماشية، وكذلك لتساهم تلك الصخور في إسناد الجدران في الطوابق العلوية، وتكون بمنزلة جدار مساند للمنزل، إضافة إلى المساهمة في تثبيت عروق السقف بين هذه الصخور مما يزيد في قوة تماسكها، كما أنها تعتبر وسيلة اتصال للطوابق العليا عن طريق استغلال الجهة المقابلة للانحدار الصخري في وجود المداخل لهذا الطابق من هذه الجهات. أما من الجهة الأخرى فهي القوة التحصينية لهذه القرية وهو الأمر الذي أدى إلى عدم وجود حصون بين هذه المنازل؛ لتمركزها على مستوى مرتفع من الوادي.

أما قرية الغتامية فقد أثر موقع القرية على تخطيط منازلها فصارت المنازل ذات ارتفاعات كبيرة، لذا تكثر فيها المنازل ذات الطوابق الثلاثة. ولوقوعها في مستوى منبسط وقربها من طريق القوافل التجارية المعروف بدرب الجمال، فقد قام المعمار ببناء حصنين أحدهما في الركن الجنوبي

الشرقي من القرية والآخر في الركن الشمالي الغربي. كما زيد في عدد الأبواب الداخلية التي تؤدي إلى المنازل المجاورة، وتغلق بالمصاريع الخشبية في حالة عدم استخدامها. وتكون مواقع هذه الأبواب في الحجرات الخاصة بالاستقبال أو في الممرات بين الغرف بعيدة عن الغرف الخاصة، ويمكن أن تكون في المجالس في المنزل الواحد. وقد ساعدت هذه الأبواب في سهولة وسرعة التحرك داخل القرية دون الاضطرار إلى الخروج إلى الشارع العام. وتخضع هذه الأبواب لضوابط بين السكان وعلى رأسها الانحدار الأسري أو ما يسمى عرفاً باللحمة الواحدة، كما يقتضي ذلك الاستئذان قبل الدخول من هذه الأبواب، لكونها منافذ سرية يوصل بها إلى المنازل المجاورة، ومنها إلى الحصون الواقعة في الشمال والجنوب من القرية، وهو نظام أمني متقن، ويعرف كل شخص في القرية مكان تلك الأبواب، وإلى أي الحصنين تؤدي ليسهل الوصول إليها في الوقت المناسب، وعادة تفضي تلك الأبواب إلى داخل الحصن في طابقه الثالث مباشرة لمتابعة المراقبة والرماية في حالة الحروب. أما في أوقات السلم فهي وسيلة من وسائل الترابط الاجتماعي بين السكان في اطمئنان بعضهم على بعض.

وتشير مخططات تلك العينة المختارة في قرية الجدلان وقرية الغتامية إلى تشابه تخطيط المنازل مع التخطيط السائد في الجنوب الغربي من المملكة في منطقة الباحة[1] ومنطقة عسير[2] وفي اليمن[3]. وهو نموذج متعارف عليه اقتبس عن طريق هجرات أبناء المنطقة سواء كانت هجرات للتعليم أو للتجارة، أو لمعرفة حرفة معينة لتساهم في زيادة دخل الأسرة. وهذا التخطيط قديم منذ زمن بعيد، وهو الأسلوب المتبع آنذاك في المنطقة لما يوفر من الاحتياجات الأمنية للإنسان. إلا أن الأمر يختلف تماماً عند مقارنة تلك القريتين السابقتين مع قرى معشوقة، التي يلاحظ بها قلة المنازل في كل قرية واختلاف تخطيطها فهي لاتتعدى في معظم الأحوال غرفتين في كل منزل، بالإضافة

(١) العبودي ، الأنماط المعمارية، ص ص ٦٥- ٧١.

(٢) جريس، غيثان علي. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ص٤٥- ٥٦.

(٣) سعاد ماهر، ج٢، ص٢٩٤.

إلى ابتعاد المنازل عن بعضها، ولا تتوافر فيها الممرات الضيقة والأبواب الداخلية.

ومن الملاحظ أن المعمار قام بتوسيع مساحة الغرف في قرية الجدلان في الطوابق العلوية وهذا يوضح أهمية هذه القرية لأنها كانت مقر مشيخة بني بشير من زهران، إذ يقع بيت الشيخ في الجهة الغربية من القرية وقد اقتضت المصلحة العامة للقبيلة زيادة مساحة الغرف لاستقبال الضيوف ممن يفدون إلى الشيخ في تلك الفترة[1]. كذلك قلة الأماكن المخصصة لإيواء الحيوانات بالقرب من المنازل لإبعاد رائحتها عن ضيوف القرية. بينما نجد أن قرية الغتامية تتسم بصغر مساحة الغرف في الطوابق العلوية بحكم وقوع القرية في بطن الوادي للقرب من المزارع ومصادر المياه، وذلك لتستوعب أكبر عدد من السكان لإنجاح العملية الزراعية التي كانت الدخل الأساسي للسكان، وهذا بدوره أدى إلى كثرة الأماكن المخصصة لإيواء الماشية وتخزين الأعلاف، وكذلك لمراقبة مزارعهم الخاصة.

إن استخدام الفواصل الداخلية من الأحجار بين الغرف في منازل الجدلان والغتامية في الطابق الأرضي ما هو إلا دعامة ترتكز عليها أرضية الطابق العلوي لإقامة الأعمدة عليها. بينما استخدمت الأخشاب من جذوع وفروع أشجار العرعر والسدر والأثل لفصل الغرف في بقية الطوابق العلوية، وذلك لخفتها ولكي لا تأخذ مساحة من الغرف، بالإضافة إلى مساهمة الأخشاب خاصة الألواح منها في تنفيذ بعض العناصر الزخرفية المتنوعة.

كما أن وجود بعض العناصر المعمارية الداخلية في المنازل، مثل الخوة التي تصل من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي، والأبواب الداخلية بين كل منزل وآخر، ماكان إلا لتوفير أسباب الأمن والخصوصية والتزود بالمؤن دون الاضطرار إلى الخروج من المنازل، خاصة في أوقات الحروب أو موسم الشتاء القارس، ولذلك نجد هذه العناصر منتشرة بكثرة في منازل قرية الجدلان وقرية الغتامية، بينما تخلو منازل معشوقة من العنصرين المعماريين السابقين.

---

(١) المقابلة الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية.

أما الواجهات الخارجية لمنازل الجدلان والغتامية والتي تميزت بارتفاع الجدران الخارجية، ووجود الرعوش العلوية حول المنازل على هيئة شرفات علوية، إلى جانب وجود سلالم حجرية وخشبية بين هذه الشرافات واتصالها بالأبواب في الطوابق العلوية، فقد كانت وسيلة لمراقبة المنطقة ومتابعتها. كما استغلت لحماية الأبواب والنوافذ التي تقع تحتها مباشرة من مياه الأمطار وأشعة الشمس. في حين لانرى استخداماً لتلك العناصر في قرى معشوقة، ولعل ذلك يعود إلى وجود تلك المنازل بين الحصون المرتفعة.

إن ضيق الممرات بين المنازل في القريتين السابقتين والذي ساهم في توفير الخصوصية والناحية الدفاعية كان أيضاً سبباً في تجنب استخدام الدرج ذي المساحة الكبيرة. وبذلك زاد استخدام الألواح الحجرية المثبتة في جدران المنازل لتؤدي هذه السلالم إلى مداخل المنازل في الطوابق العلوية، أو أسطح المنازل المجاورة من دون الحاجة إلى تعديل أو توسيع في تلك الممرات والإخلال بتخطيط القرية بشكل عام.

وتأتي عمارة المساجد ثاني أهم المنشآت المعمارية على رغم قلتها في وادي بيدة ، وقد كانت العقيدة الإسلامية هي الدافع الحقيقي للمسلمين على بناء تلك المنشآت الدينية، فقد ذكر الله تبارك وتعالى عمارة المساجد في القرآن الكريم بقوله: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [(١)]

ومن هنا لجأ المسلم إلى عمارة الأرض، وابتكار العمائر الخيرية والدينية التي يزخر بها أرجاء العالم الإسلامي .

لقد كان المسجد مركزاً إدارياً، منه تجيش الجيوش، وفيه تعقد الاجتماعات، وقد أصبح أيضاً المؤسسة التربوية والاجتماعية الأولى، كما كان له تأثير واضح على نمط ترتيب التجمعات السكانية، حين أصبح نقطة ارتكاز المدينة وقلبها الروحي منذ العصور الإسلامية الأولى[(٢)] حتى الوقت الحاضر.

(١) التوبة آية ١٨.

(٢) المساجد في المدن العربية، ص ١٥.

كما يشكل المسجد العنصر الرئيس في تقوية الروابط الاجتماعية والتكامل بين أفراد القرية الواحدة. ويدعم نظام المساجد تدرج الاتصال الجماعي، حيث أن مسجد الحي يعمل على جمع الجيران خمس مرات يومياً لأداء الصلاة، كما أن سكان الحي يلتقون أسبوعياً لأداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة إضافة إلى التسوق وتبادل أطراف الحديث [١].

وفي وادي بيدة –كغيره من المناطق المجاورة- كان المسجد مؤسسة تربوية للتعليم والتهذيب، في وقت لم يكن إنشاء المدارس متيسراً، فكان هذا المكان يوفر الراحة والطمأنينة للمتعلم، خاصة في الفترات التي تكثر فيها الخلافات والنزاعات بين القبائل والقرى. لذلك احتضن المسجد بين أروقته أبناء القرى في تعليمهم القرآن وعلوم الحديث والقراءة والكتابة[٢]. وخير دليل على تلك المهمة التي يؤديها المسجد، أن مسجد قرية اللغاميس - الذي أزيل في الفترة الحالية ليحل محله المسجد الحديث- كان يدرس فيه القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية وبقية العلوم التي كان يحتاج إليها أبناء القرية. وكان معلم المسجد من زبيد، أقام فترة طويلة في المنطقة ينتقل بين القرى المنتشرة في الوادي وفي قرى أخرى في بلاد غامد وزهران لتعليم القراءة والكتابة.

---

(١) النويصر، ص ٥٣.

(٢) يعهد الآباء بأبنائهم الذين تراوح أعمارهم من ٦- ١٢سنة إلى إمام المسجد، أما من زاد عمره على هذه المرحلة فيكلفه أهله رعي الغنم ومزاولة أعمال الفلاحة التي هي مصدر رزقهم طوال العام، أما الفتيات فكان تعليمهن أمراً نادراً، وربما خلت منه قرى بكاملها. ويتعلم أبناء القرية في هذه الفترة من أعمارهم القرآن الكريم ومبادئ الفقه، بالإضافة إلى تعلم الكتابة بطريقة نسخ دروسهم من المصحف من دون معرفة القواعد الخطية والإملائية لأنها أجدى واقرب للحفظة. وكان يطلق على هذه الحلقة (المعلامة) وعلى الطلاب (القرّاية)كما كان يطلق على معلمهم (الفقيه)، وهو في الغالب إمام وخطيب مسجد القرية الذي يخاطبه تلاميذه بلفظ (سيدي)، ومن كان من هؤلاء المعلمين غنياً لا يتقاضى أجراً على عمله، أما من كان فقيراً منهم فيحمل إليه أولياء الأمور ما تجود به أنفسهم أيام قطف الثمار وحصاد الحبوب والفواكه. أما وسائل الكتابة فكانت اللوح وقلم الحبر، وهي متوافرة في الطبيعية. فاللوح يؤخذ من الأخشاب الخفيفة ويكون تقريباً بطول ٢٥سم وعرض ١٥سم، أما القلم فيؤخذ من سيقان بعض النباتات المنتشرة في المنطقة، والحبر من الدخان المتلاصق على الأسقف مع إضافة الملح والماء، وأحياناً أخرى إضافة بعض الصبغات من بعض الأقمشة السوداء التي يطلق عليها (الشيال) لإكسابه اللون الأسود. وقد كان لزاماً على المعلم أن يعلم طلابه كيفية صنع تلك الأدوات. وتستمر مرحلة الدراسة حتى يبلغ الطالب مستوى جيداً يراه المعلم، وبعد هذه المرحلة إذا أراد الطالب إكمال دراسته سافر إلى خارج المنطقة، خاصة إلى زبيد باليمن وبيت الفقيه. وقد برع من أولئك الذين شقوا طريقهم إلى تلك الأماكن علماء وفقهاء كان لهم دور فيما بعد في تعليم الفتيان بتلك القرى، ومنهم الشيخ عبدالله بن فاضل، والشيخ عبدالعزيز محمد الفقيه المنصوري وغيرهم كثير. استقيت المعلومات السابقة من المقابلات الشفهية في أثناء الدراسة الميدانية المشار إليها سابقاً.

وقد كان للموقع الجغرافي للمكان المقام عليه المسجد أهمية في التأثير على التخطيط العام في بناء الجدران وتسوية الأرضيات وإجراء تعديلات على الموقع؛ ليتناسب مع التخطيط المناسب لإقامة المسجد.

فموقع مسجد قرية الجدلان بين المنازل وعلى هضبة مرتفعة، جعله من طراز المساجد من دون الصحن المنتشرة في العالم الإسلامي[1]، (شكل رقم ٢٧). بالإضافة إلى بعض العناصر المعمارية الأخرى مثل عدم وجود المئذنة وهذا أدى إلى استخدام السطح العلوي للإشعار بوقت الصلاة. وهذا اتجاه مألوف في العمارة الإسلامية، وقد كان الأمر كذلك في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية تخطيطه، وكان بلال يصعد أعلى المنازل المجاورة للمناداة بالأذان[2].

أما التخطيط الأصلي لمسجد الغتامية فكان ينتمي إلى طراز المساجد والجوامع ذات الصحن المكشوف، وهو ما أتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده قبل تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة[3]، والأمثلة على ذلك كثيرة من هذا الطراز المنتشر في العالم الإسلامي[4]. وهو الآن بعد إجراء التعديلات عليه حسب النص المكتوب خارج المسجد المؤرخ بسنة ١٣٥٦هـ ينتمي إلى طراز المساجد من دون الصحن، (شكل رقم ٢٨).

---

(١) مثل مسجد قصر الوليد بخربة المنية، ومسجد رباط سوسه ٢٠٦هـ/٨٢١م، وفي اليمن مسجد تيمور٤٣٠هـ/١٠٣٨م. أنظر: الحداد، محمد حمزه. موسوعة العمارة الإسلامية في مصر. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص ٨٦ .

(٢) شافعي، ص١٥٤.

(٣) كرزويل، كيبل. الآثار الإسلامية الأولى. ترجمة عبدالهادي عبلة. ط١؛ دمشق: دار قتيبة للنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ،ص١٧.

(٤) ومنها: جامع القيروان في تونس١٠٥هـ /٧٢٢م، وجامع الزيتونة في تونس٢٥٠هـ/٨٦٤م، انظر: فكري، أحمد. مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل. ط١؛ القاهرة: دار المعارف، ص ٢٠٦. وكذلك ص٢٤٣. ومسجد قرطبة ١٧٠هـ/٧٨٦م. انظر: المساجد في المدن العربية، ص ٢٤٧. ومسجد البيعة في منى ١٤٤هـ/٧٦١م، أنظر: محمد، سعاد ماهر. العمارة الإسلامية. ج١، ص ٢٤٧. ومسجد الخلف في تهامة منطقة الباحة. أنظر: الزيلعي، أحمد عمر. الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية. ط١؛ الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٠.

كما يظهر من مخططات مسجد الجدلان ومسجد الغتامية أن هناك تشابهاً كبيراً في تخطيطهما وعناصرهما المعمارية ولا يبرز الاختلاف إلا في محراب مسجد الجدلان، فهو ذو عقد منكسر، بينما محراب مسجد الغتامية ذوعقد مستقيم.

أما الزخرفة في كلا المسجدين فهي معدومة، ولعل ذلك يعود إلى تجنب المعمار إشغال المصلين عن صلاتهم، وهو ما قام عليه بناء المسجد في الإسلام في تحقيقه للوظيفة، كما يقر ذلك ما جاء في الكتاب والسنة[1].

وقد استمد المعمار المحلي التخطيط العام للمسجدين من أصول الشريعة الإسلامية، فقد أثرت تعاليم الدين الإسلامي في عمارة المساجد، واهتم بها القرآن الكريم والسنة النبوية، كما ساهمت الشريعة الإسلامية في تخطيط تلك المساجد، فوجود المداخل في أماكن بعيدة عن صفوف الصلاة جعل المعمار يجتنب وضع الأبواب الممتدة على صفوف الصلاة. ففي الحديث الشريف قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [2]. لذلك نجد مداخل المسجدين بعيدة عن صفوف الصلاة. وكذلك عمد المعمار المحلي إلى زيادة طول الصفوف، خاصة الصف الأول، وذلك استجابة لقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بما في الصف الأول من أجر وزيادة في الدرجات.

إن قلة المساجد في وادي بيدة في تلك الفترة كانت نتيجة للأوضاع السياسة التي شهدت حكومات متعاقبة على المنطقة، وهذا أدى إلى تزعزع الأمن وتدهور الوازع الديني لدى السكان، فضلاً عن اتسام الحياة الفكرية في جنوب الجزيرة العربية - بما في ذلك منطقة الدراسة - قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتباين والاضطراب، فقد عرفت هذه الحياة مذهباً

---

(١) المساجد في المدن العربية، ص ٢.

(٢) الدمشقي، الامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. رياض الصالحين. حققه واخرج أحاديثه عبدالعزيز رباح واحمد الدقاق، راجعه شعيب الأرنؤط. ط١٢، بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٥١٣.

نشيطاً وشهدت فرقة سياسية مضطربة، بالإضافة إلى انغماس شديد في البدع والمعتقدات الباطلة، وهو أمر طبيعي خلال تلك الاضطرابات السياسية، ولم تعرف المنطقة الحقيقة الصحيحة لشرائع الدين الإسلامي إلا بعد عام ١٢١٢هـ[1].

وتعتبر الحصون الحربية ثالث أهم المنشآت المعمارية في وادي بيدة، وقد انتشر بناء الحصون والقلاع والأبراج في العمارة الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وقد كانت أسوار المدن تعرف بالحصون في العصور الوسطى، مثال ذلك أسوار مدينة بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة وصنعاء وزبيد والمدينة المنورة والدرعية وغيرها. وقد تطور استخدام الحصون في العصور الوسطى وفي بداية العصر الحديث تبعاً لتطور النظم الاجتماعية[2].

وفي وادي بيدة عرفت الحصون منذ وقت مبكر في أثناء تعاقب الحكومات على هذه المنطقة المملكة العربية السعودية إذ شكلت مصدراً مهماً لمعرفة الوضع السياسي آنذاك. وقد نبع بناء تلك المنشآت الحربية من فطرة الإنسان وإحساسه العميق واحتياجه الشديد إلى الشعور بالأمان والاطمئنان وسلامة منجزاته وممتلكاته، فأقيمت الحصون حول القرى والممتلكات لحمايتها من الاعتداءات، كما كانت في الوقت نفسه إشارات لملكية الحدود بين القرى.

وتستخدم هذه الحصون لأغراض دفاعية ومراصد للمراقبة. ويتحصن فيها المدافعون والرماة خلال فترة الحروب. أما في أوقات السلم فإن بعض تلك الحصون تستعمل لإيواء الماشية وتخزين الأعلاف والحبوب. إلى جانب ذلك فقد شملت أيضاً القضايا الاجتماعية فقد كانت مكاناً لمعاقبة المخطئ وتأديبه، وفي أحوال أخرى احتجازه حتى الوصول إلى صلح عرفي بين المتخاصمين.

وقد كان بناء بعض تلك الحصون يمثل تحدياً وسباقاً بين البنائين، فالبنّاء الذي ينتهي قبل

(١) أبو داهش، عبدالله محمد. أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية. ط١، مكتبة دار الحكمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٨ .

(٢) سعاد ماهر، العمارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢٤.

الآخر يقوم بتجوين الحصن، أما الآخر فإن عليه الالتزام بشروط السباق بعدم التجوين، وهذه السباقات معروفة لدى بنائي المنطقة وذلك عندما يكون البناء في وقت واحد في قرى منطقة الدراسة. ولذلك أصبحت بعض الحصون مجونة وتركت الأخرى من دون تجوين، وهي مرحلة مهمة من البناء من ناحتين. الناحية الأولى: دفاعية، وتمثل الزخارف علامات هرمية يختبئ من ورائها المدافعون والرماة وكأنها تجسم أشكالاً آدمية لإتاهة العدو. أما الناحية الثانية: فهي المكانة الاجتماعية، فهي تعكس مدى مكانة صاحب الحصن، وخاصة أهل المزارع الكبيرة والميسور حالهم.

وتدلنا مخططات هذه الحصون الحربية على أن هناك اختلافاً في تخطيطها الداخلي تبعاً لموقعها الجغرافي، فنجد أن حصون بيدة، وهي حصن العقاربة والرقبان، جاءت طوابقها متعددة، والطابق الواحد ذو مساحة مربعة في أغلب الأحيان مفصول عن الطابق الآخر، ونظام التسقيف جاء كاملاً سوى فتحة مربعة الشكل موزعة الاتجاهات في كل طابق، وذلك يعود إلى استخدام هذه الحصون في أوقات السلم لتخزين المحاصيل الزراعية وأدواتها. أما حصون معشوقة، وهي حصن مزعر والوقرة، فيلاحظ فيها أن تخطيطها مختلف تماماً، فهي تحتوي على ثلاثة أقسام: قسم ذو مساحة مستطيلة والقسمان الآخران ذوا مساحة مربعة، أما نظام التسقيف فاكتفى منه المعمار بإقامة عوارض خشبية أمام البروج الحربية لمتابعة المنطقة ومراقبتها، وتسقيف آخر طابق في الحصن.

أما الواجهات الخارجية لهذه الحصون فهي متشابهة إلى حد ما، وجميع عناصرها ذات وظائف حربية، خاصة الجون الذي زين بالمرو الأبيض لإتاهة العدو، ولا يبرز الاختلاف سوى أن البروج الحربية في حصون معشوقة متسعة أكثر من البروج الحربية في حصون بيدة، وذلك يعود إلى كبر المساحة التي تشرف عليها حصون معشوقة، بالإضافة إلى إحاطة هذه البروج بالألواح الحجرية.

إن سر صمود تلك الحصون أمام التيارات المتعاقبة يكمن في طريقة بنائها الهندسي البديع، فنجد أن القاعدة عريضة بينما يضيق البناء كلما ارتفع الحصن، كما تأخذ الزوايا التي تشبه حد المسطرة في استقامتها بالميلان إلى الداخل تبعاً للبناء فيبدو هرمي الشكل، وينتهي ببناء بارز على كل أطراف الحصن وينحسر في إحدى جهاته لتكون منطقة يطل منها إلى الخارج. وتختلف أهمية تلك الحصون تبعا لأهمية موقعها، فتلك التي تبنى على قمم الجبال أهم من غيرها، لإنها تطل على أكبر مساحة من المنطقة فتكون بمنزلة برج لمراقبة القبائل المعادية وصدها في الوقت المناسب، وهذا ما لاحظناه في الحصون التي استعرضت في هذه الدراسة، ويمثل ذلك حصن العقارية وحصن الرقبان وحصن مزعر وحصن الوقرة. وتلك التي تبنى في السفوح والأودية تكون عادة اقل أهمية من الأولى، لأن مراقبتها تقتصر على مجموعة من المزارع لحمايتها من اللصوص المتسللين تحت جنح الظلام، بالإضافة إلى اتخاذها مخازن للمحاصيل الزراعية والدواب. وهذا ما ينطبق على حصن العمودي وحصن مشرف، أما تلك التي تبنى داخل القرى بين المساكن العادية، وهي عادة أجمل في البناء وأرحب في الفناء لتعطي الزائر إلى القرية لأول وهلة انطباعاً عن سكان هذه القرية بالكرم والغنى والجاه، وهذا ينطبق على بقية الحصون المنتشرة في وادي بيدة.

أما عمارة المنشآت الزراعية فهي لا تقل أهمية عن ما سبق ذكره، لأن نجاح المنظومة الزراعية من حرث وسقاية للأرض وحصد للمحاصيل ومراقبة للمزارع، لايكون إلا بوجود منشآت زراعية متنوعة تساهم في تيسير تلك العلمية.

وتعد الآبار من أهم تلك المنشآت نظراً إلى قلة الأمطار على وادي بيدة والتي جعلت الاعتماد على مياه الآبار أمراً حتمياً، فالماء عصب الحياة قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1]. وتعتبر الآبار المصدر الأساسي للشرب وجميع شؤون الحياة، وسقاية الأراضي

(١) الأنبياء آيه:٣٠.

الزراعية. ولقد حفرت تلك الآبار بسواعد الرجال، وتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل. فقد كان يجتمع الرجال من القرية لحفر بئر واحدة يقضون فيها ما يقارب ثلاثة أشهر. حتى يصل عمق البئر إلى١٥م في الأحوال الجيدة، ويصل إلى٥٠م في الأحوال الصعبة. وفكرة حفر الآبار والاستفادة منها ليست بالأمر اليسير،لأن اختيار موقع البئر وطريقة حفرها ثم عملية طيها بالحجارة، يتطلب مهارات عملية وجهوداً جبارة، إضافة إلى ما تفرضه الضرورة من وجود آلة لإخراج الماء من البئر وهي السانية، علماً أنه لم يكن لدى أولئك الناس أجهزة حديثة تساعدهم في حفر البئر، كما يشاهد في وقتنا الحاضر. وكانت تلك الأدوات المستخدمة في الحفر بسيطة وبدائية في قدرتها مع التعامل مع الطبيعة الجغرافية لمنطقة الدراسة .

إن تلك الآبار المنتشرة في وادي بيدة ، وهي بئر اللغاميس وبئر حلايل وبئر المطاعنة وغيرها من الآبار التي لم تشملها العينة المختارة للدراسة، تتشابه في مواد وطريقة بنائها على رغم اختلاف مساحاتها ومواقعها الجغرافية، وحول تاريخ بنائها فيذكر بعض المعمرين أنها قديمة وتعود إلى الفترة التي بنيت فيها تلك الآثار في معشوقة[1].

ولقد كان العمل الناجح من حرث للأرض وحصد للمحصول، سيعود بعد توفيق الله بالإنتاج الجيد الذي يعود نفعه على المزارع وذويه. ولا أبلغ في الدلالة على ذلك من أن يقول المزارع عند البدء في نثر الحب على الأرض قبل حرثها (اللهم إنه من أيدينا في يدك وإنا متوكلون عليك، وحالنا ما يخفى عليك، اللهم أجعله لنا ولمن شبره الا الشابر اللعين ذرينا لنا وللشابرين وللطيورالنافرين) وهنا يردد:

يـــا الله اليــــوم يـــاربي	**ياعوينـــا لطلابـــه**
يالـــذي تنبـــت الحـــبي	**يابـــساً يـــوم نـــذرا بـــه**

(١) ومنهم الشيخ عبدالله بن ساعد الغامدي من قرية معشوقة .

وبعد أن يتم حرث الأرض ودمسها[1] تأتي مرحلة السقاية بالسواني. وتتم هذه العملية عادة قبل حرث الأرض ليسهل الحرث وتسمى البغرة، وبعد حرث الأرض لنجاح عملية الزراعة، ويعمل بالسقاية عاملان احديهما يسوق[2] والآخر يحَرّف[3]. ثم تأتي مرحلة الصرام وعملية قطف المحصول وهنا يبرز التعاون بين أفراد القرية، وفي أحيان أخرى تُطلب المشاركة من القرى المجاورة إذا كانت الأرض كبيرة الحجم، ومن يعمل منهم يقابل بأجر زهيد من الثمار والمحاصيل الزراعية. كما أن هناك من يشارك بالحيوانات والأدوات الزراعية الأخرى مساندة لصاحب المزرعة، لأن تأخر الحصاد عن موعده يؤثر على المحصول الزراعي إذ يقلل من الإنتاجية ويعرض المزرعة للخسارة. وترتبط هذه العلمية بأوقات مناسبة للحصاد والمذرى، والذي يحدده موقع الحصن الزراعي. ثم يجمع المحصول وينقل فوق ظهور الحيوانات إلى الجرين.

ويعتبر الجرين منشاة معمارية هامة، حرص سكان وادي بيدة على إيجاده بالقرب من الأراضي الزراعية، وعميلة الدياس في الجرين عملية ليست باليسيرة لأن العمل يحتاج إلى صبر وتعاون مشترك. ثم تأتي مرحلة المذرى وهي عملية فصل التبن عن الحب وهي مرحلة مهمة وحاسمة، لأن نجاحها يعتمد على وجود الرياح الغربية أو الشرقية، فحين تتوقف الرياح يتوقف العمل ولهذا نجد أن أغلب تلك الجُرُن تكون في مواقع مكشوفة. فمرحلة الدياس مرحلة حرجة بالنسبة للمزارع. كما أن تأخر المذرى قد يؤدي إلى تلف المحصول، خصوصاً عند هطول المطر، وتسبب للمزارع مصيراً حاسماً أمام أصحاب الديون الذين وعد بتسديدهم من المحصول الزراعي؛ لذلك يتجلى ترابط المجتمع في هذه العملية بترديد الأهازيج الشعبية في أثناء عملية الدِياس لإنجاز العمل:

ياريـــــــاح الجـــــود هـــــبي	**وانـــــــــصبي عيــــــــــدانها**
ان قـــــــومي تـــــــثبي[4]	**يـــــــــــاعمى ديانهـــــــــا**

---

(١) تسويتها

(٢) يستحرج الماء من البئر.

(٣) يصرف الماء باتجاه القصاب.

(٤) تزرع

وهناك تشابه واضح في الجُرن في منطقة الدراسة من حيث تخطيطها، ولا يبرز الاختلاف إلا في مساحة الجرين وارتفاع الجدران الخارجية.

وتأتي الحصون الزراعية على قدر من الأهمية في منشآت منطقة الدراسة، وتعتبر ركيزة من ركائز نجاح العملية الزراعية، فهي تؤدي وظيفة مهمة وهي المراقبة والتخزين. ويراعى عند بنائها الموقع الذي تظهر عليه أشعة الشمس بحيث يكون الحصن لا شرقياً ولا غربياً، أي لا في الشرق فحسب ولا في الغرب فقط، بحيث يستفاد من ظل الحصن قبل وبعد زوال الشمس بواسطة علامات تسمى المردام يشير إليها ظل الحصن، ومن خلالها يعرف النجم المناسب لجودة المحصول وفترات الحصاد والمذرى. إذاً هي أشبه بمزولة فلكية. ويتم ذلك بمساعدة أهل الخبرة بالأبراج الزراعية.

وقد ارتبط بناء تلك الحصون بأماكن مناسبة ومخصصة لأعمال مستقبلية وهي مرحلة الحصاد والمذرى، وبه تعرف جودة المحصول من عدمه، لأن غياب أحد تلك العناصر يؤدي في النهاية إلى الخسارة القائمة من عدم الحصاد الجيد. وهذه الحصون الزراعية متشابهة في تخطيطها وواجهاتها الخارجية، كما كانت تؤدي ثلاثة وظائف في مكان واحد، وهي تخزين المحاصيل الزراعية والأعلاف، وإيواء الماشية، ومراقبة المزارع القريبة من الحصون. كما يمكن استخدامها مرافق حربية إذا دعت الحاجة إليها، وهو ما يؤكده وجود البروج الحربية المشابهة لما وجد في الحصون الحربية.

إن المنشآت الزراعية من آبار وجُرُن وحصون زراعية، ارتبط بعضها ببعض من ناحية الوظيفة المناطة بها. فوجودها يشكل منظومة اقتصادية للإنسان، ولا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، وتنفرد قرى بيدة بوجود تلك المنشآت الزراعية خاصة الحصون والجرن، بينما تخلو معشوقة منها سوى وجود الآبار. ويعود ذلك لكون الجزء الجنوبي قريباً من المزارع ومصادر المياه، إضافة إلى فترة الاستيطان القريبة في تلك القرى حول هذه المزارع وهذا ما يجعل الاهتمام بها وببنائها أمراً وارداً، وهو خلاف ما يظهر في معشوقة بسبب هجرة الناس عن السكن فيها وبعد المزارع عن أماكن بناء

المنشآت الأخرى.

أما تاريخ بناء تلك الآثار وتبعيتها فلا يوجد دليل واضح عن بنائها، إذ لم تذكر المصادر التاريخية والمراجع المتاحة تاريخاً لبناء تلك الآثار، وقد كان علينا الاعتماد على الوثائق الموجودة لدى شيوخ القبائل. وقد استطعنا الحصول على إحدى الوثائق الموجودة لدى شيخ قبيلة بني بشير، وهي تذكر حدود قبيلتهم. وهذه الوثيقة عرفت باسم (الحاوي) لأنها تحوي حدود القبيلة كاملة. والوثيقة حددت بعض القرى الموجودة في الوادي كقرية اللغاميس وقرية آل زياد وقرية الحازم وقرية العقاربة، وقد كتبت هذه الوثيقة سنة ١٠٠١هـ، وشهد بذلك القاضي أحمد بن علي بن سهيل، الساكن بقرية الوهدة[1]، وأعيدت كتابتها مرة ثانية سنة ١٢٥٨هـ، على يد الفقيه على بن صالح الفضلي، والمرة الثالثة في سنة ١٣٣٩هـ على يد القاضي موسى بن عبد الرحيم الخولاني[2]، (لوحة رقم ١٤٢)

وفيما يلي عرض لذكر بعض القرى في هذه الوثيقة:

١- ورد في السطرين٣، ٤ من الوثيقة " التفوا بني بشير من آل ابن سلمان الى ابن الراس" أي اجتمع بنو بشير من قرية آل سلمان[3] إلى قرية الراس، وهي آخر قرية في وادي بيدة تابعة بني بشير من زهران.

٢- ورد في السطرين٥، ٦ من الوثيقة: " ونظرنا في كتب آل زيّادي.." وهو عريف قرى آل زياد حيث كان يحتفظ بحدود قريته في كتب وهو المتبع عند كل قرية.

٣- ورد في السطرين٩، ١٠ من الوثيقة: " ونظرنا في كتب الغزواني فحدثت من نكب النزاويح إلى القزاع إلى بحري حازم على.." نكب النزاويح هو حدود قبيلة بني بشير من جهة الشرق، إلى الجبال الغربية وهي في نهاية قرية الحازم الأعلى من جهة الغرب.

---

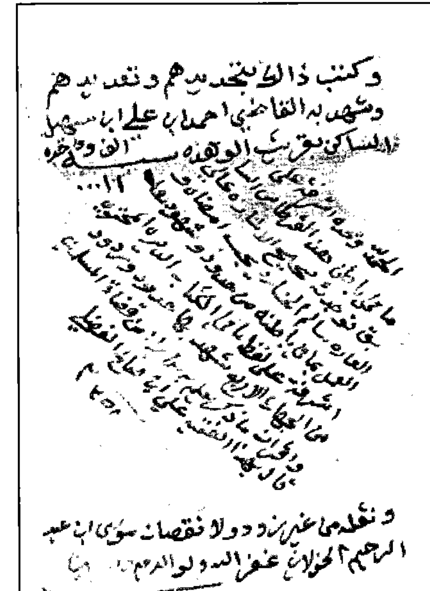
(١) قرية الوهدة هي إحدى قرى بني بشير بزهران تقع في الجهة الغربية من وادي بيدة . وجميع نسخ هذه الوثيقة موجودة لدى عريف قرية الوهدة. وتعتبر من الوثائق النادرة في المنطقة.

(٢) وهو من القضاة الذين عاصروا أسرة آل رقوش قبل الحكم السعودي، وكان يعلم الناس القراءة والكتابة، السلوك، ص ٢٦٩.

(٣) إحدى قرى بني بشير من زهران تقع في الجهة الغربية من وادي بيدة .

٤- ورد في الأسطر ٥١، ٥٢، ٥٣، من الوثيقة: ".. ولاي بن محمد من اللغاميس ومن آل زياد جابر بن غاصب العقرب ومحمد بن قعشوش من آل الراس " وهنا دلالة على وجود القرى في منطقة الدراسة، وهي قرية اللغاميس، وقرية آل زياد، وقرية العقاربة، وأخيراً قرية آل الراس.

واعتماداً على ما جاء في هذه الوثيقة يمكن القول أن تاريخ بناء هذه القرى يعود إلى فترات موغلة في القدم ولا يمكن إعطاء تاريخ محدد لزمن بنائها.



لوحة رقم (١٤٢) وثيقة الحاوي

أما بالنسبة لمعشوقة فينسب أغلب السكان في هذه المنطقة وخارجها آثار هذا الوادي إلى بني هلال، وقد ظهر لنا ذلك من خلال المقابلات الشخصية التي أجريت مع بعض كبار السن في قرية معشوقة[١] للحصول على المعلومات الخاصة بتلك الآثار، فقد تحدث الكثير منهم عن أن تلك المنازل القديمة مجهولة الهوية والنسب، لكن وجدوا بها بعض المعالم الزراعية مثل قصاب الماء، ويذكرون أنها لبني هلال، ويلحقون معها بعض الروايات عن استقرارهم بالوادي. وبعد العودة إلى المصادر والمراجع التاريخية للبحث عن هذه القبيلة – بني هلال – ووجودهم في منطقة الدراسة تبين ما يلي:

فيذكر الهمداني بلد هلال : الواديان رنية وأبيدة[٢]. ونجد الجاسر يذكر أن أسفل وادي بيدة لبني هلال، ولعله قصد من ذلك قرية معشوقة، ويذكر أيضا: وفي الجنوب قرية بني هلال ودار بني هلال للرهوة من غامد.[٣] وعند الرجوع إلى سيرة بني هلال في بعض المراجع نجد أن بني هلال كانت قبائل متفرقة، منها قبائل تقيم في جنوب الجزيرة العربية في أجزاء متفرقة منها، لأن مساكنهم تمتد من حدود ربيعة التهم، وأهل حلي ومحايل، إلى قرب البرك على ساحل البحر[٤].

أما من حيث النسب فهم ينتسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وأبناء هلال في رأي أكثر المؤرخين خمسة: شعثة وناشرة ونهيك وعبد مناف وعبدالله [٥].

وتشير بعض المصادر إلى أن بني هلال بطن من عامر بن صعصعة، ومنهم زوج النبي صلى

---

(١) ومنهم عبدالله بن ساعد الزهيري الغامدي، ومسفر بن سعيد الحمر الغامدي وغيرهما .

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨.

(٣) الجاسر، ص ١٤٤

(٤) الحقيل، حمد إبراهيم. كنز الأنساب ومجمع الأداب، ط٤، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٨٢.

(٥) ابن عقيل، أبو عبدالرحمن محمد عمر الظاهري. بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب. ط١؛ الرياض: النادي الأدبي ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٠.

الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة [1]. أما في العصر الإسلامي فقد كان بنو هلال من الوفود التي جاءت مبايعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [2].

ولأن النزوح والانتجاع والارتحال من طبيعة البيئة البدوية التي تكيفت معها النفسية العربية، ولأن بني هلال من هذه القبائل التي خضعت لهذه الظروف البيئية العربية، فإن حياتهم كانت انتجاعاً وارتحالاً وبحثاً عن موطن الكلأ والماء وهذا ما دفعهم إلي الهجرة من وادي بيدة إلى أجزاء متفرقة من العالم العربي[3].

٢- مواد البناء:

اعتمد المعمار المحلي في تشييد المنشآت المعمارية في منطقة الدراسة على مواد خام أولية متوافرة في المنطقة، وتمتاز بسهولة نقلها وقلة تكاليفها المادية. ويأتي على رأس هذه المواد الأحجار التي تعتبر من أهم مواد البناء، ولها قابلية شديدة على مقاومة العوامل الجوية، فبها بنيت جدران المنازل والمساجد والحصون، كما استخدمت أيضاً في تغطية السقف خاصة الألواح الحجرية (الصلي)، واستخدم بعض أشكالها في تزيين وجهات المنازل والحصون، بالإضافة إلى استخدامها للنقش عليها سواء كانت تمثل رسومات صخرية أو وسوماً أو نقوشاً. وتوجد مقالع الأحجار في جميع قرى معشوقة، في حين تخلو قرى بيدة من هذه المقالع سوى في مكان واحد في الجبال الشرقية بالقرب من قرية العقاربة.

وتعد الأخشاب إحدى أهم المواد التي استفادت منها عمارة المنطقة، فقد استخدمت جذوع الأشجار كالعرعر والسدر لإقامة الأعمدة وتغطية السقف، واستخدمت فروعها في إقامة الفواصل الداخلية بين الحجرات وفي صناعة الأبواب والنوافذ. كذلك اتخذت مجالاً مناسباً لتنفيذ العناصر

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٠١.

(٢) ابن عقيل، ص ٤٤.

(٣) عن سيرة بني هلال، انظر: علي، فؤاد حسنين. قصصنا الشعبي. القاهرة: دارالفكر العربي، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص ص٦٢- ٦٥.

الزخرفية المتنوعة.

وهناك مواد أخرى لا تقل شأناً عن الأحجار والأخشاب مثل الطين الذي يعتبر مادة مهمة في عميلة البناء خاصة في تلييس الغرف الداخلية، فقد كان الحصول عليه متيسراً لتوفره في مجاري الأودية فكان يجلب ويخلط بالقش والأعواد الصغيرة. بالإضافة إلى شجيرات صغيرة استخدمت لقفل الفراغات الداخلية للأسقف كالطباق والشيح والضرم، وهي متوافرة بكثرة في وادي بيدة.

ويلاحظ أن تلك المواد السابقة المستخدمة في علمية البناء متشابهة في قرى وادي بيدة، وإن كان استخدامها يتفاوت من قرية إلى أخرى حسب المنشأة المعمارية. وكان يكثر استخدام الأحجار في المنازل والحصون والمساجد، لقوتها وصلابتها ومقدرتها على التعامل مع الظروف الجوية، ويقل استخدام الأخشاب في بناء الحصون لعدم تناسبها مع المهمة الإنشائية لها. بل نجد أن بعض المنشآت في قرى بيدة قد استغلت موادها من مباني معشوقة بعد نقض أحجارها وأخشابها، كما أن هذه المواد السابقة التي استخدمت في منطقة الدراسة كانت أيضاً مستخدمة في أماكن قريبة في منطقة الباحة [1] وفي مناطق أخرى، خاصة في بناء القلاع والحصون في منطقة عسير[2].

إن تعدد مواد البناء في المنطقة أدى إلى زيادة الروابط الاجتماعية بين السكان، لأن عملية البناء تستوجب تكوين فريق عمل متعدد التخصصات في أرض البناء فهناك المقلع والشغال، والمعلم ومساعدوه وكذلك النجار ومساعدوه، وأفراد القرية الذين يقومون بالتطيين والتنظيف وهو آخر مرحلة من مراحل البناء، وتشكل تلك المنظومة فريق عمل واحداً يؤدي إلى ترابط الناس وتعاونهم في جميع شؤون حياتهم.

---

(١) دوستال، ص١٠٣.

(٢) الزهراني، محفوظ بن سعيد بن مسفر. تحصينات مدينة أبها في الفترة من ١٢٨٨- ١٣٣٧هـ. وكالة الآثار والمتاحف، الرياض ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١١٦.

٣- العناصر الزخرفية:

إن أغلب التشكيلات الزخرفية النباتية والهندسية هي ما نفذ على الأخشاب، فنجدها منحصرة فقط في منازل بيدة لكونها مقر الإقامة والاستقبال والتعبيرعن الحالة الاجتماعية، وتعتمد على أساس تشكيلات جمالية وزخرفية تجريدية تتقاطع فيها الخطوط المختلفة وتكرر المربعات المتجاورة الكبيرة والصغيرة لتغطية الفراغات الموجودة على الأعمدة. ويلاحظ أن التشكيلات الورقية مشتقة من الزخرفة الإسلامية (فن التوريق) وهو استخدام العنصر النباتي بصورة منتظمة على أسطح الأبواب والأعمدة والنوافذ. وقد تركزت هذه الزخارف على الأخشاب، وذلك لسهولة توافرها ولقرب منطقة الدراسة من المناطق التي تنتج تلك الزخارف كقرية المكارمة التي اعتبرت مدرسة للنجارين في المنطقة إلى جانب المناطق الأخرى. وقد اعتبر حرفيو الزخرفة أن الأشكال الهندسية الصرفة غير جذابة إذا استخدمت منفردة، لذلك كانوا يقومون بإغنائها بالزخارف النباتية، وكانت هذه العناصر بشقيها تعبرعن حسن النوايا وعن المشاعر الاجتماعية لصاحب المنزل، وقد أدى ذلك إلى تنوع الزخارف في الوحدة الواحدة من زخارف هندسية قوامها الأشكال المربعة والمستطيلة والدائرية، إلى الأشكال النباتية من أشجار النخيل واللوز والعنب والنباتات الأخرى، لذلك نجد أن هذه التشكيلات الزخرفية، خاصة الخشبية منها، منتشرة في بيدة وفي غالب الأمر نجدها متشابه إلى حد كبير بين كل قرية وأخرى، وكذلك ينطبق الأمر على الزخارف الحجرية على المنازل والحصون، ويكاد الأمر يختلف عن القرى المنتشرة في معشوقة، ويندر بشكل ملحوظ وجود زخارف منفذة على الأخشاب، بل اكتفى المعمار بالجانب الآخر وهو استخدام الأحجار المشذبة والمنتقاة بعناية لتشكيلها في واجهات المباني، وقد حرص المعمار على توظيف هذه الأشكال الحجرية من جهتين، فهي دفاعية من جهة وزخرفية ومن جهة أخرى.

إن التنوع في عدد الأشرطة الزخرفية المنفذة على الأحجار بواسطة أحجار المرو الأبيض بزيادة أونقصان عدد تلك الأشرطة، تحدده المكانة الاجتماعية لصاحب المبنى وهو نموذج متعارف عليه

بكثرة في منطقة الدراسة، وكذلك في بعض القرى في منطقة الباحة. فقد اهتم المعمار بهذا الجانب الزخرفي، لذلك نجد الكثير من الحصون الزراعية بدون زخارف حجرية، وهذا يدل على أن أصحابها ليسوا من ذوي الدخل الميسور. بينما نجد الحصون الحربية أكثر اهتماماً من ناحية هذه الزخارف لكونها تعكس المكانة الاجتماعية للقرية أو صاحب الحصن إذا كان مملوكاً لشخص معين.

بالإضافة إلى استخدام المعمار المحلي النقوش الصخرية لوظيفتها الأساسية، استخدمها بصفتها عناصر زخرفية في بعض الأحيان لتشكل نموذجاً لافتاً للنظر، وخير دليل على ذلك مدخل حصن الرقبان ومدخل حصن العمودي، اللذين يتميزان بوجود مجموعة من النقوش الصخرية، هذا فضلاً عن بقية الرسوم الصخرية المنتشرة على واجهات الأحجار المستخدمة في البناء.

٤- الرسوم الصخرية:

على الرغم من قلة الرسوم الصخرية في وادي بيدة، فإن تلك المجموعة من الرسوم والوسوم القبلية والنقوش الصخرية التي عثر عليها في منطقة الدراسة تدل على الاتصال الحضاري مع المناطق المجاورة، ومعرفة الإنسان بكل طرق التعبير عن الأشياء التي يمتلكها والتي تشغل حيزاً معيناً في حياته.

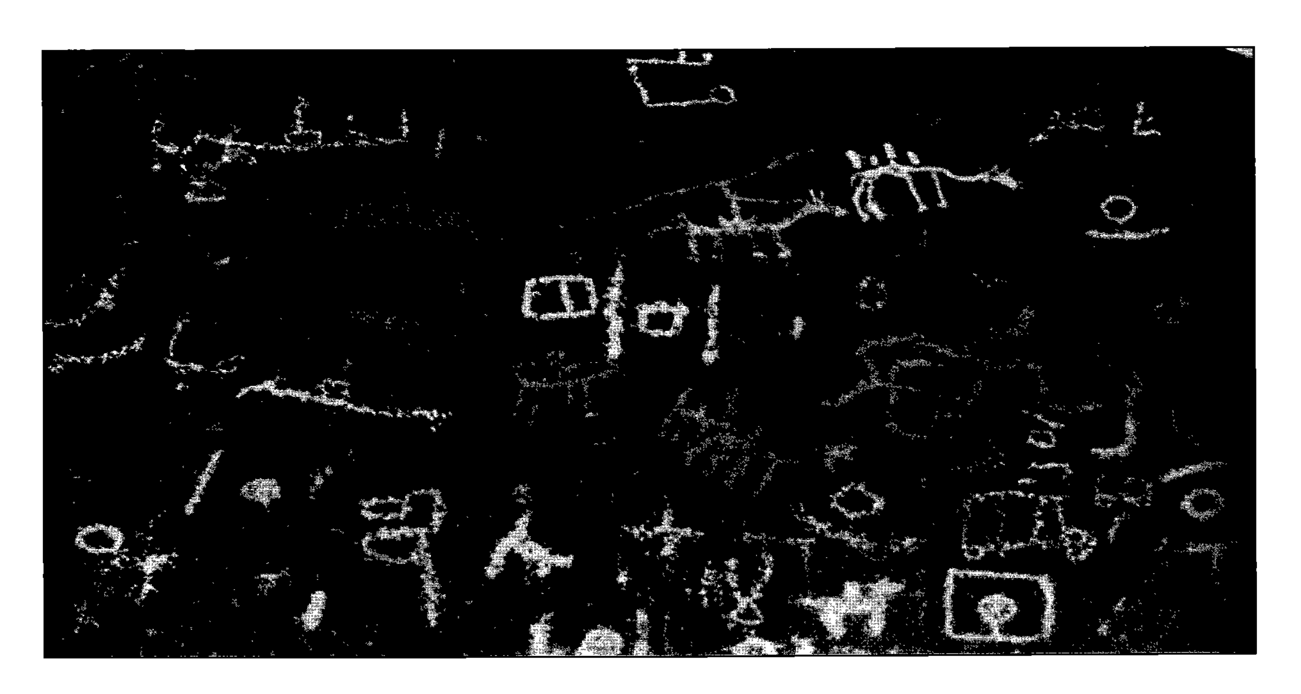
في حين سجلت فرق المسح الأثري ١١ موقعاً جاءت بعض الرسوم في منطقة المخواة خارج منطقة الدراسة. أما بالقرب من منطقة الدراسة فقد سجلت بعض المواقع قرب وادي ثراد وفي وادي عيسان في بني سار[1]، وقد ساهمت في ذلك نوعية الصخور المنتشرة في جبال المنطقة التي من أهمها صخور الجرانيت التي تمتاز بعدم تماسكها والتي لا تسمح بالكتابة عليها، كما أن بعض صخور

---

(١) الزهراني، عوض علي. المشاري، سعد محمد. تقرير معاينة الآثار في جبال عيسان. تحت النشر، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. ص ٤.

المنطقة تعتبر هشة وهي ليست صالحة للنقوش[1].

ووجود تلك المجموعة أيضاً من الوسوم في وادي بيدة ووجود مثيلاتها في مناطق أخرى يدل على انتقال شكل الوسم من مناطق مختلفة، وعلى التنقل والترحال لعدد من القبائل والقرى، وقد تكون على هيئة جماعات صغيرة في أجزاء متفرقة قرب منطقة الدراسة، وكذلك الاتصال الحضاري بين منطقة الدراسة والمناطق الأخرى. كما أن بعض هذه الوسوم لا يعبر عن هدف أوشكل أو حدث معين، وإنما يدل على أشياء مألوفة لدى الإنسان، وهذه الوسوم لم تخرج عن الشكل المألوف المتكرر في أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية، حيث لا يزال بعض السكان يستخدمها حتى وقتنا الحاضر، (لوحة رقم ١٤٣).



لوحة رقم (١٤٣) مجموعة من الرسوم المنتشرة في المملكة

(١) الزهراني، عبدالرحمن بن علي وآخرون. "" التقرير المبدئي عن الرسوم الصخرية (الطائف /الباحة) الموسم الخامس ١٤١٠هـ."" حولية الآثار العربية السعودية(أطلال)، العدد١٣، (١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، ص ص٤١- ٤٥.

أما النقوش الصخرية فقد أجريت في منطقة الباحة بشكل عام دراسات متخصصة وشملها المسح الأثري. ونستذكر من الاكتشافات والدراسات في المنطقة والمسوحات الأثرية في الوقت الحاضر ما يلي: نقوش الخلف والخليف والتي تحدث عنها الزيلعي الذي استعرض في دراسته العديد من النقوش الشاهدية التي تمتد فترتها الزمنية من النصف الأول للقرن الثالث الهجري حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وتحتوي هذه النقوش على أسماء وألقاب استوطنت المنطقة[١]، وكذلك الكتابات الإسلامية التي تناولها الثنيان في كتابه عن طريق الحج اليمني الأعلى الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة، حين تعرض فيه لبعض النقوش المنتشرة على الطريق التي لا يبعد بعضها عن منطقة الدراسة[٢]. وأخيراً النقوش التي عثر عليها في جبال عيسان من خلال المعاينة الأولية لوكالة الآثار والمتاحف، والتي تتحدث في مجملها عن طلب الرحمة والمغفرة والأيمان بالله، وقد بلغ عدد هذه النقوش التي تم الكشف عنها في حينه تسعة نقوش إسلامية[٣].

وقد تعرضت المنطقة بشكل عام ووادي بيدة بشكل خاص لأعمال التخريب والعبث، وقد أشار إلى ذلك مقابلات الباحث مع كبار السن الذين عاشوا في المنطقة وكانوا شهود عيان على حركة انتقال الناس من مساكنهم ومزارعهم القديمة إلى المدن الحديثة. حيث تتوافر الخدمات الحديثة من طرق وكهرباء وتعليم فتركت مبانيها وما جاورها من المباني الأثرية والتراثية القديمة فتعرضت للإهمال، فكانت عرضة لنقض أحجارها واستخدامها في مبان قريبة أو بعيدة[٤]. وهكذا زال الكثير من الشواهد الكتابية سواء منها ما هو تاريخ لتأسيس منازل ومساجد وغير ذلك، أو ماهو شواهد حجرية عليها نصوص كتابية، وهذا ما جعل منطقة الدراسة شحيحة في هذا النوع من الكتابات[٥]. وعند محاولة تأريخ هذه النقوش عن طريق مقارنتها بنقوش مؤرخة بالقرب من منطقة

---

(١) الزيلعي، احمد عمر. الخلف والخليف وآثارهما ونقوشهما الإسلامية، ط١، الرياض ١٤١٧هـ، ص٣.

(٢) al-Thenayian, ١٦٩-٢٧٠

(٣) الزهراني، تقرير معاينة الآثار في جبال عيسان، ص١١.

(٤) ذكر بعض المعمرين وجود نقش آخر في حصن مزعر أخذ ووضع في سيارة كبيرة ونقل إلى جهة غير معروفة. والكثير من نقوش المنطقة تعرضت لمثل ذلك .

(٥) ولعل من المناسب الإشارة إلى بحث الدكتور الزيلعي للتدليل على ثراء المنطقة بصفة عامة بالكتابات الإسلامية وكيف تعرضت تلك الآثار للعبث والإزالة وتجارة العاديات، إذ إن بعض الأحجار التي كتبت عليها بعض النقوش أخذت كمادة بنائية في البناء المسلح الحديث لأنها مقطوعة ومسواة بعناية، ولسهولة نقل بعضها وهذا ما يغري كثيرين بحملها من أمكنتها والبناء بها، واستخدم الطوال

الدراسة أو خارجها، تبين آلاتي:

النقش رقم١ : (بسم الله الرحمن الرحيم غفرالله لعبدالله) وعند مقارنة هذا النقش مع نقوش أخرى مؤرخة، فمن المتوقع أن يعود هذا النقش إلى القرن الخامس الهجري، فقد ورد في النقش بعض الخصائص الفنية المشابهة للنقش الموجود في قرية عشم الأثرية بتهامة (لوحة رقم ١٤٥) وهو نقش شاهدي لشخص يدعى(محمد بن سويد بن خلف) المؤرخ في سنة ٤٢٥هـ[1]. فنجد التشابه في رسم الميم في كلمة (بسم) وكذلك في رسم الحاء في كلمة (الرحمن) وكلمة (الرحيم) وكذلك في رسم الراء في الكلمتين السابقتين، ورسم الدال في كلمة (لعبدالله). وأقوى مظاهر هذه الحروف أنها خرجت من سمات الخط الكوفي إلى صورة نسخية شديدة الليونة، كما يظهر في بعض نقوش مخلاف عشم. كما نجد أن الخصائص الفنية مشابهة لنقش آخر مؤرخ خارج منطقة الدراسة، وهو النقش الموجود على طريق الحج الشامي ويؤرخ لحضور الأمير ثابت بن ربيعة بن الجراح في موقع الأقرع سنة ٤٨٠هـ[2](لوحة رقم ١٤٦)، فقد ورد التشابه في رسم الهاء في كلمة (الله) وكذلك الراء المتطرفة والحاء المتوسطة في كلمة (الرحمن) وكلمة (الرحيم) والراء في كلمة (غفر)، ثم في رسم العين المتوسطة في كلمة (لعبدالله).

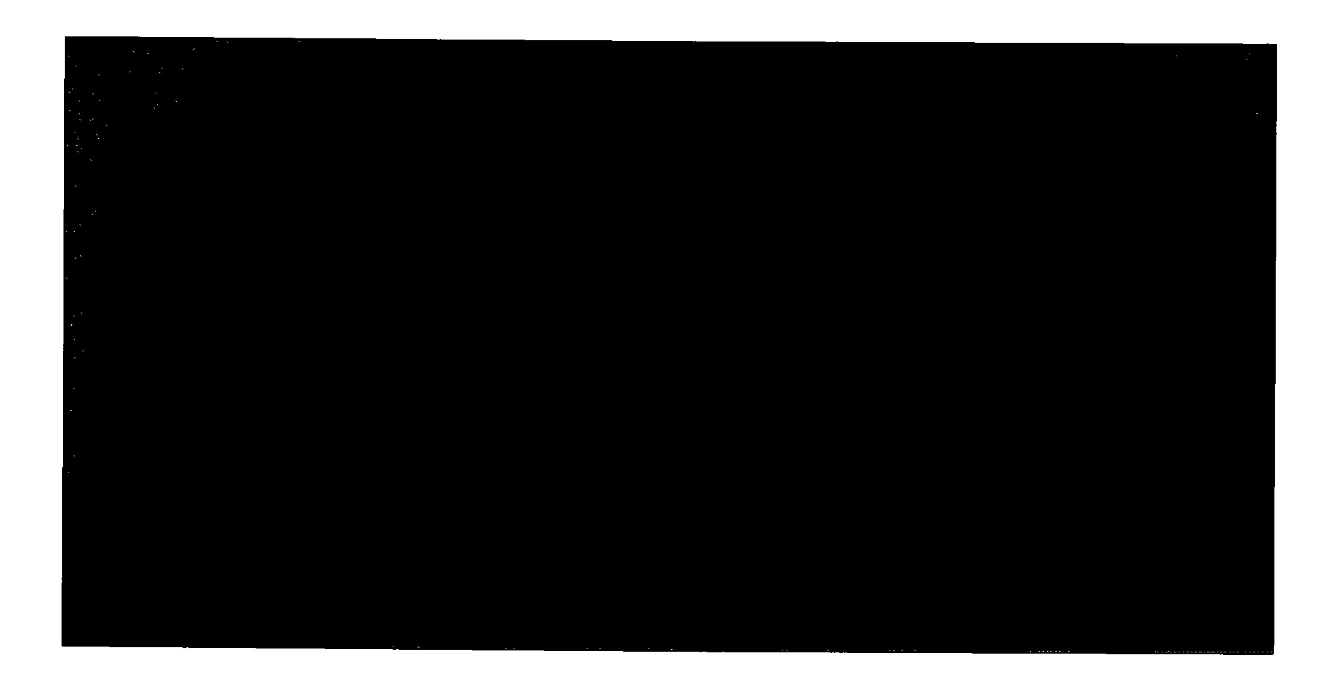
إن توافق الخصائص الفنية لهذا النقش مع بعض نقوش القرن الخامس الهجري المؤرخة، والتي من أهم خصائصها: خلو الكتابة من نقط الإعجام، وتناسب الحروف في حجمها، وتقويس بعض الحروف مثل الباء والنون والياء، واتساع رأس العين المقترنة[3] يؤرخ نقش نبهان إلى القرن الخامس الهجري تقريباً للدلائل السابقة.

منها غمائم للأبواب والنوافذ، كما استخدم الكثير منها أيضاً مرامي وأهدافاً لتعليم الرماية. ولشهرة المنطقة وكثرة الزائرين إليها من الباحثين وغيرهم تولد شعوراً لدى السكان بأهمية المنطقة والحرص على جمع عدد من تلك النقوش وعرضها للبيع أو إخفائها لأي سبب كان. الزيلعي، أحمد عمر، نقوش تهامة الشاهدية إهمالها والعبث بها. بحث مقدم في "ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها" الرياض ١٥- ١٨ رجب ١٤٢٠هـ. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مج١، ص ص ٩٣- ١٠٧.

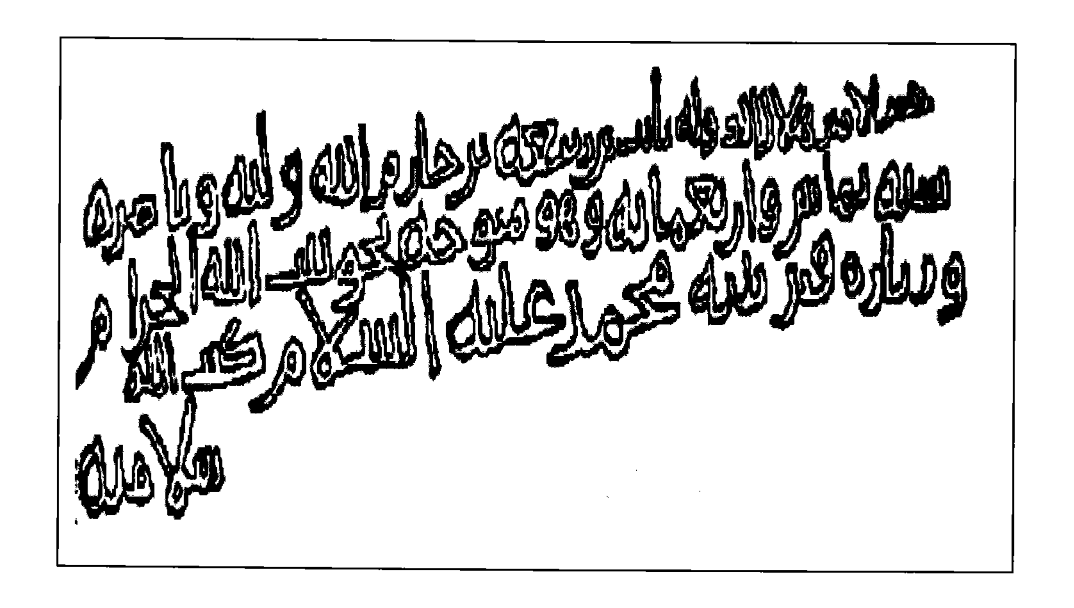
(١) الفقيه ، حسن إبراهيم . "مخلاف عشم". ط١، الرياض١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١١٧.

(٢) الكلابي ، حياة عبدالله حسين، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية(من القرن الأول الى القرن الخامس الهجري). رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٣هـ/١٤٢٤هـ. ص ٤١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٥١٧.

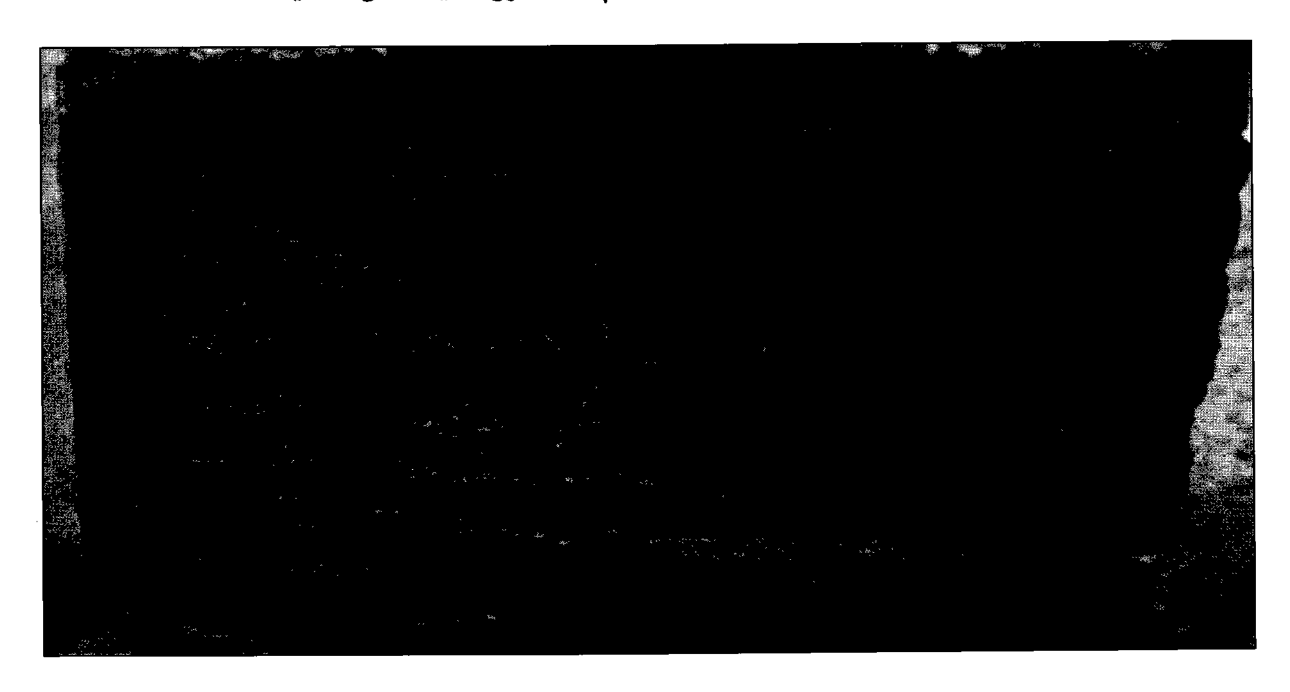


لوحة رقم (١٤٤) نقش من قرية عشم الأثرية (عن : الفقيه)



لوحة رقم (١٤٥) نقش على طريق الحج الشامي (عن : الكلابي)

النقش رقم٢: (اللهم اغفر لمحمد بن يعقوب ولولديه) يعتبر من نقوش طلب المغفرة التي تعد من أكثر الصيغ الدعائية استخداماً في النقوش التذكارية. وبمقارنة هذا النقش مع نقش آخر بالقرب من منطقة الدراسة، عثر عليه في قرية الخليف الأثرية[1] (لوحة رقم ١٤٦) نجد بينهما تشابهاً في الخصائص الفنية التي تدعو إلى إرجاعه إلى القرن التاسع الهجري، فقد ورد تشابه في رسم الهاء في كلمة (اللهم)، وكذلك رسم الفاء في كلمة(اغفر)، والعين في كلمة (يعقوب)، وكذلك الهاء المتطرفة في كلمة (ولولديه)، فهناك تشابهاً مماثلاً لهذه الحروف في نقش الخليف.

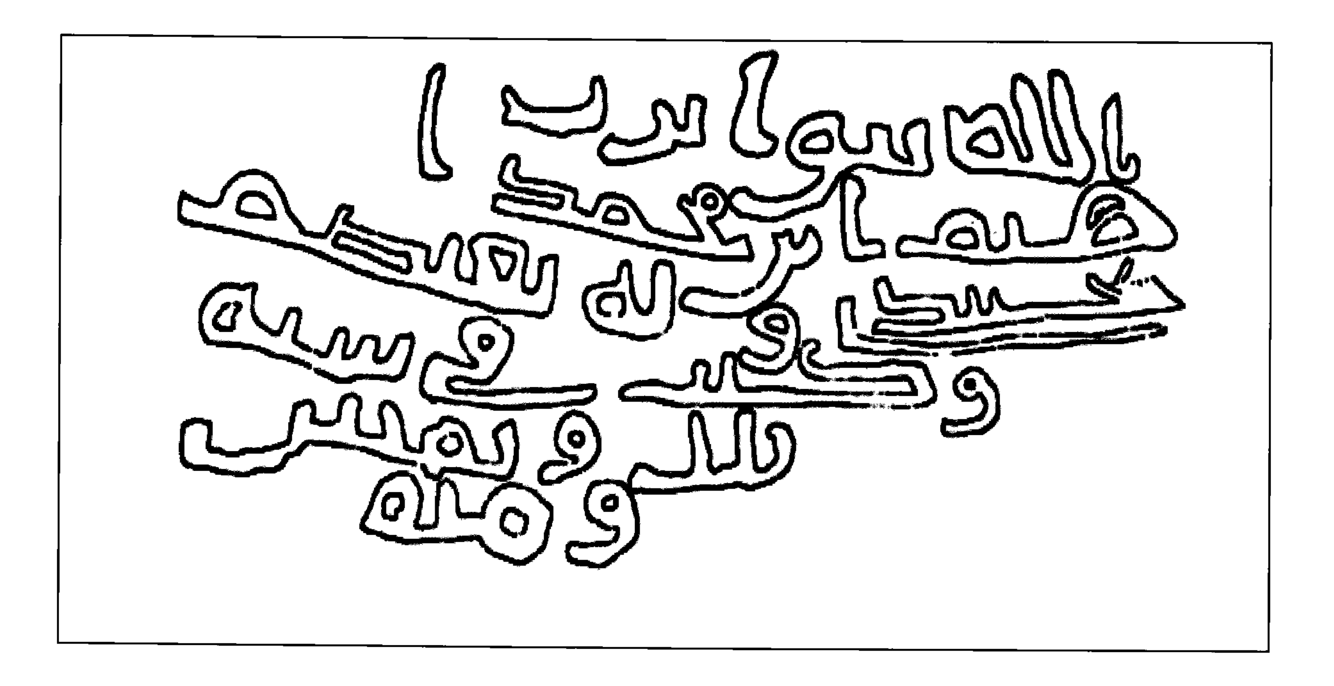


لوحة رقم (١٤٦) نقش من قرية الخليف الأثرية (عن : الزيلعي)

أما النقش رقم٣ : (هذا محطة الحكم) فهو يعتبر من النقوش التأسيسية، ويحتمل أن يكون مقر الحاكم آنذاك، وفيه يتم القضاء بين الناس، وعند مقارنة هذا النقش بنقوش أخرى مؤرخة، ومنها

(١) الزيلعي، الخلف والخليف، ص٢٥٧

نقش من رواوة في المدينة المنورة مؤرخ بسنة ١٨٣هـ [١]، (لوحة رقم ١٤٧) يلاحظ تشابه بعض الحروف في الخصائص الفنية ولاسيما حرف الحاء في كلمة (محطة) وحرف الكاف في كلمة (الحكم)، وهذا يقودنا إلى إرجاعه إلى أواخرالقرن الثاني الهجري استناداً إلى تلك الخصائص.



لوحة رقم (١٤٧) نقش من رواوة في المدينة المنورة (عن: الراشد)

إن الامتداد الزمني لوادي بيدة من خلال ظهور بعض النقوش التي تحمل تاريخاً يعود إلى القرن الثاني الهجري وفترة أخرى إلى القرن التاسع الهجري، وكما تفيد قراءتنا الواعية للمصادر المبكرة التي ورد فيها وادي بيدة، لهو دليل على أن المنطقة كانت نشيطة بالحياة خلال العصور المختلفة.

(١) الرشد، سعد بن عبدالعزيز. كتابات إسلامية غير منشورة من رواوة المدينة المنورة. ط١؛ الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٧٨.

ملحق بالمصطلحات المعمارية المتداولة
في منطقة الدراسة

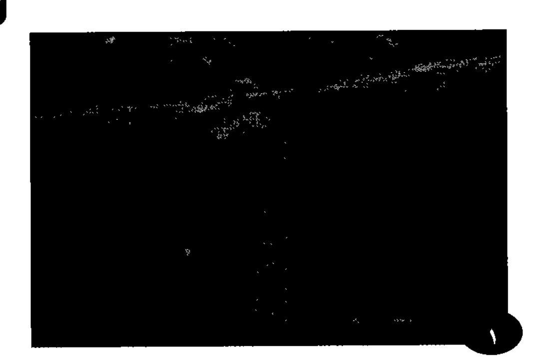
ملحق بالمصطلحات المعمارية
المتداولة في منطقة الدراسة

تتعدد مسميات المصطلحات المعمارية في وادي بيدة من قرية إلى أخرى، في حين أنها تؤدي وظيفة واحدة وتدل على المعنى نفسه. وقد وجدنا أن هذه المصطلحات تأتي متوافقة في الوظيفة مع مصطلحات أخرى تم استخدامها في هذه الدراسة إلى جانب الكثير من تلك المصطلحات التي لم تستخدم علماً أن هذه المصطلحات رتبت ترتيباً أبجديا في أصل هذا الكتاب ، إلا أنه تم تغيير الترتيب لاعتبارات فنية وهي على النحو التالي[1]:

(١) تم الحصول على المصطلحات خلال الزيارة الميدانية لمنطقة الدراسة عن طريق استمارات أعدت لهذا الموضوع.

الجلبـــــة

قطعة من الخشب يصل عرضها إلى متر واحد وارتفاعـها إلى ٣٠سم، توضع فوق الزافر لتحـمل خشب السقف، وقد يطلق عليها(الوساد)، (لوحة رقم ١).



١

الحجـــــرة

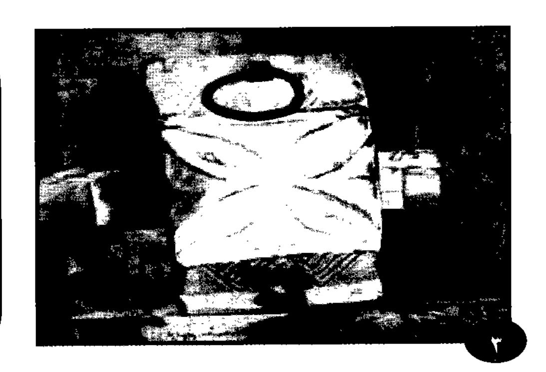
المكـان الكثـير الحجـارة، وهـو سـور مـن الأحجـار بارتفـاع ١.٥م تقريبـاً، ويبنى حـول الأراضي الزراعيـة، (لوحة رقم ٢).



٢

الحجـــــل

حلقـة مـدورة مـن الحديـد يـصل قطرهـا إلى ١٠سـم تقريباً، تركب في واجهة الباب لسحبه، كما يركـب بعضها في (الزافـر) وذلـك لتعليـق الأسـلحة والأدوات المنزليـة (لوحة رقم ٣) .



٣

الخفــــش

خفش البنـاء: أي هدمـه، وهـو الفتحة في سـقف المنزل، يـستخدم للإنـارة والتهويـة ويغلـق بـالألواح الحجريـة، (لوحة رقم ٤).



٤

الــــــــدبل

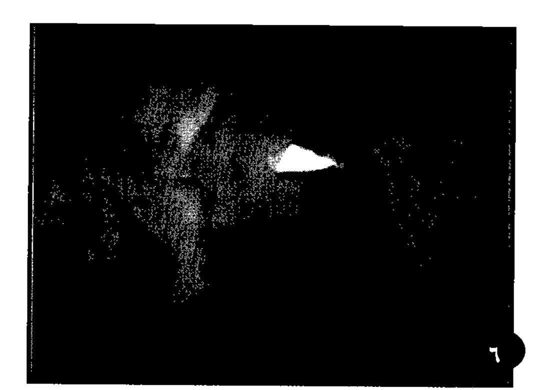
فتحة في جانب المنزل تستخدم للتهوية على شكل مثلث أو مستطيل وتكون مرتفعة عن مستوى أرضية المنزل وقريبة من سقفه، (لوحة رقم ٥).



٥

الــــــــدعب

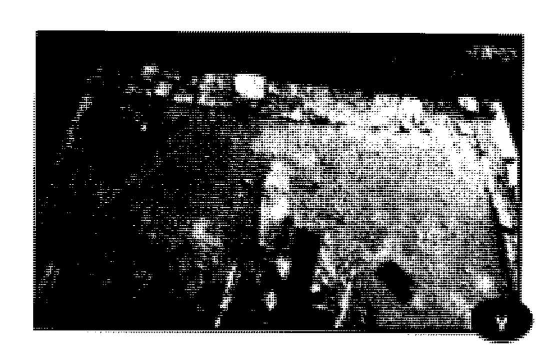
فتحة في جدار المنزل وتتخذ أشكالاً متعددة، ينفذ منها الضوء إلى المنزل، وتكون عادة في اتجاه شروق الشمس، ويختلف الدعب عن الدبل بأن الدبل لايشترط أن يكون في اتجاه معين، (لوحة رقم ٦).



٦

الدفنــــــــة

التراب الذي يوضع على السقف مشكلاً آخر طبقة من الخارج عند بناء المنزل،(لوحة رقم ٧).



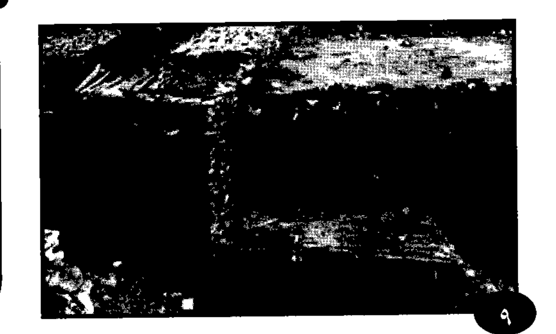
٧

المــــــــصطح

مكان لدوس الحصيد فيه، وهو مساحة مربعة أو مستطيلة غير مسقوفة تبنى من الأحجار، ويترك في أحد جوانبها مدخل بعرض مترين تقريباً، يتم فيه صطح القمح والشعير قبل تجهيزه للحصاد، وذلك لتعريضه لأشعة الشمس والهواء لكي يجف فتسهل عملية الدياس، وهو مشتق في مسماه من عملية التصطيح وهي تصطيح القمح والشعير. ويمكن أن يطلق عليه الجرين، (لوحة رقم ٨).

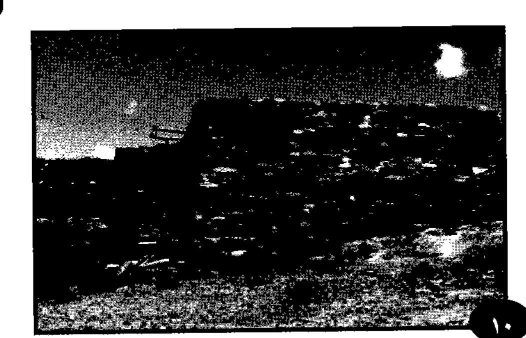


٨


٩

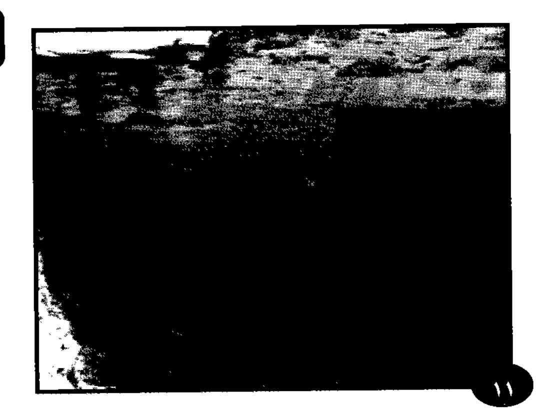
الدكـــــــــة

في اللغة الدكاك: بناء يسطح أعلاه للجلوس، وهو ما استوى من الرمل، وهو مساحة صغيرة أمام المنزل يستخدمها أهل المنزل للراحة في أوقات الجو المعتدل اللطيف، (لوحة رقم ٩).


١٠

الرصـــــــعة

وهي ساحة المنزل من الخارج، (لوحة رقم ١٠).


١١

الركايـــــــا

الركية : البئر، وركا أي حفر. وهي حفر صغيرة تخصص للوضوء وتكون بجانب البركة، يبلغ قطرها١٠سم وعمق ٢٠سم تقريباً، ويصل بين كل ركية وأخرى مجرى بعرض ٥سم تقريباً لتزويدها بالماء. ويتم توزيع الماء في هذه الركايا عن طريق البركة، ويصب الماء في مساحة مربعة أمام نافذة البركة ثم ينتقل عبر المجرى إلى الركايا، (لوحة رقم ١١).


١٢

الســـــقيفة

مبان ذات مساحة مربعة ٣×٣م تقريباً وارتفاع بعضها لا يتجاوزمترين وتقام حول الحقول الزراعية، وتستخدم لتخزين المحاصيل والأدوات الزراعية، كما تشكل مقراً لمراقبة المزارع والحقول من الطيور والحيوانات السائبة في أثناء موسم الحمى (لوحة رقم ١٢).

الســـــيال

وهو لياسة من الجص على الجدران الخارجية تبدأ من السطح وتنتهي أسفل المبنى بعرض ٢٠سم تقريباً ذات جوانب بارزة لتصريف مياه الأمطار من الأسطح ويستفاد منها أيضاً في ري بعض الحقول الزراعية القريبة من المبنى، (لوحة رقم ١٣).



١٣

الـــدولج

ما يغلق به الباب من الداخل، وهي عارضة خشبية بعرض ٢٠سم تثبت في المداخل من الداخل، وتسحب في حالة إغلاق الباب من الداخل، (لوحة رقم ١٤).



١٤

الـــشينة

الشين مفرج الفم، وهي مجموعة من أحجار المرو الأبيض على شكل هرمي، توضع في أركان الحصن الأربعة وتعتبر مخبأ للرماة من جهة ومن جهة أخرى زخارف حجرية للحصن، (لوحة رقم ١٥).



١٥

الـــصبل

مكان مخصص للحيوانات يكون بين المنازل، خاصة في الأماكن الخالية من البناء، ويغطى بالعوارض الخشبية والأغصان والطين، (لوحة رقم ١٦).



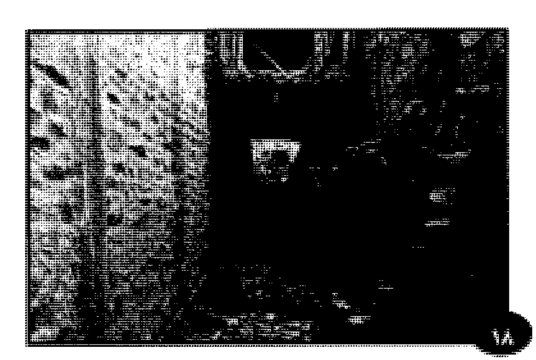
١٦

الصوح


١٧

هو الحائط، مساحة مربعة أو مستطيلة تبنى من الأحجار، تقام في مؤخرة المسجد، تعتبر فناء للمصلين في أثناء عدم اتساع الجامع، وللجلوس فيه لتبادل الأحاديث والأخبار بعد الانتهاء من أداء الصلاة، كما يعتبر ملتقى لأهل الحل والعقد من أبناء القرية لبحث قضاياهم الاجتماعية، (لوحة رقم ١٧).

المسراب


١٨

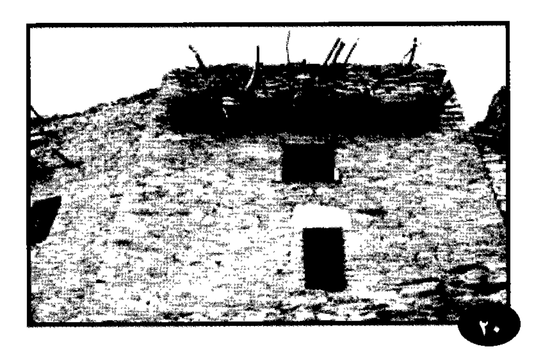
الممر الضيق بين المنازل، ويستخدم في التنقل بين المنازل، ومسماه مشتق من مسراب الماء، (لوحة رقم ١٨).

المراغة

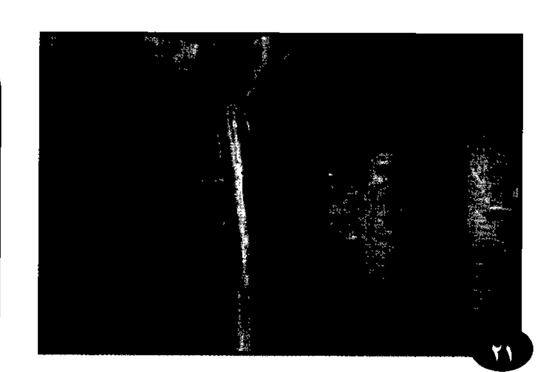

١٩

المرغ : مجتمع بعر الشاة، وهي حظائر الحيوانات إذا كانت بعيدة عن المنزل، وعادة تكون مكشوفة محاطة بالجدران بارتفاع ١,٥م ولها باب واحد بعرض مترين ثم يغلق بالأخشاب (لوحة رقم ١٩).

المجهة


٢٠

مساحة مكشوفة أمام البيت في الطوابق العليا تطل على الحقول والمزارع، كما يمكن أن يطلق عليها الرعش إذا كانت تطل على الجهات المذكورة، وهو ما يعرف حالياً بالشرفة، (لوحة رقم٢٠).


٢١

المعـــــــــــزب

وهو الباب الداخلي الموجود بين المنازل، ويربط المنازل ببعضها من دون الحاجة إلى النزول إلى الخارج، ويخصص عادة للنساء في أوقات السلم، كما أنه منفذ سري في أثناء الحروب، (لوحة رقم ٢١).

الدلهـــــــــــة

صندوق صغير من الخشب داخل الجدار يخصص لوضع الأغراض المتعلقة بصاحب المنزل وقد يكون داخل الحلانة.

الـــــــــــشيدة

تراب أبيض يخلط مع الماء ويزين به أعلى الجدران الداخلية.

الحـــــــــــدة

يقصد بها زاوية البناء في المنزل.

العقـــــــــــد

سقف المنزل بجميع عناصره.

الحـــــــــــوش

هو البناء الذي يحيط بالمنزل من الخارج، ويحدد حرمة البيت، ويعتبر نطاقاً أمنياً للعائلة، ويوفر الحماية والخصوصية لأصحاب المنزل. ويبنى من الأحجار، تراوح ارتفاعه بين مترين و٤م تقريباً وقد يكون الحوش من ثلاث جهات والجهة الرابعة أحد جدران المنزل.

المـــــــــــدلى

مفتاح الباب، ويستخدم في فتح الباب من الخارج، حيث يتم إدخاله في ثقب موجود في الباب باتجاه الرصد في الداخل وعند دخول الأسنان الحديدية داخل الرصد يتم تحريكه وإخراج العارضة الخشبية من عابر الباب.

الخبــــــــــارة

فتحة في أسفل الجدار تستخدم لتصريف المياه من الغرف في أثناء تنظيف المنزل بدل السرب.

المخــــــــــرج

وهي عبارة عن مجلس ليلي للعائلة، ويكون عادة أمام غرفة نوم رب البيت أي ما يعرف بالعلية.

الطاقـــــــــــة

ويقصد بها النافذة أو الشباك.

المــــــــــسدح

وهي كالسرير تعمل من أغصان الأشجار الصغيرة التي تعرف بـ(الرمل)، يعلق في سقف العلية من أربع جهات بالحبال وتعرف هذه الحبال بـ(الخيطة) أو (المرش)

النكـــــــــــل

القيد الشديد من أي شي كان وهو عارضة من الخشب يوصد به الباب من الداخل ويركب في عابر الباب. كما يمكن أن يطلق عليه أيضاً (الدولج).

المــــــــــسيد

وهو المسجد.

الخــــــــــضار

اللون الأخضر للجدران في الغرف الداخلية للمنزل، وتدعك الجدران في نصفها العلوي ببعض النباتات لتعطي الجدار لوناً أخضر.

الرصـــــــــــد

ما يوصد به الباب من الداخل، وهو عارضة خشبية بطول متر واحد تقريباً تثبت في الباب ويتم إقحامها في العابر.

الخاتمـــــة

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب الذي ركز في مادته على دراسة أثرية معمارية لوادي بيدة ـ منطقة الدراسة ـ أتضح أن وادي بيدة غني بالآثار والتراث الشعبي الأصل، الذي يحمل سمات خاصة تعتبر علامة مميزة لتاريخه، وتضم الآثار أبنية مدنية وحربية وزراعية بقي منها الكثير، ومواقع تاريخية تذكر بأيام الجاهلية، والعديد من فرسانه وشعرائه الذين لم يغيبوا عن صفحات التاريخ. ونستطيع أن نجمل أهم النتائج لهذه الدراسة في ما يلي:

١- أثرت مواد البناء على تصميم المنشآت المعمارية، فاستخدمت الأحجار المتوافرة في المنطقة والمتميزة برشاقتها وقوتها، وهذا ما جعلها تصمد مع مرور الزمن، وكذلك استخدمت جذوع الأشجار وفروعها في التسقيف، فظهر نظام التسقيف مسطحاً، كما أن هذه المواد متوافرة في المنطقة ولا حاجة لاستيرادها.

٢- أثر الموقع الجغرافي على تصميم المنشآت المعمارية، فقد أدى وجود قرية الجدلان في مكان مرتفع إلى تجنب المعمار بناء حصون دفاعية، خلاف قرية الغتامية التي وجدت فيها الحصون، لوقوعها في بطن الوادي.

٣- توافق التخطيط الداخلي للمنازل بشكل عام في قرى بيدة مع اختلاف بسيط في حجم الغرف وتوزيعها.

٤- قلة المنازل والمساجد والحصون الزراعية في معشوقة وكثرة الحصون الدفاعية وهذا يدل على الحالة الأمنية التي كانت سائدة في تلك الفترة التي بنيت فيها تلك المنشآت.

٥- اختلاف التخطيط الداخلي للحصون الحربية في بيدة عنه في معشوقة، فإلى جانب المهمة الدفاعية في بيدة، نجدها استغلت لخدمة الأغراض الزراعية في أوقات السلم، في حين كانت مخصصة للدفاع والمراقبة فقط في معشوقة.

٦- انتشار وتشابه الزخارف المنفذة على الأخشاب في منازل بيدة ، وخلو منازل معشوقة من هذه الزخارف، في حين تظهر الزخارف المنفذة على الأحجار في حصون معشوقة.

٧- استخدام بعض العناصر المعمارية في الزخرفة في الحصون، مثل البروج الحربية وغمائم الأبواب والنوافذ والعبر.

٨- كثرة الآبار المطمورة، وهي تدل على قيام أعمال زراعية قديمة في هذه المنطقة، وهذا ما دفع بعض القرى المجاورة خارج منطقة الدراسة إلى الاستيطان في هذه القرى للزراعة ثم العودة إلى قراهم الأصلية بعد انتهاء موسم الحصاد.

٩- استخدام الرعوش عناصر دفاعية في أوقات الحرب وتوظيفها بصفتها ظلة صيفية في أثناء السلم، وهذه صفة تنفرد بها قرى بيدة عن معشوقة.

١٠- استخدام الرعوش حول أسطح المنازل في قرية الغتامية على أنها وسيلة دفاعية للتنقل بين واجهات القرية، واستخدام الأبواب الداخلية للوصول إلى منازل مجاورة للمحافظة على الأمن الداخلي ومراقبة المنطقة من دون الحاجة إلى الخروج عن حدود القرية.

١١- إن صعوبة اختراق قرية الجدلان وقرية الغتامية يدل على اهتمام المعمار بالناحية الأمنية وجعلها محصنة، وبذلك يصعب على الغريب اختراق هذه القرى والوصول إلى داخل المنازل.

١٢- أهمية قرية معشوقة جعلها عرضة للعبث ونقص الأحجار والآثار فيها، خاصة تلك التي تحمل شواهد وكتابات مؤرخة.

والله الموفق ،،

المصادر والمراجع



١- قائمة المصادر:

(١)- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح بن يعقوب.

صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر. تصحيح أو سكر لوفخرين، ليدن، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ج١

(٢)- ابن بشر، عثمان بن عبدالله .

عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق وزارة المعارف. بيروت: دار صادر.

(٣)- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد.

رحلة ابن جبير. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤)- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي.

الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتب العالمية، مج٤، ج ٧.

(٥)- ابن حزم، أبو محمد بن أحمد.

جمهرة أنساب العرب. ط٤؛ القاهرة: دار المعارف.

(٦)- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله.

المسالك والممالك. تحقيق دي جويه. ليدن، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م.

(٧)- ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد.

المقدمة. تحقيق علي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٨م، ج٣.

(٨)- ابن سعد، محمد.

الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١.

(٩)- ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل.

تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، مج٤.

(١٠)- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد.

لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، مج ١٢.

(١١)- ابن هشام، أبومحمد بن عبد الملك.

السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي. ط٤؛ بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١.

(١٢)- الأصفهاني أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم.

الأغاني. ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج٢١.

(١٣)- البركاتي، شرف عبدالمحسن.

الرحلة اليمانية. ط٢؛ بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(١٤)- البغدادي، أبو الفوز محمد أمين.

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. ط٦؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(١٥)- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز.

معجم ما استعجم من البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا. ط٣؛ بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ج١

(١٦)- الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الإمام.

كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجريرة. تحقيق حمد الجاسر.الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(١٧)- الحقيل، حمد إبراهيم.

كنز الأنساب ومجمع الآداب. ط٤، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(١٨)- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله.

معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج١.

(١٩)- الدمشقي، الامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.

رياض الصالحين. حققه واخرج أحاديثه عبدالعزيز رباح واحمد الدقاق، راجعه شعيب الأرنؤط. ط١٢؛ بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١١هـ/١٩٩٠م،

(٢٠)- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مج ١٢.

(٢١)- الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان.

كتاب آراء المدينة الفاضلة. تقديم وتعليق البيرنصري نادر. ط٣؛ بيروت: دار المشرق ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٢٢)- الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب.

القاموس المحيط. ط٣؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢٣)- القلقشندي، أبو العباس علي بن أحمد.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

(٢٤)- **المنجد في اللغة والأعلام**. ط٢٧؛ بيروت: دار المشرق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢٥)- الهاشمي، السيد أحمد.

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. ط٢٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ،ج٣.

(٢٦)- الهمداني، الحسن بن أحمد.

صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الأكوع. الرياض: دار اليمامة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٢٧)- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر.

تاريخ اليعقوبي. ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢- المراجع العربية :

(١)- آل زلفة، محمد عبدالله .

لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٢)- ابن عقيل، أبو عبدالرحمن محمد عمر الظاهري.

بنـوهلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب. ط١؛ الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣)- أبو داهش، عبدالله محمد.

أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية. ط١، مكتبة دار الحكمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٤)- الأحيدب، أحمد.

توزيع الأمطار في المملكة العربية السعودية. معهد البحوث والدراسات العربية، سلسلة الدراسات الخاصة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥)- بوركهارت، جوهان لودفيج.

مواد لتاريخ الوهابيين. ترجمة عبدالله العثيمين. ط٢؛ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٦)- تاميزيه، موريس.

رحلات في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ١٨٣٤. ترجمة محمد عبدالله آل زلفة. ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٧)- الجار الله، عبدالعزيز بن جار الله.

الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٨)- الجاسر، حمد.

في سراة غامد وزهران نصوص ومشاهدات. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(٩)- جريس، غيثان علي.

عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(١٠)- الجميعي، عبد المنعم إبراهيم الدسوقي.

عسير خلال قرنيين ١٢١٥- ١٤٠٨/١٨٠٠- ١٩٨٨م. ط١؛ أبها: النادي الأدبي، ١٤١١هـ /١٩٩٠م.

(١١)- الجودي، صالح غازي.

وسم الإبل عند بعض القبائل. سلسلة كتاب الرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، العدد الرابع عشر.

(١٢)- جودي، محمد حسين.

العمارة العربية الإسلامية. ط١؛ عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(١٣)- الحداد، محمد حمزة.

موسوعة العمارة الإسلامية في مصر. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

(١٤)- حريري، مجدي محمد عبدالرحمن.

أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(١٥)- الحسيل، إبراهيم بن أحمد.

غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١،ج٢.

(١٦)- الحواس، فهد صالح.

عمارة المنزل في منطقة حائل. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٧)- خان، مجيد حسن.

- **الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية**. الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **الوسوم الرموز القبلية في المملكة العربية السعودية**. ترجمة عبدالرحمن الزهراني. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠.

(١٨)- دوستال، والتر.

ملامح من الثقافة التقليدية لمنطقة عسير (دراسة إثنوغرافية). ترجمة يوسف بن مختار الأمين وسعد عبدالعزيز الراشد. الرياض: مؤسسة التراث، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(١٩)- الراشد، سعد بن عبدالعزيز.

- **كتابات اسلامية غير منشورة من رواوة المدينة المنورة**. ط١؛ الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٧٨.
- **درب زبيدة. الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام**، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٢٠)- الريحاني، أمين.

تاريخ نجد وملحقاتها. ط٤؛ بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٢١)- الزركلي، خير الدين.

- **الأعلام**. ط٣؛ بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٣.
- **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز**. ط٣؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١.

(٢٢)- زكي حسن.

فنون الإسلام. القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

(٢٣)- الزهراني، معيض سدران.

التبيان في تاريخ أنساب زهران. ط١؛ الدمام، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٢٤)- الزيد، إبراهيم محمد.

تاريخ المنصوري. ط١؛ الطائف: النادي الادبي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

(٢٥)- الزيلعي، أحمد عمر.

- **الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية**. ط١؛ الرياض، ١٤١٧هـ/.١٩٩٦م
- ""**نقوش تهامة الشاهدية إهمالها والعبث بها**"". بحث مقدم في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها الرياض ١٥- ١٨ رجب ١٤٢٠هـ". الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مج١.

(٢٦)- السلوك، علي صالح.

المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران. ط٣؛ جدة: دار العلم، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢٧)- شافعي، فريد.

العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ط١؛ الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

(٢٨)- الشريف، عبدالرحمن صادق.

جغرافية المملكة العربية السعودية. دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢.

(٢٩)- الشمراني، صالح.

أشكال المدرجات. مكة المكرمة: معهد إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٣٠)- الشنطي، أحمد محمود.

الثروة المعدنية والتعدين. ضمن سلسلة الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. ط١؛ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م، مج٣.

(٣١)- الشهري، عبدالهادي عبدالله.

الحروب التركية في المنطقة الجنوبية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣٢)- ضيف، شوقي.

العصر الجاهلي. ط؛٩، دار المعارف.

(٣٣)- عبد الحميد، سعد زغلول.

العمارة والفنون في دولة الإسلام. الإسكندرية: دارالمعارف للنشر.

(٣٤)- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن.

محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤هـ- ١٢٥٦هـ/١٨١٩م- ١٨٤٠م. ط١؛ القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢.

(٣٥)- عبدالجواد، توفيق حمد.

العمارة الإسلامية فكر وحضارة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣٦)- عبده، أسعد سليمان.

معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية. ط١؛ جدة: مكتبة المدني للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٣٧)- عثمان، محمد عبد الستار.

المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٣٨)- العثيمين، عبدالله الصالح.

تاريخ المملكة العربية السعودية. ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١.

(٣٩)- العجلاني، منير.

تاريخ البلاد العربية السعودية. ط٣، دارالشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣هـ، ج٤.

(٤٠)- علي، فؤاد حسنين،

قصصنا الشعبي. القاهرة: دارالفكر العربي، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

(٤١)- غالب، عبدالرحيم.

موسوعة العمارة الإسلامية. ط١؛ بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤٢)- الغامدي، صالح عون.

الباحة. سلسلة هذه بلادنا. ط١؛ الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٤٣)- الفقيه، حسن إبراهيم.

مخلاف عشم. ط١؛ الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٤٤)- فكري، أحمد.

مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل. ط١؛ القاهرة: دار المعارف.

(٤٥)- القباني، محمد عبدالعزيز.

التوزيع المكاني للسكان والتنمية في المملكة العربية السعودية من ١٣٩٤هـ – ١٤١٣هـ. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٦)- كرزويل، كيبل

الآثار الإسلامية الأولى. ترجمة عبدالهادي عبلة. ط١؛ دمشق: دار قتيبة للنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٤٧)- محمد، سعاد ماهر.

- **كتاب الفنون الإسلامية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **العمارة الإسلامية**. ج١.

(٤٨)- **المساجد في المدن العربية**. توطئة لموسوعة المساجد. المعهد العربي لإنماء المدن، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٤٩)- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة. ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١.

(٥٠)- نويصر، محمد حسني.

الآثار الإسلامية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٥١)- النويصر، محمد عبدالله.

خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد). الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣- الرسائل العلمية:

(١)- الزهراني، عبد الله سالم.

أسواق الباحة دراسة جغرافية، رسالة ماجستير قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢)- الزهراني، محفوظ بن سعيد بن مسفر.

تحصينات مدينة أبها في الفترة من ١٢٨٨- ١٣٣٧هـ. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٣)- العبودي، أحمد صالح.

الأنماط المعمارية التقليدية في تهامة زهران. رسالة ماجستير قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٤)- الكلابي، حياة عبدالله حسين.

النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري). رسالة دكتوراه قسم الآثار والمتاحف كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤- الدوريات :

(١)- حسن، سليمان محمود.

"" الأجزاء الخشبية المكملة للبيوت الحجرية في المملكة العربية السعودية"". **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد ١٣، الدوحة، السنة الرابعة، (جمادى الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

(٢)- **دليل الترميز الموحد للمناطق والمحافظات والمراكز الإدارية في المملكة العربية السعودية.**

المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، ديوان رئاسة مجلس الوزراء.

(٣)- الربدي، محمد صالح.

بحث "" السكان "" **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، مج٣.

(٤)- الزهراني، عبدالرحمن بن علي وآخرون.

"" التقرير المبدئي عن الرسوم الصخرية (الطائف /الباحة) الموسم الخامس ١٤١٠هـ"" **حولية الآثار العربية السعودية(أطلال)**، العدد١٣، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٥)- الشافعي، فريد.

"" العمارة العربية والإسلامية"". **مجلة الدارة**، العدد٢ السنة الأولى، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

(٦)- الكحلاوي، محمد.

""القيم الدينية وأثرها في تخطيط عمارة المسجد"". **مجلة دراسات في علم الآثار والتراث**، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، العدد١، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٥- التقارير والبحوث غير المنشورة:

(١)- تقرير مكتب آثار منطقة الباحة لعام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ بالخطاب رقم (بدون) وتاريخ ١٤٠٢/٩/١٢هـ.

(٢)- الزهراني، عوض علي. المشاري، سعد.

تقرير معاينة الآثار في جبال عيسان. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣)- العمير، عبدالله بن إبراهيم.

عدد ومستلزمات الحرفيين الشعبيين في المملكة العربية السعودية. القاهرة: بحث مقدم إلى مؤتمر المأثورات الشعبية العربية في مائة عام، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٦- المراجع الأجنبية :

(1)- al-Thenayian, Mohammed Bin A. Rashed, **An Archaeological Study Of Yemeni Highland Pilgrim Route Between Sana And Makkah**, Deputy Ministry for Antiquities&Museums, Riyadh, 1420H/2000

(2)- King Gofery

The Traditional Achitecture of Arabia, London.

Some Observation on the Architecture of South west Saudi Arabia, the Architectural Quarterly, VIII, 1976..

(3)- Mauger, Thierry. **Undiscovered Asir,**

٧ – المقابلات الشخصية:

(١)- إبراهيم محمد الزيد. جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ.

(٢)- احمد عبدالله حسين الزهراني. بيدة- قرية الراس، مدير متوسطة القادسية.

(٣)- أحمد غرم الله الزهراني. بيدة- قرية اللغاميس، مدير ابتدائية آل سلمان بزهران.

(٤)- جمعان المعلم. بيدة- قرية الرقبان.

(٥)- خضران بن غزاي الزهراني. بيدة- قرية العقارية.

(٦)- سعيد بن حنش الغامدي. بيدة- قرية .

(٧)- سعيد بن صالح الزهراني . القرى- قرية القامرة، إدارة التربية والتعليم بمنطقة الباحة.

(٨)- سعيد بن منسي الغامدي. بيدة- معشوقة، مدير متوسطة وثانوية معشوقة..

(٩)- شائق بن مسفر الغامدي. معشوقة، متوسطة معشوقة.

(١٠)- عبد الرحيم جمعان سعيد حنش الغامدي. بيدة- قرية الختامية، متوسطة بطحان .

(١١)- عبد العزيز شلحان الزهراني. الأطاولة مركز الإشراف التربوي بمحافظة القرى.

(١٢)- عبد الله بن حسين الزهراني. بيدة- قرية الرأس.

(١٣)- عبد الله بن ساعد الغامدي. معشوقة.

(١٤)- عبد الله بن شائق الغامدي. معشوقة.

(١٥)- عبد الله بن علي صيدة الزهراني . بيدة- قرية ال دغمان، مدير متوسطة بطحان، العمر.

(١٦)- علي عبادي الزهراني. القرى- قرية الوهدة.

(١٧)- فيصل بن محمد الغامدي. معشوقة، متوسطة معشوقة.

(١٨)- مسفر بن احمد الزهراني. بيدة- قرية اللغاميس.

(١٩)- مسفر بن دوالي الزهراني. بيدة- قرية آل زياد.

(٢٠)- مسفر بن سعيد الغامدي. معشوقة، متوسطة معشوقة.

(٢١)- يحيى عبد الله الزهراني. بيدة- قرية الجدلان ، مدير ابتدائية معشوقة.

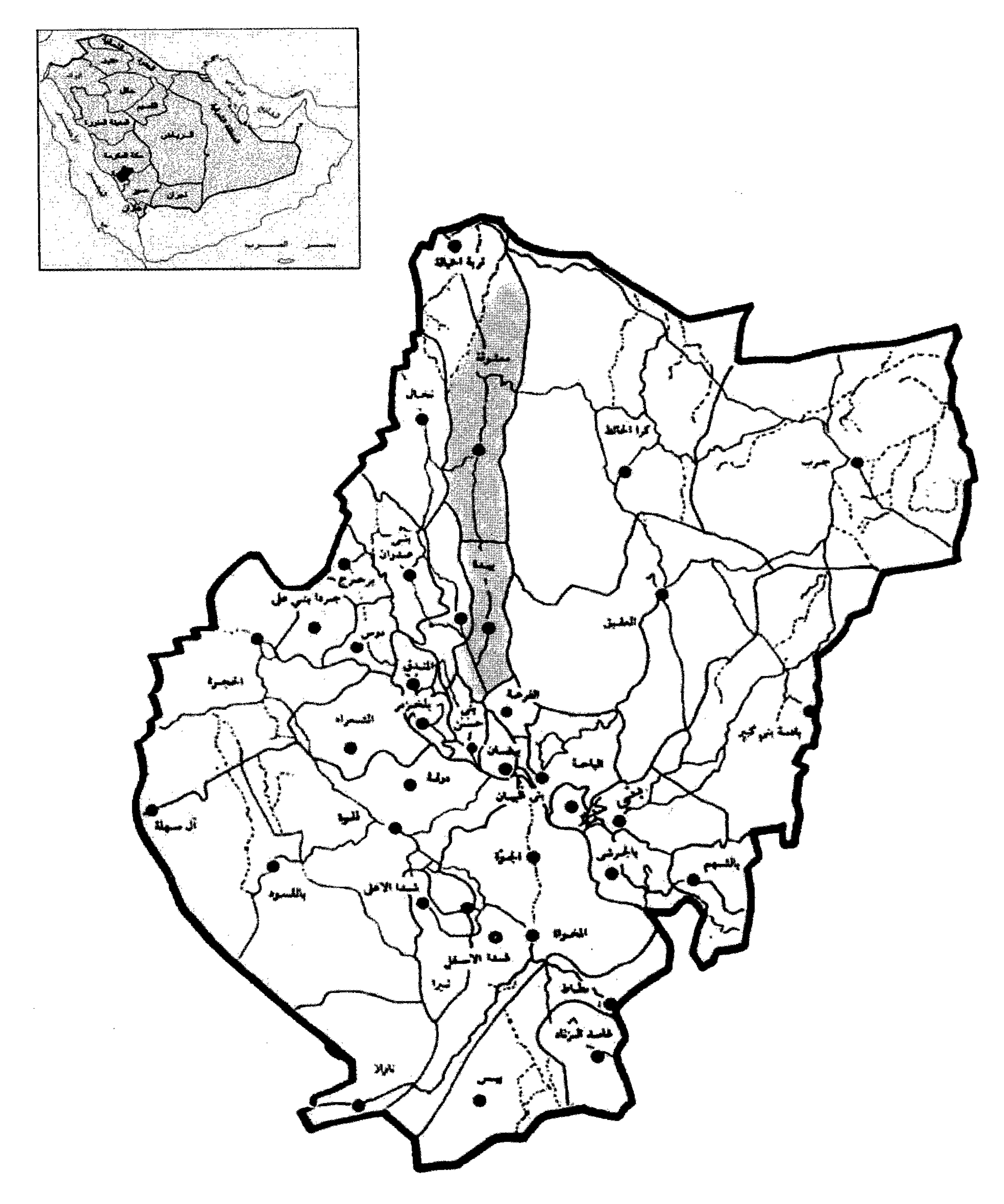
الأشكـــــال





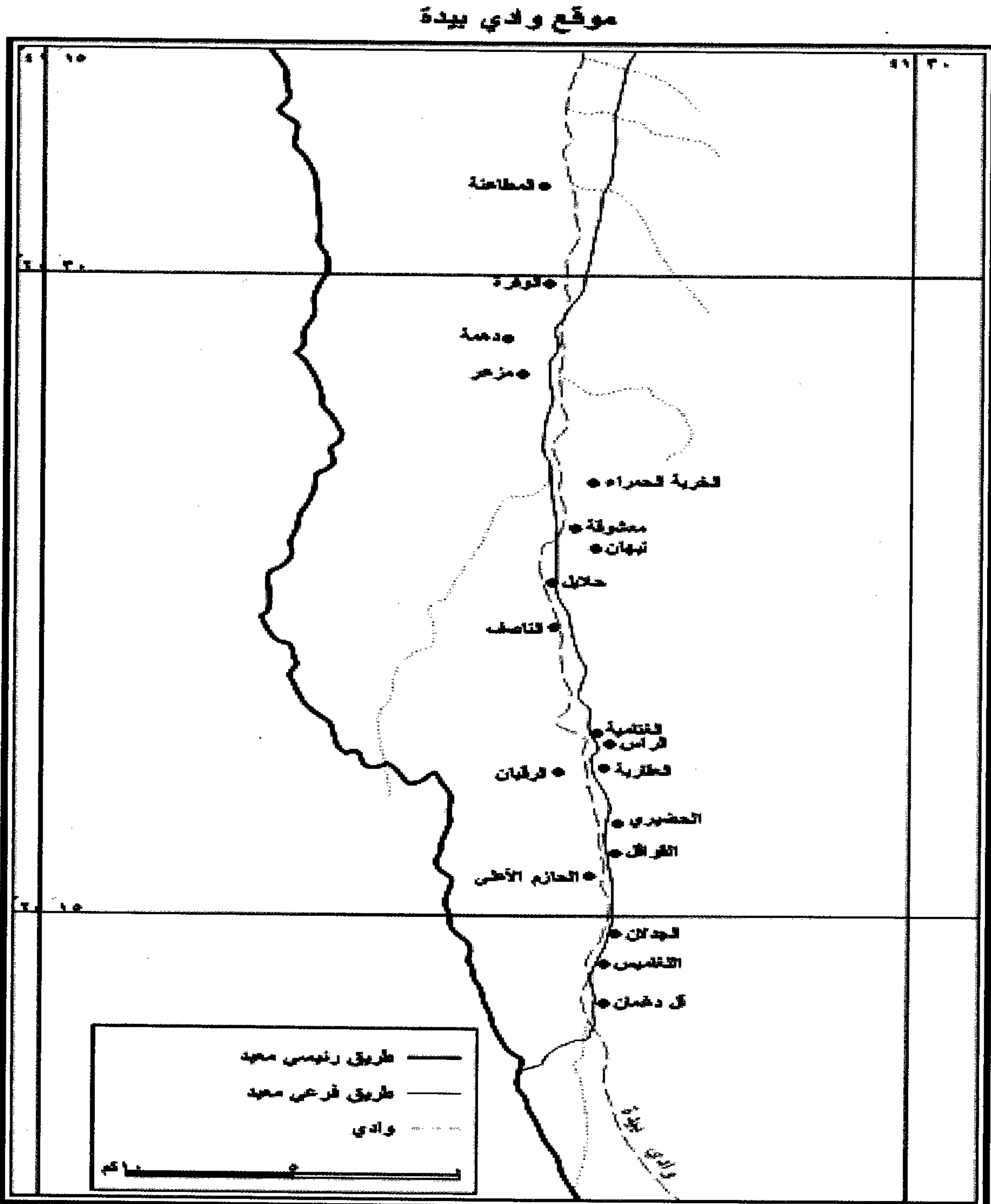
شكل رقم (١) خارطة تبين وقوع منطقة الباحة

ضمن مناطق المملكة العربية السعودية



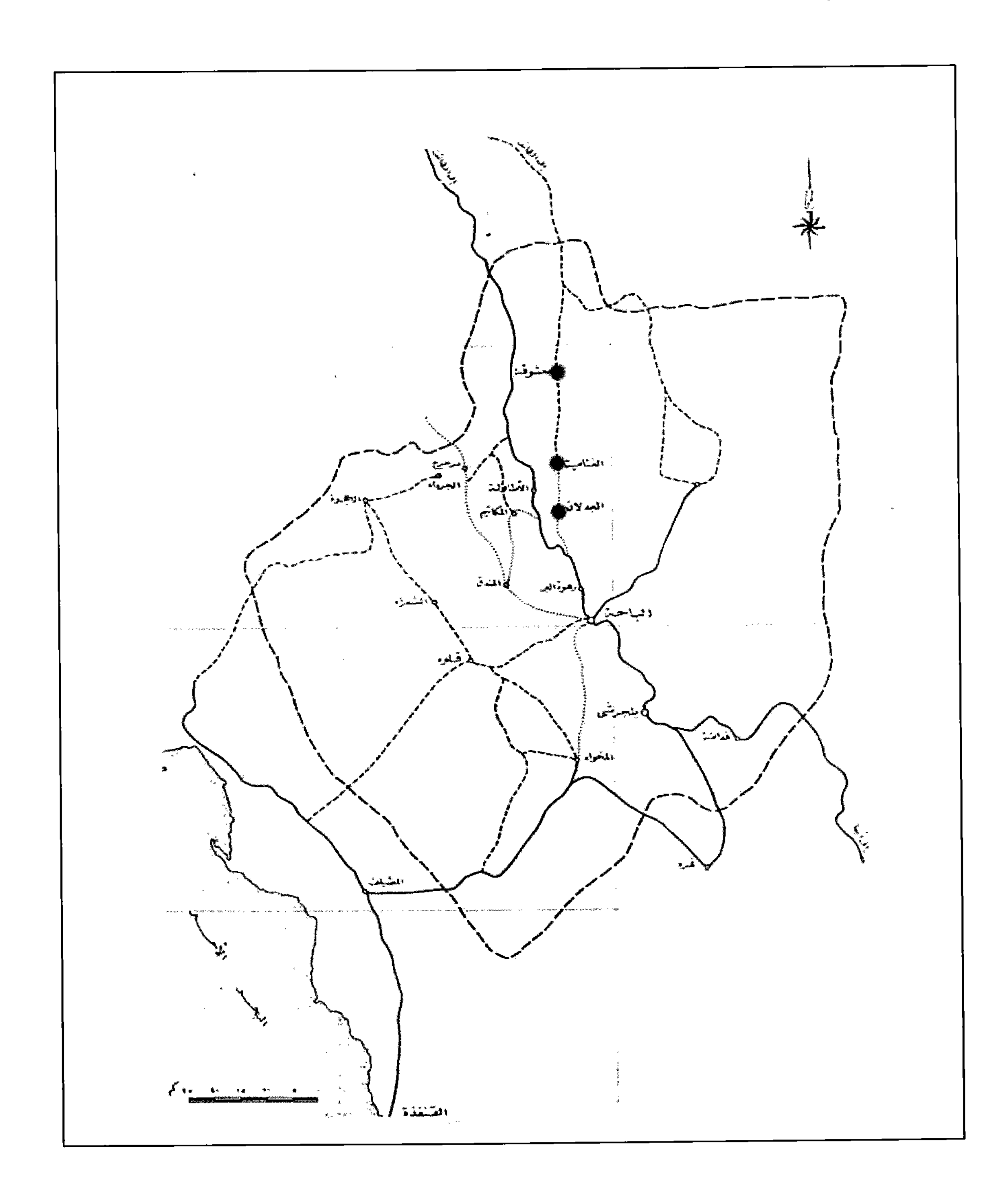
شكل رقم (٢) خارطة توضح المراكز التابعة لمنطقة الباحة،

اللون المظلل يبين منطقة الدراسة



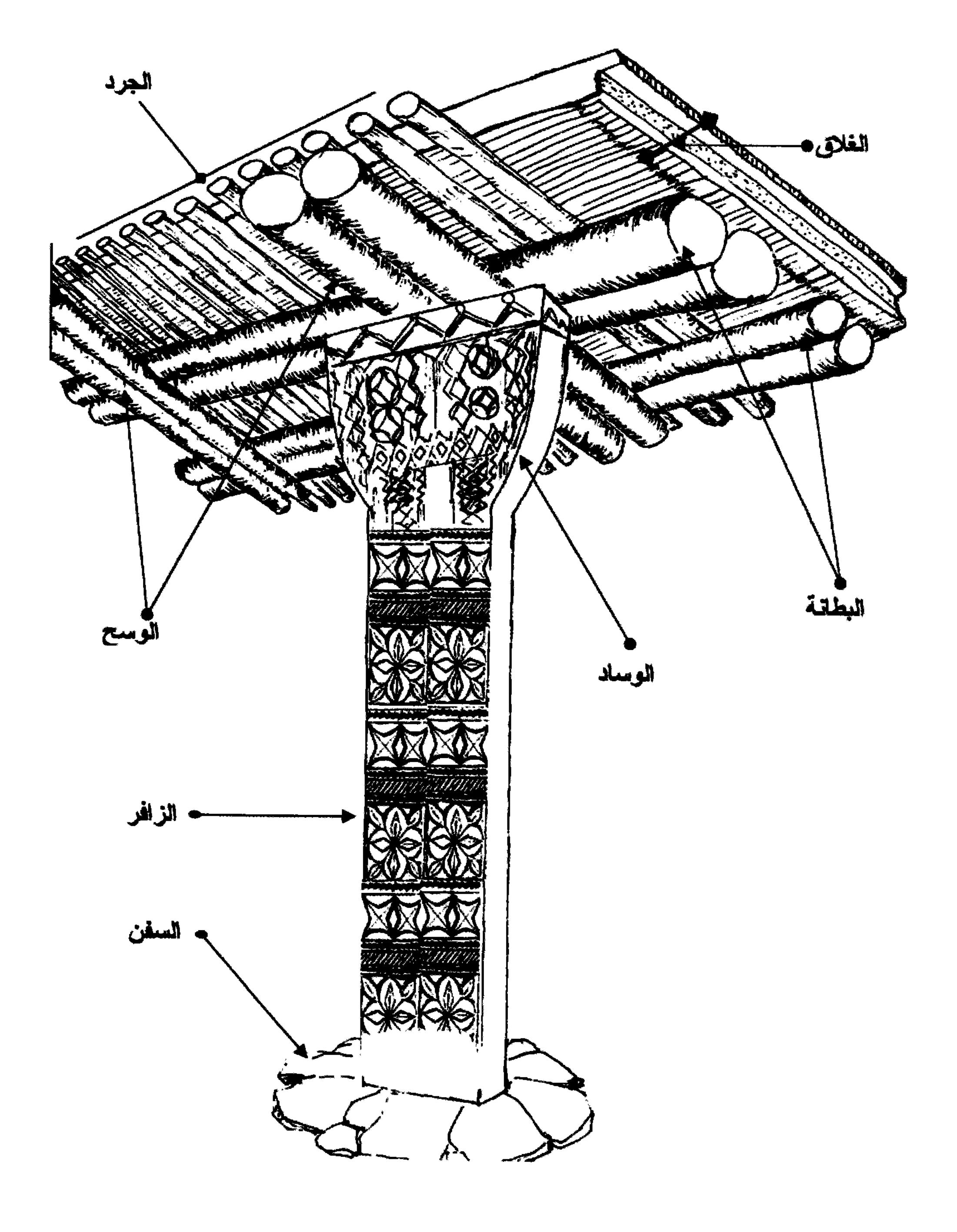
المصدر: المملكة العربية السعودية ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، إدارة المساحة الجوية ، لوحة رقم ١٦-٢٧ KC

شكل رقم (٣) توزيع القرى في وادي بيدة



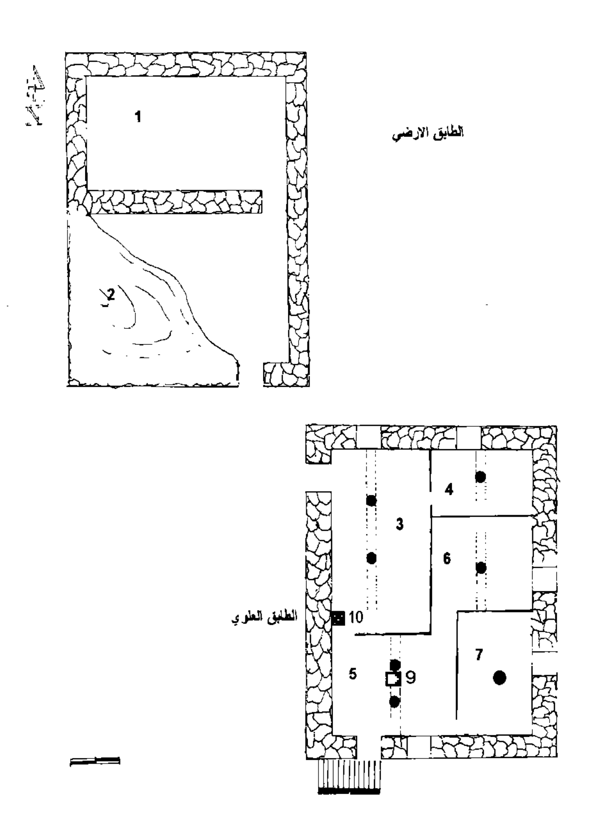
شكل رقم (٤) خارطة تبين مواقع الأسواق الأسبوعية القديمة

في منطقة الدراسة (عن: عبد الله سالم الزهراني).



شكل رقم (٥) مكونات السقف

شكل رقم (٦)



وادي بيدة دراسة أثرية معمارية

مسقط أفقي لمنزل الجدلان

١- غرفة تخزين(عيون) ٦- غرفة رب العائلة

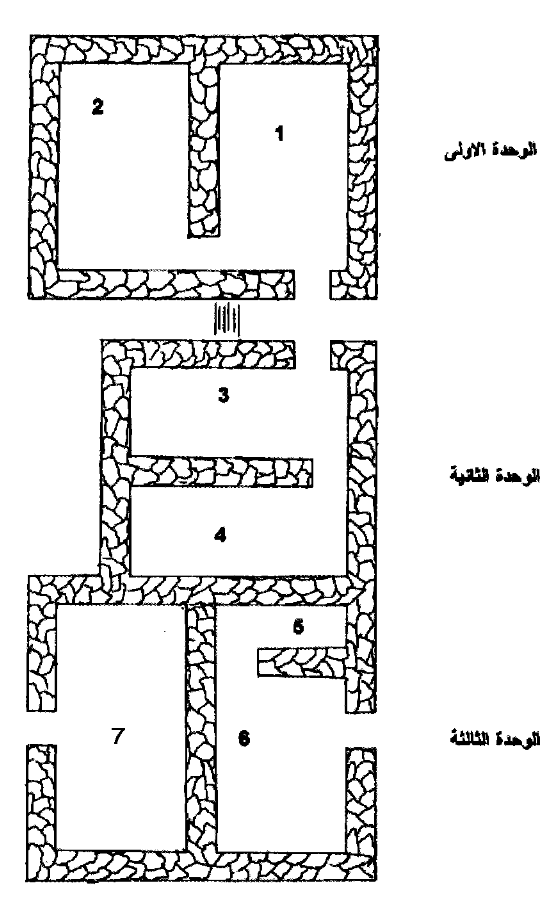
٢- جزء من التكوين الصخري وغرفة حيوانات(سفل)

٣- مجلس رجال ٧- غرفة نوم

٤- غرفة نوم ٨–ملة

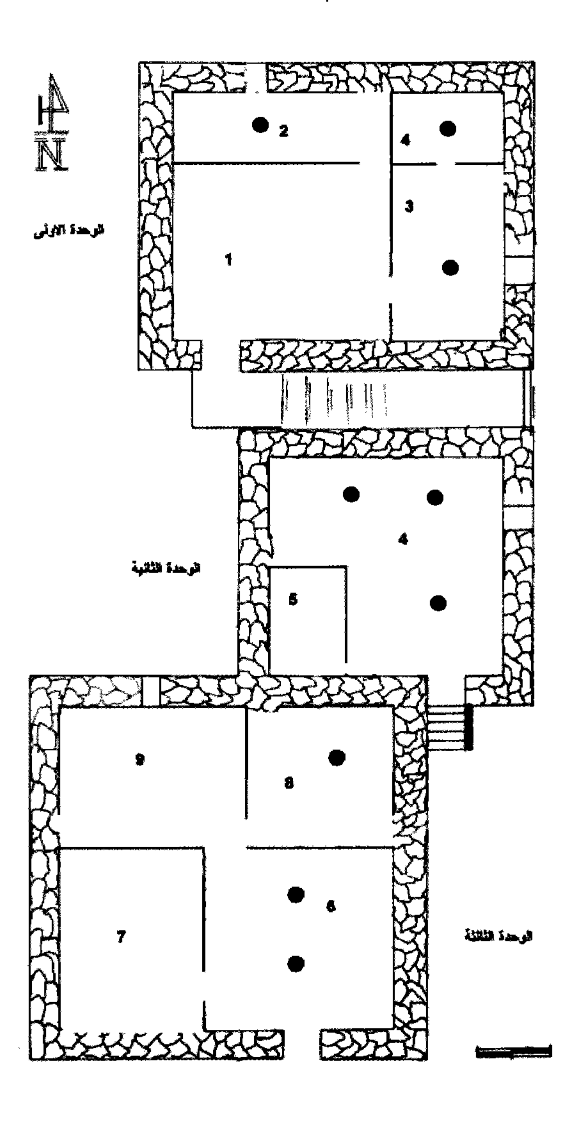
٥- غرفة معيشة ٩- خوة

شكل رقم (٧)



وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لمنزل الغتامية- طابق ارضي ، الوحدات ٣/٢/١	
١- سفل	٥- عيون
٢- عيون	٦- عيون
٣- ممر بين الوحدتين	٧- سفل
٤- سفل	

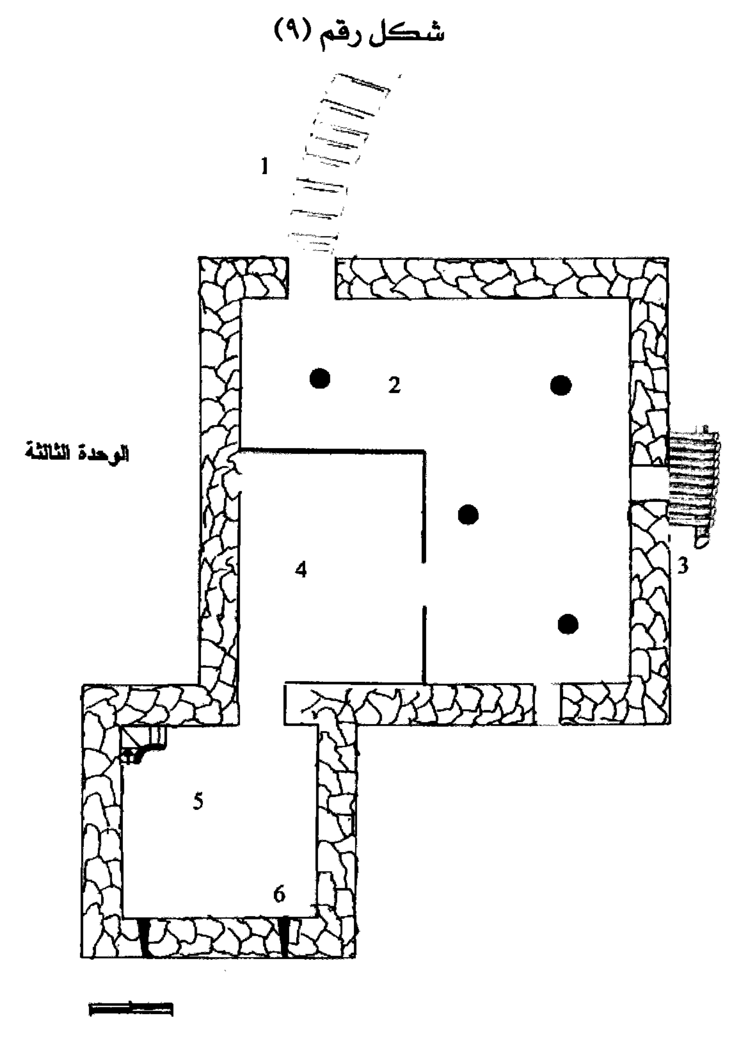
شكل رقم (٨)



وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لمنزل الغتامية – الطابق الاول	
١- غرفة معيشة	٥- مجلس رجال
٢- غرفة نوم	٦- مخزن
٣- غرفة استقبال	٧- غرفة نوم ذكور
٤- غرفة احتياطية	٨- علية
	٩- غرفة احتياطية

شكل رقم (٩)

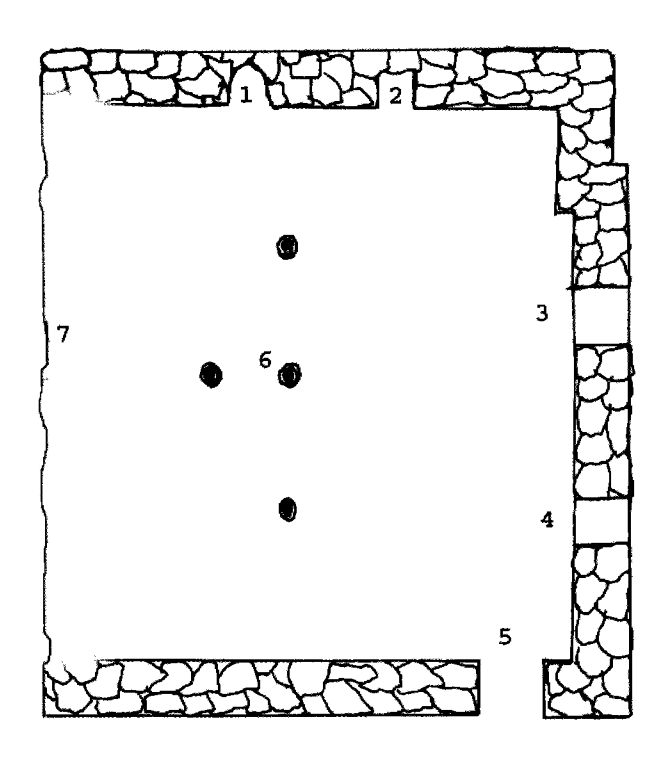




وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لمنزل الغتامية- الطابق الثاني	
١- سلم من بين الوحدة ١ و٢	٤- غرفة
٢- مجلس اجتماعات	٥- حصن
٣- رعش	٦- برج حربي

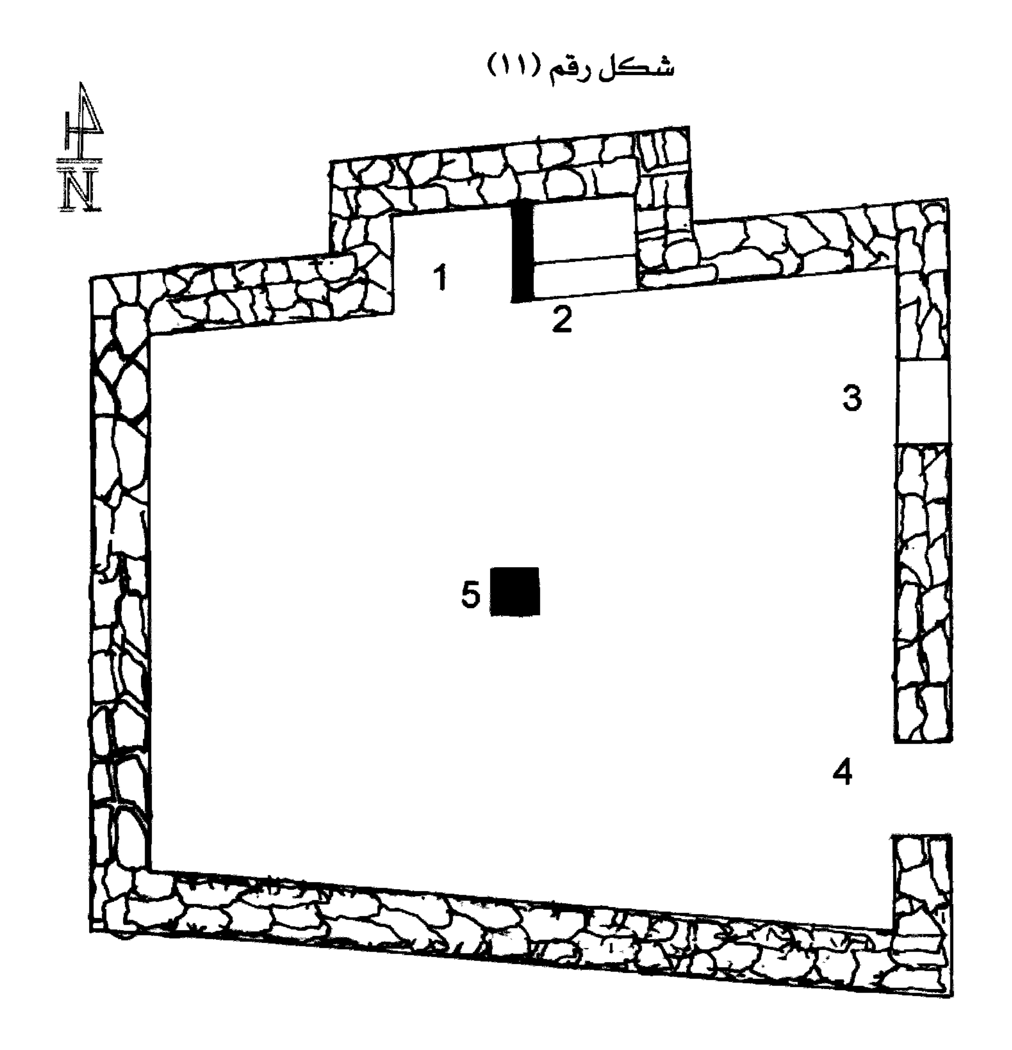
شكل رقم (١٠)





وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لمسجد قرية الجدلان- بيدة	
١- محراب	٥- مدخل
٢- منبر	٦- زافر
٣- نافذة	٧- جزء من التكوين الصخري
٤- نافذة	

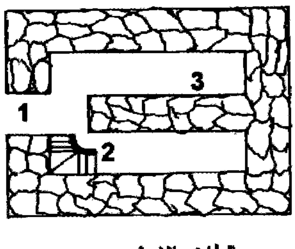
شكل رقم (١١)



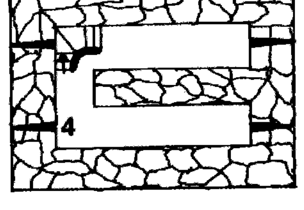
وادي بيدة دراسة أثرية معمارية
مسقط أفقي لمسجد قرية الغتامية- بيدة
١- محراب ٤- مدخل ٢- منبر ٥- عمود مسلح ٣- نافذة

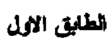
شكل رقم (١٢)

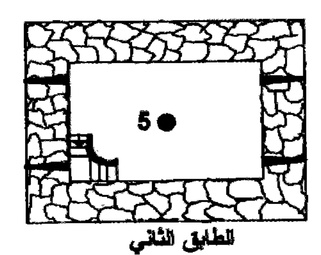




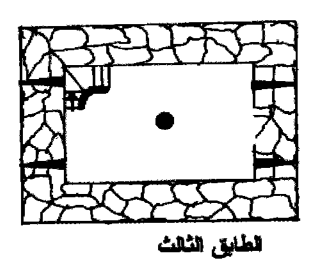
الطابق الارضي



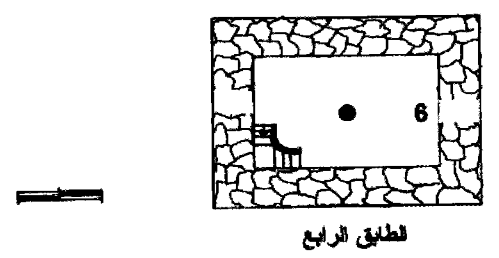

الطابق الاول



الطابق الثاني



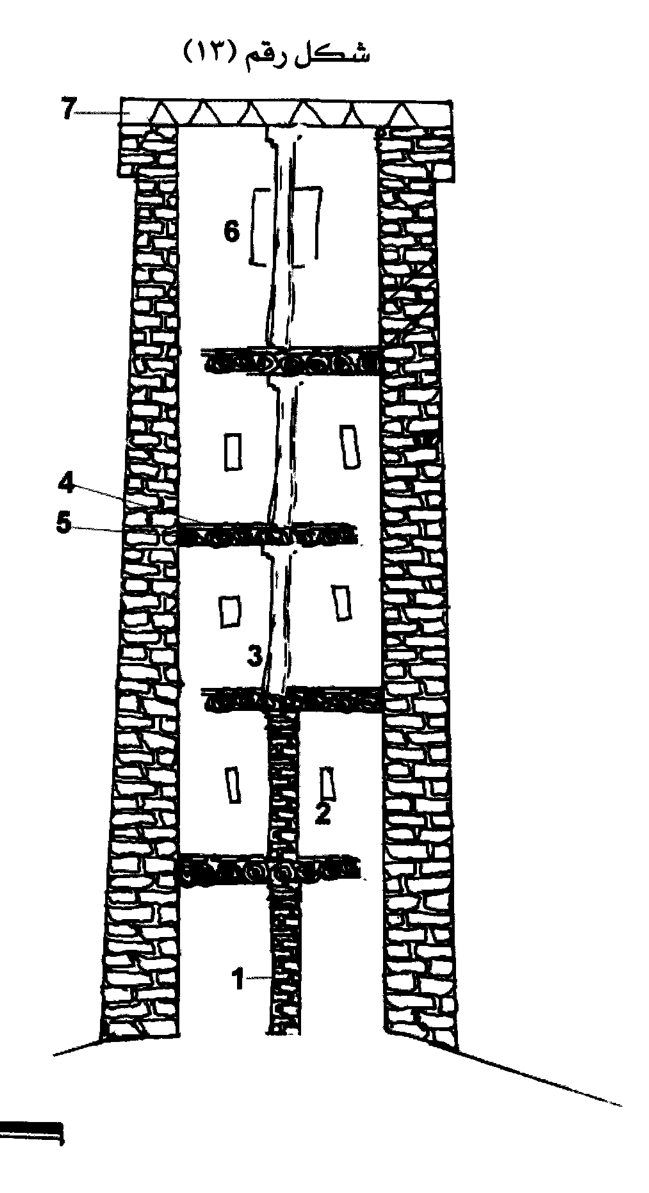
الطابق الثالث



الطابق الرابع

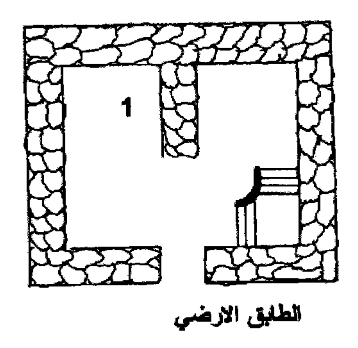
وادي بيدة دراسة آثرية معمارية	
مسقط أفقي لحصن العقارية - بيدة	
١- مدخل	٥- عمود من الخشب
٢- درج	٦- نافذة مراقبة
٣- غرفة حيوانات	
٤- برج حربي	

شكل رقم (١٣)

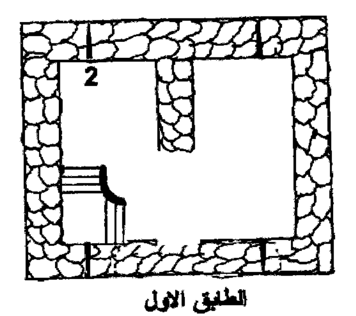


وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
قطاع للواجهة الغربية لحصن العقاربة - بيدة	
١- رده	٥- اخشاب عرعر
٢- برج حربي	٦- نافذة مراقبة
٣- زافر	٧- جون
٤- صلي	

شكل رقم (١٤)



الطابق الارضي

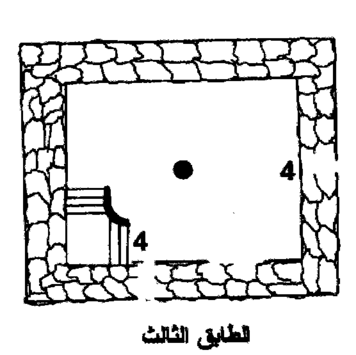


الطابق الاول

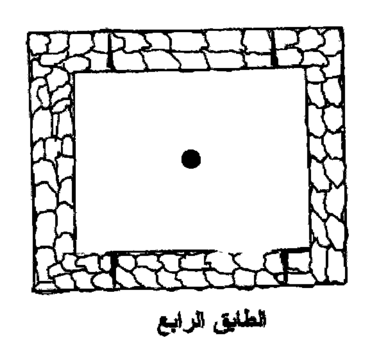




الطابق الثاني



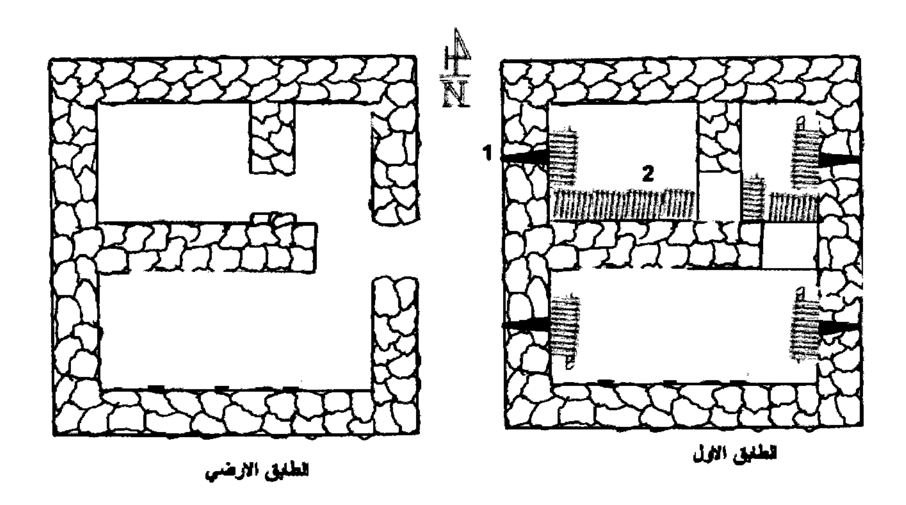
الطابق الثالث

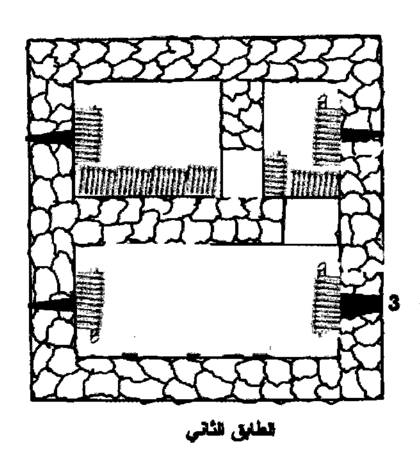


الطابق الرابع

وادي بيدة دراسة أثرية معمارية
مسقط أفقي لحصن الرقبان - بيدة
١- غرفة حيوانات ٢- برج حربي ٣- درج ٤- نافذة مراقبة

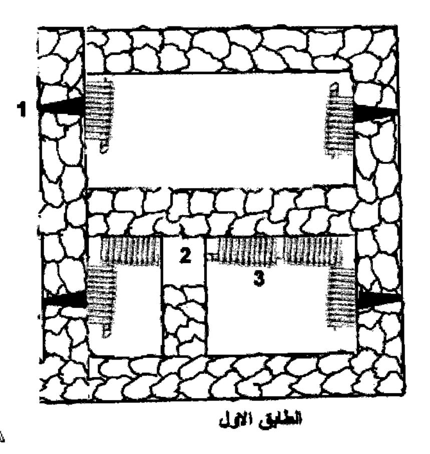
شكل رقم (١٥)



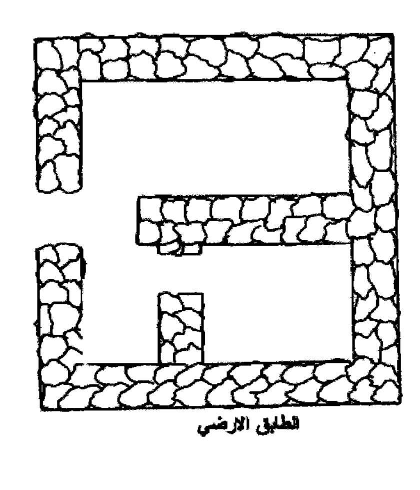


وادي بيدة دراسة أثرية معمارية
مسقط أفقي لحصن مزعر- معشوقة
١- برج حربي ٢- رعوش للتنقل ٣- نافذة مراقبة

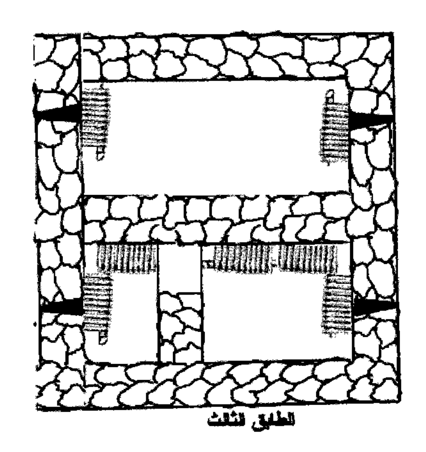
شكل رقم (١٦)

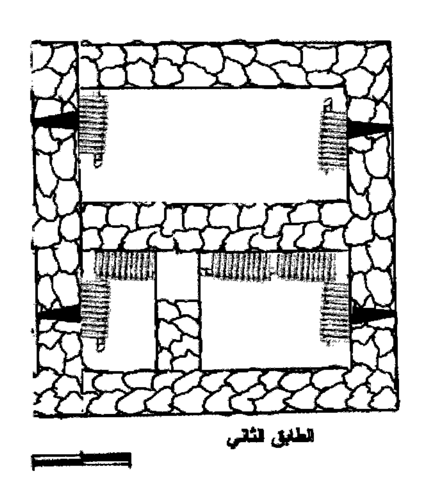


الطابق الاول


الطابق الارضي

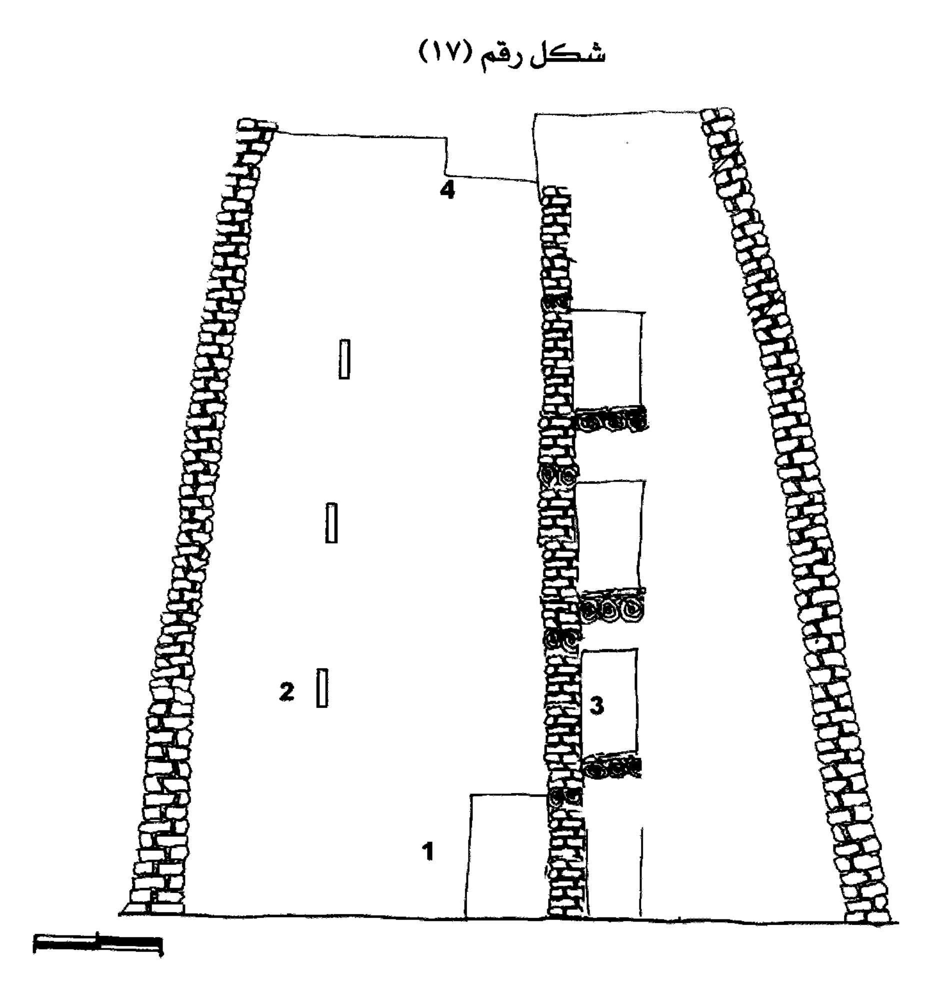
N


الطابق الثالث


الطابق الثاني

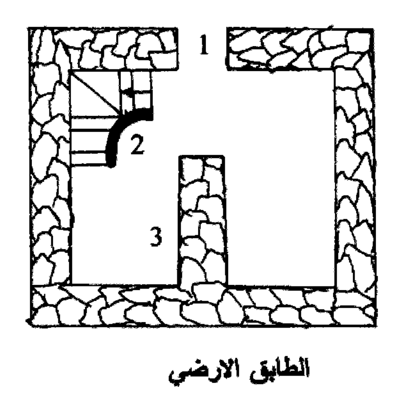
وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لحصن الوقرة - معشوقة	
١- بروج حربية	٥-
٢- مدخل	٦-
٣- رعش للتنقل	
٤-	

شكل رقم (١٧)

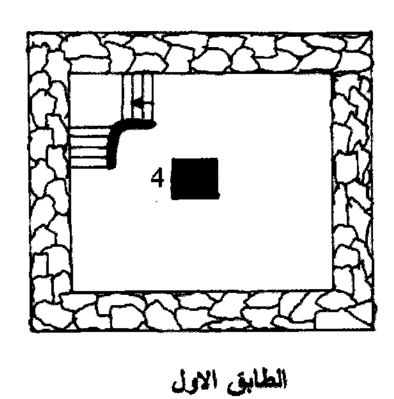


وادي بيدة دراسة أثرية معمارية
قطاع للواجهة الغربية في حصن الوقرة - معشوقة
١- مدخل الحصن ٢- برج حربي ٣- مدخل داخلي ٤- نافذة مراقبة

شكل رقم (١٨)

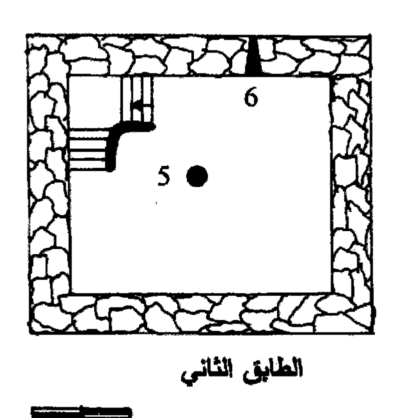


الطابق الارضي

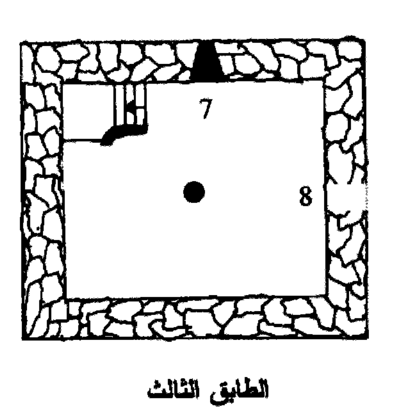


الطابق الاول



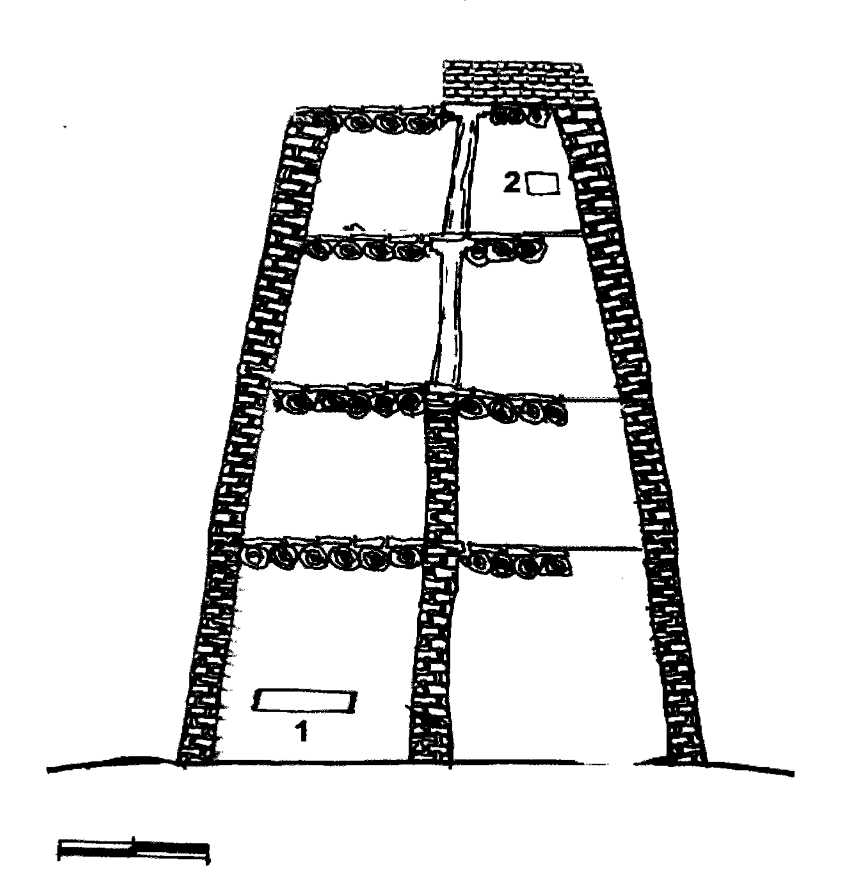
الطابق الثاني



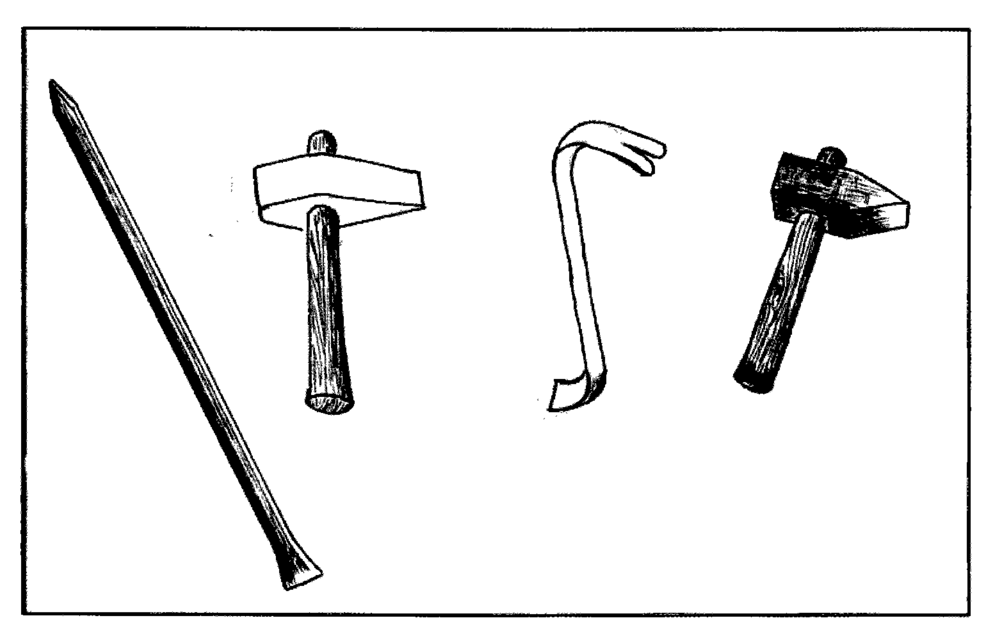
الطابق الثالث

وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
مسقط أفقي لحصن العمودي - بيدة	
١- مدخل	٥- عمود من الخشب
٢- درج	٦- برج
٣- جدار من الحجر	٧- برج أو نافذة حسب الاستخدام
٤- عمود من الحجر	٨- نافذة مراقبة وتهوية ودرج

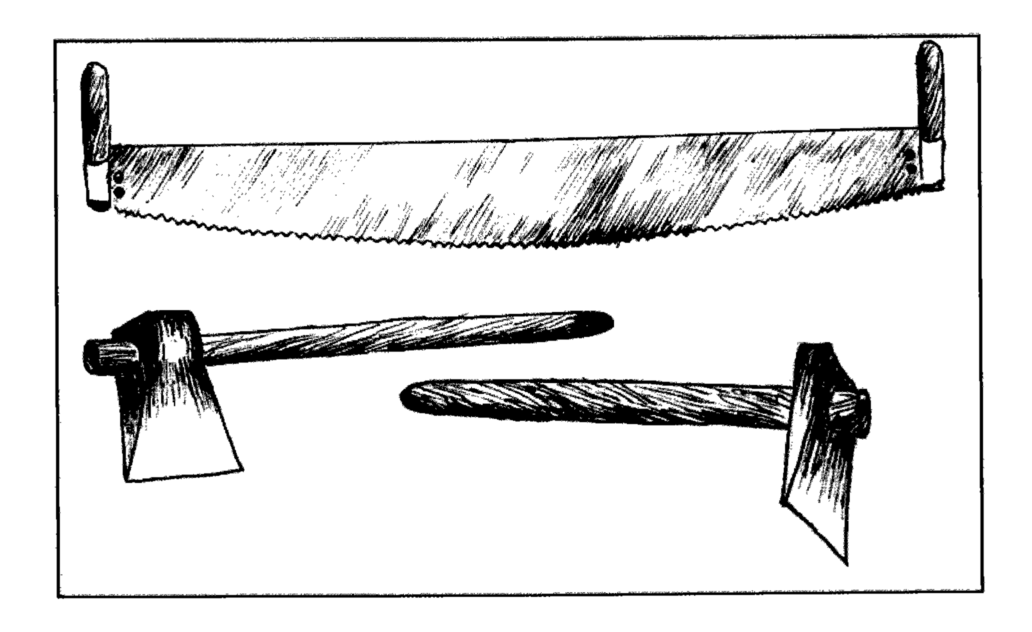
شكل رقم (١٩)



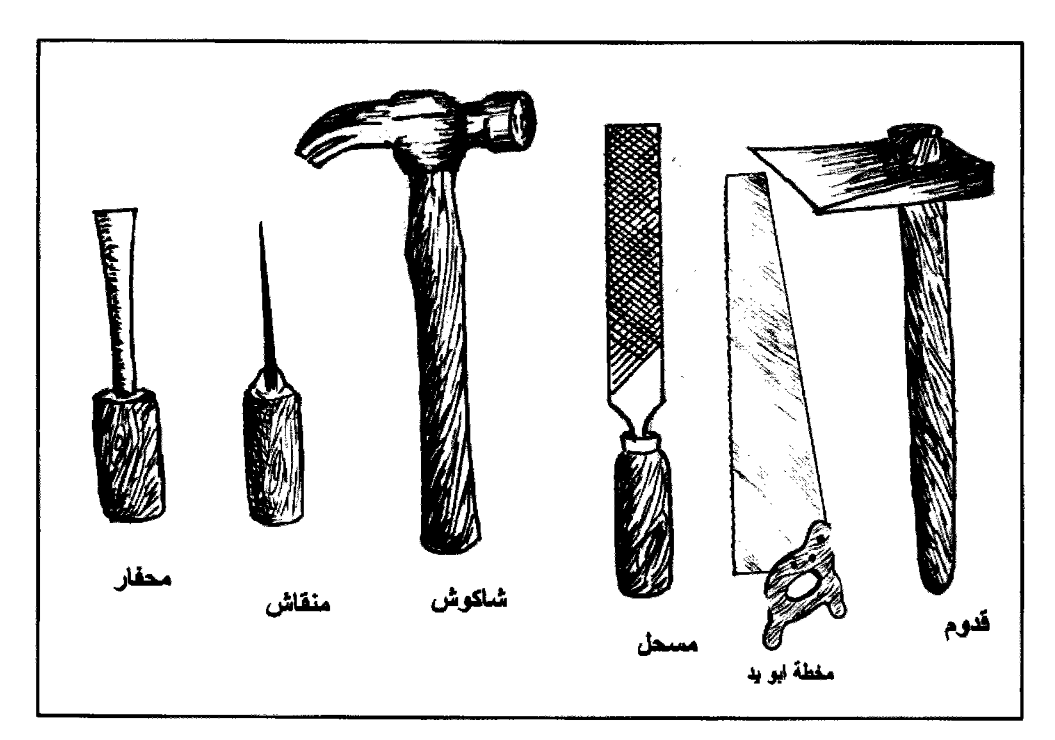
وادي بيدة دراسة أثرية معمارية	
قطاع للواجهة الشمالية في حصن العمودي - بيدة	
١- مذود	٥-
٢- حلانة	٦-
٣-	
٤-	



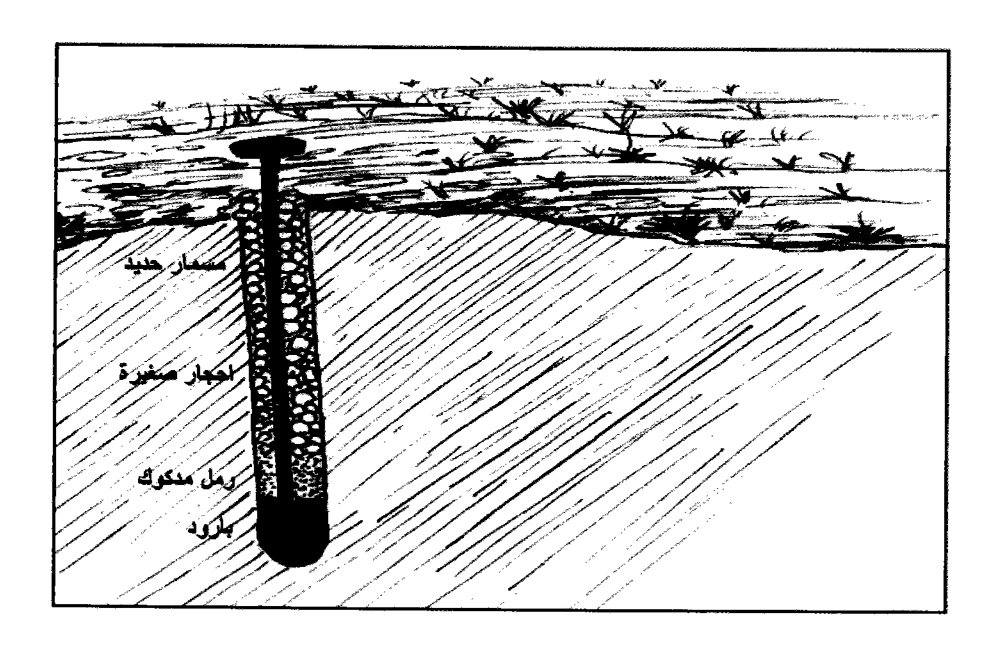
شكل رقم (٢٠) أدوات قلع الأحجار



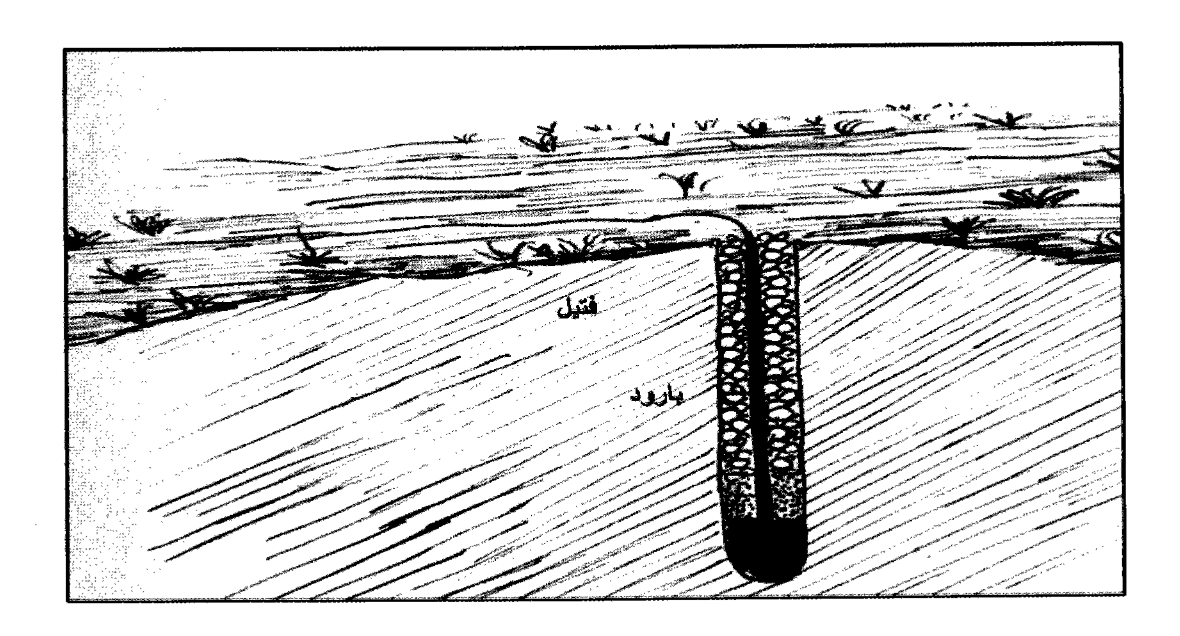
شكل رقم (٢١) أدوات قطع الأحجار



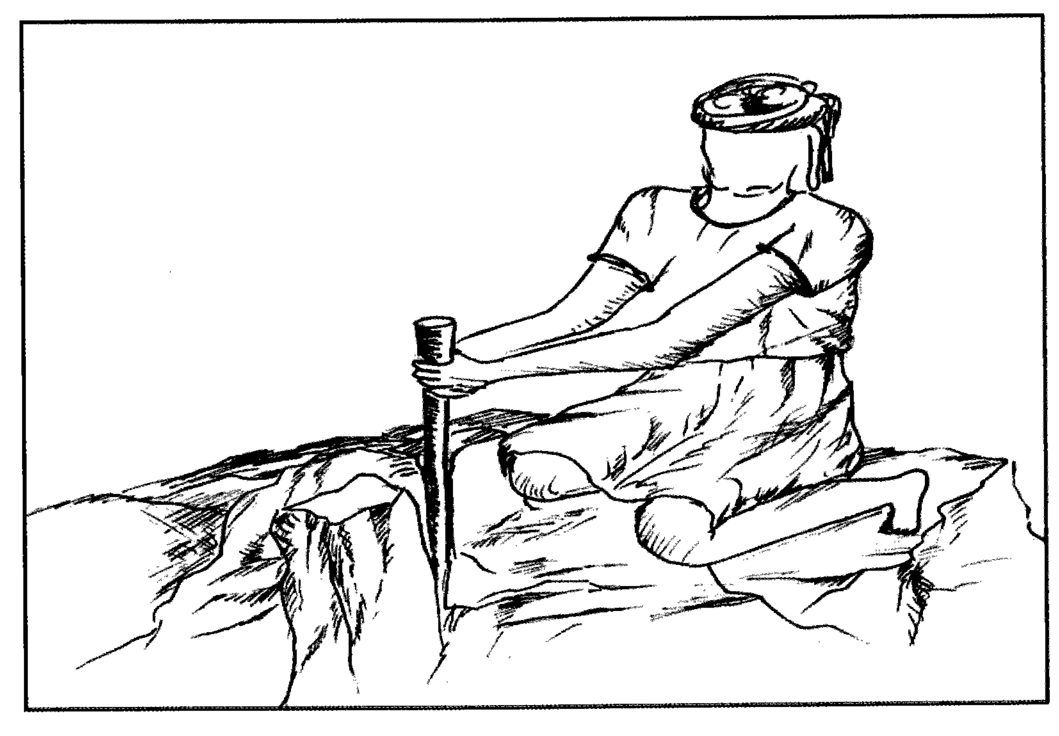
شكل رقم (٢٢) أدوات الزخرفة



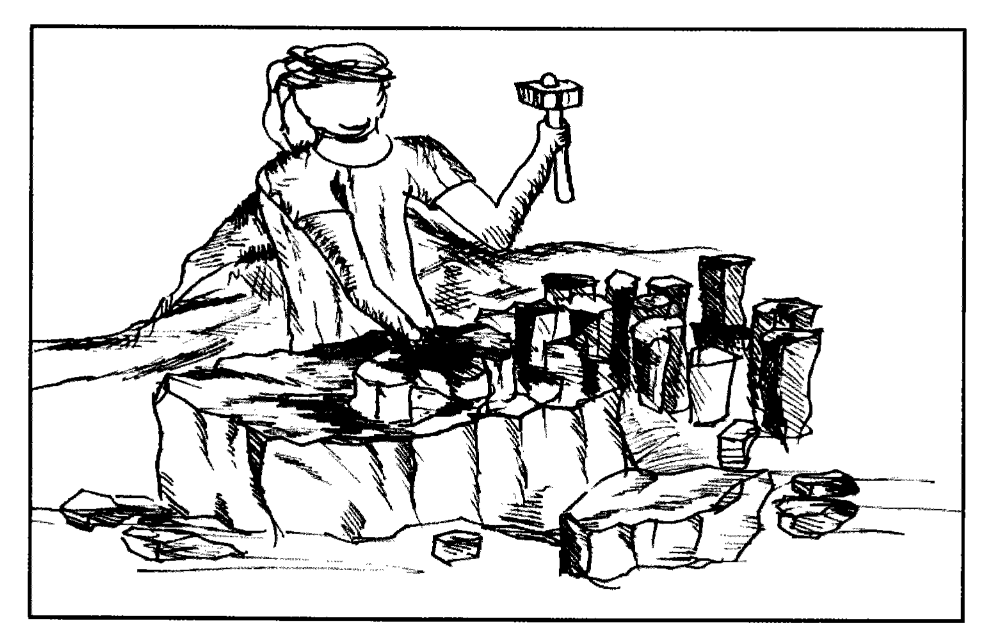
شكل رقم (٢٣) تثبيت المسمار وحشو الأحجار



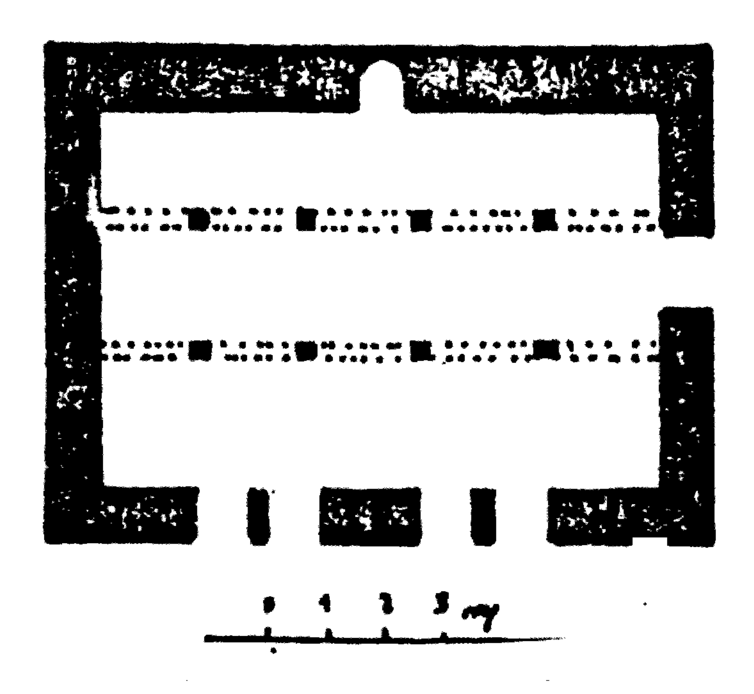
شكل رقم (٢٤) توصيل الفتيل بالبرود



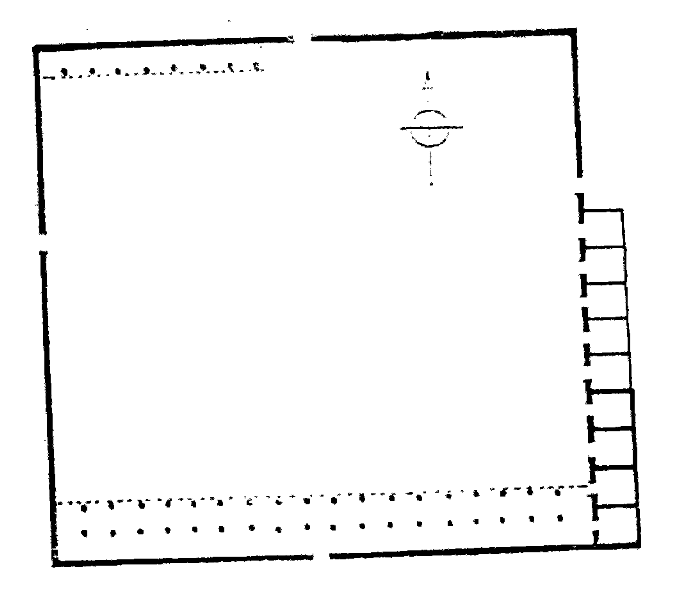
شكل رقم (٢٥) اقتلاع الأحجار



شكل رقم (٢٦) تشذيب الأحجار



شكل رقم (٢٧) مسقط أفقي لمسجد تيثد في اليمن (عن: الحداد)



شكل رقم (٢٨) مسقط أفقي لمسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة (عن: كريزول)